



تاريخ مجيد وعهد جديد



أعمال ملتقى الجزائر الدولي الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي (909هـ)

«الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدتها»



أعمال مُحَكَّمَة ومُرَاجَعَة

الجزء الثالث

الإشراف والمتابعة العلمية لأعمال الملتقى:
الجامعة الإفريقية- أدرار- الجزائر.

قاعة المؤتمرات

عبد اللطيف رحال - الجزائر العاصمة

الأحد والإثنين (12-13 ديسمبر 2022)

03

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

أعمال ملتقى الجزائر الدولي
الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ)
"أحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدتها"

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة والفنون

01 02 12/23

ردمك : 9-080-16-9931-978

الإيداع القانوني: ديسمبر 2023

أعمال ملتقى الجزائر الدولي
الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ)
"الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها"
الجزائر العاصمة الأحد والإثنين (12-13 ديسمبر 2022)

الجزء الثالث

أعمال مُحكَّمة ومُراجَعة

الإشراف والمتابعة العلمية لأعمال الملتقى:
الجامعة الإفريقية- أدرار- الجزائر.

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

إدارة الملتقى

*/ الإشراف العام: الحاج محمد حسوني

*/ المنسق العام للملتقى: أمين بن مالك

*/ رئيس لجنة تنظيم الملتقى: ابراهيم صدوق

*/ رئيس اللجنة العلمية للملتقى: الأستاذ الدكتور أحمد جعفري

المشرفون على الملتقى

*/ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

*/ وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

بالتنسيق مع:

*/ المجلس الإسلامي الأعلى

*/ المعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية الشاملة

*/ الوكالة الجزائرية للتعاون الدولي من أجل التضامن والتنمية

اللجنة العلمية للملتقى:

الرقم	الاسم واللقب	جهة الانتماء	الصفة
01	الأستاذ الدكتور أحمد جعفري	الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر	رئيسا
02	الأستاذ الدكتور محمد لمين بن عمر	الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر	عضوا
03	الأستاذ الدكتور صديق حاج أحمد	الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر	عضوا
04	الدكتور عبد الله كروم	الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر	عضوا
05	الأستاذ عبد الرحمن حمادواكتني	وزارة الشؤون الدينية	عضوا
06	الأستاذ الدكتور عبد الله حاج أحمد	الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر	عضوا
07	الأستاذ الدكتور عبد المجيد قدي	جامعة الجزائر 3	عضوا
08	الأستاذ الدكتور نور الدين صدار	جامعة معسكر	عضوا
09	الأستاذ الدكتور منير بهادي	مدير المكتبة الوطنية الجزائر	عضوا
10	الأستاذ الدكتور العيد جلولي	جامعة ورقلة	عضوا
11	الأستاذ الدكتور شريف مربيبي	جامعة الجزائر 1	عضوا
12	الأستاذ الدكتور محمد بن منوفي	جامعة الجزائر 1	عضوا
13	الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث	جامعة الجزائر 1	عضوا
14	الدكتور الطاهر عبو	الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر	عضوا
15	الدكتور عبد الكريم الغوط	الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر	عضوا
16	الدكتور أحمد بن عبد الكريم	الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر	عضوا
17	الأستاذ الدكتور لحسن زغيدي	جامعة الجزائر 1	عضوا
18	الأستاذة الدكتورة بوبة مجاني	جامعة قسنطينة 2	عضوا
19	الأستاذ الدكتور بومدين بوزيد	المجلس الإسلامي الأعلى	عضوا
20	الأستاذ الدكتور مرسلي لعرج	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	عضوا
21	الأستاذ الدكتور جمال يحيواوي	وزارة الثقافة والفنون	عضوا

المراجعة والتدقيق اللغوي للمداخلات:

- الأستاذ الدكتور أحمد جعفري،
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر
- الأستاذ الدكتور محمد بن عبو،
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر
- الأستاذ الدكتور الطاهر عبو،
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر
- الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العربي،
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر
- الأستاذ الدكتور إبراهيم بلبالي،
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر

الإشراف التقني:

- أيوب عميري،
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار/الجزائر

المواد المنشورة في هذا الكتاب لا تعبر إلا عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر القائمين على الملتقى، ولا تلزمهم بأي حال من الأحوال.

ديباجة | ملتقى:

بالرعاية السامية للسيد رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
السيد عبد المجيد تبون

ملتقى الجزائر الدولي

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ)

"الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدتها"

المركز الدولي للمؤتمرات عبد اللطيف رحال / الجزائر العاصمة

الجزائر العاصمة الأحد والإثنين (12-13 ديسمبر 2022)

الديباجة:

في ظلّ معطى الراهن الجيوسراتيجي، إقليميا وعالميا، وأمام تحديات المرحلة ووعي القيادة السياسية للبلاد، بات من الضروري، التفكير في تفعيل المرجعيات التاريخية، التي حبا الله الجزائر بها، بغية إعمال هذا المشروع الحضاري، بما يخدم شعوب المنطقة، وييسّر لهم سُبُل العيش في أمن وسلام.

والإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ)، واحد من أولئك الذين يمكن للجزائر، أن تراهن عليهم، في استقطاب الجوار الإفريقي، ولها أن تعوّل على أطروحته الفكرية السياسية، ومشروعه الإصلاحي، لأنّ تلعب هذه الأخيرة دورا استراتيجيا، في الحوكمة واستقرار المجتمعات الإنسانية، بما في ذلك دول الساحل الإفريقي وغيرها، نظير ما قدّمه لتلك المجتمعات.

لا يعدم العظماء بفاء أجسادهم أبدا، إنما تبقى أعمالهم وآثارهم حيّة شاهدة على بصماتهم، التي خلدوها، لتكون منارة هادية للأجيال من بعدهم، يستلهمون من قبساتها ما يضمن لهم سُبُل البقاء في الحياة أحرارا، ويعزّز لهم ما يكفل استقرارهم في أوطانهم بعزة وكرامة.

الإمام المغيلي (ت 909هـ) واحد من أولئك العظماء الذين قضوا حياتهم في مجالات مختلفة، وانفتح على محيطه الداخلي والخارجي، ليسجل تاريخا

حافلا في وطنه الجزائر، بالنظر إلى ثراء التجربة، وقوة الجسارة، ومركزية العطاء، ليعمق حضورا ثقيلًا في الجوار الإفريقي بوصفه فاتحا ومعلما ومصالحا، وليُسهم في استقرار الممالك والأوطان، ويرسّخ معالم النسيج الموحد فيها على المستويين الاجتماعي والثقافي.

وتشهد المكتبة العربية للإمام المغيلي بغزارة إنتاجه في تأليف العشرات من الكتب والتصنيفات في حقول معرفية متنوعة كالتفسير والفقه واللغة والأدب والتصوف والسياسة الشرعية والفلسفة، ومؤلفاته المحققة وغير المحققة، التي لا تزال تذخر بها خزائن المخطوطات والمكتبات الخاصة والعامّة داخل الوطن وخارجه.

إنّ إفريقيا لتسجل بأحرف من نور تلك الإسهامات الجليلة للإمام المغيلي في تشكّل مشهدها الثقافي والفكري والإصلاحي، بما أبلّى فيه من أثر طيب؛ إذ ربط بلده بدول غرب إفريقيا، ليؤسس مرجعية علمية واجتماعية وثقافية على مستويات متعددة تؤسس مرجعية مشتركة تحقق الاستقرار الاجتماعي والأمن الفكري في إفريقيا.

لقد قاد الإمام المغيلي حركة إصلاحية تستهدف تحرير الإنسان أينما كان، من كل الولاءات التي تشكّل تهديدا على وجود النفس البشرية أولا، ومقومات الدولة ثانيا، ومستقبل الأمم والشعوب ثالثا، وربط ذلك كلّه بأواصر الإيمان، وعرى الوطنية، لحماية الأمة من التذويب والانمحاء.

ولتحقيق تلك الشخصية المستقلّة والمتوازنة والمحافظة على ذاتها الحضارية والواعية بسياقات المعرفة وتحولاتها المتجددة، فقد انفتح إمامنا على الفكر الخصب، الذي يتلقى الجديد تلقيا إيجابيا في صورة المنطق الأرسطي، حيث دافع على توظيفاته المجردة، كما ردّ على بعض الأصوات الناشزة في فكر الأمة، وردّها لصواب التفكير السوي، لتبقى صامدة لا تتزعزع، وحرّة لا تستقوي بالأعداء، ولا تتضعضع بالأهواء، أصلها ثابت في أعماق الأوطان، وفرعها باحث في سماء العرفان...

ومن هذا المنطلق، قد كان التفكير في عقد هذا اللقاء العلميّ الكبير، على مائدة الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي، ليكون الرمز الموحّد، والملمم

المُرشد، والقاسم المشترك بين الجزائريين وإخوانهم من شعوب القارة الإفريقية، ومن سائر المعمورة؛ واختير له عنوان: ملتقى الجزائر الدّولي «الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي: الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدها». وذلك بغية تحقيق جملة من الأهداف الأساسية.

– أهداف الملتقى:

- ✽ توطيد أواصر المحبّة والتعايش السلمي بين أبناء الجزائر والقارة الإفريقية خصوصا والمعمورة عموما.
- ✽ مدّ جسور التواصل الثقافي؛ وتوثيق الصلات والروابط التاريخية، بين الجزائر ومحيطها الإفريقيّ والعالم.
- ✽ الاستثمار في الرّأس مال الرّمزي، في مواجهة التطرّف والعنف، وتسوية النزاعات والصراعات.
- ✽ التذكير بمبادئ الإسلام السّميحة، بالوقوف على جملة من القيم والمثل العليا التي طبعت حياة الإمام المغيلي ومعاملاته؛ ومكّنته من ولوج أبواب إفريقيا، وكسب قلوب الملايين من ساكنتها، وترك حميد الأثر فيها.
- ✽ الوقوف عند شخصية الإمام المغيلي، في أبعادها الإفريقية والكونية.
- ✽ التعريف بتراث الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وتسهيل مهمّة الوصول إليه، والإفادة منه، تحقيقا ودراسة ونشرا.
- ✽ التعريف بجهود علماء الجزائر، ودورهم في نقل العلوم والمعارف إلى بلدان القارة الإفريقية والعالم.

ولتحقيق هذه الأهداف فقد رسمت للملتقى خطوطاً ومجاور كبرى شاملة.

– محاور الملتقى:

- المحور الأول: الإمام المغيلي. السيرة والمسيرة.
- المحور الثاني: التراث العلميّ والمعرفي للإمام المغيلي، تحقيقا ودراسة.
- المحور الثالث: البعد الإصلاحي التحرّري، في فكر المغيلي، عربيًا وإفريقيًا وعالميًا.
- المحور الرابع: تجلّيات الوسطية والاعتدال، في المنهج الدعويّ والسلوكي للإمام المغيلي، عربيًا وإفريقيًا وعالميًا.
- المحور الخامس: الأطروحة السياسية ومشروع الدولة، في الفكر السياسيّ للإمام المغيليّ (سنغاي والهوسا نموذجًا).
- المحور السادس: الإمام المغيليّ ومدرسة التصوّف الجزائرية. الامتداد الإفريقيّ والعالميّ.
- المحور السابع: الحكم الراشد ودوره في استقرار الشعوب الإفريقية. عرض حال لرسائل الإمام المغيليّ، وإسقاطها على السياق التاريخيّ الظرفيّ الأنّيّ.
- المحور الثامن: الحوكمة السياسية، والرؤية الكونية للإمام المغيليّ، بين راهن المرحلة، واستشراف المستقبل.

وقد استقبلت اللجنة في كل هذا أزيد من 90 مشاركة من قارات إفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا وبما يزيد عن أربعين دولة وتم توزيع هذا العدد على أربع ورشات كبرى بمعدل 20 بحثًا في كل ورشة إضافة إلى 05 ندوات مفتوحة في ذات المضامين المشتركة.

وبعد يومين من النقاش والحوار وبعد الاستماع الى تدخلات وتفاعلات الحضور الذي قارب الألف مشارك خلصت لجنة التوصيات الى اقتراح 10 (عشر) توصيات كبرى كخارطة طريق للطبعات القادمة من هذا الملتقى.

– توصيات الملتقى:

1. إنشاء مركز بحث باسم: «مركز الإمام المغيلي للبحوث والدراسات الإفريقية والعربية» ليكون رافداً للتنمية في إفريقيا والمنطقة العربية.
2. إنشاء مؤسسه الإمام المغيلي الإفريقية لتكون حاضنة ثقافيه للعلماء والنخب وتكون مُعززة للفكر الوسطي المعتدل.
3. اعتماد اسبوع ثقافي إفريقي باسم «أدرار عاصمة الثقافة الإفريقية» تزامناً مع ذكرى الإمام المغيلي.
4. إنجاز فيلم مطول عن الإمام المغيلي يؤرخ لأمجاده ومآثره.
5. الاستفادة من فكر الإمام المغيلي لستلهاام في المناهج التربوية والجامعية.
6. العمل على تقديم الإمام المغيلي كشخصيه موسوعية والسعي إلى تصنيفه كتراث عالمي من طرف منظمة اليونسكو.
7. اعتماد جائزة الإمام المغيلي للدراسات التراثية والثقافية المشتركة.
8. تخصيص صرح علمي بجميع مرافقه يكون مخصصاً للإمام المغيلي.
9. العمل على تعزيز مكان الجزائر الدبلوماسية والروحية والدينية والثقافية واستثمارها.
10. العمل على مواصلة الملتقى في طبعاته سنوياً ونشر أعماله في جميع الوسائل والوسائط المتاحة.

ومن كرم رئيس الجمهورية، السيّد عبد المجيد تبون فقد تمت الموافقة على 50 (خمسين) بالمائة من توصيات الملتقى والحضور داخل القاعة، حيث وافق السيد الرئيس عبد المجيد تبون على التوصيات الآتية:

- ❖ إنشاء مركز بحث باسم: «مركز الإمام المغيلي للبحوث والدراسات الإفريقية والعربية» ليكون رافداً للتنمية في إفريقيا والمنطقة العربية.
- ❖ اعتماد أسبوع ثقافي إفريقي باسم: «أدرار عاصمة الثقافة الإفريقية» تزامناً مع ذكرى الإمام المغيلي.
- ❖ إنجاز فيلم مطول عن الإمام المغيلي يؤرخ لأمجاده ومآثره.
- ❖ اعتماد جائزة الإمام المغيلي للدراسات التراثية والثقافية المشتركة.
- ❖ العمل على مواصلة الملتقى في طبعاته سنوياً، ونشر أعماله في جميع الوسائل والوسائط المتاحة.
- ❖ على أن تبقى باقي التوصيات قيد البحث والدراسة.

نظرات مقاصدية في الفكر السياسي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

محمد الصالح ضيف

أستاذ مكون بثانوية الشهيد بومادة عبد المجيد بورقلة

الملخص:

اتّسمت الحركة السياسية عند الإمام المغيلي بالنظرة الواعية والشاملة لميادين الإصلاح والنظم الإسلامية والسياسة الشرعية، فجعلت منها تجربة رائدة في مسيرة التغيير والإصلاح السياسي.

وقد ضمّت مؤلفاته في مجال السياسة الشرعية والأدب السلطاني آراءه وأفكاره السياسية، وعكست تجربته التي عاشها في مراحل حياته، والتي بدت منها مواقفه تجاه بعض القضايا، وكشفت عن خلفيته السياسية التي جعلت من المقاصد الشرعية هدفا لها ومحورا لمباحثها، وبيّنت مدلول السياسة الشرعية وعلاقتها بالمصلحة العامة.

الكلمات المفتاحية:

الإمام المغيلي، السياسة الشرعية، الفكر السياسي، مقاصد الشريعة، المصلحة العامة.

Maqssid (Purposes) Views in the Political Thought of Imām al-Maghīlī

Abstract

The political movement of Imām al-Maghīlī was characterised by the mindful and inclusive view of reform domains, the Islamic systems and the legal policy. That made of it a unique experience in the path of the change and political reform. His writings, in the field of legal policy and governance literature, included his political views and ideas that reflected his life experiences and displayed his attitudes towards some issues. It also revealed his political background which made the legal policy as an objective and a core of its researches. It showed the notion of the legal policy and its relation with the public interest.

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Legal Policy, Political Thought, *Sharia* Purposes, Public Interest

المقدمة:

يضمّ الفكر السياسي عموماً مجموعة الأسس والنظم التي وضعها المفكرون لرسم صورة الدولة وتنظيم العلاقات بين السلطة الحاكمة وأفراد المجتمع الذي تمارس فيه تلك السلطة، غير أنّ الفكر السياسي الإسلامي يستمدّ أصوله ومبادئه وتشريعاته من المرجعية الدينية والمتمثلة في الكتاب والسنة المطهرة، والتي بدورها رسمت معالم نظام الحكم بما تحمله من قيم وأسس ومفاهيم عامة يرتكز على أساسها نظام السلطة الحاكمة، فهو يعكس بالضرورة فلسفة الإسلام السياسية في حركة المجتمع وما ترتكز عليه من قيم العدل والمساواة، والشورى، والتسامح، وما يحويه من مضامين الاعتراف بالحريات العامة؛ وأهمّها حرية الممارسة الدينية وغيرها من مختلف الحقوق المدنية والسياسية.

ويعدّ الإمام المغيلي أحد العلماء الذين تمسّكوا بأصالة الفكر السياسي الإسلامي ومرجعياته التشريعية وقواعده العامة، فالسياسة في الإسلام تعود إلى اعتبار عدم مخالفتها لمقرّرات الشرع وتقييدها بقاعدة النظر في المصالح والمفاسد، وذلك بجلب ما أمكن من المصالح ودرء ما أمكن المفاسد العامة حماية لمقاصد الشريعة الإسلامية. وقد ظهر ذلك واضحاً في فكر الإمام المغيلي من خلال جملة النصائح والمواعظ التي قدّمها للسلطان أبي عبد الله محمد بن يعقوب رونفا مدّة إقامته بأرض (كانو) فيما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة، في رسالة كتبها سميت بـ "رسالة الإمارة"، وما يتعلّق بإصلاح شؤون السلطان وعلاقته بالرعية وردعهم عن الحرام في رسالة ثانية عنوانها "جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام" تركّزت نصائحه فيها على تنبيه أولياء الأمور على أنّ معظم الفساد الذي يشكو منه الناس سببه المسؤولون الفاسدون، فنّبّه الحاكم إلى ذلك ليكون على بينة من أمره فيحسن اختيار عمّاله وموظّفيه، وليكون في جميع أموره

معينا على الحقّ مرشدا إلى الخير وعامله على التقوى، لا سلّما للباطل ومعينا على الشرّ. فتناولت هاتين الرسالتين أهمّ مسائل الحكم والسياسة موضّحة لنظام الحسبة، وشروطها، وأحكامها، وما يصلح شؤون الحاكم ورعيته... فهي بمثابة وثيقة دستورية استند إليها حكام (كانو) على مدى ثلاثة قرون.

لقد سلك المغيلي في مسيرته السياسية منهج الواقعية لا منهج التنظير السياسي، فكان بذلك نموذجا للمنهج العلمي التجريبي في الفكر السياسي الإسلامي، وقد عكست تجربته مع اليهود في توات تلك الواقعية التي وصلت إلى حدّ المواجهة العسكرية وانتهت بطردهم من أرض توات، وكتب في ذلك رسالة ضمّتها موقفه السياسي إزاء تمردّ اليهود على الأحكام الشرعية وما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمّة من الجزية والصغار، امتدّ أثرها إلى بلاد السودان بالتضييق عليهم ومنعهم من الاستقرار بالبلاد الإسلامية، أو من خلال ما كشفت عنه أجوبته لأسئلة الأسقيا الحاج محمد الكبير وتفسيراته للظواهر الاجتماعية والسياسية التي أظهرت معرفته بأحوال بلاد السودان وخبرته الواسعة بأمور السياسة.

إنّ التراث الفقهي والتجارب السياسية التي تركها الإمام المغيلي تمثّل مجالا حيويا للوقوف على مدى اعتماده على المقاصد الشرعية، ومعلوم أنّ السياسة الشرعية تدور أحكامها حول معاني المصلحة والمفسدة وما يتصل بها من مقاصد الشرع الحنيف، ومن هنا يثور التساؤل حول إشكالية هذا البحث والمتمثلة فيما يلي: ما مدى حضور المقاصد الشرعية في الفكر السياسي عند الإمام المغيلي؟ وما أثر ذلك في ضبط السلوك السياسي بضوابط الشريعة الإسلامية؟

وتتطلب المنهجية العلمية في مثل هذا البحث المنهج الاستقرائي الذي يقتضي تتبّع المسائل الفقهية في مجال السياسة الشرعية التي تعرض لها

الشيخ المغيلي في مجموع وصاياه وكتبه ورسائله التي بعث بها إلى بعض الملوك، كما تستدعي المنهج التحليلي الذي يقضي بوضع تلك المسائل موضع الكشف والاختبار والتحليل في النسق الذي يخدم الموضوع ويكشف عن مدى اعتماده على المقاصد في مجال السياسة الشرعية.

إنَّ أهمَّ الأسباب الدافعة لكتابة هذا البحث هي الوقوف على اجتهادات الإمام المغيلي ومدى ارتباطها بمقاصد الشريعة، وبيان أهمية الدراسات المقاصدية في المجال السياسي من خلال تجربتها التاريخية.

ونظراً لأهمية موضوع السياسة الشرعية لتعلّقه بإدارة شؤون الدولة وتديورها، ومراعاة مصالح الأمة، فإنَّ النظر المقاصدي لتلك التدابير السياسية التي تتوخى تحقيق المصلحة هو محور العمل السياسي وهدفه المنشود، ولهذا كان الهدف من هذا البحث الوقوف على تجربة المغيلي السياسية، وإبراز المقاصد الشرعية والقواعد التي اعتمدها لضبط سلوكه السياسي بضوابط الشرع، والاستعانة بها في فهم الظواهر والاجتهادات السياسية وتفسيرها...

وللإشارة فإن تناول موضوع السياسة الشرعية من خلال رؤية مقاصدية لم ينل حظّه من البحث والدراسة رغم تنبيه بعض المعاصرين من أنّ مباحثها يمكن أن تشكّل مادة للمقاصد ومحتوى لعناصرها.

إنَّ هذه الدراسة هي عبارة عن محاولة للوقوف على بعض التجليات المقاصدية في موضوع السياسة الشرعية عند الإمام المغيلي، وإبراز مدى ارتباط الفقه السياسي بتلك المقاصد وقواعدها، لتكون منهجاً يحكم الواقع السياسي ويضبط موازين المصلحة، وذلك من خلال الإجابة عن الإشكالية المطروحة والمتضمّنة للعناصر التالية:

1/ النظام السياسي عند الإمام المغيلي ونسقه المقاصدي.

2/ القواعد المقاصدية الضابطة لتفاعلات العمل السياسي عند الإمام

المغيلي.

3/ البعد المقاصدي في فكر الإمام المغيلي لعلاقة غير المسلمين بالبلاد

الإسلامية.

1- النظام السياسي عند الإمام المغيلي ونسقه المقاصدي.

يتجلى البحث المقاصدي لموضوع السياسة الشرعية في فكر الإمام المغيلي من خلال نظريته الواعية التي بدت بمواقفه السياسية وانطلقت من ثقافته الدينية المتأصلة من جهة، ومن خلال تجاربه التي عاشها في مختلف مراحل حياته التي مرّ بها من جهة أخرى، فجعلت منه عالماً متقصباً في نظريته ومواقفه السياسية أحكام الشرع الحنيف، فكان سلوكه السياسي يستهدف جوهر مقاصد الشريعة الإسلامية ومحور مباحثها وأهمّ موضوع فيها وهو المصلحة الشرعية، فحيثما بدت له المصلحة من وجهة نظره كانت مواقفه السياسية على وفقها ودار مناط الحكم بمقتضاها، فغدت بذلك اجتهاداته واختياراته وسلوكه السياسي مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بمدى ما يحققه من مصالح وغايات وأهداف سياسية. وإذا كان علماء الأصول في مجال استنباط الأحكام الشرعية قرّروا أن الحكم يدور مع العلة وجوداً وعدمًا، فإنه في المجال السياسي يصح القول: بأن "التدبير السياسي يدور مع المصلحة وجوداً وعدمًا"⁽¹⁾، فقرّروا أنّ كل من ولي الخلافة فما دونها إلى الوصية لا يحلّ له أن يتصرف إلا بجلب مصلحة أو درء مفسدة⁽²⁾. وبناء عليه فإن النظام السياسي ممثلاً في السلطة الحاكمة هو أحد المكونات المشكّلة للكيان السياسي للدولة، ومن أهمّ الأدوات الفاعلة لتنظيم المجتمع

⁽¹⁾ صبحي عبده سعيد، الحاكم وأصول الحكم في النظام الإسلامي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط، 1985م)، ص 93.

⁽²⁾ القرافي، الفروق، (بيروت: تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط، 1418هـ/ 1998م)، ج 4، ص 95.

وتدبير شؤونه، بل هو ضرورة اجتماعية وسياسية لما له من أهمية بالغة في تحقيق مقاصد الشرع وحماية مصالح الأمة.

1-1- المقاصد المتعلقة بنظرة الإمام المغيلي للسلطة السياسية.

إنّ المتأمل في تعريفات فقهاء السياسة للخلافة- النظام السياسي- يرى أنّ أغلبها ورد بعبارات متشابهة ومعان متقاربة تركز على المقاصد والوظائف المحدّدة لمهامها⁽³⁾، ولم يكن الشيخ المغيلي ليخرج عن هذا النسق العام في تحديد مفهوم الخلافة وصلتها بمقاصد الشريعة التي تدور حول فكرة المصلحة العامة، ويبيّن أنّها تدخل في اختصاصات النبوة فجمعت بين مصالح الدين والدنيا حيث عرّفها بقوله: «الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»⁽⁴⁾. وهذا الجمع بين المصلحتين قد تجلّى واضحاً في نصيحته لأمير كانوا حين قال له: "ما ولّاك الله عليهم لتكون سيّدهم ومولاهم وإنما ولّاك عليهم لتصلح لهم دينهم ودنياهم"⁽⁵⁾، فهي نيابة عن مقام النبوة لتنفيذ أحكام الله تعالى، وتحقيق مصالح الدنيا والآخرة، وهي محكومة بمقدار ما تؤدي إلى سعادة أو شقاء الإنسان في الآخرة، لذلك كان حرص المغيلي على جعل الآخرة هي المقياس في السلوك السياسي، قال رحمه الله تعالى: «فتوكل على الله واستعن في أمرك كله بالله وليكن عملك كله لوجه الله، وذكّر نفسك أنّك واحدٌ من خلق الله، كثير أقوى منك لولا نصر الله، فليكن طمعك كلّهُ في الله، وخوفك كله من الله، وهمّك كله في مصالح خلق الله»⁽⁶⁾، وهو ذات المعنى الذي ذهب إليه ابن تيمية بأن صلاح الدين والدنيا متوقف على أن يكون القصد من الولاية هو التقرب إلى الله تعالى. يقول

⁽³⁾ الماوردي، الأحكام السلطانية، (القاهرة: دار الحديث، ط، 1427هـ/2006م)، ص15.

⁽⁴⁾ المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، (بيروت: تحقيق محمد خير

رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط، 1415هـ/1994م)، ص15.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص18.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص17-18.

رحمه الله: "إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ بِالْمَلِكِ وَالْمَالِ هُوَ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ وَإِنْفَاقُ ذَلِكَ فِي سَبِيلِهِ كَانَ ذَلِكَ صِلَاحَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا"⁽⁷⁾

وهذا التصوّر لمفهوم الدولة الذي يجمع بين المصلحتين يكشف عن طبيعة العلاقة التلازمية بين السلطة التشريعية والسلطة السياسية بحيث تجعل من مصلحة الدنيا ممهّدة للأخرة، ومن مصلحة الآخرة باعثاً لإصلاح الدنيا، فلا يستقيم أمر كل منهما دون الآخر، وهو من خصائص التشريع السياسي الإسلامي الذي يستشرف البُعد الروحي والأخلاقي في الممارسة السياسية⁽⁸⁾ التي تتوخّى المفهوم المقاصدي للمصالح الضرورية، "بحيث إذا فقدت لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين"⁽⁹⁾، فجعل من مصالح الدنيا وأحوالها أنها عائدة في الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة.

وإذا كانت مصالح الدارين لا تتحقق إلا بتنصيب الإمام بالنظر في مصالح الأمة وتدير شؤون الرعية بجلب المصالح ودفع المضار، وإقامة العدل ومراعاة الحقوق وغيرها من المهام الأخرى والنظر في مختلف الوظائف المالية والإدارية والتعليمية والشؤون الصحية والاجتماعية وحماية الحوزة، فلا شك أن هذه المصالح هي في مرتبة المقاصد الضرورية التي لا تستقيم حياة الأمة إلا بها⁽¹⁰⁾، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «إن إقامة الحكومة للأمة الإسلامية أمرٌ في مرتبة الضروري لأنه لا يستقيم حال الأمة بدون

⁽⁷⁾ ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، (الجزائر: الزهراء للنشر والتوزيع، ط، 1990م)، ص 174.

⁽⁸⁾ الدريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، (سوريا: مؤسسة الرسالة، ط 2، 1429هـ/2008م)، ص 156.

⁽⁹⁾ الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، (بيروت: تحقيق عبد الله دراز وعبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، د.ت)، ج 2/ص 07.

⁽¹⁰⁾ ابن الأعرج، تحرير السلوك في تدبير الملوك، (الإسكندرية: تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، د.ت)، ص 25.

حكومة، وهذا شيء قد تقرّر في العقول السليمة"⁽¹¹⁾. فتصيب الإمامة وإقامة النظام السياسي بحفظ مناطه في جلب المصالح ودرء المفسد، مقصد شرعي وأصل ضروري من أصول المصالح، لما له من أهمية شرعية باعتباره وسيلة لجلب المصالح الشرعية العامة ودرء المفسد العامة التي قد تصيب الكيان السياسي للأمة، بحيث إذا انعدمت انخرم النظام؛ فإقامة النظام السياسي هو من أعظم المقامات التي يجب صيانتها وحراستها، لأنه مقام أنيط به قيام الشريعة وتحقيقها، وهو من أعظم المقاصد الضرورية⁽¹²⁾ التي أكّد عليها الشيخ المغيلي، ولهذا كان يرى فورية تنصيب الإمام ليقوم بمهمة الخلافة باعتبارها أصل المصالح قائلاً: «إن الإمامة أصل المصالح كلها لا يصلح شيء من أمور الدين والدنيا إلا بها»⁽¹³⁾.

وعندما يتحدّث المغيلي عن الشروط الأربعة لصحة الإمامة في رسالته مصباح الأرواح وأهمّها القوة والأمانة والعلم⁽¹⁴⁾، فهو يشير إلى ما اقتضته أصول الاجتهاد التطبيقي للشريعة من اعتبار الدوافع في التصرفات، ويتجلّى ذلك في تأصيل الفقهاء لمبدأ الباعث المحرّك لإنشاء التصرفات والعقود ويلحق بها الشروط، فقد أناطوا مشروعيتها بمقدار ما يُتوخّى في اعتبارها من أغراض مصلحة، وارتبطت مشروعيتها أساساً بمفهوم الباعث وبمدى موافقتها لقصد الشارع كمعايير ضابطة لوظيفة الحاكم، فتعتمد هذه المعايير لتحديد واختيار من هو للإمامة أصلح وتدير المصالح أقوم وأعرف، فكان دافعهم للزوم هذه الشروط الحرص على إيجاد الضمانات الكافية

⁽¹¹⁾ ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (تونس: الدار العربية للكتاب، ط، 1979م)، ص 211.

⁽¹²⁾ خليل فوزي، المصلحة العامة ن منظور إسلامي، (بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م)، ص 291، 286.

⁽¹³⁾ المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح (الجزائر: تخريج ودراسة عبد الله حمادي الإدريسي، وزارة الثقافة، الطبعة الأولى 1434هـ/2013م)، ص 80.

⁽¹⁴⁾ المرجع نفسه، ص 81، 80.

لحسن تسيير الدولة وإدارة شؤونها تحقيقا لمقاصد الإمامة. هذا ويرى الإمام المغيلي ضرورة حسن اختيار الشخصيات التي تتوفر على تلك الشروط الشرعية إذا ما أريد تعيينهم في مثل هذه الوظائف الحساسة، كيلا تُتخذ ذريعة للفساد، فيضّر ذلك بالمصالح العليا للدولة لخطورة المنصب، فكان يرى من المصلحة عزل الإمام الفاسق لعدم كفاءته وانخرام الشرط الواجب لاختياره، ولهذا أقر سلطة الأمير أسقيا وأخذ السلطة من سني علي لأنه كان من أظلم الظالمين الفاسقين الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض⁽¹⁵⁾.

والإمام المغيلي بعد أن قرّر ضرورة عقد الإمامة وأنها فرض كفائي على جميع الأمة تقوم به جماعة أهل الحل والعقد من أهل السنة، بين أن الحاكم إنما يكون لجميع الأمة، فلا يجوز أن ينصب معه إمام آخر مهما بُعدت الأقاليم الإسلامية، فتعدّد الأئمة في نظره يؤدي إلى افتراق كلمة المسلمين وفساد أحوالهم وتشتت آرائهم وضياع مصالحهم، فوجب أن يكون الإمام واحداً تحقيقاً لمبدأ الوحدة السياسية⁽¹⁶⁾، فإن انتظام الأمة كما قال لا يمكن أن يستقيم إلا على عمود واحد درءاً للمفاسد وجلباً للمصالح بحسب الإمكان⁽¹⁷⁾. فاستمرارية الدولة واستقرارها يظلّ أحد الأهداف والمقاصد السياسية للحكم، فتتعيّن وحدة السلطة لتجتمع بسببها الكلمة، بل إنّها الشرط الضروري لقيام الدولة، وفي الوقت ذاته الضمانة الكفيلة لتحقيق استقرارها وتأكيد استمراريتها ككيان تحفظ به مصالح الأمة واستقامة الملة.

⁽¹⁵⁾ المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، (الجزائر: تقديم وتحقيق عبد القادر زبادية،

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طبعة، 1974م)، ص 39.

⁽¹⁶⁾ المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ص 81.

⁽¹⁷⁾ المرجع نفسه، ص 82.

لقد كان المغيلي مدركا للواقع السياسي، فقد استحال في نظره تشكيل وحدة سياسية لإمارات الشمال الإفريقي نظرا لانقسام تلك البلاد إلى دويلات وممالك مستقلة غير مترابطة سياسيا، وفي ظلّ الصراعات التي استمرت قرونا عديدة دون أن تجد طريقها لتشكيل وحدة سياسية في أقلّ أحوالها لمواجهة حملات المدّ الصليبي⁽¹⁸⁾، ولكنه استطاع أن يجد في ممالك وأمراء السودان الغربي ما يمكن أن يتحقّق معه مفهوم الدولة كما يتصورها، فكان حريصا على وحدتها السياسية وساعيا لتجسيد أفكاره ونصائحه إلى برنامج عملي تتحقّق من خلاله وحدة السلطة كرمز لوحدة الأمة، في مرحلة استطاعت من خلالها دولة سنغاي أن تضمّ العديد من الإمارات، كلّ إمارة تشكّل وحدة سياسية قائمة بذاتها، ولكنها تجتمع تحت سلطة سياسية واحدة مركزها كانو.

إنّ هذا المستوى من التفكير السياسي للإمام المغيلي كان من أبرز أهدافه السياسية التي تجلّت من خلال نصائحه للأسقيا محمد الكبير، وفي حرصه على اجتماع الكلمة، ودعوته لانخراط البلاد التي لا أمير لها - السائبة- تحت راية إمام، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»⁽¹⁹⁾.

2.1- المقاصد المتعلقة بتنظيم هياكل الدولة ومؤسساتها وإصلاحها.

إنّ الحديث عن هياكل الدولة وتنظيم مؤسساتها يأتي في سياق البحث عن الإطار المؤسسي الذي يقوم بمجموعة الوظائف المحقّقة للمصلحة العامة، وهي المؤسسات المكونة للنظام السياسي، وقد تضمّن التشريع الإسلامي الإشارة إليهما بمؤشرات عامة، من خلال نصوص الكتاب الموجبة

⁽¹⁸⁾ عبادة كحيل، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، (القاهرة: المطبعة الإسلامية الحديثة، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م)، ص 123-124.

⁽¹⁹⁾ مسلم، صحيح مسلم، (الرياض: اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، ط، 1419هـ/1998م)، ص 773.

لإقامة العدل وأداء الأمانات والأمر بالشورى والدعوة إلى الجهاد وإقامة الحدود، وما يتعلق بالعهود والمواثيق وغيرها من وجوه التكاليف الشرعية التي تضطلع بها مؤسسات الدولة اللائمة لحفظ المصالح العامة، وهي إشارات عامّة وليست تفصيلية لتلك الواجبات السياسية، وإلى ضرورة إقامة المؤسسات التي تؤدي تلك الوظائف والمهام الشرعية سواء كانت واجبات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية، فضلا عما تقوم به من واجبات دينية⁽²⁰⁾.

لقد أدرك الإمام المغيلي أن قيام الدولة واستقرارها يتوقف على قوة المؤسسات النظامية ومدى توفرها على مقومات النهوض، ولهذا ظهر اهتمامه بتنظيم شؤون الدولة وترتيبها، والقيام بإصلاحات جوهرية خاصة في فترة وجوده في (توات)، حيث كانت المنطقة في حالة فراغ سياسي لخلوّها عن السلطان، وما نتج عن ذلك من فساد ديني وسياسي واقتصادي واجتماعي بسبب قضية اليهود، وقد نقل صورة هذا الواقع قائلا: "كيف لا ولا أمير لهم يردعهم ولا شيخ يجمعهم ولا حاكم يفصل بينهم إلا محكّما عاجزا وسفيا ناجزا"⁽²¹⁾، فعمل على إصلاح تلك الأوضاع المتردية وضبط القوانين الشرعية، وهو ما أشار إليه في مؤلفاته التي تناولت هذه القضية، فضلا عن جملة الرسائل السياسية التي خصّ بها أمراء غرب السودان وحكامها بهدف مساعدتهم على تنظيم شؤون بلدانهم وتسييرها وفق رؤية مستمدة من مبادئ الشريعة الإسلامية وأصولها. وقد عرض رحمه الله في الباب الثالث من رسالة الإمارة كيفية ترتيب هياكل الدولة ومرافقها العامة، وبيان أهمّ المؤسسات المشكّلة لنظام الحكم بقطاعاته الحيوية المدنية منها والعسكرية، لتتمكّن بعد ذلك من تحقيق المقاصد والأهداف الملقاة على عاتقها؛ من العدل وحفظ كيان الدولة وحسن تدبير شؤونها والتمكّن من

⁽²⁰⁾ خليل فوزي، المصلحة العامة من منظور إسلامي، 346 وما بعدها.

⁽²¹⁾ المغيلي، مصباح الأرواح، ص 104.

صلاحها وصلاح أحوال الرعية في مختلف شؤونها المتعلقة بالحياة العامة، وهذا من أهم المقاصد التنظيمية، التي أكد عليها المغيلي في سياق تقريره ضرورة استعانة الحاكم بنواب يشرفون على مؤسسات الدولة نيابة عنه لتعدّر قيام ذلك بنفسه، قال رحمه الله: «فعلى كل أمير أن يرتب نظام مملكته لسكونه وحركته على ما يتمكّن به من صلاح رعيته وعلى ما يتمكّن من صلاحهم، لأنه راع على جميعهم وهو المسؤول عنهم، ولا يتمكّن من ذلك بنفسه بل بالنواب»⁽²²⁾، ثم بيّن المهام المسندة لتلك الأطر النظامية، والمقصد منها ورتبها على حسب تخصّصها، سواء تلك المتعلقة بالنظام السياسي كالوزارة والكتابة، أو المتعلقة بالنظام الإداري كالدواوين والولايات أو غيرها من النظم والمؤسسات المركزية الأخرى الموكلة إليها مجموعة الوظائف المتعلقة بحفظ المقومات الاجتماعية والاقتصادية والنظامية، فذكر منهم الوزراء وهم الأعوان في سياسة الرعية، والأئمة الذين يوالون على البلاد البعيدة، والقضاة والمحاسبون والشُرط والعقلاء الذين يشيرون له في الأمور، والأمناء على قبض الأموال وصرّفها، والكتّاب والرّسل وهم سفراء البلاد الإسلامية، والجسّاس والحفظة والعسّاس والعلماء الثّقات المرشدون له في جميع أموره والأطباء وأمرّاء الجيوش وعرفاء الحروب وغيرهم⁽²³⁾، كما حرص على متابعة وظائف تلك المؤسسات وإصلاح هياكلها، بناء على رؤية مقاصدية تستهدف موضوع المصلحة والمفسدة على مستوى جميع المؤسسات التي تنتظمها، فتناول مهمة إصلاح الجهاز الإداري وذلك بحسن اختيار من تتوفّر فيهم الشروط الشرعية تحقيقاً للمقصد الذي تهيّأت له تلك المرافق والمؤسسات كالثّقة والأمانة والعدالة والنباهة والقوّة والشجاعة والتقوى، وعلى متابعة أحوال الرعية على جهة الاستبصار والورع لا على

⁽²²⁾ المغيلي، رسالة الإمارة، مطبوع مع كتاب الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية لعبد الله الألوري، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ط، 1974م)، ص 49.
⁽²³⁾ المرجع نفسه، ص 49 وما بعدها.

جهة الإضرار والطمع"⁽²⁴⁾، ونبه أن من فساد السياسة غياب الحاكم عن رعيته وذهوله عن النظر في أحوالهم، فكان يردّد: «ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية»⁽²⁵⁾، فالحاكم إنما ينتصب للقيام بمصالح الرعية؛ فإن أثر السكون والركون وتفويض الأمور إلى من لا يراجعها فيها، صار بذلك متخلياً عن مسؤولياته. وهذا من أعظم المفاصد السياسية، وهو ما حذّر منه بقوله: «أعظم البلية صيحة الغفلة عن الرعية»⁽²⁶⁾.

ويكشف المغيلي عن دور النظام السياسي في المحافظة على وظيفة المؤسسة الدينية وعن الآثار الخطيرة المترتبة بسبب التضليل الفكري والعقائدي ممن ينتسبون إلى العلم ويتكلمون في دين الله ويزعمون أنّهم من العلماء، فقد كان موقف المغيلي واضحاً بضرورة تطهير المؤسسة الدينية من مثل هؤلاء الذين شاع الفساد بسببهم في جميع البلاد، فالجهاد فيهم وفي أنصارهم أفضل من كلّ جهاد، لأنّهم لصوص الدين وأضرّ على المسلمين من جميع المفسدين⁽²⁷⁾، فشبههم بالصخرة التي تكون على باب النهر لا تشرب ولا تترك من يشرب، كل واحد منهم أضرّ من ألف شيطان⁽²⁸⁾، ولهذا حذّر المغيلي منهم وندب الحكام إلى الحجر عليهم ومنعهم من التكلّم في الدين فقال: "من أعظم الواجبات على أمراء المسلمين حفظ الدين بأن لا يتركوا أحداً يتكلّم في دين الله بتعليم ولا حكم ولا فتوى حتى يكون من أهل العلم والتقوى"⁽²⁹⁾، بل يجب معاقبتهم على كلّ جريمة تعدّ اعتداء على الدّين وعلى ضروري من ضروريات الحياة وأصول المصالح التي لا تقل أهميتها عن أصل الحياة. فدور الحاكم هو تحميل العلماء مسؤولية الدعوة والإصلاح

⁽²⁴⁾ المغيلي، تاج الدين فيما يجب للملوك والسلطين، ص 34-35.

⁽²⁵⁾ المرجع نفسه، ص 53، 18.

⁽²⁶⁾ المرجع نفسه، ص 39.

⁽²⁷⁾ المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص 27-28.

⁽²⁸⁾ المرجع نفسه، ص 31.

⁽²⁹⁾ المرجع نفسه، ص 27-28.

والمساهمة في الحياة الاجتماعية والسياسية وهداية الناس ودرء المفساد وجلب المصالح لهم بحسب الإمكان، لأن العلماء هم أولى الناس بالنظر في تلك المصالح قال رحمه الله: « إذا رأيتم فقيها ما يشغله إلا أن يتوضأ ويصلي ويدخل بيته ويقرأ كتبه ويترك الناس في المناكر والمهالك وهو ناظر ساكت فهو شيطان خادع، لأن الفقهاء رعاة وهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وليس طريقهم أن يشتغلوا بأنفسهم ويتركوا الرعية في المهالك »⁽³⁰⁾.

إنّ الدور المركزي المنوط بالعلماء يتركز أساسا على مراعاة مقصدين عظيمين من مقاصد الشريعة؛ مقصد حفظ الدين ومقصد الحفاظ على وحدة المسلمين واجتماع الكلمة والمعبر عنه بحماية البيضة.

كما نبّه المغيلي إلى الإصلاح في مجال القضاء لأهميته في إقرار العدالة وصيانة الحقوق والمحافظة على استقرار المجتمع وحفظ مقام الشريعة؛ فأوصى بضرورة تطهير القضاء من أرباب الهوى والرشا والظلمة، حفاظا على أحكام الشرع من التبديل والتغيير، قال رحمه الله: "ومن تغيير حكم الله ودينه أن يكون الظالم قاضيا لأنه يحكم بالظلم وهو يقول هذا هو الشرع، ومن فعل ذلك فهو كافر؛ لأنه صيّر الباطل حقا والحق باطلا"⁽³¹⁾، فأدّى إلى تقويض استقرار المجتمع بخروجه عن مقتضى ما يحقّق مقصد العدل في الأحكام، ولهذا كان العدول عن القول المعتمد في المذهب إلى الأقوال الشاذة من الجور والضلال الذي يجب نقضه على كل حال⁽³²⁾، لأنّه سبب في فتح مجال العبث والاضطراب في الأحكام وتدني مقام الشريعة وإسقاط هيبة القضاء.

⁽³⁰⁾ المغيلي، مسامرة النديم ببعض آثار محمد بن عبد الكريم، مطبوع ضمن رسائل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، (الجزائر: دار كردادة للنشر والتوزيع، ط، 2011م)، ص204.

⁽³¹⁾ المغيلي، فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، مطبوع ضمن كتاب الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي لأبي بكر إسماعيل ميقا، (الرياض: مكتبة التوبة، ط، 1997م)، ص132.

⁽³²⁾ المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، ص43-44.

ومن بين أهمّ المؤسسات التي اعتنى المغيلي بتقويمها وإصلاحها، المؤسسة المالية والاقتصادية التي تشرف على أصل من أصول المصالح التي قصد الشارع إلى حفظها، فقد بين المغيلي سياسة الدولة في حفظ الأموال العامة من جهة تحصيلها تنميتها واستثماره أو صرفها في المصارف المشروعة بالعدل والإحسان وفق قاعدة الأهم فالأهم والأحوج فالأحوج⁽³³⁾، ثم نبّه إلى خطر اليهود وسيطرتهم على الموارد الاقتصادية والتحكّم في أرزاق المسلمين مشيراً إلى ضرورة استغناء الأمة بنفسها واكتفائها عن غيرها، فضلاً عن أن تنضبط معاملاتها المالية بأحكام الشّرع الحنيف، إذ الواجب على الإمام النظر فيما يدخل على الرعية من الضرر في أموالهم⁽³⁴⁾، ثمّ عرض جملة من الإجراءات اللّازمة للقضاء على مظاهر الفساد حماية لأموال الأمة، وفرض الرقابة الشرعية عليها ومتابعتها بتفعيل دور ولاية المظالم حماية للمصالح العامة، قال: "فواجب على أمير المؤمنين أن يجتهد في منع ذلك كلّ بما استطاع، وأن يجعل أمناء يحتسبون على ذلك ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً"⁽³⁵⁾ مقرّراً قاعدة مقاصدية في هذا الباب قائلاً: «إن مقصد الشارع في الروادع درء المفاسد وجلب المصالح بحسب الإمكان في كل زمان ومكان»⁽³⁶⁾.

أما عن أهمّ الإصلاحات في المجال الأمني والعسكري، فتتلخص في ضرورة استكمال جميع التدابير اللّازمة التي من شأنها أن تحفظ الأمن والهيبة في الحضر والسفر، ومن الأخطار الداخلية والخارجية، وقد أفرد لذلك باباً خاصّاً أكّد فيه على أهمية اتخاذ الاحتياطات الأمنية لحماية الدولة، فإن "الإمارة عَرَّزَتْ جُنَّتَهَا الحذر"⁽³⁷⁾، بالإضافة إلى التكوين الجيّد للجنود والإعداد المادي والمعنوي، وإظهار القوّة والجلد وترتيب الجيش وأرباب

(33) المرجع نفسه، ص 54 وما بعدها.

(34) المرجع نفسه، ص 48 وما بعدها.

(35) المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص 67.

(36) المغيلي، فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، ص 131.

(37) المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، ص 29.

الشرطة والحفظة والعسّاس، إذ مقصد الشريعة أن تكون الأمة قوية مرهوبة الجانب مطمئنة البال، ولا يتأتى ذلك إلا بجهاز قوي يسهر على تحقيق الأمن والاستقرار، وقيم النظام العام، ويحفظ الأمة من الفساد والتلاشي⁽³⁸⁾.

II - القواعد المقاصدية الضابطة لتفاعلات العمل السياسي عند الإمام المغيلي.

يخضع الفقه السياسي لميزان المصالح والمفاسد، وهذا ما تقضي به قواعده وأصوله الاجتهادية الضابطة لتصرفات الحاكم، وهي تمثل بدورها المنهج في عملية التنزيل على الواقع؛ بمراعاة الظروف المتغيرة والموازنة بين المصالح والمفاسد المتزاحمة لتظلّ مقيّدة بمقرّرات الشرع، ومن هنا نفهم دور المقاصد في ضبط السلطة السياسية بضوابط الشرع ليعتدل بها ميزان حال الرعية مع السلطان بالزيادة والنقصان⁽³⁹⁾.

وقد تناول المغيلي في مجمل رسائله التي كتبها لملوك السودان الغربي وأمرائها جملة من الضوابط والقواعد المقاصدية واعتمدها في مسيرته السياسية كموازنين شرعية ينضبط بها سلوكه السياسي، وسأقتصر في هذا البحث على قاعدتي اعتماد المصلحة واعتبار قاعدة المأل.

1. II - اعتماد المغيلي للمصلحة كمعيار للسلوك السياسي.

تعتمد السياسة الشرعية قاعدة المصلحة أداة اجتهادية في صناعة السياسات واتخاذ القرارات اللازمة تحقيقا لمقصد شرعي تنتهض به مؤسسات الدولة لضبط السلوك السياسي بموازنين الشرع وقواعده، فتعتمد المصلحة معيارا للسلوك السياسي، وهو ما عبّر عنه علماء السياسة

⁽³⁸⁾ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت)، ص 139.

⁽³⁹⁾ المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، ص 24.

الشرعية بقولهم: «التصرف على الرعية منوط بالمصلحة»، ويبدو أنّ المغيلي في سياق عرضه للمنهج الإصلاحي انطلاقاً من مقاصد الشريعة؛ قد وضع مسألة العلاقة بين السلطة السياسية والمصلحة في إطار نظرية الإصلاح السياسي، فحماية المقاصد الضرورية ورعاية المصالح السياسية لا يمكن أن توكل للفرد وحده وإنما تقوم به الأمة كلّها عن طريق الحكام الذين تنتدبهم لسياسة المسلمين بأحكام الدين على وفق ما يحقّق مصالحهم⁽⁴⁰⁾، فالمقاصد المبنية على فكرة المصالح العامة هي محور السياسة عند المغيلي، ولذلك لما تعرّض لمسألة نصب الخلافة قال: «إنّها أصل المصالح كلّها، لا يصلح شيء من أمور الدين والدنيا إلاّ بها»⁽⁴¹⁾، فهي الوسيلة التي تمنع الفساد والظلم بين الرعية وتجنّب الفتن، فبين أهمية الدولة في حماية مقاصد الشريعة الإسلامية، وأكّد هذا المعنى المصلحي في حرصه على دفع مسار الحياة السياسية في بلدان غرب السودان وإقراره بالواقع السياسي، الذي تتجلّى فيه قاعدة الموازنة بين المصالح، وينبئ عن الحكم الشرعي في حال التعارض، مع ما اشترطه العلماء من شروط شرعية وصفات مرعية للإمام القائم على أهل الإسلام، والقواعد المقاصدية تقضي بأن الشروط التي هي من قبيل المكمل لا تعتبر إذا أدّت إلى تفويت مصلحة تنصيب الإمام الذي يحفظ أمنها ويرعى مصالحها، والمكمل إذا عاد على الأصل بالإبطال لم يعتبر للضرر الناشئ عن تفويت الأصول المكتملة⁽⁴²⁾.

وممّا يشير إلى اعتماد المصلحة في الفكر السياسي عند المغيلي ما ورد في رسالته الاستخلافية حين ركّز على اعتبار حقّ الله تعالى ممثلاً في المصلحة العامة غاية لتصرّفاته وتصرفّات معاونيه، وأنّ مصلحة الدّين فوق كلّ

⁽⁴⁰⁾ عبد المجيد الصغير، الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام، (بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الأولى، 1415هـ/1994م)، ص354 وما بعدها.

⁽⁴¹⁾ المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ص80.

⁽⁴²⁾ الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج2/ص11.

اعتبار، وذلك بأن تكون جميع أموره السياسية على نصرته ثلاثة أشياء وهي: «دين الله، ومن ينصر دينه، ومن لا ناصر له إلا الله»⁽⁴³⁾، وأن الموازين الشرعية عند تزاخم المصالح والمفاسد تقضي بتقديم الأهمّ فالأهمّ قال رحمه الله: «وإن تعارضت مفسدة ومصالحة فدرء المفسد مقدّم على جلب المصالح، وإن تعارضت مفسدتان إحداهما أكبر من الأخرى فدرء المفسدة الكبرى أولى، وإن تعارضت مفسدتان إحداهما دينية والأخرى دنيوية فدرء المفسدة الدنيوية أولى»⁽⁴⁴⁾. فهذه القواعد المقاصدية من شأنها أن توجّه سياسة الحاكم وتضبط تصرّفاته وفق ما يحقّق غرض السياسة من جلب منفعة أو درء مفسدة.

ويتصل بقاعدة المصلحة عند المغيلي اشتراطه الصلاح والخير فيمن ينوب الإمام، فيقع اختياره على الأصلح فالأصلح والأمثل فالأمثل بعد استشارة أهل المعرفة والأمانة⁽⁴⁵⁾، وقد تكرّر هذا المعنى في كثير من عباراته التي أكد فيها على شرط الصلاح في مجال القضاء ونظام الحسبة وفي تسيير الشؤون المالية والمدنية والعسكرية، وأن الإمام إنّما ينظر لرعيته بالتقوى لا بالهوى فإن اضطرّ لدرء مفسدة أو جلب مصلحة بأمر لا يخالف الشريعة فليفعله؛ لأنّ المطلوب منه بمقتضى السياسة درء المفسد وجلب المصالح بحسب الإمكان⁽⁴⁶⁾.

ومن هنا فإنّ الأحكام والقرارات السياسية التي يتوصّل إليها عن طريق السياسة لا تعتبر إلّا إذا كانت متّفقة مع منظومة الأحكام الشرعية، وما تقصد إليه من جلب المصالح ودفع المفسد، قال رحمه الله: «فكلّ أمر

⁽⁴³⁾ مقدّم مبروك، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقية خلال القرنين الثامن والتاسع عشر للهجرة، (وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، ط، 2002م)، 151-152.

⁽⁴⁴⁾ المغيلي، فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، ص 44.

⁽⁴⁵⁾ المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص 54.

⁽⁴⁶⁾ المرجع نفسه، ص 55.

علمت أنّه ممّا أمر الله به فافعله، فإنّته خير ولا يأتي منه إلّا الخير، وكلّ أمر علمت أنّه ممّا نهى الله عنه، فاتركه فإنّته شرّ ولا يأتي عنه إلّا الشرّ...، وإن شككت في أمر هل هو حرام أو واجب، فاتركه أيضا، لأنّ الحرام من باب المفسد والواجب من باب المصالح، ودرء المفسد مقدّم على جلب المصالح»⁽⁴⁷⁾.

كلّ هذه القواعد وغيرها تعدّ ضوابط شرعية تقيد سلطة تصرّفات الحاكم، وتوجّهه لما يحقّق غرض السياسة في جلب المصالح ودرء المفسد السياسة، والقاعدة الشرعية تقضي بأنه: "لا يجوز في تدبير الممالك إحداث مسائل ليس لها من شرعة المصطفى مدارك"⁽⁴⁸⁾، وهذا ما يفسّر مواقف الإمام المغيلي اتّجاه بعض مظاهر الفساد السياسي سواء في توات أو في السودان الغربي، حيث انتهى إلى ضرورة إصلاح تلك الأوضاع بما يخدم مصالح أهالي تلك المناطق جريا على قواعد المصلحة الشرعية.

إنّ السياسة في تصوّر الإمام المغيلي هي ممارسة واقعية يحكمها التفكير المصلحي على أساس الموازنات الشرعية التي تنتهي إلى ترجيح المصلحة الغالبة وتفويت المضرة الراجعة، فعلاقة المصالح العامة بالبعد السياسي أمر ظاهر في تفكيره السياسي لتعلّقه بفكرة الحقّ الذي يجب حمايته وحمل النّاس عليه، وربط ذلك كله بالحكم الصالح الذي يقوم على مجموعة القيم الضابطة للسلوك السياسي.

2. II- اعتبار المغيلي فقه المأل في السلوك السياسي.

معلوم أنّ المصالح الدنيوية تعرف بالضرورات والتجارب والعادات والظنون المعتربات، وأنّ من أراد معرفة المناسبات في المصالح والمفسد

⁽⁴⁷⁾ المرجع نفسه، ص33.

⁽⁴⁸⁾ الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، (الإسكندرية: دار العقيدة طبع ونشر وتوزيع، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م)، ص196.

عرض ذلك على عقله بتقدير أنّ الشرع لم يرد بها فلا يكاد حكمه يخرج عن ذلك إلا ما تعبد الله به عباده⁽⁴⁹⁾.

وتعدّ تجربة المغيلي مع يهود توات وتلمسان شكلا من أشكال التجارب التي تناول معالجتها برؤية مقاصدية تستشرف تقدير وجه المصلحة والمفسدة، فقد أدرك رحمه الله حجم الخطر الذي كان يتهدّد أهالي المنطقة ويقف في وجه الإصلاحات التي تهدف إلى تنظيم أمور المجتمع الإسلامي، ولهذا أعطى بموقفه الشجاع الذي ينمّ عن قوة إيمانية وغيره إسلامية⁽⁵⁰⁾، دليلاً على بُعد نظره وقوّة حدسه السياسي، فأوضح في رسالته التي كتبها لهذا الغرض، ما جُبل عليه اليهود من خداع ومكرٍ وخُبثٍ، بالرغم من الوضعية المتميزة التي كانوا يتمتعون بها في بلاد الإسلام، ثمّ انتهى موقفه بمحاربتهم وإجلالهم من منطقة توات⁽⁵¹⁾.

إنّ هذه النظرة المقاصدية اعتمدت فقه المآل -أي مآل الأفعال والتصرفات-، وهي من أهم القواعد المتعلقة بموضوع المصلحة والمفسدة، فاستطاع المغيلي أن يستنفر الناس وينبّههم إلى ما آلت إليه أوضاعهم، وينذرهم بالمخاطر المحدّقة بهم والتي كانت تهدّد مصير كامل منطقة المغرب العربي.

إنّ القراءة السياسية لتوقعات المغيلي ومخاوفه من خطر اليهود كانت في محلّها، فإن لخياناتهم المتكرّرة دورا كبيرا في نجاح الحملات الصليبية على سواحل المغرب العربي⁽⁵²⁾، وهو ما يُفسّر منحنى المغيلي في التشدّد معهم

(49) ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (بيروت: مؤسسة الريان، الطبعة الثانية، 1406هـ/1998م)، ج 1/ص 10.

(50) الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط، 1401هـ/1981م)، ج 2/ص 252.

(51) يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1995م)، ج 2/ص 146.

(52) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، (الجزائر: دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، ط، 2010م)، ج 2/ص 279.

محافظة على مصالح الإسلام والمسلمين، وهذا ما يطلق عليه بالبعد الاستشراقي للمصلحة.

لا شك أن السند الذي اعتمد عليه الشيخ المغيلي لاتخاذ قراره بمحاربة اليهود وإجلالهم عن أرض توات كان سنداً شرعياً، فالشريعة الإسلامية قد جرى اعتبار المآلات فيها على مقتضى التجربة في كثير من القضايا الشرعية، والمفاسد إذا حدثت فالمرجع في مشروعيتها رفعها مجرد الظن بوقوعها، فكيف إذا كانت التجربة دليلاً للظن المتوقع فتصير بمثابة الأمر المتحقق يقيناً، فوجب إزالتها احتياطاً أخذاً بالحذر، والتحرّز في العمل بأحكام الشريعة قصد المحافظة على مقاصدها وأهدافها⁽⁵³⁾، والقاعدة المقاصدية تقضي بأن النظر في مآلات الأفعال معتبر ومقصود شرعاً⁽⁵⁴⁾.

لقد اتهم الشيخ المغيلي بأنه فقيه متشدّد تحكّم تصرفاته العاطفة والغيرة الدينية أكثر من العقلانية الإسلامية، وغياب النظرة الاستراتيجية المستقبلية الكفيلة بتحقيق تحولات جذرية في الواقع السياسي آنذاك، بدليل أن مشروعه بقي حبيس الحدود المحلية لمنطقة توات ثم انتهى بمجرد وفاته⁽⁵⁵⁾. وفي نظري أنّ هذا حكم متسرع يحتاج إلى مراجعة تاريخية متأنية وقراءة سياسية عميقة، تستصحب معها الظروف التاريخية العامة التي تُحيط بجملة الأحداث الجسيمة والتطورات الخطيرة في تاريخ الأمة في هذه الفترة الحرجة من القرنين التاسع والعاشر الهجري، وما قام به المغيلي ما هو إلا حلقة في سلسلة من الثورات التي كانت تعبّر عن التذمر العام لأهالي سكان المنطقة عموماً من اليهود الذين شكّلوا تهديداً لكيان المجتمع السياسي، بشراء ذمم الحكام والسلاطين والتحكّم في الموارد الاقتصادية

⁽⁵³⁾ عبد الرحمان السنوسي، اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1424هـ)، ص 389 وما بعدها.

⁽⁵⁴⁾ الشاطبي، الموافقات، ج 4/ص 140.

⁽⁵⁵⁾ فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، (الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر، د.ت)، ص 60.

للبلاد، فضلا عن المساس بالمبادئ والقيم الإسلامية، فقد ذكرت بعض المصادر أن سبب الثورة على حكم السلطان عبد الحق المريني سنة 869هـ أنه مكّن جهازه الوزاري ليهوديين هما : هارون وشاويل، ومكّتهم من جهاز الشرطة فاستبدوا بالمسلمين وصادروا الأموال وتحكموا في الأشراف والفقهاء، وهذا يبين مدى تدخل النفوذ اليهودي في مفاصل هيكل الدولة، فلم تنته الثورة إلا بخلع السلطان ومعاينة اليهود المعتدين⁽⁵⁶⁾، في حين أشار الدكتور يحي بوعزيز أنّه في الوقت الذي كان فيه المغيلي يخوض معركته في عموم توات، كان بعض الشيوخ يخوض نفس المعركة ضدّ الجالية اليهودية في (وادي غير) لنفس الأسباب⁽⁵⁷⁾، ففي ظلّ هذه الأوضاع المتشابهة لا يستبعد وجود تنسيق عملي بين الجالية اليهودية، يخفي من ورائه أهدافاً سياسية يهدف السيطرة على كامل منطقة المغرب العربي، ومَن يستطيع الجزم بأن المنطقة لم يكن مخططا لها ومرشحة لأن تكون موطناً لليهود، خاصة إذا علمنا أن الجزائر عموماً كانت رمز الأمن والحرية والاستقرار لليهود، إلى حدّ أن شبهوها في أساطيرهم الشعبية بالأرض الموعودة، في الوقت الذي كانت أوروبا تشكل جحيماً لهم؟⁽⁵⁸⁾.

إن رغبة اليهود في السيطرة والتسلط على رقاب المسلمين هو الذي دفع المغيلي إلى اتّخاذ موقفه السياسي، خاصة إذا علمنا أنّهم سبب الأزمات في كثير من المناطق، حيث إنّ أغلب البلاد الإسلامية التي سقطت بيد الإسبان والبرتغال ضمن حركات الاسترداد المسيحي في هذه الفترة كان سببها خيانة اليهود، فهل عرف هؤلاء كيف يحافظون على ثقة المسلمين بهم؟ وأن يكونوا في مستوى التسامح الذي عوملوا به في ديار الإسلام؟

⁽⁵⁶⁾ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (المغرب: تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ط، 1418هـ/1997م)، ج4/ص98.

⁽⁵⁷⁾ يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2/ص147.

⁽⁵⁸⁾ المرجع نفسه، ج2/ص161.

إنّ كثرة الشبهات حول اليهود كان سببا كافيا لاهتزاز الثقة بهم والحذر منهم، ولهذا السبب تفادى المرابطون والموحدون توظيفهم في إداراتهم رغم أنّ سماحة الإسلام لا تمنع من ذلك، وذهب عبد المؤمن بن علي الموحدى إلى حدّ تخييرهم بين اعتناق الإسلام أو إجلائهم تفاديا لدسائسهم، وهذا في باب السياسة تدبير وقائي حفاظا على سلامة الدولة⁽⁵⁹⁾. فما قام به المغيلي من إجلائهم عن المنطقة قد يكون إجراءً احترازيا خوفا من أن يكون وجود اليهود بتوات سببا يسهّل الطريق للنفوذ الاستعماري المسيحي بعد أن يستولي على الشمال الإفريقي، فقد سهلت تلك الخيانة دخول المسيحيين لوهران وبونة وسبته وغيرها من المدن الإسلامية⁽⁶⁰⁾، فكيف إذن أن يُتهم المغيلي وقد تصرف بموجب أحكام السياسة الشرعية بأنه متشدّد وتحكمه العاطفة أكثر من العقلانية الإسلامية؟! الواقع أنّ المغيلي أجاب بنفسه عمّن وسمه بذلك قائلا: "والحاصل أنه لا يقربُ كافرا من نفسه أو عياله، أو يستعمله في أعماله أو يجعل بيده شيئا من ماله إلا من لا دين له ولا عقل ولا مروءة"⁽⁶¹⁾.

إنّ سياسة المغيلي تعكس فعلا نظرة مستقبلية كان يصبو إليها بغرض تحقيق تحول جذري في المنطقة، ولكن عدم تحقّق ذلك وبقاء مشروعه حبيس الحدود المحلية، لا يمكن أن يتحمّل فيه المسؤولية لوحده، فقد قام بما يجب أن يقوم به الإمام المسلم في حدود سلطته على الأقاليم التي كانت تابعة له، فإن المنطقة كانت مقسّمة إلى ثلاث دويلات ذات سيادة مستقلة: الوطاسية، والزانية، والحفصية. ولا يمكن للمغيلي أن يتجاوز حدود سلطاته الإقليمية، خاصّة وأنه لم تكن له الإمكانيات اللاّزمة لتوسيع مشروعه في زمن يتهدّد الوجود الإسلامي بكامله في شمال المغرب العربي بسبب الحملات الصليبية، فضلا عن مشكلة المعارضة الداخلية التي وقّرت

⁽⁵⁹⁾ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 2/ص 51.

⁽⁶⁰⁾ المرجع نفسه، ج 2/ص 273 وما بعدها.

⁽⁶¹⁾ المغيلي، رسالة في اليهود، (الرباط: تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة، رقرق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2005م)، ص 55 وما بعدها.

للمهود الحماية ومكّنتهم بعد ذلك من العودة إلى المنطقة، ولذا ينبغي أن يتّجه البحث عن الدوافع السياسية التي دفعت ببعض شيوخ المنطقة الإصرار على بقاء اليهود وتوفير الحماية لهم.

وهكذا فإنّ قاعدة المأل ترتبط عند الإمام المغيلي بالواقع السياسي الذي يجمع بين اعتبار الأدلة الشرعية إلى جانب النظر في الملاحظات المقترنة بالواقعة، وهو الأمر الذي كان الفقهاء يعتنون به، لعلمهم بأنّ ذلك في تكييف الحكم الشرعي نظرا لما ينجّم عنه من مألٍ.

III - البعد المقاصدي في فكر الإمام المغيلي لعلاقة غير المسلمين بالبلاد الإسلامية.

استطاع المغيلي إرساء قواعد التعاون مع حكام غرب إفريقيا، وبناء علاقات وثيقة بالعالم الإسلامي خاصة بلاد المغرب ومصر والحجاز⁽⁶²⁾، ونبّه إلى أهمية تلك العلاقات، فأشار إلى ضرورة تعيين الرسل، وبيان طريقة التعامل مع سفراء البلدان الأخرى، ممّا يدخل في أبنية الدولة وتمكينها من تحقيق مصالح الرعية⁽⁶³⁾.

وبالنظر إلى مسيرة المغيلي السياسية، فلا تكاد تستوقفك قضية لها صلة بفقّه العلاقات الدولية، واستقطبت اهتمام العلماء مثل قضية يهود توات، فقد أخذت هذه القضية بُعدًا سياسيًا تباينت حوله الآراء، بالرغم من صورة المعالجة الفقهية التي تتعلق بوضع اليهود كأهل ذمة ومصير كنائسهم.

وبناء على ذلك سأتناول معالجة وضع أهل الذمة من خلال تجربة الإمام المغيلي مع يهود توات.

⁽⁶²⁾ عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط، 1989م)، ص 24.
⁽⁶³⁾ المغيلي، رسالة الإمارة، ص 49.

1.111- المقصد الشرعي في الحكم باجتنب الكفار.

اعتادت مصادر السياسة الشرعية تناول حقوق أهل الذمة، مع ما يقابلها من واجب الولاء للدولة، في صورة رسمت ملامح العلاقة مع غير المسلمين، باعتبارها وسيلة تمثل وجهها من وجوه المصلحة العامة القائمة على مبدأ التكافل السياسي، ومبنية على فكرة التعايش السلمي بين الأمم والشعوب، فحماية الحقوق وتوفير الحريات العامة لأهل الذمة أمر واجب، كما أنّ حماية حقوق المسلمين من كيد المخالفين هو بدوره أمر ملزم، وهذه قاعدة عامة حاکمة للعلاقات الإنسانية في مجال التشريع الإسلامي، وأساس عامٌ للمسؤولية التضامنية بين عناصر المجتمع السياسي. ولما لاحظ المغيلي تجاوزات اليهود لشروط عقد الذمة وتعلقهم بأرباب الشوكة والسلطان وسيطرتهم على التجارة وتساهل المسلمين معهم؛ فكانوا يقرّبونهم من أنفسهم وأهلهم وأعمالهم، فشكّلوا بذلك مصدر تهديد لمصالح المسلمين فأصدر فتواه بوجوب اجتنابهم لأنهم صاروا أهل حرب بعد أن كانوا أهل عهد وذمة، وشدّد موقفه مع من يتعاملون معهم، قال رحمه الله: "فما أكذب قوما يزعمون أنهم يومنون بالنبي ﷺ ويحبونه، وهم مع ذلك يقرّبون من أنفسهم وأهلهم أعداءهم، بل يتولون أشدّ الناس عداوة لهم ويقطعون لأجلهم أحياءه، حتى أنّهم يأوون اليهود إليهم ويحاربون العلماء عليهم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽⁶⁴⁾⁽⁶⁵⁾، وهو يقصد بذلك خصومه من أهل توات مستدلاً على ذلك بطائفة من نصوص القرآن التي تؤصل لشرعية اجتناب الكفار بسبب خبثهم وعداوتهم وخيانتهم للإسلام والمسلمين، فصدّر فتواه بقوله: "إن كلّ جنس إلى جنسه ألف، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض والكافرون

⁽⁶⁴⁾ سورة الرعد، الآية 05.

⁽⁶⁵⁾ المغيلي، رسالة في اليهود، ص 60.

بعضهم أولياء بعض⁽⁶⁶⁾، محذراً من مصاحبة الكافرين وإعانتهم على الفساد أو تقريهم بفعل يقتضي الموالاتة وطلب المودّة، مستعرضاً الأسباب الداعية للبعد عنهم فقال: «والحاصل أنّه لا يقرب كافراً من نفسه أو عياله أو يستعمله في أعماله، أو يجعل بيده شيئاً من ماله إلاّ من لا دين له ولا عقل ولا مروءة»⁽⁶⁷⁾.

إنّ الموقف السياسي تجاه أهل الذمة تتحدّد طبيعته ومقاصده تبعاً لحالة المسالمة أو المعاداة، والإمام المغيلي قد تعاطى مع هذه المسألة من واقع الحالة الثانية، وما قضى به يعدّ من الفقه العميق في تشريع الحكم باجتناّب الكفّار على ضوء ما يتحقق من مصلحة السياسة، والآيات الدّالة على عدم اتخاذ اليهود والنصارى أولياء مقصود منها هذا الواقع، ولأجل ذلك نبّه على حكم ما يصنعه الكتّابي من الطعام فقسمه إلى ثلاثة أقسام: طعام غُمُرٍ وهو ما صنع لأكلهم فهو حلّ لنا مع الكراهة، وطعام كُفْرٍ وهو ما صنع لكنائسهم وأعيادهم فلا يحلّ أكله، وطعام مَكْرٍ وهو ما صنعه للمسلم فلا يحلّ أكله لأنهم أهل الغش والخديعة والعداوة البليغة⁽⁶⁸⁾.

هذا وإن مسألة القرب من الكفار بقدر ما لها من أبعاد دينية لأنّها تستوجب المحبّة والنصرة والولاء، فإن لها أهدافاً ومقاصد سياسية يُراعى من خلالها اعتبار المصلحة، فلو نظرنا لفتوى المغيلي فهي تعبّر عن قرار سياسي اتّخذه في ضوء المصلحة المرعية، وبنظرة مقاصدية مبنية على قاعدة إزالة الضرر وأسباب الفساد، وبالنظر العقلي فإنّ الفطرة الإنسانية تنزع بطبيعتها إلى القرب من المنافع والبُعد عن المضار، قال رحمه الله: «وقد علم كل ذي عقل أن من أعظم أبواب منفعتة أحبابه، وأن من أعظم أبواب مضرّته أعداؤه، فعلى كل عاقل أن يقرب من أحبابه وأن يبعد عن أعدائه

⁽⁶⁶⁾ المرجع نفسه، ص 55.

⁽⁶⁷⁾ المرجع نفسه، ص 55 وما بعدها.

⁽⁶⁸⁾ المرجع نفسه، ص 68-69.

بقدر طاقته⁽⁶⁹⁾. فالحكم باجتنب الكفار بالنظر إلى الواقع السياسي الذي يُخشى معه الغدر والخيانة وعدم الثقة؛ هدفه حماية الدولة وتأمين حياة الناس والمحافظة على النظام السياسي من الاضطرابات التي تهدد كيانه وتقوّض أركانه وتعصف بمقصد المحافظة على الأمن والاستقرار الداخلي، وبناء على ذلك إذا سعى غير المسلمين إلى تقويض العلاقة الاجتماعية والصلة الإنسانية بعداوتهم للمسلمين أو بإعلان الحرب عليهم، أصبحت مقاطعتهم أمرا دينيا ومقصدا شرعيا وعملا سياسيا⁽⁷⁰⁾.

2.iii- البعد المقاصدي في معاملة المغيلي ليهود توات.

إنّ الوقوف على فكر المغيلي السياسي في معاملة الذميين وأبعاده المقاصدية ينطلق أساسا من واقع التجربة السياسية التي خاضها مع يهود توات، فوجود اليهود بالبلاد الإسلامية تحكمه قاعدة العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة، والسؤال المطروح، كيف كان المغيلي ينظر لهذه العلاقة من منظور مقاصدي؟

لقد اختار اليهود التمرّد على الأحكام والخروج على عقد الذمة والتدخّل في الشؤون العامة للمسلمين بالمكر والخديعة، فتعامل المغيلي معهم بناء على الحالة الاستثنائية، وبما يقتضيه منطوق السياسة الشرعية ومصالحها بغرض إعادتهم إلى وضعهم الطبيعي، فأفتى بوجوب محاربتهم وإخراجهم من المنطقة، لأنّه رأى أن في بقائهم خطرا على الدّين ومصالح المسلمين وعلى استقرار المنطقة، قال رحمه الله: «ولا يجوز أن يُترك مفسدٌ على فسادهِ»⁽⁷¹⁾، وهذا النّص عام في كل جوانب التشريع؛ لأن مقاصد الشريعة قائمة على درء المفساد وجلب المنافع، وهذا بلا شك نوع من المصلحة التي

(69) المرجع نفسه، ص 62.

(70) محمد الصادق عفيفي، الإسلام والعلاقات الدولية، (بيروت: دار الرائد العربي، ط2، 1406هـ/1986م)، ص 86-87.

(71) المغيلي، فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، ص 130.

تقضي بها مقاصد الشريعة اتجاه المخالفين، وذلك بأن تكون المعاملة وفق ما تمليه أحكام الشريعة التي تُراعي بخاصيتها متغيرات الزمان والمكان والحال. فقرار المغيلي إخراج اليهود من منطقة توات كان المقصد منه تأمين الكيان السياسي الداخلي وتعزيز السيادة على الإقليم، وهو إجراء احترازي دفاعي في مواجهة العناصر المشبوهة، فقد كان رحمه الله مستشعرا خطرهم إذا استمر وجودهم بالتزامن مع الخطر الصليبي الذي كان يهدد المنطقة بالشمال الإفريقي، ومعلوم أن موقف اليهود كان دائما مدعّمًا ومغذّيًا لحركات الاستعمار في العالم الإسلامي.

أمّا القرار الذي اتخذه بخصوص هدم الكنائس، فلا يتعلق الأمر فيه بمسألة الحرية الدينية فذلك أمر مكفول شرعا لأهل الذمة، إنما القضية تتعلق بكيفية ممارسة تلك الحرية بصورة لا تجرح مشاعر المسلمين، فاستمرار اليهود في تجاوزاتهم بإحداث الكنائس حيث شاؤوا بين دور المسلمين الذي أثار مشاعر المسلمين بالمنطقة، فكان من الطبيعي مواجهة هذا التحدي الذي يستهدف المساس بالسيادة، لأنها أراض اختطها المسلمون، فلا خلاف في منع إقامة الكنائس بها حماية لتلك السيادة، خاصة وأن منطقة تمنطيط كانت مركز السلطة بتوات، فالواجب المحافظة على طابعها الإسلامي، ولقد كان جواب الإمام التنسي مؤكّدا لهذا المعنى في حماية سيادة الشرع وإظهار معالم الدين قائلا: « وسبب المنع في الجميع إنّما هو إظهار شرف الإسلام حتى لا يظهر معه غيره »، وذات المعنى أكدّه الإمام السنوسي رحمه الله⁽⁷²⁾، يقول فهبي هويدي: « فالغاية التي قصدها الفقهاء بما حدّدوا من القيود على استحداث الكنائس وعلى الاحتفالات والمواكب الدينية لغير المسلمين في الأمصار الإسلامية، إنّما هو الحفاظ على الطابع الإسلامي لمراكز المسلمين الكبرى التي ينبغي أن تبرز فيها شخصيتهم

(72) الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، ج2/ص253، 243.

الاجتماعية والعقيدية، فإذا تحقّق ذلك ولم يخل رفع القيود بالغاية المتوخاة، كان ضمان الحرية أولى وأعدل»⁽⁷³⁾.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإمام المغيلي قد استند في معاملة يهود توات على الرسالة العمرية التي تلزم أهل الذمّة ببعض الأمور فهي شبيهة بالأحكام العرفية، كمنع إحداث الكنائس وتجديد ما خرب منها، ومنع التشبه بالمسلمين في لباسهم وهيئاتهم وإلزامهم، وعدم إظهار شعائرهم أو دعوة الناس إلى دينهم وغيرها من الشروط والأحكام⁽⁷⁴⁾.

⁽⁷³⁾ فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، (بيروت: دار الشروق، ط1، 1405هـ/1985م)،

ص202.

⁽⁷⁴⁾ المغيلي، رسالة في اليهود، ص80.

الخاتمة:

يعدّ هذا البحث محاولة لاستجلاء بعض معالم الفكر المقاصدي في أحد المجالات الحيوية التي ترتبط بمصير الأمة وتوجّهاتها السياسية من خلال تجربة الإمام المغيلي ومسيرته السياسية، ومدى التزام المغيلي بالقواعد المقاصدية الضابطة لأحكام السياسة الشرعية والمنضبطة بميزان المصالح والمفاسد. وقد توصلت ضمن هذه الجولة من هذا البحث إلى استخلاص النتائج التالية:

- 1/ أبرزت هذه الدراسة ارتباط الفقه السياسي بمقاصد الشريعة من خلال ما ظهر من تجليات مقاصدية في مسيرة الإمام المغيلي السياسية.
- 2/ استطاع المغيلي أن يتعاطى مع المسائل السياسية بنظرة مقاصدية محورها المصلحة الشرعية، فعالج كثيرا من القضايا السياسية واستند في أحكامها واتخاذ المواقف بشأنها على فقه المقاصد.
- 3/ اعتمد الإمام المغيلي على بعض القواعد المقاصدية الضابطة لأحكام السياسة الشرعية، والتي تمثل المنهج في عملية التنزيل على الواقع ومراعاة الظروف المتغيرة، والموازنة بين المصالح والمفاسد وأهمها قاعدتي المصلحة واعتبار المأل.
- 4/ وضع الإمام المغيلي مقاصد الشريعة في إطار نظرية الإصلاح السياسي الذي انتهى إلى أن تأسس الدولة ذات السلطة القانونية التي تعتمد أحكام الشريعة الإسلامية هي أصل المصالح كلها.
- 5/ يعتبر المغيلي وحدة السلطة من أهم المقاصد السياسية؛ فالأمة لا يستقيم أمرها إلا على عمود واحد درءًا لمفسدة الاختلاف، وجلبا لمصلحة اجتماع الكلمة ووحدة الأمة واستقرار الدولة.

6/ إنَّ السياسة الشرعية في نظر المغيلي هي التي تجمع بين مصالح الدنيا والآخرة، وهو ما ذهب إليه كثير من الفقهاء، لتجعل منها سبيلا من سُبُل التقرب إلى الله تعالى برعاية مصالح الدارين.

المراجع:

1. ابن الأعرج، محمد أبو الفضل، تحرير السلوك في تدبير الملوك (الإسكندرية: تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، د.ت).
2. بوعزيز، يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1995م).
3. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (الجزائر: الزهراء للنشر والتوزيع، ط، 1990م).
4. الجويني، أبو المعالي، غياث الأمم في التياث الظلم (الإسكندرية: دار العقيدة طبع ونشرو توزيع، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م).
5. الجيلالي، عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام (الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط، 2010م).
6. خليل، فوزي، المصلحة العامة من منظور إسلامي (بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م).
7. الدريني، فتحي، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم (سوريا: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1429هـ/2008م).
8. زبادية، عبد القادر الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط، 1989م).
9. سعد الله، فوزي، جهود الجزائر هؤلاء المجهولون (الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، د.ت).
10. السلاوي، أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصا (المغرب: تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ط، 1418هـ/1997م).
11. السنوسي، عبد الرحمان، اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1424هـ).

12. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة (بيروت: تحقيق الشيخ عبد الله دراز وعبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، د.ت).
13. صبحي، عبده سعيد، الحاكم وأصول الحكم في النظام الإسلامي (القاهرة: دار الفكر العربي، ط، 1985م).
14. الصغير، عبد المجيد، الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام (بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1415هـ/1994م).
15. ابن عاشور، محمد الطاهر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للكتاب، ط: 1979).
16. ابن عاشور، محمد الطاهر مقاصد الشريعة الإسلامية (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت).
17. عبادة، كحيل، الطبعة الأولى: المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب (القاهرة: المطبعة الإسلامية الحديثة، 1418هـ/1997م).
18. ابن عبد السلام، العز، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (بيروت: مؤسسة الريان، الطبعة الثانية، 1419هـ/1998م).
19. عفيفي، محمد الصادق، الإسلام والعلاقات الدولية (بيروت: دار الرائد العربي، الطبعة الثانية، 1406هـ/1986م).
20. القرافي، أحمد بن إدريس، الفروق (بيروت: تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط، 1418/1998م).
21. الماوردى، علي بن محمد، الأحكام السلطانية (القاهرة: تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، ط، 1427هـ/2006م).
22. مسلم، ابن الحجاج القشيري، صحيح مسلم (الرياض: اعنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ط، 1419هـ/1998م).
23. مقدّم، مبروك، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقية الغربية خلال القرنين الثامن والتاسع عشر للهجرة (وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، ط، 2002م).
24. المغيلي، محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي (الجزائر: تقديم وتحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط، 1974م).

25. المغيلي، محمد بن عبد الكريم، رسالة الإمارة، مطبوع مع كتاب الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية لعبد الله الأثوري (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط، 1974م).
26. المغيلي، محمد بن عبد الكريم، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين (بيروت: تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1415هـ/1994م).
27. المغيلي، محمد بن عبد الكريم، فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، مطبوع ضمن كتاب الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي لأبي بكر إسماعيل ميقا (الرياض: مكتبة التوبة، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م).
28. المغيلي، محمد بن عبد الكريم، رسالة في اليهود (الرباط: تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة، رفاق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005م).
29. المغيلي، محمد بن عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح (الجزائر: تخرج ودراسة عبد الله حمادي الإدريسي، وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م).
30. المغيلي، محمد بن عبد الكريم، مسامرة النديم ببعض آثار محمد بن عبد الكريم، مطبوع ضمن رسائل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (بوسعادة: دار كردادة للنشر والتوزيع، ط، 2011).
31. هويدي، فهي، مواطنون لا ذميون (بيروت: دار الشروق، ط1، 1405هـ/1985م).
32. الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط، 1401هـ/1981م).

عبقريّة الإمام المغيلي في السياسة والدعوة

محمد ثوبان آدم عبد الله الإلوري

إمام جامع العلامة الإلوري، ومؤسس ومدير مركز العلوم العربية والإسلامية

والمرشد العام لجماعة التوبة الإسلامية أوتوبوأغيغي لاغوس نيجيريا

ملخص:

إنّ دأب الله تعالى في جعل أئمة رجالات عباقرة في الدعوة والإصلاح الاجتماعي في مختلف الأزمنة، لا ينساهم الناس والتاريخ عبر العصور حين حياتهم وبعدها، لأثارهم الطيبة الباقية الخالدة، وأعمالهم الصالحة في الدعوة والسياسة أو المجتمعات البشرية. ومن بين هؤلاء الرجالات العباقرة في تاريخ المجتمعات الإفريقية في شمالها إلى جنوبها الغربي شيخنا وإمامنا محمد عبد الكريم المغيلي العبقري.

وإذا ثبت لغويًا واصطلاحيًا أن من معاني العبقريّة الإمامة والسيادة والأسوة والتأثير، ومن مفهوم العبقري منطقيًا أنه المبرز المؤثر السيد الكبير السديد الذي لا يفوقه أحد من الأشخاص أوشيء من والأشياء في زمانه ومكانه وميدانه.

فمن ماصدقاته في أقاليمنا هذه الإمام محمد عبد الكريم المغيلي، لما له من تأثير بين خالد في مجال الدعوة والتربية والسياسة في هذه البلاد، عبر مقاومته الفساد ونصائحه المصلحة للملوك، وإرشاده الأمراء وتوصيته السلاطين، وتربيته الطلاب والسالكين، ومواعظه للعوام، ومناظراته العلماء والتفوق والظهور فيها، وتأليفاته النظرية والشعرية، وفتاويه الرشيدة وأجوبته الصحيحة الصائبة.

فهذا المقال والبحث يكشف جوانب من محاور وأسباب عبقريته، ويتطرق إلى بعض دقائق الأمور وحقائق الأخبار ولطائف المسائل في ذلك، وذكر شيء من ملامحها ودلائلها، من خلال تصحّح سيرته وأثاره، وأنه يستحق أن يدوّن في صفوف العبقريات الإسلامية والإنسانية الإفريقية الجزائرية والنيجيرية، الذين من حقهم رفع ذكرهم وتجديد شكرهم وتكريم تراثهم وإحياء أثرهم ونشر فكرهم.

The Genius of Imām al-Maghīlī in Politics and *Da'wa*

Abstract

It is of the attitude of Allah to make extraordinary people in order to reform his religion and society, in various places and times. These people will not be forgotten in history throughout the ages, for their good deeds and everlasting impacts, in advocacy, politics and human development. Among these geniuses in the history of African societies from its north to its south-west, was our genius shaykh and Imām Abū 'Abdullah Muḥammad b. 'Abdul Karīm al-Maghīlī.

It is literally and technically proven that *Abqariyyah* (genius) can mean leadership, supremacy and influence, while *Abqariy* defines an influential, great and extraordinary personality, who is not surpassed by anyone in his field of concentration. Among the epitomes of these extraordinary personalities was Imām al-Maghīlī, for his eternal influences and impacts in the field of preaching, education and politics in our region. He lived to fight against corruption, guide the rulers and the leaders of political administrations. His scholarly writings, letters, sermons, both in prose and poetry are ideal evidences to prove his excellence and versatility.

This article reveals some aspects of his greatness. It also explains facts and subtleties in his biography. In conclusion, this research emphasizes the worthiness of Imām al-Maghīlī to be written among the great men in Algeria, Nigeria, and Africa at large. Undoubtedly he is among those geniuses, who are worthy to be praised, honored and their impacts be revived.

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Legal Policy, Genius, Algeria, Nigeria, Africa, Influence

تحليل ألفاظ البحث والموضوع وبيانها موجزًا.

تبعًا للأسلوب القرآنيّ في تحليل بعض الأمور والموضوعات والتعريف بها، سواء بأسلوب الاستفهام والاستلهاً، أو بمجرد التعريف والبيان والتقديم، من أمثال قوله تعالى:

﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ القارعة: ١-٢ ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ الطارق: ١-٢

﴿الم•ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾ البقرة: ١-٣

﴿ الرِّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود: ١

فبؤدّي تعريف يسير موجز بألفاظ موضوع البحث وعنوان المداخلة، تقريرًا وتبيانًا وتوطئةً ومدخلًا للموضوع، فموضوع البحث والمداخلة مركّب من ستة ألفاظ، كالآتي:

١- عبقرية ٢- الإمام ٣- المغيلي ٤- في ٥- السياسة ٦- والدعوة.

اللفظ الأول: العبقرية: ما المقصود بالعبقرية؟ وكيف تصحّ إضافتها ونسبتها إلى الإمام المغيليا وصفه بها؟

قال الوسيط: « العبقرية: نسبة إلى عَبَقْرٍ، وهو صفة لكلّ ما بُولِعَ في وصفه وما يفوقه شيء، يقال رجلٌ عبقرٌ. وفي حديث رسول الله ﷺ في شأن عمر وما رآه في النوم في نزعه من البئر، حديث شريف:... « لم أر عبقرًا يفري فريته ويروى فريته » بالتخفيف.

العبقرية: السيد الكريم إلخ (المعجم الوسيط، مادة عبقر) (1)

إذًا، فكأننا عند إطلاقه عليه نتكلم عن السيادة والكرامة

(1) انظر المعجم الوسيط/مادة عبقر.

وقال الرائد: العبقرى من الأشخاص والأشياء (١) المبرز الذي لا يفوقه أحدٌ أو شيءٌ (٢) الكامل، السيد (٣) الكبير (٤) الشديد القوى.

والعبرىة: حالة العبقرى، قوّة الخلق والإبداع عند الأديب أو المفنن أو العالم انظر (المعجم الرائد، مادّة عبقر) (٢)

وفي معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب:

العبرىة:...تطوّر معنى العبرىة حتى قُصِدَ بها ذلك الشخص الحقيقي أو المعنويّ الذي يكون له تأثيرٌ كبير على غيره من الأشخاص، فإننا بهذا نتكلم عن قوة تأثيره على الغير وروحانيته القوية.

العبرىة: الملكة الكامنة في نفس الإنسان والتي تمنحه القدرة الفطرية على الابتكار، وقد امتدّ هذا المعنى لِيُرَادَ به ذلك الاستعداد الخارق في عقل فردٍ من الأفراد، الذي يرفعه فوق غيره من الناس، ويمكنه من ابتداع أشياء تبدو فوق طاقة البشر (مجدي وهبة، ١٩٨٤، ص ٢٤٤) (٣)

أما لفظ الإمام فلاهل العلم واللغة فيه أقوال، فمن أجمعها قول السيد الشريف الجرجاني «الإمام: هو الذي له الرئاسة العامّة في الدين والدنيا جميعاً». (الجرجاني، ٢٠٠٩، ص ٤١) (٤)

وفي اللغة الإمام: القدوة أو الأسوة الذي يُقتدى ويُؤتسى به، ومنه السابق والمقصود الذي له التقدم والتفوق في الخير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾ البقرة: ١٢٤، قال أهل التفسير: إني جاعلك قدوةً للناس. (التفسير الميسر) (٥)

(٢) انظر المعجم الرائد. مادّة عبقر

(٣) انظر في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. مجدي وهبة وكامل المهندس/مكتبة لبنان. /ص ٢٤٤ / ط ٢ / ١٩٨٤ م.

(٤) انظر في التعريفات للسيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني الحنفي/ص ٤١ / دار الطلائع/ ٢٠٠٩ م/ مصر، القاهرة

(٥) التفسير الميسر

أما المغيلي: فنسبة إلى قبيلة أو بلدة المغيلة.

قال العلامة الإلوري: فهو منسوب إلى قبيلة مغيلة، التي هي إحدى قبائل البربر في المغرب من جيران قبائل حمير أمثال صنهاجة وكتامه. (العلامة الإلوري، ١٩٧٤، ص ١١)⁽⁶⁾

ملاحظة: أقول: والمغيلة قبيلة وبلدة بربرية إسلامية متعربة أو مستعربة جزائرية متأصلة قديمة عريقة، لبعد العهد وامتزاج القبيلتين والأمتين العرب والبربر، فنجد عرب البرابرة وبرابرة العرب، فهم الذين ذابت قوميتهم وعرقيتهم في العربية والإسلام، فتعدّ اليوم جميع مناطق وبلدان شمال أفريقيا ضمن البلاد العربية والإسلامية، ولم تعدّ تنسب إلى قبطن أو نوبة أو بربر أو غيرها، فقد أصبحت هذه المناطق والأقاليم بحذاقها عربية إسلامية.

أما اللفظ الرابع (في): فحرف من حروف الجرّ، ومن معانيها الظرفية. ويستفاد منه هذا المعنى (في إطار ومجال السياسة والدعوة).

وأما لفظ السياسة: فمصدر ساس يسوس إذا رعى وقاد وساد ونظّم.

قال معجم الغني: سياسة البلاد: تولى أمورها وتسيير أعمالها الداخلية والخارجية وتدبير شؤونها.

وهي تنظيم أمور الدولة وتدبير شؤونها، وقد تكون شرعية أو مدنية، فإذا كانت شرعية كانت أحكامها مستمدة من الدين، وإذا كانت مدنية كانت قسماً من الحكمة العملية، وهي الحكمة السياسية أو علم السياسة. ا.هـ.د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص ٦٧٩، ج ١)⁽⁷⁾

⁽⁶⁾ العلامة آدم عبدالله الإلوري / الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرن الوسطى في نيجيريا/ ص ١١ / ط ١ - ٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م / شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر محمد محمود الحلبي وشركاء وخلفاء
⁽⁷⁾ الدكتور جميل صليبا/ المعجم الفلسفي/ ص ٦٧٩ / ج ١.

وقد يطلّق على كلّ عملٍ مبني على تخطيط سابق، كسياسة التنمية الاجتماعية أو سياسة التنمية الاقتصادية أو سياسة التعليم. ا. هـ (د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص ٦٧٩، ج ١) (٨)

وإلى آخر ألفاظ الموضوع والعنوان الذي هو الدعوة، قال العلامة الإلوري:

الدعوة لغةً: الصيحة والنداء.

واصطلاحاً: صرفُ أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدةٍ تفيدهم، أو مصلحةٍ تنفعهم، وهي أيضاً ندبةٌ لإنقاذ الناس من ضلالةٍ كادوا يقعون فيها، أو من معصيةٍ كادت تحدق بهم. ا. هـ (العلامة آدم الإلوري، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص ١٣) (٩).

ولنكتف بهذا القدر من هذه التوطئة والمقدمة والتعريف والبيان. ونشرع في صلب الموضوع.

عبريّة الإمام المغيلي.

إنّ المستخلص والمستفاد من معاني العبريّة والإمامة لِمَنْ وُصِفَ بهما، أنه المبرز والمؤثر الذي لا يفوقه أحدٌ أو شيء من الأشخاص والأشياء. ولعل على أساس هذه المعاني والقيم ألّف الكاتب النحرير الشهير عبّاس العقّاد عبريّاته الإسلامية المعروفة، ومن هذا حذوه واختار اختياره كموضوع بحثٍ وعنوانٍ تصنيفٍ.

ومن هذا المنطلق نُلجّج إمامنا محمد عبد الكريم المغيلي بالعبريات الإسلامية في أفريقيا عمومًا وفي الجزائر وغرب أفريقيا على الخصوص،

(٨) د. الدكتور جميل صليبا/ المرجع السابق

(٩) العلامة آدم عبدالله الإلوري/ تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم/ ص ١٣ / ط ٣ / ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

وتتجلى وتُستشَفُ عبقرِيته من عدة محاور ووجهات آتية، كمقدّمات وتوطنات وأسباب وعلل، كما تتجلى في محاور أخرى كنتائج وغايات.

المحور الأول؛ محور النسب والحسب:

ليس كلّ من كان عظيمًا وعبقرِيًّا يكون له أصلٌ كريمٌ عظيمٌ عبقرِيٌّ عزيز، ولكن من دأب الله تعالى أن يجعل الطيّبين من الطيّبين والصالحين من الصالحين، كما هو بيّن من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ آل عمران: ٣٣-٣٤، ومثلها في مريم: ٥٨، وغيرها. وعلمهم الدعاء للتوفيق لذلك... من أمثال قوله: ﴿... رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان: ٧٤

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الصافات: ١٠٠، وغيرها.

وكانّه المقصود بقول الإمام البوصيري في همزيته في مدح النبي ﷺ، ولله درّه:

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكُونَ * تُخْتَارُ لَكَ الْأَمَهَاتُ وَالْآبَاءُ
تَتَبَاهَى بِكَ الْعُصُورُ وَتَسْمُو * بِكَ عَلِيَاءُ بَعْدَهَا عَلِيَاءُ
وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ * مِنْ كَرِيمِ آبَاؤُهُ كَرَمَاءُ
نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلَا بِحُلَاهُ * قَلَدَتْهَا نُجُومَهَا الْجَوَازَاءُ
حَبْدًا عَقْدُ سُودِدٍ وَفَخَارٍ * أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصَمَاءُ

أو كما قال كعب بن زهير حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم: « اذكر الأنصار»، فقال - ولله درّه:-

وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَن كَابِرٍ * إِنَّ الْخِيَارَهُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
وإذا كان العظيم من أصل عظيم ثقل في الميزان والاعتبار، وكان أكبر وأكرم من طيب وعظيم ليس من أصل طيب وعظيم.

إمامنا العبقريّ المغيلي: هو الشيخ محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني (٧٩٠-٩٠٩ هـ/١٤٢٥-١٥٠٤ م) في أواخر مملكة بني زيان.

ويقال: يصل محمد المغيلي من جهة أبيه إلى الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم. ويقال: هو الشريف سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني العلامة الرياني الولي الصالح صاحب الهمة العليّة والمكانة العلمية المرموقة، المتجليّ بأحسن الفعال أنه سليل آل البيت الأطهار. ا.هـ. (ويكيبيديا)⁽¹⁰⁾

وقال أحمد محمد في منتديات الأنساب؛ القبائل والبطون والألقاب الجزائرية، منتدى العائلات والألقاب الجزائرية، لكل من يبحث عن امتداد عائلته والتدقيق في تاريخ وأصل التعارف... التواصل وصلة الأرحام.

محمد بن عبد الكريم بن محمد بن المغيلي بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحيى بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القويّ بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قبس بن غالب ابن أبي بكر بن أبي بكر (مكررة) بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت النبي الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ

ومن جهة أبيه محمد كذلك، يعتبر محمد العالم رقم عشرين من سلالة المغيليين التي تبتدئ بإلياس المغيلي، وهو ذلك العالم البربري الذي اعتنق الإسلام وحمل لواء الجهاد، فكان له شرف المشاركة مع طارق بن زياد في فتح الأندلس. والدّه عبد الكريم اشتهر بالعلم والصلاح، كما أنّ أمّه اشتهرت بأنها سيّدة فاضلة تحبّ الفقراء والمساكين، وتنفق عليهم بسخاء، وقد قام هذان الوالدان بتربيته وتنشئته تنشئةً حسنة طيبة مباركة. (د/ ابن يحيى ناعوس، 2010، شبكة ألوكا)⁽¹¹⁾

⁽¹⁰⁾ ويكيبيديا

⁽¹¹⁾ د/ ابن يحيى الظاهر ناعوس / سيرة محمد عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني

وخلاصة القول في عبقريته النسبية والحسبية بهذا المحور أنه السرّ والسبب في عبقريته السياسية والدعوية، لأن الفرع يتبع ويقتفي الأصل. وأنه كان عظاماً بأصوله وجدوده، وعصامياً بأعماله وجهوده.

ولعلّ كونه شريفاً مفاداً ما ذكره الشيخ قريب الله كبرا الكنوي في ترجمته: "... وأعقب بعد ذلك ذريته المعروفة بأسرة المغيلي وكانوا ينتخبون منهم زعيماً يقود أمرهم ولم يزالوا يتوارثون المنصب خلفاً عن سلف، ومقرّ إدارة شؤونهم بحميّ يسمّى في كانوا بشريفي" (قريب الله كبرا، ص 38) ⁽¹²⁾. إذن، فلا غرو في كونه عبقرياً في الدعوة والسياسة.

المحور الثاني: من أسباب عبقرية الإمام المغيلي في السياسة والدعوة: النشأة والتحصيل.

شاء الله بقدره وقضائه أن يكون إمامنا فرعاً من أصلٍ ثابت طيب، فكان كمن صدق فيهم قوله تعالى: ﴿إِلَّمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٥) {إبراهيم: ٢٤-٢٥}

نشأ محمد بن عبد الكريم المغيلي في أسرة عرفت بالعلم والأخلاق الفاضلة، فقد كان ابناً يرى طلاب العلم يتوافدون على والده عبد الكريم الذي اشتهر بالعلم والورع والتقوى والصلاح. فتربية والده له أول ما كوّن شخصيته البارزة، ثم بعد ذلك اختلف إلى العالم المفسر الفقيه المالكي الصوفي الأشعري السُّنِّي رمز مدينة الجزائر عبد الرحمن الثعالبي صاحب تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن. قال أحمد بابا التمبكتي عن الشيخ الثعالبي في نيل الابتهاج: " بلغ الغاية في العلم والنهاية في المعارف

⁽¹²⁾ الشيخ قريب الله كبرا / الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة (صوكوتو) العاصمة العلية. من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ص38، من منشورات المكتبة القادرية بكانو نيجيريا. تنفيذ/ دار الآن للطباعة والنشر قبرص.

الإلهية وارتقى مراقي الزلفى، ورسخ قدمه في العلم. اهـ. (د/ ابن يحيى ناعوس،
2010، شبكة ألوكا) ⁽¹³⁾

قال العلامة الإلوري في مشايخه: «أخذ المغيلي عن أعلام كثيرين من
علماء المغرب منهم الشيخ عبد الرحمن الثعالبي علامة المغرب الشهير، ومنهم
الشيخ يحيى بن بدير...» اهـ. (العلامة آدم الإلوري، 1974م، ص11) ⁽¹⁴⁾

وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم بن يحيى حسب الونشريسي في
المعيار- بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبي الفضل
التملساني (ت ٨٤٥هـ) عالم بالتفسير والفقه، مشارك في علوم الأدب
والطب والتصوف من أهل تلمسان. (د/ ابن يحيى ناعوس، 2010، شبكة
ألوكا) ⁽¹⁵⁾

وتلقى العلوم كذلك على يد الشيخ أحمد بن إبراهيم البجاتي (ت
٨٤٠هـ/١٤٣٤م) وهو من شيوخ الثعالبي. كما أخذ عن الشيخ منصور بن
علي بن عثمان أبي علي الزواوي المنجلاتي من فقهاء وعلماء بجاية ت ٨٤٦هـ
بتونس. (د/ ابن يحيى ناعوس، 2010، شبكة ألوكا) ⁽¹⁶⁾

ومنهم الشيخ يحيى بن نذير بن عتيق، أبو زكرياء التدلسي، القاضي من
كبار القضاة والفقهاء المالكية من أهل تدلس. ومنهم أبو العباس الوغليسي.
(د/ ابن يحيى ناعوس، 2010، شبكة ألوكا) ⁽¹⁷⁾ ومنهم الشيخ الفقيه بن
أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (ت ٨٧٥هـ)

⁽¹³⁾ د/ بن يحيى الطاهر ناعوس/ سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي
التملساني/ شبكة الألوكة/ إشراف د. سعيد بن عبد الله الحميد
⁽¹⁴⁾ العلامة آدم عبد الله الإلوري/ الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون
الوسطى/ ص11/ ط1/ 1973/ طبع مضطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر.

⁽¹⁵⁾ د/ بن يحيى الطاهر ناعوس/ سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي
التملساني/ شبكة الألوكة/ إشراف د. سعيد بن عبد الله الحميد
⁽¹⁶⁾ د/ بن يحيى الطاهر ناعوس/ المرجع السابق.

⁽¹⁷⁾ د/ بن يحيى الطاهر ناعوس/ المرجع السابق.

وإذا وفق الله العبد أن يتعلم ويتربى على الناضجين الراسخين في العلم، يكون لذلك تأثير عظيم في تكوين كيانه العلمي وشخصيته المعرفية والجهادية والدعوية والاجتماعية والسياسية.

ومن يتدبر القول يعلل الأمر ويتفهمه ويتحققه من أمثال قوله تعالى:

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ (٦)
[سُورَةُ النَّجْمِ: ٤-٦]

كما أن للولادة والأصول الطيبة تأثيرًا، كذلك يكون للتربية والمنهل تأثير عظيم، إذا كان كما قلنا من الأخذ بالنصيب الوافر من الجمال والقوة والنبوغ والنضوج.

المحور الثالث من ملامح ومظاهر عبقرية المغيلي: السفر والخروج.

هذا المحور واقع بين محور الأسباب والمقدمات وبين محور النتائج والغايات.

إن الخروج من الدار والسير في الأرض والسياسة في البلاد، سواء اضطرارًا أو احتياجًا غزواً أو دفاعاً، مفيداً أو مستفيداً، دلالة واضحة على الحيوية والنشاط والكمال والتمام والقدرة والقوة، وعلى علو الهمة، ودلالة على العبقرية والنضوج.

ويعبر عنه الذكر الحكيم بالجهاد والسير، وأشاد بأهله، وأنب القاعدين غير المتحرّكين بعدة أساليب وعبارات، منها قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً...﴾ النساء: ٩٥

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا...﴾ الحج: ٤٦

وعلى أساس أهمية الخروج والسير والهجرة والسفر والجهاد... ودلالته على الحيوية والنشاط والكمال والنضوج والتمام والصلاح والإفادة بعد الاستفادة، أسرى الله بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ...﴾ {الإِسْرَاءُ: ١}

وكم من نبيٍّ أو رسولٍ أو عبقرٍ سجل له التاريخ الضرب في الأرض، وهذا نبي الله موسى وكليمه، خرج حينًا هاربًا، وحينًا آخر طالبًا، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِبًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ {٢٢} {الْقَصَصِ: ٢١-٢٢}

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أBRُحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ {الْكَهْفِ: ٦٠}

وهذا خليل الله إبراهيم قال: ﴿...إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَمِّدِينَ﴾ {سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ٩٩}

فاتباعًا لأمر الله في الخروج والسير والضرب في الأرض... نرى إمامنا المغيلي العبقري خرج من مسقط رأسه ومولده طالبًا وسائحًا ومجاهدًا في سبيل الله، وسائرًا في أرضه، مبلِّغًا رسالة الدين في العلم والإصلاح، وخرج إلى تلمسان، ومكث بها ما شاء الله، حتى نسب إليها وعُرف بها، ثم إلى توات وأدرار وتمنطيط وأثر فيها، وإلى بجاية طالبًا ومحصلًا، وأخذ وأعطى وتعلّم وعلم، ثم إلى جنوب الجزائر وإلى مالي وفوتا العليا وصنغى وإلى نيجيريا كنو وكتشنه، تاركًا فيها آثاره الطيبة في التعليم والإصلاح والدعوة والجهاد والسياسة. قال د/شيخو أحمد سعيد غلادنشي في حركته: عند الكلام عن زيارة المغيلي لمدينة كنو وكتشنه وغرب أفريقيا عمومًا ما نصُّه: " ولقد كان لهذه الزيارة التي قام بها المغيلي إلى كنو صدًى كبير ونتائج عظيمة، تركت أثرًا واضحًا لا في كنو فحسب، ولكن في ولايات الهوسا جميعًا، لأن انتشار

الإسلام في كَنو أدّى إلى انتشاره في الولايات الأخرى، ومنذ ذلك الوقت نستطيع أن نقول إن ولاية كَنو أصبحت ولاية إسلامية حقًا، وبدأت بعدئذ تلعب دورًا هامًا في خدمة الثقافة الإسلامية في الولايات الأخرى، واستمرّ الإسلام يتسع وينتشر " ا.هـ. (د. غلادنشي، 41-42)⁽¹⁸⁾

فخروج الإمام المغيلي من داره وَجُوبُهُ الفياقي والصحراء والغابات والجبال والسهول والأنهار، مع ما يُخشى منه من قُطّاع الطريق واللصوص والوحوش والظلمة والمخمصة والوحشة والحرّ والبرد...، دلالة واضحة على إقدامه على الخير والجهاد، وعلى عبقريته وبطولته، وأنه ممن آمن يقينًا خالصًا مخلصًا بقوله تعالى: { ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } التَّوْبَةِ: ١٢٠

وكان ذكره اليوم وبعد اليوم وأبد الدهر، والبحث والكتابة عنه من وفاء الله بعهدده للصالحين المجاهدين العاملين المخلصين.

ولعل بقاءه بأثاره العلمية والدعوية والسياسية والذكرات والمقالات والبحوث والمصنفات عنه كان جزءًا يسيرًا من أجوره الموعودة وناقلة له على جهاده وجهوده وأعماله الصالحات.

ولم يتوقّف سفره في هذا ولم ينته إلى غرب أفريقيا، بل له سفر طويل مبارك إلى المسجد الحرام والبلد الأمين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ثبت ذلك تاريخيا، كما ثبتت قصيدته الميمية التي قالها في المدينة المنورة في المسجد النبوي، وتكفي هذه القصيدة شهادة على حجّه وزيادته وتأثره وتفاعله وتجاذبه بمغناطيس محبة الرسول الأعظم والهيّام به.

⁽¹⁸⁾ د/ شيخو أحمد سعيد غلادنشي/ المرجع السابق / ص 41-42

نكتة مهمة: اللغات التي ينطقها أويجيدها الإمام المغيلي:

وهي نكتة لم يتطرق إليها كثير من الباحثين عنه، فمن الممكن جداً - فرضاً واعتقاداً واحتمالاً- أن يكون الإمام المغيلي بلباقته ولياقته الذهنية وعبقريته الشخصية مجيداً لعدة لغات إقليمية، إضافة إلى اللغة العربية القرآنية، لغته الدينية والقومية، ومن البديهي أن يجيد اللغة الأمازيغية أو البربرية المنتشرة في شمال أفريقيا، أو في بلاد وأقاليم المغرب العربي التي تضم جزءاً كبيراً من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى والصحراء الكبرى، أو جنوب هذه الأقطار والمناطق، وإلى هذه اللغة لسان أهل السودان الغربي، أو اللغة السواحلية التي تعتبر لسان التجار في الحواضر والمراكز التجارية أو اللغة السائدة في أقاليم مالي وغينيا وغانا وفوفا وصنغي...، ومن المحتمل جداً أن يفهم لغة هوسا وفلاتة، وكيف لا، فقد تزوج وتأهل في كانو وترك فيها فروعه عند عودته إلى الجزائر وقبل وفاته بتوات.

وعلى طول مكوثه في كانو قال العلامة الإلوري:

«لقد سجّل كل من كتب عن المغيلي أنه قضى معظم حياته في بلاد السودان مثل تكده وأقدس وكاشنه وكانو، وبدل بقاء آثاره الخالدة في نيجيريا إلى اليوم على أن مكوثه في كانو وكاشنه أكثر وأدوم من مكوثه في غيرها».⁽¹⁹⁾

المحور الرابع: مظاهر النتائج والغايات: أولها الأعمال والأداء والتعليم والآثار

من المحاور الأساسية التي تنجلي وتُسْتَشْفُ منها عبقرية الإمام المغيلي في المجال السياسي والدعوي محور العمل والأداء والتعليم والتأليف.

⁽¹⁹⁾ الشيخ آدم عبد الله الإلوري/ الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية/ ص31/ ط1-1394هـ-1974/ طبع وشركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي.

ليس كلُّ من أخذَ أعطى، ولا كلُّ من تلقى لقى وأدى، ولا كلُّ من تعلّم وفهم عمل وعلم وفهم بما تعلم، ولا كلُّ عالمٍ عاملٍ كان بارزاً عبقرياً في الأداء ومجال العمل والتطبيق والتعليم والتأليف.

وهذا إمامنا المنطوق عنه، لقد ظهرت عبقريته التحصيلية حين كان أبرز فروع أصله، وأكثر وأشهر طلاب أساتذته وشيوخه وأقرانه في مجال الدعوة والتعليم والإصلاح والسياسة.

وُتَسَدِّشَفُ عبقريته في هذا المحور من عدة حيثيات.

الحيثية الأولى: مواجهته لليهود الذين سيطروا على اقتصاديات مدينة توات وتمنطيط ووهران وأدرار وما جاورها، وإجلاؤهم منها وتطهير البلاد والمنطقة من فسادهم ورجسهم وبغيمهم وأكلهم أموال الناس بالباطل والجبث، ومنع سيطرتهم على أملاك الناس، على الرغم من مخالفة بعض العلماء له وإنكارهم عليه، طبقاً لقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٢٩].

ومن طبيعة المقاومة والمواجهة الشهرة والكرامة والصيت والمعرفة والذكر، وخاصة إذا كُلبت بالنجاح والغلبة والظهور على الأعداء الألداء. علماً بأن هذه المواجهة والمقاومة لم تتم إلا بالتعاون مع خيار الناس من الأئمة وسائر الأمة.

الحيثية الثانية: الاتصال بالأمرء والملوك والسلطين وتوجيههم بما ينبغي تجاه إصلاح العباد والبلاد بالنصائح والإرشاد بما فيه الصواب والسداد.

كان أصل قيامه واتصاله بالملوك والأمرء قوله تعالى: ﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى... ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٢] ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٠٤]

وَتُسْتَشْفُ عِبْقَرِيَّتَهُ فِي هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ فِي نَجَاحِهِ فِي مَعَامَلَتِهِمْ مِنْ دُونِ الْمَسَاسِ بِمَرُوءَتِهِ وَالنَّقْصِ وَالنَّكْصِ مِنْ مَكَانَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ، وَلَا مِنْ وِلَايَتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَقَدْ قَامَ مَقَامَ الْمُرْشِدِ الرَّوْحِيِّ وَالْمُصْلِحِ الدِّيْنِيِّ، وَكَانَ مَقَامَ احْتِرَامِ وَإِكْرَامِ، لَا مَقَامَ مَرْتَزَقِ طِفْلِيٍّ، أَوْ مِنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ وَالْفَضْلَ بِالْمِئِنِ، وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ بَيْنَنَا جَلِيًّا مِنْ خِلَالِ مَا حَزَّرَهُ مِنْ كُتُبٍ وَرِسَائِلٍ وَوَصَايَا وَنِصَائِحٍ، بِمَا لَا يَنْمَحِيأُتْرَهُ عِبْرَ الْعَصُورِ، وَيَتَّبِعُهُ وَيَتَوَارَثُهُ أَهْلُ الْإِمَارَةِ وَدِيَارِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ، يُبْقَى لِأَخْلَافِهِمْ وَيَتِيَسَّرُ لَهُمُ السَّيْرُ عَلَيْهِ وَالْعَمَلُ بِهِ، فَخَلَّدَ هَذَا الْعَمَلُ اسْمَهُ وَعَرَّفَ بِعِبْقَرِيَّتِهِ وَشَخْصِيَّتِهِ الْفِذَةِ، وَجَعَلَهُ مَقَامَ الْاِعْتِبَارِ وَالخِيَارِ وَمَكَانَ الْعِظْمَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالْاِفْتِخَارِ.

ليس كلَّ عالمٍ يستطيع التعامل مع الملوك والأمراء والسلطين وأهل الدنيا بالنجاح والفلاح الدنيا ودينًا، بصورة سليمة ممتازة، ولا تمسَّ معاملته معهم بالسوء والفساد، ولا تنال من عالميته أو من مكانته العلمية والدينية، ولخوف الوقوع في ورطتهم تزهد وزهد في القرب منهم كثير من أهل الورع والتقوى والصلاح، والله درّ القائل:

لَا تَصْحَبَنَّ مَلِكًا أَوْ مَنْ يُلُودُ بِهِ * وَإِنْ تَنَلْ مِنْهُمْ عَزًّا وَتَمَكِينًا
يَسْتَخْدِمُونَكَ فِي لَذَاتِ أَنْفُسِهِمْ * وَيَذْهَبُ الْعُمَرُ لَا دُنْيَا وَلَا دِينًا

ولا شك أن حسن تعامله مع الملوك والأمراء للإحسان والإصلاح هو الذي أورثه المقام الغالي في صدور البلاد وقلوب العباد، دلالة على عبقريته السياسية والدعوية.

قال الأستاذ شيخو أحمد سعيد غلادنشي في علاقة الإمام المغيلي بملك مدينة كانو محمد رُمفاما نَصُّهُ: «... وتعاقبت الملوك إلى عهد محمد رُمفاما Rumifama 1463-1499م، ذلك العهد الذي يستحق الذكر، لما حدث فيه من نشاط كثير نحو نشر الإسلام والثقافة العربية، ولكون هذا الملك من أشهر ملوك كانو في تلك القرون، وفي عهده وصلت كانو إلى ذروة شهرتها،

فأصبحت مركزًا تجاريًا هامًا، لا في نيجيريا فحسب، بل في غربي إفريقيا كلها، وفي عهده قام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني بزيارة إلى كنو، فاستقبله الملك استقبالا عظيمًا، وأكرمه غاية الإكرام، وكان لهذه الزيارة أثر بالغ في نشر الثقافة الإسلامية في هذه المملكة، وقد اتخذ محمد رُمفا هذا الشيخ صديقًا أمينًا وشيخًا هاديًا حتى أصبح المغيلي مستشارًا خاصًا للملك، يستشير به في أمور دينه ودولته، وساعدَ الشيخُ الملكَ في تأسيس دولة إسلامية مبنية على أسس إسلامية سليمة، وأمره بتكوين مجلس استشاري يضم الوزير والقاضي والإمام وبعض رجال الدولة، وكان الشيخ ذاته يجلس فيه ويشترك في تنفيذ أموره، وخلفه ابنه فيه بعد مغادرته لِكَنُو. ولا يزال أفراد ذريته يجلسون في مجلس أمير كنو إلى يومنا هذا.

وللشيخ المغيلي وصية مشهورة كان قد كتبها لمحمد رُمفا، لتكون مرجعًا له في سياسته، وكانت بدون شك بمنزلة دستور حكومي دقيق، أكد فيها المغيلي وجوب درء المفاصد الدينية والدينيوية بالقوة...» (غلاذنشي، 43)⁽²⁰⁾

وفيما يتعلق بكتشنه، قال د/ شيخو أحمد في علاقة المغيلي بملك كتشنه ما يلي: «يرجع تاريخ ولاية كتشنه كغيرها من ولايات الهوسا الأخرى إلى القرن الحادي عشر، ويقال أن أول ملك لها يعرفه التاريخ هو كُمَايُو Kumayo حفيد بياجد الجد الأول لملوك هوسا، وكانت كمثيلتها كنو مركزًا تجاريًا هامًا، وملتقى لخطوط تجارية تصل من الشمال، ولذلك كانت هناك منافسة شديدة بين الولايتين في القرون الغابرة، وأول ملك لها اعتنق الإسلام – كما تذكر المراجع- هو كُورُو Korau (1493م)، وقد يكون إسلامه على يد المغيلي الذي زار كتشنه وكنو في سنة 1493م، كما ذكرنا سابقًا، وربما يكون قد أسلم قبل زيارة المغيلي، ولكن وصوله أثر فيه وفي تأسيس حكومة إسلامية كما سبق في كنو.» (غلاذنشي، 43)⁽²¹⁾

⁽²⁰⁾ د/ شيخو أحمد سعيد غلاذنشي/ المرجع السابق / ص43.

⁽²¹⁾ د/ شيخو أحمد سعيد غلاذنشي/ المرجع السابق / ص43.

الحيثية الثالثة: التعليم والتصنيف والتأليف له:

فهم الإمام المغيلي رسالة الإسلام والقرآن والدعوة المحمدية التي كانت من آثار الدعوة الإبراهيمية والإجابة الإلهية الربانية لها، الاستفادة من أمثال قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١٢٩]

التي تتجلى وتتخلص في التعليم والتزكية والإرشاد والتوصية، فجعل الإمام المغيلي همته في التعليم والكتابة والحكمة والتزكية والتوصية والإصلاح.

أجل، فقد كان للإمام المغيلي بهما (التعليم والتصنيف) البقاء والجلال وحسن الذكر والصيت.

ومما لا شك فيه ولا ريب أن العلماء الوافدين من البلاد العربية والأقاليم الأخرى إلى هذه المناطق والبلدان نيجيريا وما حولها من بلاد التكرور وغرب أفريقيا ليسوا على درجة واحدة في العلم والعمل والتأثير والبقاء، منهم النُّسَّاك والعبَّاد والصوفية، كما أشار إليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته الصوفية والفقراء أنهم على أنواعٍ، خلاصتها ثلاثة أصناف:

(1) صوفية الحقائق (2) صوفية الأرزاق (3) صوفية الرسم⁽²²⁾

وكما قال العلامة الإلوريفي الإسلام في نيجيريا ما يلي: أصناف من نشروا الإسلام في غرب أفريقيا: يمكن حصر الذين نشروا الإسلام في غرب أفريقيا في ثلاثة أصناف:

الأول: الغزاة الفاتحون الذين أقاموا دولة الإسلام في مختلف ربوع أفريقيا.

⁽²²⁾ الإمام بن تيمية / الصوفية والفقراء / ص 24 / طبع مكتبة المدني ومطبعها جدة- المؤسسة السعودية بمصر.

الثاني: التجّار المتجولون... الثالث: هم الدعاة الصوفيون.⁽²³⁾

وقال في النسيم: علماء بلاد يوربا على أربعة أقسام، وينطبق هذا التقسيم على كثير من البلاد المجاورة لها في نيجيريا وغرب أفريقيا.

القسم الأول: هم الوعاظ والدعاة إلى الله...

القسم الثاني: هم الأساتذة المدرّسون الذين يعلمون القرآن والعلوم...

القسم الثالث: هم العبّاد الزُهّاد أصحاب الأذكار والأوراد...

القسم الرابع: هم أصحاب الطب الروحاني والطب الجسماني.⁽²⁴⁾

قلت: لقد وقع الإمام المغيلي في أصلح وأبقى وأرفع أقسام الدعاة وآثرها وأفضلها، وهو التعليم والتأليف، لكون المعلّم خير الناس، كما ثبت في الأثر: خيركم من تعلّم القرآن وعلمه. (الترمذي 2909). لقد بقيت وظهرت آثار الإمام المغيلي في هذه البلدان بواسطة طلابه وتلاميذه وكتبه وتصانيفه.

وتدلّ على كثرة اشتغاله بالتعليم والتربية مصنّفاته التعليمية التربوية وعنايته بأموال الدين والمجتمع، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: ما ألفه وصنّفه للحكّام والملوك والأمراء والسلاطين وعوامّ الناس، لتدبير السياسة وإرشاد الملوك والأمراء والحكّام وإصلاح المجتمع، سواء في صورة وصيّة أو رسالة أو إشارة ومشورة أو فتوى أو دستور... أمثال تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل، هداية المسترشدين ونصيحة المهتدين.

⁽²³⁾ الشيخ آدم عبد الله الإلوري/ الإسلام في نيجيريا/ ص 39-40/ ط3- 1441هـ-2020م/

مكتبة دار النور موشن لاغوس نيجيريا

⁽²⁴⁾ الشيخ آدم عبد الله الإلوري/نسيم الصبا... / ص 118/ ط3- 1411هـ-1999م/

مكتبة وهبة القاهرة.

القسم الثاني: ما ألفه وصنّفه لطلاب العلوم الدينية في الفقه واللغة والقواعد أو في قواعد النظر والفكر، مثل: البدر المنير في علوم التفسير، مفتاح النظر في الحديث، شرح الجمل في المنطق، منح الوهاب في ردّ الفكر إلى الصواب في المنطق ومنظومته وشروحها، مقدّمة في العربية، شرح التبيان في علم البيان في ثلاثة علوم: المعاني والبديع والبيان.

ومن أشهر تلاميذه:

قال العلامة الإلوري: «... وارتحل إلى بلاد السودان ودخل مدينة تكدة، ومكث فيها، وأخذ عنه علماءها، ثم جاء إلى مدينة كتشنه، واجتمع بسلطانها وانتفع به أهلها، ثم جاء إلى مدينة كَنُوتوتوَّى القضاء والإفتاء بها، وأخذ عنه علماءها، ونزل على أسكيا محمد وكتب له فتاوى دينية ووصايا سياسية.» ا.هـ (العلامة آدم الإلوري، 1974، ص 87)⁽²⁵⁾

ويؤكّد اهتمامه بالتدريس وشغفه به ما قاله الأستاذ ابن يحيى: أنه علّم في كل قطر مر به من تونس وليبيا ومصر والمدينة ومكة المكرمة (د/ ابن يحيى ناعوس، شبكة ألوكة)⁽²⁶⁾

وأضِفَ إلى هذا ما قاله العلامة الإلوري في آثار المغيلي السوداني:

ولم يجد التاريخ أثرًا لعالمٍ عربيّ، غربي أو شرقي، مثل ما خلّده للإمام المغيلي في غرب أفريقيا عمومًا، وفي نيجيريا خصوصًا. ا.هـ (العلامة آدم الإلوري، 1974، ص 31)⁽²⁷⁾

⁽²⁵⁾ الشيخ آدم عبد الله الإلوري / الإسلام في نيجيريا / ص 87 / ط 3- 1441 هـ - 2020 م / مكتبة دار النور موشن لاغوس نيجيريا

⁽²⁶⁾ د/ بن يحيى الطاهر ناعوس / المرجع السابق 26.

⁽²⁷⁾ الشيخ آدم عبد الله الإلوري / الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية / ص 31 / ط 1- 1394 هـ - 1974 / طبع وشركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي.

وقد تأثر بالمغيلي جميع العلماء الذين اجتمعوا به أو الذين أخذوا عنه العلوم، أو أخذوا عن تلاميذه، حتى امتازوا عند علمائنا بمعاصري المغيلي، وامتاز عصرهم بعصر المغيلي.

وقد احتفظوا برسائله وفتاواه ومؤلفاته، وحفظوها في صدورهم وخزنها في مكاتبهم، حتى توارثها خلفهم عن سلفهم.

ومن مشاهير الذين تأثروا بفتاوى المغيلي وسيرته وغيرته الشيخ البكري (البرناوي) الذي أخذ عن تلاميذ المغيلي... ا. هـ (العلامة آدم الإلوري، 1974، ص32)⁽²⁸⁾

واستطرد العلامة الإلوري في باب تأثر علماء هذه البلاد بالمغيلي
قائلاً:

ولقد تنوّرت أفكار ابن فودي على تلك الحركات من خلال آثار المغيلي وفتاواه ورسائله ووصاياه التي ورثها من علماء بلاده، وتأثر بسيرة المغيلي وغيرته على الإسلام والدفاع عن بيضته باللسان ثم باليد ثم بشهر السلاح، كما تقدّم في ترجمة المغيلي، تأثر به حتى صار ينقل عنه من كتبه، كأنما ينقل عنه مشافهةً.

ولقد أورد ابن فودي في كتابه: (حصن الأفهام) بعض فتاوى المغيلي، وقال: وسئل شيخنا محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني عن تحليل المطلقة ثلاثاً قبل زوج فقال: من أفق بتحليل المطلقة ثلاثاً قبل الزوج فهو جاهل دجالٌ مضل، يجب على من له القدرة من المسلمين أن يزجره بما استطاع من الضرب الوجيع والحبس الطويل، وكل ما أمكن من زجره... (ا. هـ (العلامة آدم الإلوري، 1974، ص33-34)⁽²⁹⁾

⁽²⁸⁾ الشيخ آ م عبد الله الإلوري/ المرجع السابق/ ص32.

⁽²⁹⁾ الشيخ آ م عبد الله الإلوري/ المرجع السابق/ ص33-34.

ثم قال العلامة الإلوري معلِّقًا على قول ابن فودي: «انظر قول ابن فودي: (وسئل شيخنا...)، لقد عزا النقل إلى المغيلي ونسب نفسه إليه كالتلميذ الذي سمع أو أخذ عن المغيلي مباشرة، مع ما بينهما من بعد العهد الذي لا يقل عن ثلاثة قرون.»

المحور الخامس: آثاره وكتبه المؤلفة.

من المحاور الأساسية التي تتجلى وتُستشَفُ منها عبقرية الإمام المغيلي في المجال السياسي والدعوي محور الأعمال والآثار والتراث والتركة العلمية والأدبية.

إنّ بقاء الأعمال وظهور الآثار وتعداد التراث والتركات والبقية من دلائل العبقرية وأمارات عظمة الشخصية وملاحم البركة والخير، وكان مما اعتدّ به الدين وأشار إليه الذكر الحكيم في عدّة آيه ومختلف سورّه وعبر عنه بأية في بعض عباراته وإعرابه.

﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُعِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا...﴾ الروم: ٥٠
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يس: ١٢

ومن المعروف في الحقيقة والواقع أنه ليس كل عالم بمعلّم، ولا كل عالم ومعلّم بمؤلف، وما كل مؤلّف بمجيد ومؤثّر ومتفوّق وممتاز في تأليفه وكتبه، فنعرف بالفعل والقوة أن للجامع بين الصفة العلمية والتعليمية وصفة الجودة والتأثير والامتياز عبقريةً بيّنة سافرة، فهذه العبقرية وصفة الجودة والامتياز هي حظّ إمامنا محمد بن عبد الكريم المغيلي في هذا المحور: محور العمل والأداء والإدلاء والآثار، سواء في المجال الدعوي التعليمي والتربوي، أو في مجال السياسة وإصلاح المجتمع والتأثير في هذه البلاد، وآثاره في هذا كثيرة بينة عند التفصيل، فليس هنا محل ذكرها وحصرها.

والمندبّر في عناوين هذه المؤلفات، والممعن في موضوعاتها وأساميها- وبالطبعفالكثبُ غالباً أو عادةً تُقرأ وتُفهم من أساميها وعناوينها- يتبيّن ويتحقّق مدى آثار الشيخ المغيلي في علوم اللغة العربية التي هي وسيلة مهمّة في فهم الدين، والفهم سلّم العمل والتطبيق، وبإمكان القارئ المندبّر تصنيفها إلى ثلاثة أصناف.

الأول: القواعد؛ أو ما يتعلّق باللغة أمثال: أ- مقدّمة في العربية ب- شرح التبيان في علم البيان في ثلاثة علوم؛ المعاني والبديع والبيان. وهذا الصنف أقلّ الصنوف الباقية.

الثاني: الدينيات أو الموادّ والموضوعات الدينيّة، وهذا الصنف إلى ثلاثة أنواع:

(١) الفقهيات والعقديات، وفيها: أ- شرح خطبة المختصر. ب- مختصرات في الفرائض.

ج- مراجعات مع الإمام السنوسي في أصول الدين. د- إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل.

هـ- حاشية على المختصر. و- الردّ على المعتزلة. ز- إفهام الأنجال أحكام الآجال

(٢) القرآنيات؛ ما يتعلّق بالقرآن الكريم، وفيها:

أ- البدر المنير في علوم التفسير. ب- تفسير سورة الفاتحة.

(٣) ما يتعلّق بالحديث وعلومه، وفيها: أ- مفتاح النظر في الحديث.

ب- أربعون حديثاً وشرحها

الثالث: ما يتعلّق بالمنطق نحو: أ- شرح الجمل في المنطق.

ب- منح الوهاب في ردّ الفكر إلى الصواب. ج- منظومته في المنطق وله عليها ثلاثة شروح. د- إمناح الأحياب من منح الوهاب. هـ- لب اللباب في ردّ الفكر إلى الصواب في المنطق.

الرابع: ما يتعلّق بالأمور الاجتماعية والسياسية والمعاملات: أ- أحكام أهل الذمة.

ب- رسالة في اليهود. ج- رسالة في الإمارة. د- تنبيه الغافلين من مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين. هـ - تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين.

و - ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام. ز - أسئلة أسكيا، وأجوبة المغيلي

المحور السادس من مظاهر عبقريته تكاثر اهتمام وعناية العلماء به وما كتب عنه

من دلائل عبقرية إمامنا المنصور الإمام محمد عبد الكريم المغيلي في السياسة والدعوة، كثرة اهتمام العلماء به ذكرًا جميلاً مرفوعًا، بآثاره وكتبه، والعناية بذكره في مؤلفاتهم وبحوثهم ومقالاتهم، من قديم العهد إلى حديثه، والاعتداد به في السياسة وإدارة الأمور والدعوة الإسلامية، علمًا بأنه إذا ذكرنا السياسة تضمن وتعني إصلاح أمور الدنيا والأمراء والرعية، وإذا ذكرنا الدعوة تضمن إصلاح أمور الدين ونشر علومه والفقه والعبادة.

فعبقريته فيهما (الدعوة والسياسة) تأثيره البالغ الظاهر فيهما في جيله وعصره ومصره، بل والأجيال والعصور التي أتت بعده، فلا يطيب الكلام عن الجزائر دون الكلام عن هذا القرم الجهبند العبقرى الذي اخترق الأفاق وجاب الفيافي والأطباق، سائرًا مؤثرًا بشخصيته وعبقريته في أجواء الصحراء وأراضي القفار من شاسعات المناطق من الجزائر ومالي وفوتا

العليا والنيجر إلى مدينة كانووكاشنه بنيجيريا، معلّمًا دينيًا وداعيًا ربّانيًا إلى الله على بصيرة بإذن الله، ومصالحًا سياسيًا مرشدًا ومستشارًا للملوك والأمراء والسلاطين، مسموع القول مرموق المقام عليّ المكان.

فطبقت شهرته الآفاق وملاّ صيته الأجواء والأطباق، حتى لا يطيب الكلام عن هذه المناطق والأقاليم في أمور الدين والسياسة دون الكلام عن الإمام المغيلي وذكر آثاره.

وكان من ملامح عبقريته في العلم والدين والمجتمع والسياسة تكاثرُ الكتّابين والباحثين عنه عبر الأعصار والأقطار، سواء في الأدوار العلمية الأهلية العادية، أو في الأدوار الجامعية الأكاديمية والحكومية الحديثة والقديمة، وكثرة العناية به والمقال عنه، في مختلف الجهات والجوانب، سواء مخصّصًا ومنفردًا أو جزئيًا ضمنياً، قديمًا وحديثًا، دلالة واضحة على عبقريته في السياسة والدعوة.

المحور السابع من مظاهر العبقرية: المناظرة.

كانت المناظرة والمجادلة مما أقرّبه الذكر الحكيم ودعا إليه كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَسَنَةِ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥

ولكنّه وجّه العباد فيها أن تكون على علم أو بالعلم والحق والهدى والأحسن، وأنّب على الذين يجادلون بغير علم أو حق أو هدًى، أو على ضلال وهوى؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ...﴾ غافر: ٥٦

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ غافر: ٣٥

وأشاد وحث على الجدل بالحق من أمثال قوله: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾ العنكبوت: ٤٦، وأحياناً عبّر عنها بالمحاجة
كما في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ... ﴾ البقرة:
٢٥٨ وقوله: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ... ﴾ [سورة الأنعام: ٨٠]،
﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ... ﴾ [سورة آل عمران: ٦١]

ومن طبيعتها كذلك الشهرة والكرامة لصاحبها، وخاصة إذا تفوق
وامتاز بالحق والظهور وتجلي عبقريته الشخصية، كما كان في شأن خليل
الله إبراهيم والذي حاجّه في ربه فهبت الذي كفر، وأبي الحسن الأشعري في
مناظرة المعتزلة، وحجّة الإسلام أبي حامد الغزالي في مناظرة الفلاسفة
والزنادقة.

إن الإمام المغيلي كان ممن نال حظاً وافراً في اتباع سنة الله وأمره لرسله
وأنبياؤه في الجدل بالتي هي أحسن على هدى وعلم وكتاب منير، فكان
نصيبه في ذلك الظهور والتفوق، وكان ذلك من دلائل عبقريته في مجال
الدعوة والسياسة والإصلاح، ويدلّ على ما ذكرنا دلالة واضحة مناظرته
الشهيرة في قضية يهود توات وأدرار وتمنيط، فناقش علماء الأمصار
المجاورة من المغرب حتى ليبيا، حتى أقنعهم بضرورة إجلائهم، فلما وافقوه
قام بتوعية أهل هذه الأقاليم لمقاومة اليهود وفسادهم فيها، فتم إجلاؤهم
منها وتطهيرها من رجسهم وظلمهم وبغيهم وأكل أموال الناس بالجبّ والمكر
والسحت والطاغوت.

ومن آثاره القلمية في سبيل ذلك كتابه؛ رسالة إلى اليهود...، وهذه
الحركة والمقاومة مشهورة لدى المؤرخين وأهل السيرة والأخبار في غرب
أفريقيا.

ومن ذلك مناظرته للإمام السيوطي في قضية تجويز علم المنطق أو
قواعد التفكير، قال العلامة الإلوري: وكان المغيلي من أكبر أنصار المنطق

وناشريه في بلاد السودان، وكان يدرّس الطلاب أرجوزته المسماة منح
الوهاب، فأنكر عليه الإمام السيوطي، وأخرج للناس مؤلفاته في تحريمه،
فكتب إليه المغيلي أبياتاً نذكر منها سلم من الضياع:

سَمِعْتُ بِأَمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ * وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أَصْلِهِ
أَيُمَكِّنُ أَنَّ الْمَرْءَ فِي الْعِلْمِ حُجَّةٌ * وَيَنْهَى عَنِ الْفُرْقَانِ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ
هَلِ الْمَنْطِقُ الْمَعْنِيُّ إِلَّا عِبَارَةٌ * عَنِ الْحَقِّ أَوْ تَحْقِيقِهِ حِينَ جَهْلِهِ
مَعَانِيهِ فِي كُلِّ الْكَلَامِ فَهَلْ أَرَى * دَلِيلًا صَحِيحًا لَا يُرَدُّ لِشَكْلِهِ
وَأَرِنِي هَذَاكَ اللَّهُ مِنْهُ قَضِيَّةٌ * عَلَى غَيْرِ هَذَا تَنْفِهَا عَنْ مَحَلِّهِ
وَدَعُ عَنْكَ مَا أَبَدَى كَفُورٌ وَدَمَهُ * رَجَالٌ وَإِنْ أَتَبَّتْ صِحَّةَ نَقْلِهِ
خُذِ الْحَقَّ حَتَّى مِنْ كَفُورٍ وَلَا تُقِمِ * دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبِ مِثْلِهِ
عَرَفْنَاهُمْ بِالْحَقِّ لَا الْعَكْسِ فَاسْتَبِنِ * بِهِ لَا بِهِمْ إِذْ هُمْ هُدَاهُ لِأَجْلِهِ
لَيْنَ صَحَّ عَنْهُمْ مَا ذَكَرْتَ فَكَمْ هُمْ * وَكَمْ عَالِمٍ بِالشَّرْعِ بَاحٍ بِفَضْلِهِ
فأجابه السيوطي:

حَمِدْتُ إِلَهَ الْعَرْشِ شُكْرًا لِفَضْلِهِ * وَأُهِدِي صَلَاةَ اللَّيْلِ وَأَهْلِهِ
عَجِبْتُ لِنَظْمٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ * أَتَانِي عَنْ حَبْرٍ أَقْرَبَ نَبْلِهِ
تَعَجَّبَ مِنِّي حِينَ أَلْفَتْ مُبْدِعًا * كِتَابًا جَمُوعًا فِيهِ جَمٌّ بِنَقْلِهِ
أَقْرَرُ فِيهِ النَّهْيَ عَنِ عِلْمِ مَنْطِقِي * وَمَا قَالَهُ مَنْ قَالَ مِنْ دَمِّ شَكْلِهِ
وَسَمَاهُ بِالْفُرْقَانِ يَا لَيْتَ لَمْ يَكُنْ * فَذَا وَصَفُ قُرْآنٍ كَرِيمٍ لِفَضْلِهِ
وَقَدْ قَالَ مُحْتَجًّا بِغَيْرِ رُويَةٍ * مَقَالًا عَجِيبًا نَائِبًا عَنْ مَحَلِّهِ
وَدَعُ عَنْكَ مَا أَبَدَى كَفُورٌ وَبَعْدَ ذَا * خُذِ الْحَقَّ حَتَّى مِنْ كَفُورٍ بِخْتَلِهِ
وَقَدْ جَاءَتْ الْأَثَارُ فِي دَمِّ مَنْ حَوَى * عَلُومَ يَهُودٍ أَوْ نَصَارَى لِأَجْلِهِ

يَجُوزُ بِهِ عِلْمًا لَدَيْهِ وَإِنَّهُ * يُعَدُّبُ تَغْذِيبًا يَلِيقُ بِفِعْلِهِ
 وَقَدْ مَنَعَ الْمُخْتَارُ فَارُوقَ صَحْبِهِ * وَقَدْ خَطَّ لَوْحًا بَعْدَ تَوْرَاةِ أَهْلِهِ
 وَكَمْ جَاءَ مِنْ نَهْيِ اتِّبَاعِ لِكَافِرٍ * وَإِنْ كَانَ ذَاكَ الْأَمْرَ حَقًّا بِأَصْلِهِ
 أَقَمْتُ دَلِيلًا بِالْحَدِيثِ وَلَمْ أَقِمُ * دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبِ مِثْلِهِ
 سَلَامٌ عَلَى هَذَا الْإِمَامِ فَكَمْ لَهُ * لَدَيَّ ثَنَاءً وَاعْتِرَافٌ بِفَضْلِهِ

ا.هـ. (العلامة آدم الإلوري، 1974، ص 23-24)⁽³⁰⁾

واستطرد العلامة الإلوري مؤيداً الإمام المغيلي ومنتصراً له في القضية
 والمناظرة قائلاً:

فالإمام السيوطي صاحب الاعتراض عن المنطق خلف ابن تيمية وابن
 الصلاح والنووي في تحريم المنطق الذي ليس إلا آلهً لصون التفكير عن
 وجوه الأخطاء، وهو ذلك الذي طمع أن يكون مجدد هذا القرن كما قال في
 أرجوزته:

وَهَذِهِ تَأْسِعةُ الْمُنِينِ قَدْ أَتَتْ * وَلَا يُخَالِفُ مَا الْهَادِي وَعَدَدَ
 وَقَدْ رَجَوْتُ أَنْبِي الْمُجَدِّدِ فِيهَا * فَفَضَّلَ اللَّهُ لَيْسَ يُجْعَدُ

فكيف يتم للسيوطي أن يكون مجددًا في القرن التاسع، وهو يحرم ما
 قد سبقه بتجويزه مجدد في القرن الخامس، وهو الإمام الغزالي الذي أتقن
 الفلسفة بسائر فروعها، ثم قسمها إلى ستة أقسام، ولم يحرم منها إلا قسم
 الإلهيات، وكفر الفلاسفة في ثلاثة من مسائلها، ولم يكفرهم في باقية، أما
 المنطق فقال: (من لا معرفة له بالمنطق فلا يوثق بعلمه) "ا.هـ. (العلامة آدم
 الإلوري، 1974، ص 24-25)⁽³¹⁾

⁽³⁰⁾ الشيخ آ م عبد الله الإلوري / المرجع السابق / ص 33-34.

⁽³¹⁾ الشيخ آ م عبد الله الإلوري / المرجع السابق / ص 24-25.

المحور الثامن: اعتراف العلماء بعبقريته.

أمّا اعتراف العلماء به من معاصريه ومن أتى بعدهم فحجّةٌ من حجج عبقريته وبرهان من براهينها ودليل من دلائلها. ولو لم يكن غير اعتراف الإمام السيوطي به، وإقراره بفضله ونبله، كما هو بين وواضح فيما سبق من قوله:

عَجِبْتُ لِنَظْمِ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهَا * تَانِي عَن حَبِيرٍ أَقْرَبَ نَبِيِّهِ
سَلَامٌ عَلَى هَذَا الْإِمَامِ فَكَمَ لَهُ * لَدَيَّ ثَنَاءٌ وَأَعْتِرَافٌ بِفَضْلِهِ

لكفى، فضلا عن أنّ كثيرا من معاصريه، ومن بعدهم أقرّوا له بالإمامة والنابغيّة والعبقرية والسبق والفضل والنبيل والنباهة، زيد كرامةً ومقامةً.

المحور الثامن: تخصيصه بعصره.

إنّ تحديد العصور الأدبية، كان مما عمل عليه علماءنا الراسخون في العلم والأدب والتاريخ، لمعرفة الأحوال الاجتماعية واللغوية ومدى تأثيرها بغيرها وغيرها، والشخصيات البارزة في مسرح ومجال التأثير والنشاط، كما يدرس ما يعترها من الضعف والقوة والتطور والانحطاط.

ولقد قسّموا العصور الأدبية العربية إلى خمسة عصور مشهورة على النحو التالي:

(1) العصر الجاهلي (2) العصر الإسلامي (3) العصر العباسي

(4) العصر التركي (5) العصر الحديث

ويلاحظ أنه ما من عصر إلا وامتاز بنوع ما من الطابع السياسي والفكري السائد فيه، ومع كون الزمان والعصر محدّداً، فإنه أعمّ وأوسع من المكان، ومع كونهما الإطارين والمحيطين، وما لا بد منه لكل كائن وموجود، فإن إطار الزمان والعصر أهم وأخطر، لذلك اختاره العلماء واهتموا به

أكثر، وكلاهما بعض البيئة والظروف التي تخلق أو تؤثر في الكائن الموجود فيها، أو التي يعمل فيها الكائن المؤثّر.

ويلاحظ كذلك أن تلك العصور الأدبية الخمسة إنما تُنسب إلى حالٍ أو قوم أو قبيلة غير واحد يُشبه اسم شخصٍ، وهو العصر العباسي الذي أسسه أبو العباس عبد الله السفاح.

لكن حظ إمامنا المغيلي لبطولته وعبقريته أن يُنسب إليه عصرٌ من العصور الأدبية في نيجيريا، مما لم يقع لأحد قبله ولا بعده، على أساس ما قسّمه العلامة الإلوري في المصباح، وهو كالاتي:

العصر الأول- العصر البرنوي أو البريري، (وهو منسوب إلى قوم أو شعب أو قبيلة)، وهو عصر ظهور الإسلام في شمال نيجيريا، ويبدأ من القرن الخامس إلى السابع الهجري.

العصر الثاني- العصر الونغري (وهو كالأول منسوب إلى قوم أو شعب أو قبيلة)، من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري، وهو عصر نهضة العلم بتمبكتو وجنى وغيرها.

العصر الثالث- العصر المغيلي، (منسوب إلى الإمام المغيلي العبقرى الدعوى والسياسي)، ويبدأ من القرن التاسع إلى الحادي عشر الهجري.

العصر الرابع- العصر الفلاني (وهو منسوب إلى قوم أو شعب أو قبيلة) ويبدأ بظهور ابن فودي وقيام دولته، إلى سقوط سلطنته، تحت أقدام الإنجليز المستعمرين.

العصر الخامس- العصر الإنجليزي، ويبدأ بسقوط سلطنة ابن فودي بأول القرن العشرين إلى الآن. 28

ثم قال العلامة الإلوري النيجيري موضّحاً السبب في نسبة العصر إلى المغيلي من العصور الأدبية النيجيرية:

عصر المغيلي: ويبدأ من القرن التاسع حتى العصر الحادي عشر الهجري، وقد نسب علماءنا هذا العصر إلى الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي استوطن مدينة كانووكاتشنه وتصدّر للتدريس بها مدة طويلة، وأخذ عنه أكابر علماءها، لأنه العالم العربي الوحيد الذي سجّل التاريخ آثاره في هذه البلاد، زار هذه البلاد من تلقاء نفسه أو بدعوة من أمراءها وعلمائها، وكلا الأمرين جائز ومحتمل، فقد استفادت البلاد منه كثيراً، وأثاره كثيرة في ميادين عديدة واضحة ملموسة بكل صغير وكبير في الحكم والسياسة والعلم والأدب.

وبديهي أن المغيلي لم يزر هذه البلاد إلا بعد ازدهار العلم بها، وقد سبقه إليها علماء من العرب المغاربة وعلماء من قبائل وانغاره منذ القرن الخامس الهجري.

ولقد تعلّم منه الكثيرون، والكثيرون من علماء هذه البلاد، واتصل بسلاطين كانو وكاشنة واكدز وتكده، ووضع لهم وصايا سياسية على القواعد الشرعية وهي محفوظة في الدوائر الحكومية ومعمول بها في الأوساط الرسمية.(العلامة آدم الإلوري، 2012، ص21)⁽³²⁾.

الخاتمة والخلاصة والتوصيات

تتجلى من جميع ما سبق من هذا المقال عبقرية شيخنا وإمامنا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي الجزائري، عبر دراسة سيرته وسلوكه وأعماله وجهاده وجهوده وأثاره واتصالاته بأساطين العلماء من عصره والأمراء والسلاطين في سفره.

وتحققنا من خلال البحوث ودراسة تاريخ حياته أنه عبقري شريف من ذريّات وسلالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، من جهة النسب

⁽³²⁾ الشيخ آ م عبد الله الإلوري/ مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية. ص21/ ط1 من مكتبة وهبة 1433هـ-2012م (بتصرف يسير).

والحسب، وأنه من سلالة وذريات إلياس المغيلي، ذلك المجاهد الذي كان جنداً من جنود الله الغالبين المنصورين الغزاة مع طارق بن زياد لفتح الأندلس ونشر الإسلام في نواحيها والمغرب الأقصى.

وتحققنا كذلك أنه مالكي المذهب الفقهي، أشعري العقيدة، أشعري سني أو سني أشعري المذهب العقدي، وأنه عبقرى صوفى ناسك وزاهد فى النظر السلوكى وقادري الطريقة فى المسلك التطوعى.

وأنه تربوى تعليمى إصلاحى جهادى النزعة مؤثر حركى مبارك، إذ له فى ذلك كله آثار شهيرة من مصنفات شعرية ونثرية ورسائل ووصايا ونصائح ومناظرات... متفوقة نافعة.

فاستحق بما وهب من العلم المبارك والمعطيات الفكرية والعمل بما علم رفع الذكر والمكان العلى فى البلاد وبين العباد.

فكان إماماً وأسوة حسنة لمن بعده فى الدعوة الإسلامية والسياسة الشرعية والخدمة الإنسانية والاجتماعية.

تحققنا بسبر الأخبار والتنقب فى مقالات الأخبار من آثار عبقريته الدعوية والسياسية للحكومات الإسلامية فى أفريقيا الغربية فى عصره وما بعده، وخاصة فى نيجر ونيجيريا، وبالأخص الدولة السنغوية الأسكياوية والإمارة الكنوية والكتشونية والدولة العثمانية الفلانية الفودية، وبُعد اتساع وانتشار الدعوة الإسلامية واللغة العربية فى هذه الأقاليم.

تحققنا بتتبع سيرته وآثاره أنه استحق أن يطلق عليه النيجيرى ويوصف به وينسب إلى وطننا نيجيريا العزيزة، نظراً لطول مكثه فيها (كانو وكاشنه وما جاورها) تصاهره بها وترك ذرياته فيها.

تحققنا أنه عبقرى من عباقرة الإسلام والعالم الإسلامى عامة والإفريقى والجزائرى والنيجيرى خاصة ومفخر من مفاخرنا، وبطل من

أبطالنا، وإذا افتخرت المشاركة بأمثال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني والغزالي والسيوطي... من الراسخين في العلم والعاملين المخلصين في الدعوة ونشر العلم الشرعي، فإن للمغاربة مفخرة أو أن يفتخروا ويتساموا بإمامنا المغيلي وأمثاله في هذه الأقاليم.

تحققنا أنه بلا شبهة ولا لبس ولا غموض ولا ريب ولا جدال جزائري الوطن والبلاد، إذا كنا في مسرح تحديد الأوطان وتمييز البلدان، على ما هو واقع العالم الحديث السياسي والاقتصادي، بعد أن قد ظلت وظل كثير من الدارسين والعلماء يظنون أنه من المغرب الأقصى.

التوصيات:

إذا كان إمامنا محمد بن عبد الكريم المغيلي عبقرًا بما ذكرنا له من الأوصاف والكرامة والجلالة بمكان رفيع مرموق، فنوصي أولي الأمر والأيدي والأبصار من الأمراء والرؤساء والعلماء في الأدوار العلمية من الجامعات والكليات والوزارات التربوية والشؤون الإسلامية بما يلي:

1. نوصي بالاهتمام والعناية بآثاره وأمثاله من سلفنا الصالحين، والعمل على حفظها وخدمتها وطبعتها ونشرها بالتحقيق والتوثيق والشرح والتفصيل... فإنها تراث الأمة والأئمة والمجتمع والدين.

2. نوصي وتهيّب برفع ذكره ودراسة سيرته وإحيائه بأمثال هذه المؤتمرات والندوات التي توتي للناس علما ومعرفة ودراسة وإحاطة وإفادة به وتركته العلمية تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلِّ سَائِرَ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يس: ١٢]

ولله در القائل:

إِزْفَعُوا ذِكْرَهُ عَلِيًّا كَبِيرًا * إِنَّمَا الذِّكْرُ رِفْعَةُ الذَّاكِرِينَ

وَإِذَا الذِّكْرُ فَاتَ نَابِعَ قَوْمٍ * فَهُوَ مَوْتُ الْبَاقِينَ لَا السَّابِقِينَ

ولله كذلك در الشيخ علي أمين سريالة الطرابلسي الليبي:

إِسْرِدْ حَدِيثَ الصَّالِحِينَ وَسَمِّهِمْ * فَيَذِكُرُهُمْ تَتَنَزَّلُ الْبَرَكَاتُ
وَإِحْضُرْ مَجَالِسَهُمْ تَنَلْ بَرَكَاتِهِمْ * وَقُبُورُهُمْ زُرْهَا إِذَا مَا مَاتُوا
لذلك لم يُقَصِّرِ الذكر الحكيم عن ذكر الأنبياء والمرسلين والصالحين،
ويقول تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ...﴾ في سورة الأنبياء، والصفات، وص، لما
لذلك من فوائد وعوائد في التوعية والتثقيف والتحرك والتنبيه والترويض
والتأديب... والإصلاح، وقد تكلم في ذلك أجلة العلماء منهم الغزالي في الإحياء:
«... وإذا تعذرت رؤيتهم ومصاحبتهم فلا شيء أنفع للنفس من سماع أحوالهم
ومطالعة أخبارهم وما كانوا عليه من الجد في العبادة...» ا. هـ.

وقال الشيخ الشاذلي المصري: ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين.

3. نوصي بتوسيع علاقات الدولة الجزائرية الخارجية مع الدول الأخرى
المجاورة وتوثيقها وتحسينها، وخاصة دول غرب أفريقيا، وعلى رأسها نيجيريا
العزيزة والتعاون معها على نشر آثار الإمام المغيلي في ربوع العالم.

4. نوصي بوضع جوائز تشريفية وأوسمة تكريمية سنوية أو موسمية
باسم الإمام المغيلي من الدولة الجزائرية ومنحها، على غرار جائزة نوبل،
وجائزة الملك فيصل، وأوسمة مصر كنانة، وغيرها...

5. نوصي بتوزيع المنح الدراسية لدول أفريقيا الناطقين بغير العربية
نشراً للعربية وخدمةً للدعوة الإسلامية والتعاليم القرآنية، ومواصلةً لجهود
السابقين العرب، كما تفعل السعودية ومصر والمغرب وغيرها من دول
الشرق التي فتحت أبوابها بمصاريعها للتعلم في جامعاتها.

وختاماً... العرفان والشكران:

لا يسعني إلا الاعتراف بمجهودات رئيس الجمهورية الجزائرية ونفقاته،
ماضياً وجارياً وآتياً، أو في الماضي والمضارع الحاضر والمستقبل، والجزائريين

واللجنة التنظيمية والتنفيذية لهذا الملتقى العلمي المغيلي، بمناسبة
المهرجان الستيني العرفاني الشكراني الذي كان من التعليم الإسلامي
والقرآن الكريم، المستفاد من أمثال قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ
مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَأَوْنِكُمْ وَأَيِّدِكُمْ
بِنَصْرِهِ ۗ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سُورَةُ الْأَنْفَالِ: ٢٦] ﴿وَذَكَرْ
فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سُورَةُ الدَّارِيَاتِ: ٥٥].

شكراً لكم على العناية، شكراً لكم على الضيافة. دامت الجزائر
محروسة آمنة مطمئنة مباركة وأختها نيجيريا العزيزة وجميع بلاد المسلمين.

الحكومة السياسية ودورها في استقرار الشعوب الإفريقية ووحدتها من خلال أجوبة الإمام المغيلي ملوك السودان أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي أنموذجا

أستاذ دكتور عبد الرحمن محمد ميغا
الجامعة الإسلامية بالنيجر

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان أهمية الحكومة السياسية في استقرار الشعوب ووحدتها في غرب إفريقيا من خلال رسائل الإمام المغيلي. وقد ركز البحث على أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي لبيان ما فيها من مبادئ الحكومة السياسية التي أسهمت في استتباب الأمن والاستقرار في المنطقة، والتي يمكن الاعتماد عليها حاليا لتحقيق الأمن والاستقرار ووحددة الشعوب في غرب إفريقيا في الوقت الراهن.

وقد خلص البحث إلى أن تحقيق الأمن والاستقرار ووحددة الشعوب في غرب إفريقيا مرهون بتطبيق مبادئ الحكومة السياسية التي نادى بها المغيلي منذ القرن العاشر الهجري.

الكلمات المفتاحية:

السودان الغربي الحكومة السياسية المغيلي، الأمن، الاستقرار، أسئلة الأسقيا

Political Governance and its Role in the Stability and Unity of African People – The Treaty of Askiya’s Questions and al-Maghīlī’s Answers as a Model

Abstract

This research aims to demonstrate the importance of political governance in stabilizing and unifying peoples in West Africa through the treaties of Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī. The research focuses on the questions of al-Asqiya and al-Maghīlī answers to demonstrate the principles of political governance that contributed to the establishment of security and stability in the region, and which can currently be relied upon to achieve security, stability and unity of peoples in West Africa. The research concluded that achieving security, stability, and unity of peoples in West Africa depends on the application of the principles of political governance advocated by al-Maghīlī since the 10th century AH.

Keywords:

West Sudan, Governance, Politics, al-Maghīlī, Security, Stability, al-Asqiya’s Questions.

مقدمة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين

أما بعد: فإن منطقة السودان الغربي من أهم المناطق الإسلامية في الغرب الإسلامي التي حظيت باهتمام المؤرخين خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين لما عرفتها من أوضاع سياسية وعلمية وثقافية واجتماعية واقتصادية؛ فاتجه نحوها مجموعة من العلماء الأجلاء الذين تركوا بصمات واضحة على الحياة العامة فيها.

ومن أبرز العلماء الذين يشار إليهم بالبنان الذين اتجهوا إلى السودان الغربي واستقروا فيها زمننا، الإمام المغيلي الذي يعد من فطاحل العلماء المالكية الذين ذاع صيتهم في أفق سماء السودان الغربي وحظي باهتمام العامة والخاصة، وتبوأ مناصب مرموقة في الحكومات التي عاصرها في السودان الغربي.

ويعدُّ الإمام المغيلي أيضا من العلماء البارزين الذين سعوا إلى نصح حكام السودان الغربي وإرشادهم إلى إدارة دولهم بحكم رشيد لتحقيق الاستقرار والوحدة، من خلال كتاباته ورسائله.

فمن هو الإمام المغيلي؟ وما دور رسائله في تحقيق الحوكمة السياسية واستقرار الشعوب في المنطقة؟ وقد أجبنا عن هذه الأسئلة أو التساؤلات من خلال تمهيد ومبحثين وخاتمة.

ففي التمهيد تحدثنا عن السودان الغربي والإمام المغيلي والسلطان الحاج أسكيا محمد الكبير.

أما المبحث الأول فذكرنا فيه تعريف الحوكمة السياسية وأهميتها ومبادئها

وفي المبحث الثاني تكلمنا عن دور الحوكمة السياسية في استقرار الشعوب ووحدتها من خلال أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي.

وفي الخاتمة دوننا أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال جولتنا في الموضوع.

تمهيد:

أولا- تحديد منطقة السودان الغربي:

قبل الحديث عن الحوكمة السياسية ودورها في استقرار الشعوب الإفريقية في السودان الغربي، فلا بد من توضيح أو تحديد منطقة السودان الغربي جغرافيا.

إن السودان الغربي هي المنطقة الواقعة في ما وراء الصحراء الكبرى أو ما يسمى الآن بغرب إفريقيا، ويطلق عليها المؤرخون العرب أحيانا بلاد السودان، وتارة يطلقون عليها بلاد التكرور. وهي منطقة مشهورة جدا عند الجغرافيين والمؤرخين العرب المسلمين.(ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب: تحقيق عبد المنعم عامر لجنة البيان العربي – المنيرة طبعة 1961 ص: 245 / البلاذري أبو الحسن : فتوح البلدان، مصر مطبعة السعادة طبعة 1959 ص:233/ المسعودي أبو الحسن: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغائر بالماء والعمران مصر مطبعة عبد المجيد الحنفي الطبعة الأولى 1357 ص: 65/ الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مصر – بور سعيد مكتبة الثقافة الدينية، بدون ج 1 ص: 17 وما بعدها/ البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، بغداد مكتبة المثنى، بدون ص: 163 / ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة بيروت، دار التراث طبعة 1388/1968 ص: 658 وما بعدها)

على أن بلاد السودان أشمل بكثير من بلاد التكرور؛ لأن هذه الأخيرة ما هي إلا جزيء من بلاد السودان، وهي المنطقة المعروفة بقُوتًا طُورُ الموجودة في جمهورية السنغال حاليا.

ولعل المؤرخين والجغرافيين المسلمين هم أول من أطلق كلمة السودان على الشعوب السوداء التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى ليعينوا الحد الفاصل بين المناطق التي يسكنها السود والمناطق التي يسكنها البيض.

وهكذا يظهر أن كلمة السودان مستوحاة من لون بشرة الأقوام التي تسكن المنطقة.(زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الاسكين، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بدون ص: 15-16/ بكيير بحاز : الدولة الرستمية (160-296 دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية) الجزائر الطبعة الأولى 1985 مطبعة لافوميك ص: 206/ الشكري أحمد: الإسلام والمجتمع السوداني: امبراطورية مالي (1230-1430) أبو ظبي- الإمارات منشورات المجمع الثقافي 1420/1999 ص:68-75)

ومنطقة السودان منطقة واسعة جدا، ولهذا قسمت إلى السودان الشرقي والسودان الأوسط والسودان الغربي أو غرب إفريقيا، وهي المنطقة التي تهمننا في هذا البحث وتشمل عدة دول كوّنها الاستعمار في العصر الحديث كمالي والنيجر وبوركينا فاسو والسنغال وغيرها من دول المستعمرات الانجليزية والفرنسية في غرب إفريقيا.

ثانيا-أهم الدول التي عاصرها المغيلي في السودان الغربي

عرف السودان الغربي ما بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين أحداثا سياسية مهمة وخطيرة وهي قيام عدة حكومات تتمثل في إمبراطوريات وممالك إسلامية، حكمت المنطقة، وأهم الامبراطوريات التي تهمننا هي:

*- إمبراطورية سنغاي

1.مرحلة التأسيس:

تعد إمبراطورية سنغاي من أقدم الإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا، إذ يذكر بعض المؤرخين أنها نشأت منذ القرن السابع الميلادي حول

مدينة كوكيا، ثم تحولت العاصمة إلى مدينة غاو عام 1009م في عهد أسرة ضياء، وهي إحدى الأسر التي حكمت دولة سنغاي. أخذت تظهر على الساحة السياسية كدولة صغيرة حتى في عهد علي كولن الذي استطاع أن يجعل دولة سنغاي دولة مستقلة عن إمبراطورية مالي. لكن المؤسس الحقيقي لهذه الإمبراطورية هو سني علي بير (Soni Ali Ber) الذي يرجع إليه الفضل في تحويل دولة سنغاي إلى إمبراطورية إسلامية قوية تقوم على أنقاض إمبراطورية مالي. وقد استطاع سني علي بير أن يوسع حدود دولته على حساب الدول والقبائل المجاورة، وأن يخرجها من طور التقرم والخضوع إلى طور القوة والسيادة، بسبب قوته وشجاعته ودهائه ومكره وحنكته السياسية، وانتصاراته الباهرة، حتى إن محمود كعت ذكر أنه لم ينهزم قط رغم كثرة حروبه. (كعت محمود: تاريخ الفتاش باريز طبعة 1981 ص: 43)

2. مرحلة الازدهار.

بدأت إمبراطورية سنغاي تتقدم نحو المجد طيلة فترة سُني علي بير (1464-1492) الذي وسع حدود الإمبراطورية؛ فأخذت تزدهر يوماً بعد يوم إلى أن توفي سُني علي بير عام 1492م. ثم أخذ زمام الحكم أحد ضباطه الذي يدعى أسكيا محمد، وقد استطاع هذا الرجل بذكائه وحنكته السياسية وعدله أن يضيف لبنات جديدة على صرح الإمبراطورية، وبلغت في عهده ذروة مجدها قوة واتساعاً ورخاء وأمناً وعلماً. (زيادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ص: 44 وما بعدها/فاي منصور: أسكيا الحاج وإحياء دولة السنغهاي، لبيبا طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية الطبعة الأولى 1997 ص: 154 وما بعدها)

وهكذا سيطرت إمبراطورية سنغاي على غرب إفريقيا خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وطيلة القرن السادس عشر الميلادي وازدهرت ازدهاراً كبيراً، فعم العدل والأمن والرخاء في كافة أرجائها

وطبقت شهرتها الآفاق وذاع صيتها شرقا وغربا وجنوبا وشمالا واتجه إليها العلماء من كل حذب وصوب.

3. مرحلة الضعف والسقوط.

في الوقت الذي كانت مساحة الإمبراطورية تتسع بشكل مذهل وأضحت في حاجة ماسة إلى حكومة قوية وخلفاء أشداء وحكماء، تولى مقاليد الحكم خلفاء ضعاف انصرفوا عن شؤون الحكم وتوجهوا نحو المجون واللهو، وانغمسوا في الملذات واستهتروا بالقيم الروحية والتقاليد الاجتماعية؛ فبدأ الضعف ينخر في أركان الدولة وبدأت الصراعات بين الأمراء؛ فكثرت الفتن والثورات في الإمبراطورية، الأمر الذي أدى إلى إنهاك خزينة الدولة، ناهيك عن الفساد الذي استشرى في جسم الإمبراطورية حتى إن السعدي قال: "ولما فسد أمر سغي وشتت الله شملهم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون بتضييع حقوق الله وظلم العباد والتكبر وشموخ الأنف وكان بلد كاغ في أيام إسحاق في غاية الفسق وإظهار الكبائر والمنكرات، وفشو القاذورات حتى اتخذوا للزناة رئيسا ووضعوا له طبلا ويتحاكمون فيها وغير ذلك مما يعيب به ذاكر والمحدث به ذو المروءات فإنا لله وإنا إليه راجعون". (كعت محمود : تاريخ الفتاش ص: 152/ السعدي عبد الرحمن : تاريخ السودان، باريز طبعة 1981 ص: 144)

ولا شك أن كل هذه العوامل هي التي أدت إلى إضعاف الدولة ماديا ومعنويا مما سهل للمغاربة القضاء عليها بكل سهولة سنة 1591م بدون مقاومة تذكر، بقيادة جودر باشا.

وهكذا سقطت أكبر الإمبراطوريات الإسلامية وآخرها في غرب إفريقيا. (للمزيد يراجع: السعدي عبد الرحمن : تاريخ السودان / كعت محمود: تاريخ الفتاش / زبادية عبد القادر : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين / زيادة نقولا إفريقيايات، لندن رياض الرايس للكتب والنشر، الطبعة الأولى

1991 ص:357 وما بعدها / عوض الله الشيخ الأمين : العلاقة بين المغرب والسودان الغربي في عهد السلطنتين: مالي وسنغي، جدة - السعودية منشورات دار المجمع العلمي، الطبعة الأولى 1979/1398 ص:65 وما بعدها)

ثالثا- نبذة يسيرة عن الإمام المغيلي: المتوفى سنة 909 هـ.

هو الإمام العلامة الفهامة القدوة الصالح فريد دهره ووحد عصره خاتمة المحققين أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي المالكي التلمساني السوداني.

وهو أحد أبرز علماء تلمسان القلائل الذين جمعوا بين الوعي العلمي والوعي السياسي والإصلاحي فكان علامة فقيها مشاركا ورحالة نبها.

عاش فترة صباه بمدينة تلمسان وبدأ دراسته فيها فحفظ القرآن في سن مبكرة على يد شيخه محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي، كما درس على يديه بعض الكتب الفقهية المالكية الشهيرة كالمدونة ومختصر خليل والرسالة وغيرها من الكتب الفقهية واللغوية والأصولية والحديثية.

وبعد برهة من الزمن اتجه صوب مدينة بجاية حاضرة العلم والعلماء فدرس على علماءها التفسير والحديث والفقه المالكي وأصوله وعلوم اللغة العربية وغيرها.

ثم انتقل إمامنا المغيلي-رحمه الله- إلى الجزائر للاستزادة وإشباع نهمه العلمي فالتقى بالشيخ العلامة عبد الرحمن الثعالبي فإلزمه وأخذ عنه عدة علوم وتأثر به تأثرا كبيرا. وبعد فترة من ملازمة الشيخ الثعالبي رحل إلى مدينة تلمسان وجلس فيها للتدريس والإقراء فأخذ عنه خلق كثير.

وبعد مضي مدة من الزمن انتقل إمامنا المغيلي من تلمسان إلى القصور التواتية، ومنها إلى السودان الغربي الذي وجد فيه ترحيبا كبيرا ومكانة

مرموقة لدى العامة والخاصة فأصبح يستشيريه السلاطين والأمراء في أغلب ما يجري من أمور الدولة وغيرها.

ويعتبر الإمام المغيلي من أبرز علماء المغرب الأوسط الذين ظهوروا مع النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، فهو من قبيلة عريقة اشتهرت بتوارث العلم، وبكثرة علمائها.

وهو أيضا أحد العلماء المشهورين الذين ذاع صيتهم في أفق سماء العلم، وله مشاركة كبيرة في تفعيل الحياة السياسية والثقافية بمدينة توات وبعض الإمارات والإمبراطوريات في السودان الغربي.

حظي بمنزلة عالية بين معاصريه عند العامة والخاصة، من العلماء والسلاطين، فجمع بين الفهم العميق للقرآن الكريم والعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين فصاحة اللسان وجسارة القلب العامر بالإيمان.

عاش طوال حياته في نشر العقيدة الإسلامية وإصلاح المعتقدات والعادات الفاسدة، وتعليم اللغة العربية ونشر الفقه المالكي والطريقة القادرية في التصوف، وتكوين الأجيال إلى أن وافته المنية بقصر بوعلي بتوات سنة 909 هجرية.(راجع:التنبكي أحمد بابا: نيل الابتهاج، إشراف وتقديم عبد الحميد الهرامة، ليبيا منشورات كلية الدعوة الإسلامية الطبعة الأولى 1989 ص: 576-579/ شبابي ياسين : الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي التلمساني ودعوته الإصلاحية بتوات وبلاد السودان الغربي، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران – الجزائر، 2006-2007 ص: 21-35/ مقدم مبروك : الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية: منشورات دار الغرب للنشر والتوزيع بدونص: 27-30/ حاج أحمد نور الدين : المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء

والعلماء قسم أصول الدين، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية،
جامعة الحاج الخضر بياتنة- الجزائر، 2010-2011 ص: 26-35)

رابعا- أسكيا الحاج محمد الكبير سلطان أمبراطورية سنغايعام: 898
- 935هـ/1493 1528م

هو أمير المؤمنين وسلطان المسلمين في بلاد التكرور، أبو عبد الله أسكيا
محمد بن أبو بكر. وصل إلى الحكم بعد وفاة سني علي بير إثر انقلاب
عسكري في زمن بكر داغبن سني علي بير، وذلك سنة 898 هجرية.

فأول ما قام به هو تنظيم الدولة تنظيما محكما لم يسبق له مثيل في
السودان الغربي إداريا وعسكريا وثقافيا. وأقام الدولة على سنن الشريعة
الإسلامية وقواعدها، معتمدا على العلماء والفقهاء في إدارتها، وأنشأ أول مرة
ما يمكن تسميته "الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية لتحقيق الأمن
والعدل بين رعاياه". (دالنجيرة محمد عبد الله "العلاقات السياسية بين
المغرب الأقصى و امبراطورية سنغاي غرب إفريقيا في القرن العاشر، السادس
عشر الميلادي" مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، العدد
الأول 1401/1406 هـ السنة الأولى، ص: 630).

وفي هذا يقول المؤرخ السوداني عبد الرحمن السعدي: «... واجتهد بإقامة
ملة الإسلام وإصلاح أمور الأنام، وصاحب العلماء، واستفتاهم فيما يلزمه
من أمر الحل والعقد...» (السعدي: تاريخ السودان ص: 72)

أمّا محمود كعت، وهو معاصر أسكيا محمد ومستشاره فقد نوه بحكم
أسكيا محمد الكبير وشخصيته فقال: «... وله من المناقب وحسن السياسة
والرفق بالرعية والتلطف بالمساكين مالا يحصى...». (كعت محمود: تاريخ
الفتاش ص: 59)

وبعد أن ثبت أركان الدولة ووضع الأمور في نصابها توجه إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج.

ولما انتهى من مناسك الحج قفل إلى بلده. ثم بدأ في توسيع رقعة دولته بالغزوات والجهاد ضد الوثنيين والمتنبيين، مستفتيا العلماء في كل ما يقوم به من تسيير الدولة.

وقد وصلت الدولة في عهده قمة في الاتساع والقوة والثراء والازدهار، والتقدم سياسيا واقتصاديا وثقافيا وعسكريا؛ فسيطرت بذلك على جل مناطق السودان الغربي. ومع اتساع رقعة مملكته فإنه استطاع أن يسيرها بحكمة وحزم وعدل؛ مما جعل الخير يعم البلاد... (السعدي: تاريخ السودان ص: 142)

وبالإضافة إلى عدله وحسن سياسته، اشتهر بمحبة العلم وأهله والسير على السنة؛ ولذا كانت له علاقة وطيدة مع علماء عصره مثل الشيخ الإمام عبد الكريم المغيلي، الذي طلب منه أسكيا محمد الكبير أن يكتب له كتابا في السياسة الشرعية؛ فكتب له رسالة أو كتيباً عنون له بـ أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، وهو الكتاب الذي يهمننا في هذا البحث.

كما كانت له علاقة طيبة مع جلال الدين السيوطي الذي استفتاه أسكيا محمد الكبير في مسائل كثيرة لما التقى به في مصر أثناء رجوعه من الحج.

مكث أسكيا محمد في الحكم نيفا وثلاثين سنة حتى كف بصره في نهاية عمره؛ فتجراً أحد أبنائه على عزله عن الحكم، وبقي مكفوف البصر إلى أن توفي سنة 944 هجرية بعدما عاش قرابة 97 سنة. (السعدي: تاريخ السودان ص: 81.71 / كعت محمود: تاريخ الفتاش، ص: 78.59 / زيادية عبد القادر: مملكة صنغاي في عهد الأسقيين، ص: 41.31 / ميكا أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية والثقافة والإصلاحية في السودان الغربي من 1100-1400

هجرية، الطبعة الأولى 1997/1417 مكتبة التوبة-الرياض-السعودية ص:
98-89 / فاي منصور : أسكيا الحاج وإحياء دولة السنغهاي الإسلامية
ص:50 وما بعدها / قداح نعيم: إفريقيا في ظل الإسلام، منشورات وزارة
الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1961، ص: 70.73)

المبحث الأول: تعريف الحوكمة السياسية وأهميتها ومبادئها.

أولاً- تعريف الحوكمة السياسية.

لتعريف الحوكمة السياسية فلا بد من تعريف الحوكمة ثم السياسة؛
ولهذا سنشرع في تعريف الحوكمة قبل تعريف السياسة.

إنّ مفهوم مصطلح الحوكمة بمعناها الحديث يستخدم في مجال إدارة
الشركات والمؤسسات الكبرى فيما عرف بالتحديد بحوكمة الشركات.

وهي مصطلح سياسي له أبعاد اقتصادية واجتماعية محددة، ولا يوجد
له تعريف قانوني متفق عليه يمكن أن يشكل قاعدة واضحة للتفاوض
الدولي والفهم المشترك، ومع ذلك يعتبر هذا المصطلح من أكثر المصطلحات
استخداماً في السياسة الدولية، وفي أدبيات المؤسسات الدولية التي تقوم
بدور مهم في صياغة التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على
المستوى الدولي: مثل البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي ومنظمة التعاون
الاقتصادي والتنمية وغيرها.

ونظراً إلى عدم وجود فهم مشترك للمصطلح فقد وضعت كل مؤسسة
تعريفًا خاصًا للحوكمة تبعاً لاهتماماتها وحاجاتها وقيمها وأهدافها. (توق
محي الدين شعبان: الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد منظور اتفاقية
الأمم المتحدة لمكافحة الفساد : الطبعة الأولى 2014 دار الشروق للنشر
والتوزيع عمان-الأردن ص: 38-44)

فمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية عرفت الحوكمة بأنها: « استخدام السلطة السياسية وتفعيل آليات الرقابة والتسيير الجيد للموارد العامة بهدف تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية...» (بوريش رياض وخولة عبد اللاوي: حوكمة السياسة الاقتصادية كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة في الجزائر، المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد الخامس العدد الأول. (جوان 2021) ص: 112)

وعلى العموم يمكن القول بأن الحوكمة هي الطريقة الرشيدة التي يدار بها كيان اجتماعي ما سواء كان هذا الكيان دولة أو بلدية أو شركة أو مؤسسة أو جمعية. (توق محي الدين شعبان: الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد منظور اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد : الطبعة الأولى 2014 دار الشروق للنشر والتوزيع عمان- الأردن ص: 45)

*- تعريف السياسة:

السياسة في اللغة من (سوس) يقال ساس الأمر سياسة أي قام به... وسُنْتُ الرعية سياسةً وسُوسَ الرجلُ أمورَ الناسِ على ما لم يُسَمَّ فاعله إذا مُلِكَ أمرهم... والسياسةُ القيامُ على الشيء بما يُصْلِحُه، والسياسةُ فعل السائس يقال هو يَسُوسُ الدوابَّ إذا قام عليها وراضها والوالي يَسُوسُ رَعِيَّتَه..(ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي : لسان العرب : الطبعة الأولى دار صادر بيروت. ج6 ص: 107/- العيد سليمان بن قاسم : النظام السياسي في الإسلام : الرياض، دار الوطن للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1422 ص: 5)

أما السياسة اصطلاحاً فقد عرفها أبو البقاء الكفوي بقوله: « استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والأجل... وتديبر المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة. » (-الكفوي أبو البقاء أيوب موسى : الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : تحقيق عدنان درويش الناشر مؤسسة الرسالة بيروت. بدون ص: 510 / - عمارة محمد:

الإسلام والسياسة : القاهرة، مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولى 2008، ص: 33) وعرفها الشيخ عبد الوهاب خلاف بقوله: "فالسياسة الشرعية هي تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ورفع المضار، مما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية وإن لم يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين." (- خلاف عبد الوهاب: السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، القاهرة المطبعة السلفية طبعة 1350 ص: 14)

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول إن الحوكمة السياسية أو الحكم الراشد هي السياسة الشرعية بعينها وهي ممارسة السلطة السياسية لإدارة شؤون الدولة بمنهج سليم وحكيم.

ثانياً- أهمية الحوكمة السياسية:

إنّ الحوكمة السياسية التي تعني أسلوب ممارسة سلطات الإدارة الرشيدة تشمل عمليات صناعة القرار وتنفيذ سياسات الدولة، كما تشمل كيفية اختيار الحكومات بشقيها التنفيذي والتشريعي ومراقبة أفعالها وتغييرها إن لزم الأمر. (توق محي الدين شعبان: الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد منظور اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد: ص: 56)

وهي أحد العوامل التي تحدد شرعية السلطة الحاكمة، وأساس الأمن والاستقرار في المجتمع على المدى البعيد، وهي عامل حاسم في تدعيم العدالة الاجتماعية والقضاء على الفقر، ومحاربة الفساد وتدعيم أسس النزاهة. (توق محي الدين شعبان: الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد منظور اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد: ص: 38)

ثالثاً- أهداف الحوكمة السياسية:

إن الحوكمة السياسية بمفهومها الحديث هي نتاج الحضارة الغربية إلا أن بعض أسسه توجد في قيم وحضارات وثقافات أخرى وإن كانت بشكل

مغاير والتي تتمثل في تحريم الظلم وإحقاق العدل وتعظيم حسن الأداء وتنظيم العمل. وتهدف الحوكمة السياسية إلى عدة من أمور منها:

تحقيق الانسجام والعدالة الاجتماعية بين كافة أفراد المجتمع، سيادة الشرعية داخل المجتمع وتحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، تقليل الغش والتصرفات غير المقبولة وتحقيق الشفافية والعدالة ومنح الحق في مساءلة إدارة المؤسسة للجهات المعنية. (يراجع: الدكتور محمود عباينة: الحوكمة الرشيدة في النظام السياسي الإسلامي منشورة في مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية والعربية العدد العاشر ربيع الأول 1436 / فبراير 2015 ص: 40)

رابعاً- مبادئ الحوكمة السياسية:

إنّ الحوكمة السياسية الرشيدة تعتمد على مجموعة من المبادئ لتحقيق أهدافها، ومن هذه المبادئ ما يأتي:

المشاركة أو المساهمة، والمساءلة والشفافية وحكم القانون والأمن الإنساني وتوافق الآراء وفعالية الحكومة وكفاءتها... (توق معي الدين شعبان: الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد منظور اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، ص: 75-77/ بسام عبد الله البسام : الحوكمة في القطاع العام :، الرياض، منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية، طبعة 1438 ص: 16/ بوريش رياض وسامية بابوري : الإصلاح السياسي والحوكمة الرشيدة : دراسة في العلاقة والمضامين، دفا تر السياسة والقانون، العدد 19 جوان 2018 ص: 283-284)

وصفوة القول في هذا المبحث: إنّ الحوكمة السياسية هي عملية اتخاذ القرار لصياغة السياسات بعدل واستقامة. وتتجلى أهميتها في أنها أحد عوامل شرعية السلطة الحاكمة وأساس الأمن والاستقرار في المجتمع والقضاء على الفقر، وأن الحوكمة مبنية على مبادئ منها: المشاركة

والمساءلة وحكم القانون والشفافية ومحاربة الفساد وغيرها، وأن الحصول على نظام سياسي وإداري ذي كفاءة عالية في إدارة شؤون الدولة مرهون بتطبيق هذه المبادئ.

المبحث الثاني: دور الحوكمة السياسية في استقرار الشعوب الإفريقية ووحدها من خلال أجوبة المغيلي.

إنّ الحوكمة التي تعني أسلوب ممارسة سلطات الإدارة الرشيدة ينظر إليها في المنظور الإسلامي من خلال العمل الإداري في الإسلام، له مقوماته العقائدية القائمة على العقيدة الإسلامية تضع لها قيودا ومحددات، وترسم لها طريقا يحكم سلوك القائد الإداري، والأفراد العاملين في الإدارة، سواء في علاقة بعضهم ببعض أو علاقاتهم مع المجتمع المحيط بهم.

والحوكمة السياسية في المنظور الإسلامي مبنية على مجموعة من القيم والمبادئ التي تحقق المصالح العامة وتضمن الأمن والاستقرار للشعوب الإفريقية وغيرها من شعوب العالم إن تم تطبيق تلك القيم والمبادئ.

ويعتبر الإمام المغيلي المالكي التلمساني السوداني، من أكبر العلماء الذين حثوا المجتمع السوداني على ممارسة الحوكمة السياسية الرشيدة من أجل تحقيق الاستقرار والأمن والوحدة بين شعوب المنطقة. وتتجسد نصابه المتعلقة بتطبيق الحوكمة السياسية الرشيدة في المنظور الإسلامي من مراسلاته وأجوبته لبعض ملوك وحكام السودان الغربي الذين عاصروهم. ونحن سنكتفي بما جرى بينه وبين الحاج أسكيا محمد الكبير سلطان دولة سنغاي في عصره، والذي بعنوان: أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي.

فما مضمون هذه الوثيقة؟ وأين تتجلى الحوكمة السياسية فيها؟ وكيف يحقق تطبيقها الأمن والاستقرار والرخاء ووحدة الشعوب في منطقة السودان الغربي التي تعيش في الوقت الراهن حالة الفوضى وانعدام الأمن جراء سوء الإدارة أو الفساد الإداري؟

أولا- أهمية أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي:

إن أهمية أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي تتمثل في:

إنها تبين مدى ارتباط حكام سنغاي بالإسلام في نظام الحكم، وأنها الوثيقة الإسلامية المباشرة التي وصلت إلينا من سلاطين سنغاي، كما أنها تلقي الضوء عن حقيقة الوضع الديني والاجتماعي والسياسي في إمبراطورية سنغاي الإسلامية إبان حكم الأسكيين، وتوضح أيضا حرص السلطان أسكيا محمد الكبير على تطبيق الشريعة الإسلامية في دولته في جميع مناحي الحياة.

وتظهر أهمية هذه الوثيقة أيضا في إبراز الدور الذي قام به علماء المغاربة بصفة عامة والإمام المغيلي بصفة خاصة من الإصلاح وخدمة الدين في المنطقة ومساهماتهم الفعالة في إرساء قواعد الحكم على أسس الشريعة الإسلامية. (المغيلي محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: تحقيق عبد القادر زبادية، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص: 17-19 / ميكا أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية والثقافة والإصلاحية في السودان الغربي من 1100-1400 هجرية، الرياض، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى 1997/1417 ص: 135-139)

ثانيا- مضمون أجوبة المغيلي لأسئلة السلطان أسكيا الحاج محمد الكبير:

1-السلطان راع لا مالك وكل راع مسؤول عن رعيته:

استهل الإمام المغيلي حديثه ببيان منصب السلطان للحاج أسكيا محمد الكبير فذكر له أن السلطة مسؤولية أو تكليف وليست تشريفا وعليه أن يعلم أن هذا المنصب الذي يتبوأه مسؤولية وسيسأل عن هذه المسؤولية يوم القيامة واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم : «أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ

مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...»
(صحيح مسلم ج 12 ص: 209 حديث رقم : 4828 باب فضيلة الإمام العادل
وعقوبة الجائر)

يقول رحمه الله في بيان هذا الأمر: «فاعلم أعاننا الله وإياك أن الملك
كله لله وما النصر إلا من الله فكن لله عبدا بطاعته يكن لك ربا بحفظه
وإعانتة إنما أنت مملوك لا تملك شيئا وقد رفعت مولاك على كثير من عباده
لتصلح لهم دينهم وديناهم لا لتكون سيدهم ومولاهم وأنت في جميع مملكتك
راع لا مالك وكل راع مسؤول عن رعيته...» (الطبراني : المعجم الأوسط ج 7
ص: 26 حديث رقم: 6747 / المغيلي محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا
وأجوبة المغيلي: ص: 23-24 / ميكا أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية
والثقافة والإصلاحية في السودان الغربي ص: 140)

فالأخذ بهذه الوصية يجعل السلطان يتواضع ولا يستبد، ويعرف قدره
ومسؤوليته ويقف عند حده ولا يتجاوز حدود ما رسمه الله له، الأمر الذي
يؤدي إلى الاستقرار والأمن، والتفاهم والوحدة بين أفراد المجتمع.

ولا شك أن رؤساء دول غرب إفريقيا لو أخذوا بهذا المبدأ لأدى الأمر إلى
سيادة الأمن والاستقرار؛ لأن الرئيس الذي يعتبر نفسه راعيا لا مالكا، فهو لا
يستبد برأيه بل يستشير أعوانه ويستمع إليهم ويسعى دائما لتحقيق مصالح
الناس ودرء المفسد عنهم.

2- العدل في الحكم: إن من أهم المبادئ في تسيير الدول العدالة في
الحكم. والعدل في اللغة خلاف الجور. وفي الاصطلاح هو الحكم بين الناس
بالحق الموافق للشرع، وعدم الجور أو الميل في الحكم بسبب الهوى أو نحوه.
(العيد سليمان بن قاسم : النظام السياسي في الإسلام :الرياض، دار الوطن
للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1422 ص: 200)

وقد أجمعت الأمة على وجوب العدل في الحكم لورود نصوص صريحة من الكتاب والسنة تؤكد على وجوبها وتحث على تطبيقه في كافة المجالات منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ..﴾ (سورة النساء اية رقم: 58) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (سورة النحل اية رقم: 90) ومن الأحاديث الواردة قوله صلى الله عليه وسلم: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ...» (صحيح البخاري ج 22 ص: 337 حديث رقم: 6806 باب فضل من ترك الفواحش)

ولا شك أن هذه النصوص وغيرها التي لم نسردها خوف الإطالة تؤكد جميعا على أنه يجب على الإمام أو الحاكم أن يعدل في حكمه إذا أراد الأمن والاستقرار والرخاء والسعادة لبلده.

والعدالة أنواع منها العدالة القانونية وأساسها المساواة في التطبيق. والعدالة الاجتماعية وأساسها محو التفرقة بين الطبقات، والعدالة الدولية وأساسها المعاملة بالمثل والدعوة إلى السلم، والعدالة المدنية وأساسها الأخذ والعطاء أو تبادل المصالح المرضية للأطراف المعنية.

ويجب على السلطة السياسية تطبيق النظام العام الشرعي بالعدل، كما يجب عليه أن يحمل الناس عليه حملا قد يكون قسريا إذا دعت الحاجة؛ لأن النظام العام يتطلب ذلك، ولأن السلطة السياسية ستكتسب بدورها ريادة سياسية عن طريق إحلال العدل في ربوع دولتها وتمكين الله لها في الأرض وحمائتها من الظالمين والمتربصين وحصول النصرة الإلهية. (العيني عبد الله بن سهل بن ماضي: النظام العام للدولة المسلمة، الرياض، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2009 ص: 515-516) يقول ابن تيمية رحمه الله: «وَأُمُورُ النَّاسِ تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي فِيهِ الْإِسْتِرَاكُ فِي أَنْوَاعِ الْإِثْمِ : أَكْثَرُ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْمِ فِي الْحُقُوقِ وَإِنْ لَمْ

تَشْتَرِكُ فِي إِثْمٍ ؛ وَلِهَذَا قِيلَ : إِنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً ؛ وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً. وَيُقَالُ : الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكَفْرِ وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِسْلَامِ (...) وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ نِظَامٌ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَإِذَا أُقِيمَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِعَدْلِ قَامَتْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهَا فِي الْأَخْرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمَتَى لَمْ تَقُمْ بِعَدْلِ لَمْ تَقُمْ وَإِنْ كَانَ لِصَاحِبِهَا مِنَ الْإِيمَانِ مَا يُجْزَى بِهِ فِي الْأَخْرَةِ» (ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم: مجموع الفتاوى:، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م ج28: 146)

وغياب العدالة في الحوكمة السياسية في بعض دول غرب إفريقيا أدى إلى ضعف السلطة وانهارها فظهرت حركات انفصالية في كثير منها، الأمر الذي أدى إلى مجيء حركات إرهابية إليها زعت الرعب والخوف في المجتمع فكثرت النهب والسلب والقتل فساد انعدام الأمن والاستقرار في كثير من أرجاء دول غرب إفريقيا.

وفي هذا يستدل المغيلي بقوله صلى الله عليه وسلم في بيان خطورة الإمارة: "أولها ملامة وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل..." (المغيلي محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: تحقيق عبد القادر زبادية ص: 23-24 / السيوطي : الجامع الصغير من حديث البشير النذير ج 1 ص: 229 حديث رقم: 2666)

ولله در المؤرخ الشهير العلامة ابن خلدون إذ يقول في بيان عواقب الظلم على المجتمع: «اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، لما يروونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهاها من أيديهم وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقضت أيديهم عن السعي في ذلك. وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في

الاكتساب، (...) ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكة من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم أعم من ذلك. وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه (...). ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهابه الآمال من أهله...» (ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان الخبر والمبتدأ في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. لبنان - بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى 2003 ص:272-274)

ولعمري فإنّ ما قاله ابن خلدون ينطبق على كثير من دول السودان الغربي فما يحدث الآن لشعوب إفريقيا في بعض دول غرب إفريقيا ظلم ما بعده ظلم من انتهاك حرمان الشعوب وتسخيرهم وأخذ أموالهم بغير حق دون خوف ولا خجل؛ الأمر الذي أدى إلى اندلاع فتن في السودان الغربي فذهب بالأخضر واليابس فكثرت اللاجئون في كل أنحاء إفريقيا باحثين عن الأمن والاستقرار.

ولا شك في أنّ انعدام الأمن والاستقرار في منطقة السودان الغربي ناتج عن ظلم المسؤولين للرعايا ولو أنهم حكموا بالعدل لما كان هناك حركات تمرد وثورية انفصالية في بعض أرجاء المنطقة، ولما كثر السلب والنهب والقتل، بل لساد الأمن والاستقرار والرفاهية في كافة أرجاء السودان الغربي. ويقول الماوردي تأكيداً لأهمية العدل في الأمن والاستقرار والرخاء : "وَأَمَّا الْقَاعِدَةُ الثَّلَاثَةُ : فَهِيَ عَدْلٌ شَامِلٌ يَدْعُو إِلَى الْأُلْفَةِ، وَيَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَتَتَعَمَّرُ بِهِ الْبِلَادُ، وَتَنُمُّو بِهِ الْأَمْوَالُ، وَيَكْتُمُرُ مَعَهُ النَّسْلُ، وَيَأْمَنُ بِهِ السُّلْطَانُ، (...) وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فِي خَرَابِ الْأَرْضِ وَلَا أَفْسَدَ لِضَمَائِرِ الْخَلْقِ مِنَ الْجَوْرِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَقِفُ عَلَى حَدٍّ وَلَا يَنْتَهِي إِلَى غَايَةٍ، وَلِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ قِسْطٌ مِنَ الْفَسَادِ

حَتَّى يَسْتَكْمِلَ". (الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، أدب الدين والدنيا كتاب في المكتبة الشاملة ص: 170)

3-وجوب حفظ الدين: إن من واجبات السلطان حفظ الدين الذي يعتبر من الضروريات الخمس التي اتفقت جميع الملل على حفظه، (الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد : الأحكام السلطانية تحقيق أحمد جاد، القاهرة، مطبعة دار الحديث طبعة 1427/2006 ص: 62/ الشاطبي أبو إسحاق : الموافقات في أصول الشريعة شرحه وخرج أحاديثه فضيلة الشيخ عبد الله دراز ووضع تراجمه محمد عبد الله دراز وخرج آياته وفهرس موضوعاته عبد السلام عبد الشافي بيروت - لبنان، طبعة دار الكتب العلمية مج 2 ص: 8) وبدونه يصعب ضبط النظام يقول الماوردي: «اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأموؤها ملتزمة، سته أشياء هي قواعدها، وإن تفرغت، وهي: دين متبع وسلطان قاهر وعدل شامل وأمن عام وخصب دائم وأمل فسيح...» (الماوردي : أدب الدين والدنيا ص: 161)

فَالدِّينَ يَصْرِفُ النُّفُوسَ عَن شَهَوَاتِهَا، وَيَعْطِفُ الْقُلُوبَ عَن إِرَادَتِهَا، حَتَّى يَصِيرَ قَاهِرًا لِلسَّرَائِرِ، زَاجِرًا لِلضَّمَائِرِ، رَقِيبًا عَلَى النُّفُوسِ فِي خَلَوَاتِهَا، نَصُوحًا لَهَا فِي مِلِمَاتِهَا. وَهَذِهِ الْأُمُورُ لَا يُوَصَّلُ بِغَيْرِ الدِّينِ إِلَيْهَا، وَلَا يَصْلُحُ النَّاسُ إِلَّا عَلَىهَا.

فَكَانَ الدِّينَ أَقْوَى قَاعِدَةٍ فِي صِلَاحِ الدُّنْيَا وَاسْتِقَامَتِهَا، وَأَجْدَى الْأُمُورِ نَفْعًا فِي انْتِظَامِهَا وَسَلَامَتِهَا (...). فالدين هو الفرد الأوحَد في صلاح الآخرة وما كان به صلاح الدنيا والآخرة فحقيق بالعقل أن يكون به متمسكًا وعليه مُحَافِظًا...» (الماوردي : أدب الدين والدنيا ص: 161-162) وفي هذا يقول الإمام المغيلي رحمه الله للسلطان الحاج أسكيا محمد الكبير: "... فمن أعظم الواجبات على أمراء المسلمين حفظ الدين بأن لا يتركوا أحدا يتكلم في دين الله بتعليم ولا حكم ولا فتوى حتى يكون من أهل العلم والتقوى..." (المغيلي

محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: ص: 27-28 / ميكا أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية والثقافة والإصلاحية في السودان الغربي (ص143)

وهكذا يظهر أن حفظ الدين أمر أساسي لحفظ النظام العام الذي يؤدي إلى الاستقرار والأمن. فلو أن دول غرب إفريقيا اهتمت بحفظ الدين بدل العلمنة لكان ذلك أولى ؛ لأنه يؤدي إلى حفظ النظام الذي يؤدي إلى سيادة الأمن والاستقرار والرخاء والرفاهية. فحفظ الدين يفضي إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى والتقوى، الأمر الذي يؤدي إلى نزول البركة يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة الاعراف أية رقم: 96)

4 - المحافظة على أموال الدولة أو الشعب حتى لا يهدر، وصرفها في وجوهها:

نصح الإمام المغيلي السلطان محمد أسكيا الكبير بالمحافظة على أموال الشعب حتى لا يهدر وذلك باتخاذ محتسب وبيت مال وعمال -يتصرفون بالعدل والتقوى- يجبون الأموال من وجهها الشرعي وينفقونها في وجه الخير. يقول الإمام المغيلي في جوابه للسلطان أسكيا الحاج: "... للإمام العادل أن ينصب عاملا أو عمالا لجمع زكاة الحرث والماشية وصرفها في مصارفها التي ذكرها الله تعالى من الأصناف الثمانية باجتهاده على ما يراه الأصلاح بعد استشارة أهل المعرفة والأمانة... وواجب على الناس دفع زكاتهم للإمام العادل وعماله عليها إن عدل في صرفها بأن يصرفها بالتقوى لا بالهوى في المصارف التي ذكرها الله أو بعضها..." (المغيلي محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: ص: 54-55 / ميكا أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية والثقافة والإصلاحية في السودان الغربي ص158)

من مبادئ الحوكمة السياسية والاقتصادية الحفاظ على أموال الدولة أو الأموال العامة وجلبها من مصدرها الشرعي وصرفها في وجهها الصحيح؛ الأمر الذي يحقق الازدهار والعدالة الاجتماعية ويحد من الفقر والاستياء المجتمعية.

ومن ينظر إلى ما يحدث الآن في كثير من دول غرب إفريقيا يجد أن هذا المبدأ قد طوي بساطه وجهل علمه وأصبحت أموال الدولة تهدر فيما لا يفيد وتختلس من كل الجهات بدون خجل، الأمر الذي أدى إلى إفلاس كثير من الدول وعجزت عن الوفاء بالتزاماتها فكثرت الإضرابات عن العمل وانهارت البنية التحتية للدول وضعفت؛ فظهرت ثورات احتجاجية لإظهار الاستياء، وحركات تمرد وانفصالية في كثير من أرجاء دول غرب إفريقيا الأمر الذي أنهك الدول ماديا ومعنويا. وللخروج من هذه الأزمات فلا بد من الحوكمة السياسية والاقتصادية والإدارية.

5- الاستعانة بأعوان عدول في إدارة الدولة: ويفهم مما سبق على المسؤول أن يستعين بعمال عدول في إدارة الدولة وهو من صميم الحوكمة السياسية.

ولا شك في أن الاستعانة بعمال عدول في الإدارات بصفة عامة يؤدي إلى حسن الإدارة والالتزام بمبادئ الحوكمة السياسية التي تتطلب وضع الرجل المناسب في المكان المناسب؛ مما يؤدي إلى الأمن والاستقرار في دول منطقة السودان الغربي. فالاضطرابات الموجودة حاليا في كثير من دول الساحل راجع إلى سوء الإدارة والمحابة.

6- الرفق بالرعايا وإعانة من طلب المساعدة في المسائل التي يؤدي تركها إلى مفسدة:

نصح الإمام المغيلي السلطان أسكيا الحاج محمد الكبير على الرفق برعاياه ومساعدة المستغيثين في الحالات الاضطرارية واستدل الإمام المغيلي

بحديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم : «من ولي أمر أمي شيئا فشق عليه فاشقق عليه ومن ولي أمر أمي فرفق به فافرق به...» ثم قال: «وأما إعانة المسلمين بإمامهم فواجبة عليهم من أنفسهم وفي أموالهم بحسب طاقتهم (...): لأن المقصد من ذلك ونحوه درء المفسد و جلب المصالح بحسب الإمكان في كل زمان ومكان...» (المغيلي محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: ص: 42-52)

ولا شك في أن الرفق بالرعايا من صميم الحوكمة السياسية التي تدعو إلى الاستماع إلى الرعايا والرفق بهم وقضاء حوائجهم ما أمكن في حدود الإمكانيات المتاحة للدولة. ودول غرب إفريقيا في أمس الحاجة إلى هذا المبدأ في تطبيق الحوكمة السياسية في إدارتها إذا أرادت الهدوء والاستقرار والتقدم والازدهار.

7-رفع الظلم عن الرعايا:

من النصائح الهامة التي نصح بها الإمام المغيلي السلطان أسقيا محمد الكبير أن يرفع الظلم الواقع عن المسلمين أو رعاياه الذين يستجدون به. يقول رحمه الله: "...الثالث بلاد لهم أمير... يأخذ المكس بالظلم وبالفساد وعدم الإصلاح فإن استطعت أن تزيل ظلمه عن المسلمين في غير مضرة عليهم حتى تقيم أميرا عادلا فافعل وإن أدى ذلك إلى القتل وقتل كثير من أعوانك... والدفع عن المسلمين من أفضل الجهاد..." (المغيلي محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: ص: 50-51)

إنّ من السياسة الحكيمة أو الحوكمة السياسية الدفاع عن الرعايا ورفع الظلم عنهم وعدم قبول إهانتهم أو تسخيرهم؛ ولهذا يجب على حكام دول غرب إفريقيا أو حكام دول العالم الإسلامي أن لا يقبلوا إهانة رعاياهم في العالم. وما يحدث الآن لرعايا العالم الإسلامي عامة ورعايا دول غرب إفريقيا خاصة من إهانة وسخرية في جهات كثيرة من أنحاء العالم، يدل على

أن كثيرا من حكومات العالم الإسلامي لا يهتمون برعاياها ولا يلتزمون بهذا المبدأ الإسلامي الذي نادى به الدين الإسلامي منذ القرن الأول الهجري قبل أن تجعله الحكومات الغربية من أهم مبادئ الحوكمة السياسية التي يجب على الحكومات أن تلتزم بها.

8-عدم التدخل في شؤون الدول المجاورة لزعتها:

من النصائح التي تعدّ من مبادئ السياسة الشرعية أو الحوكمة السياسية أن لا تتدخل الدول المجاورة في شؤون جيرانها بالإساءة والإضرار بها أو لزعتها يقول رحمه الله: "... الثاني بلاد لهم أمير يرعاهم في مصالح دينهم وديناهم بحسب الإمكان في هذا الزمان وهؤلاء لا يحل لأحد منهم أن ينزع يدا من طاعته ولا يحل لأحد أن ينازعه في رعيته ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾... ﴿المغيلي محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: ص: 50)

ولا شك في أن البقاء محايدا وعدم التدخل في شؤون دولة مجاورة لإسقاط حكومتها من مبادئ الحوكمة السياسية. وما يحدث اليوم في كثير من دول غرب إفريقيا من اضطرابات وزعزعة ناتج عن تدخل قوى خارجية فيها تريد قلب النظام؛ لأنه لا يخدم مصلحتها؛ ولهذا لو أرادت الدول الإفريقية الاستقرار والأمن والتقدم فلا بد من الحد من هذه التدخلات الخارجية التي كثيرا ما تنتهي بصراعات دموية مريعة تخدم مصلحة المستعمر أو المخرب أكثر مما تخدم الشعب.

9-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من النصائح القيمة التي نصح بها الإمام المغيلي السلطان أسكيا محمد الكبير لتستقيم له أمور دولته ورعاياه هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه النصيحة تشمل الحوكمة السياسية والاقتصادية والإدارية؛ لأنها تدخل في كل مجالات الحياة من حسن الإدارة والتسيير ونصر الحق على

الباطل، ونصر المظلوم على الظالم، والحجر على علماء السوء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ومراقبة ما يجري في السوق من توحيد الموازين وتسوية الصنوج وإصلاح المكييل والموازين ومنع الغش والخداع والتطفيف، ومنع الاختلاط بين الرجال والنساء وردع المجرمين، وتعيين متولي خطة الحسبة لمراقبة ما يجري في الأسواق وغيرها مما يدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول الإمام الغزالي في أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحوكمة السياسية والإدارية والاقتصادية: "إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله من أجله النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ..". (الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين : طبعة الدار المصرية اللبنانية بدون ج 3 ص: 304)

ليت شعري ما ذا يقول حجة الإسلام لو رأى ما يحدث اليوم في العالم الإسلامي من انتشار الفساد وامتداد سلطانه ونفوذه وسيطرته على جميع مجالات الحياة وطى بساط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ ولعمري لقد أصبت يا حجة الإسلام فما نعانيه من فتنة ذاهبة بالأخضر واليابس ناتج عن ترك هذه المهمة فكل واحد يقول نفسي نفسي لا يأمر بالمعروف بله أن ينهى عن المنكر بل أصبح المنكر معروفا والمعروف منكرا، ولا أحد ينكر على الظالم ظلمه، والعاصي في عصيانه، بله أن يأخذ على أيديهم فإننا لله وإنا إليه راجعون. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ (سورة الأنفال آية رقم: 25) ويقول صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» (الترمذي : سنن

الترمذي، ضبطه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، منشورات المكتبة السلفية، الطبعة الثانية 1394/1974 ج8 ص: 335 حديث رقم: 2323 باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وخلاصة القول إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم دعائم الحوكمة السياسية التي يجب تطبيقها في جميع إدارات الدول لضمان الأمن والاستقرار والرفاهية ؛ لأنه حصن حصين من المحن ودرع يقي من الشرور والفتن، وحماية أخلاقهم من الفساد والانحلال، ووحدتهم من التفكك والانفصام.

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة السريعة في رياض الحوكمة السياسية من خلال أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي نخلص إلى ما يلي:

- أنّ الحوكمة السياسية هي ممارسة السلطات السياسية والإدارية والاقتصادية الرشيدة لإدارة شؤون المجتمع على كافة المستويات.

- أنّ الحوكمة بهذه الصيغة مصطلح حديث لكن مضمونها معروف في الإسلام منذ مجيئه، وهي تساوي السياسة الشرعية التي تعني تدبير شؤون العامة للدولة الإسلامية بما يضمن تحقيق المصالح ورفع المضار عن الشعب.

- أنّ الحوكمة السياسية أحد عوامل تحقيق الأمن والاستقرار والعدالة الاجتماعية والقضاء على الفقر.

- أنّ الحوكمة السياسية تهدف إلى منع الظلم وتحقيق العدل وتعظيم حسن الأداء والجودة وتنظيم العمل.

- أنّ الإمام المغيلي يعد سلطان العلماء في عصره، ومن أكبر أعلام الإسلام الذين تركوا بصمات واضحة في السودان الغربي، إن على الصعيد العام أو الخاص.

- أنّ الآثار التي تركها المغيلي في السودان الغربي تخوله أن ينسب إلى السودان، وعليه نقول المغيلي التلمساني والسوداني.

- أنّ الإمام المغيلي أثر كثيرا في سلاطين السودان الذين عاصروه، وكان خير مستشار لهم.

- أنّ أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي وثيقة تاريخية مهمة تدل على الهم الذي يحمله المغيلي لتحسين أوضاع العالم الإسلامي عامة والسودان الغربي خاصة، كما يدل على حرص سلاطين السودان على الالتزام بتعاليم الإسلام في إدارة دولهم.

- أنّ الإمام المغيلي وجد أن السودان الغربي تربة خصبة لغرس بذور الدعوة والإصلاح؛ ولهذا اجتهد في إصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية والدعوية السائدة في المنطقة، وحث السلاطين على الإصلاح نحو الأفضل.

- أنّ السلطان الحاج أسكيا محمد الكبير من أكبر سلاطين السودان الغربي الذين تشبثوا بتعاليم الإسلام في إدارة امبراطوريته، وتقريب العلماء واستشارتهم في جل قراراته.

- أنّ نصائح الإمام المغيلي لسلاطين السودان الغربي أدت إلى استتباب الأمن والاستقرار وتحقيق الازدهار والرفاهية للمنطقة؛ ولهذا يمكن الاستئناس بها والاستفادة منها لإصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية الفاسدة أو المتدهورة في غرب إفريقيا في الوقت الراهن.

- أنّ أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي طافحة بمبادئ الحوكمة السياسية والإدارية والاقتصادية نذكر منها: العدل في الحكم، تقريب أهل الخير وإبعاد أهل الشر، استشارة العلماء الصالحين المصلحين وإقصاء المتزلفين، وجوب حفظ الدين، المبادرة في النظر في الأمور العاجلة، المحافظة على أموال

الشعب، الاستعانة بأعوان عدول في تسيير الدولة، الرفق بالرعايا ورفع الظلم عنهم، عدم زعزعة الدول المجاورة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر....

- أن تطبيق مبادئ الحوكمة الواردة في أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي يحقق الأمن والاستقرار والتقدم لدول غرب إفريقيا.

- أن استتباب الأمن والاستقرار في المنطقة مرهون بتطبيق الحوكمة السياسية في كافة مجالات الحياة.

- أن رسائل الإمام المغيلي لملوك السودان يمكن أن تستغل وتكون أرضية صلبة لتحقيق الأمن والاستقرار ووحدة الشعوب في السودان الغربي.

هذا ما تيسر قطفه الآن من خلال هذه الجولة السريعة فما كان صوابا فمن الله وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وأخيرا أشكر لجنة التنظيم لكل ما بذلوه من أجل إنجاح هذا الملتقى، والشكر موصول إلى رئاسة الدولة الجزائرية راعية هذا الملتقى التي أنفقت الغالي والنفيس لتنظيمه وإنجاحه.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة طبعة 1388/1968 دار التراث - بيروت.

ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم: مجموع الفتاوى:، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م

ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان الخبر والمبتدأ في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. الطبعة الأولى 2003 دار الفكر بيروت لبنان.

ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب تحقيق عبد المنعم عامر، طبعة 1961، لجنة البيان العربي - المنيرة.

ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب: الطبعة الأولى دار صادر بيروت.

أبو داود: سنن أبي داود، علق عليه وضبط حواشيه محمد محي الدين منشورات دار إحياء السنة.

الإدریسی أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد.

البخاري: صحيح الإمام البخاري، الطبعة الثانية 1416/1996 المكتبة العصرية صيدا بيروت.

البكري أبي عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى ببغداد.

بسام بن عبد الله بسام: الحوكمة في القطاع العام: طبعة 2016 منشورات معهد الإدارة العامة-الرياض.

بسمة حموني ومنال قادري (2019-2020) محمد بن عبد الكريم المغيلي حياته وأعماله، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بوضياف الجزائر

بو سليمان صالح والهادي هارون (2017) التأثير السياسي للطريقة القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث، مجلة رافد للبحوث والدراسات، العدد الثاني.

بوريش رياض وخولة عبد اللاوي (جوان 2021) حوكمة السياسة الاقتصادية كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة في الجزائر، المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد الخامس العدد الأول.

الترمذي : سنن الترمذي، ضبطه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية 1394/1974 منشورات المكتبة السلفية – المدينة المنورة.

التنبيكي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج: الطبعة الأولى 1398/1989. منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس.

توق معي الدين شعبان: الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد منظور اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد: الطبعة الأولى 2014 دار الشروق للنشر والتوزيع عمان-الأردن.

حاج أحمد نور الدين (2010-2011) المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء قسم أصول الدين، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج الخضر بباتنة- الجزائر.

حجي محمد : الحركة الفكرية في عهد السعديين، الطبعة الأولى 1397/1978 مطبعة فضالة.

خلاف عبد الوهاب: السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية المطبعة السلفية طبعة 1350 القاهرة.

الريس محمد ضياء الدين: النظريات السياسية الإسلامية: الطبعة السابعة دار التراث – القاهرة.

زبادية عبد القادر :مملكة صنغاي في عهد الأسقيين.: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.

السعدي عبد الرحمن تاريخ السودان.: طبعة 1981 باريز.

1. الشاطبي أبو إسحاق : الموافقات في أصول الشريعة شرحه وخرج أحاديثه فضيلة الشيخ عبد الله دراز ووضع تراجمه محمد عبد الله دراز وخرج آياته وفهرس موضوعاته عبد السلام عبد الشافي طبعة دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
2. الشكري أحمد: الإسلام والمجتمع السوداني: إمبراطورية مالي (1230-1430) منشورات المجمع الثقافي 1420/1999 أبو ظبي-الإمارات العربية المتحدة.
3. شبايي ياسين (2006-2007) الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي التلمساني ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران – الجزائر.
4. شفشفة نادية سالم (2021) الشيخ المصلح عبد الكريم المغيلي مجلة كلية التربية، الجزء الثاني.
5. عبابنة محمود (2015/1436) الحوكمة الرشيدة في النظام السياسي الإسلامي، مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية والعربية، العدد العاشر.
6. عمارة محمد: الإسلام والسياسة: الطبعة الأولى 2008 مكتبة الشروق الدولية – القاهرة.
7. عمارة قاضي (2014/2015) الفقيه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي، قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة – الجزائر.
8. العمري أحمد بن يحيى بن فضل الله : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار تحقيق وتعليق د. مصطفى أبو ضيف أحمد، الطبعة الأولى 1988/1409 توزيع سوشبريس.
9. عوض الله الشيخ الأمين: العلاقة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين: مالي وسنغي، الطبعة الأولى 1979/1398 منشورات دار المجمع العلمي بجدة.
10. العبد سليمان بن قاسم : النظام السياسي في الإسلام : الطبعة الأولى 1422 دار الوطن للنشر والتوزيع – الرياض.
11. العيني عبد الله بن سهل بن ماضي: النظام العام للدولة المسلمة الطبعة الأولى 2009 دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع – الرياض.

- 12.الغربي محمد : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر الصفاة-الكويت.
- 13.الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين : طبعة الدار المصرية اللبنانية.
- 14.فاي منصور علي: أسكيا الحاج وإحياء دولة سنغهاي: الطبعة الأولى 1997 منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا.
- 15.قداح نعيم: إفريقيا في ظل الإسلام، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1961.
- 16.كعت محمود: تاريخ الفتاش طبعة 1981 باريز.
- 17.الكفوي أبو البقاء أيوب موسى : الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: تحقيق عدنان درويش الناشر مؤسسة الرسالة بيروت.
- 18.الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، : أدب الدين والدنيا كتاب في المكتبة الشاملة.
- 19.الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، :الأحكام السلطانية تحقيق أحمد جاد طبعة 1427/2006 مطبعة دار الحديث – القاهرة.
- 20.المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الطبعة الأولى 1938/1357 مطبعة عبد المجيد أحمد الحنفي، مصر.
- 21.مسلم : صحيح الإمام مسلم، الطبعة الأولى 1995/1416 دار ابن حزم بيروت لبنان.
- 22.المغيلي محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: تحقيق عبد القادر زبادية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.
- 23.مقدم مبروك : الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية: منشورات دار الغرب للنشر والتوزيع بدون .
- 24.ميقا أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية والثقافة والإصلاحية في السودان الغربي من 1400-1100 هجرية، الطبعة الأولى 1997/1417 مكتبة التوبة-الرياض-السعودية.
- 25.الوزان الحسن : وصف إفريقيا: الطبعة الثانية 1983 دار الغرب الإسلامي بيروت الشركة المغربية للناشرين المتحددين الرباط.

الرؤية السياسية عند المغيلي في ضوء التحديات الحضارية الراهنة

د. عبد الباسط بن محمد الجمعي غابري

أستاذ محاضر في الحضارة الإسلامية بمركز الدراسات الإسلامية بالقبروان/جامعة الزيتونة

ملخص:

يتنزل مفهوم الرؤية السياسية عند الإمام المغيلي منزلة محورية في مدوّنته الكبرى بحكم أنّ اهتمامه لم يقتصر على الجوانب العلمية النظرية، وإنّما أعاد إحياء مبدأ إسلامي معرفي أصيل يتمثل في تلازم النظر بالعمل والفكر بالممارسة والعلم بالمرودية القيمية والعملية. وقد انطلقنا في ورقتنا البحثية المخصّصة للموضوع المذكور أنفاً من فرضيتين أساسيتين: تذهب الفرضية الأولى إلى وجود مصادر تنبئ عليها كلّ رؤية إصلاحية تهدف إلى التأثير الإيجابي في الدولة والمجتمع. أمّا الفرضية الثانية فتتمثل في نسبة الحديث عن قطيعة معرفية وحضارية بما أنّ الأفكار والمفاهيم ليست جزراً منعزلة عن بعضها بعض. وقد اقتضى نظام التحليل ومنطقه تناول الموضوع المطروح في محورين بارزين: يهّم المحور الأول مصادر رؤية المغيلي السياسية. أمّا المحور الثاني فيتعلّق بمضامينها وأبعادها. وهي رؤية لها صلات وثيقة بالزمن الراهن لا سيما في ما يخصّ العدالة الاجتماعية والحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد والشفافية والكفاءة وغير ذلك...

The Political Vision of Imām al-Maghīlī on the Light of the Current Civilizational Challenges

Abstract

The concept of political vision for Imām al-Maghīlī occupies a pivotal position in his major writings by virtue of the fact that his interest was not limited to the theoretical scientific aspects, but rather he revived an original Islamic epistemological principle represented in the correlation of consideration with action and thought with practice and knowledge of value and practical return. The system and logic of the analysis necessitated addressing the subject in two prominent axes: The first axis concerned the sources of Imām al-Maghīlī's political vision. The second axis relates to its contents and dimensions. It is a vision that has close links to the present time, especially with regard to social justice, good governance, combating corruption, transparency, efficiency, etc...

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Political Vision, Good Governance, Civilizational Challenges

مقدّمة:

إذا كان الاعتقاد السائد في الخطاب العربي غالباً ما يذهب إلى ربط جذور النهضة العربية الإسلامية بحملة نابليون بونابرت Bonaparte على مصر سنة 1798 بحكم ما ترسّخ في الأذهان من استفحال التقليد وغلغلق باب الاجتهاد في الثقافة الإسلامية منذ القرن الخامس للهجرة/ العاشر ميلادياً حتّى مشارف العصر الحديث، فإنّ إعادة قراءة تاريخ الثقافة الإسلامية قراءة معمّقة تكشف أنّ محاولات استئناف الدور الحضاري للمسلمين لم تنقطع كلياً مشرقاً ومغرباً، وإن كانت بطريقة خافتة لا تكاد تظهر لأسباب متنوّعة أهمّها طبيعة النسق الثقافي المهيمن على العقل الإسلامي بعد تحوّل الخلافة إلى « ملك عضوض » على حدّ تعبير ابن خلدون (ت1406م) ولعلّ دراسة مدوّنة العلّامة الجزائري محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت1411م) الذي عاش في فترة تاريخية غير بعيدة عن ثقافة ابن خلدون وزمنه تدعم الفرضية التي تذهب إلى أنّ الأفكار ليست جزراً منعزلة عن بعضها بعض. ومن ثمة فإنّ محاولة إخصاب الفكر الإسلامي وبثّ روح جديدة فيه لم تنقطع بتاتا على عكس ما تروّجه الأدبيات الاستشراقية والنخب العربية الدائرة في فلکها.

تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن سؤال محوري متّصل بمدى تطوّر الوعي السياسي للنخبة المغاربية خلال العصر الوسيط من خلال أنموذج الإمام المغيلي⁽¹⁾ الذي ترك مدوّنة متعدّدة التخصصات في التفسير والفقّه والمنطق وغير ذلك، ما يعكس ثقافته الموسوعية. ولئن كانت الإشكالية المطروحة بهذا المعنى متّصلة بالفقّه السياسي وبالآداب السلطانية، فإنّها في حقيقة الأمر تتجاوز ذلك إلى محاولة ربط تصوّرات

(1) انظر ترجمته في: -أبو العباس أحمد بابا التنبكتي السوداني، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد الهرامة، (طرابلس: دار الكتاب، ط2، 2000)، ص260.

المغيلي بالحدثة السياسية رغم ما يبدو من تنائي ظاهر بين المرجعيتين العربية الإسلامية والغربية. واستنادا إلى ذلك من المنتظر أن تنهض هذه الورقة على محورين بارزين: يهّم المحور الأوّل مصدر رؤية المغيلي السياسية. بينما يركّز المحور الثاني على مضامينها وأبعادها.

1- مصادر رؤية المغيلي السياسية ومرتكزاتها:

ترتبط كلّ رؤية سواء كانت سياسية أو تاريخية أو حتّى استشرافية بالمنظومة الثقافية والذهنية التي تشكّلها. فكلّما كانت التركيبة الذهنية والثقافية متطوّرة انعكس ذلك إيجابيا على تطوّر الرؤية ونضجها⁽²⁾. ولئن بدا المغيلي الذي اعتمدنا مدوّنته في هذه الورقة العلمية أنموذجا لدراسة الرؤية السياسية في منعطف تاريخي حاسم بتلمسان وغرب إفريقيا والسودان الغربي قد اتمز بالتحرك داخل الدائرة الثقافية الإسلامية، فإنّه اجتهد من داخلها مستفيدا من ثقافته الموسوعية وطبيعة النظام المعرفي الإسلامي القائم على الجمع بين مبدأ النظر والعمل و"تكوثر" المعرفة والانسجام والتكامل بين مختلف أصنافها وأنماطها البيانية والبرهانية والعرفانية⁽³⁾. وانطلاقا من ذلك يمكن التمييز بين مصادر الرؤية السياسية النظرية ومصادرها التاريخية الواقعية المتّصلة بعصر المغيلي وحضارته.

1-1- المصادر النظرية: إنّ المقصود بالمصادر النظرية المشكلة لرؤية

المغيلي السياسية هو المصادر المعرفية والفكرية التي استقى منها تمثّلاته لواقع عصره السياسي والبدائل أو السبل الكفيلة بتصحيح أوضاعه.

⁽²⁾ أُرجم عديد المختصّين في علم المستقبليات أمثال المهدي المنجرة هذا الأمر إلى ارتباط الوضعيات الحضارية بمستوى الثقافة السائد. لذلك خلص المهدي المنجرة مثلا إلى أنّ افتقاد العرب إلى رؤية حضارية واضحة فاقم عجزهم عن الخروج من مفاصد التخلف إلى مصالح الترقّي. انظر المهدي المنجرة، عولمة العولمة، (الرباط: منشورات الزمن، ط2، 2011)، ص55.

⁽³⁾ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، (طرابلس: ط2، 2008)، ص28.

ويمكن تصنيف تلك المصادر النظرية إلى ما ينتمي منها إلى نصوص الثقافة الإسلامية التأسيسية من قرآن كريم وسنة نبوية أساسا، والفقهاء السياسي أو ما يعرف بالآداب السلطانية وعلوم المناظرة والجدل والمنطق والحكمة...

1-1-1-نصوص الثقافة الإسلامية التأسيسية: لا تحضر النصوص

المؤسسة للثقافة الإسلامية من قرآن كريم وسنة نبوية في مدونة المغيلي حضورا استعراضيا أو اعتباريا مثلما يلاحظ في عديد المصادر التقليدية، وإنما يستحضرها في إطار مقاصدي ووظيفي لخدمة استراتيجيته الخطابية والحوارية بما يكتف دلالته نصه ويثري منزعه الاستدلالي والبرهاني. وهو ما يفسر محدودية الاستشهادات القرآنية التي لم تتجاوز في كتابه "تاج الدين في ما يجب على الملوك والسلاطين" تسع استشهادات. ونفس الشيء في بقية كتبه مثل رسالته الموسومة ب«مصباح الأرواح في أصول الفلاح» التي لم تتجاوز أربعة استدلالات. أمّا في رسالة الأسكيا وأجوبة المغيلي فلم تتجاوز الاثنتا عشرة مرة⁽⁴⁾.

يمكن في هذا السياق الإشارة إلى بعض الأمثلة والحالات من استخدامات المغيلي للقرآن الكريم في صياغة رؤيته السياسية. فهو -على سبيل الذكر- يستحضر الآية القرآنية ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾⁽⁵⁾ في سياق تذكير أمراء عصره والسلاطين بحتمية الموت وحقيقة الزوال والفناء وتفرد الباري سبحانه وتعالى بدوام العزة والبقاء.

(4) - نور الدين بوكريدي، جهود العلامة المغيلي في مجال الكتابة في فقه السياسة الشرعية بين التجديد والتأثير، مجلة الشريعة والاقتصاد، عدد7، (الجزائر: 2015)، ص120.

(5) - آل عمران (185/3)

يسوع نفس الحكم على توظيف السيرة النبوية. فالمغيلي لا يذكر من الأحاديث النبوية التي انتقاهما في استراتيجيته الخطابية إلا ما يتوافق مع مقاصد تأليفه لكي لا ينقل نصوصه، ولا يملّ متقبّلوها من متابعي خطابه. فهو عندما يتحدّث مثلا عن خطورة منصب الإمارة التي يعرفها بأنّها "خلافة من الله، ونيابة عن رسول الله، فما أعظم فضلها، وما أثقل حملها"⁽⁶⁾ يستحضر ضمنا حديث الرسول في التحذير منها بصفته أمانة أشفقت من حملها السماوات والأرض والملائكة. إذ قد تكون ندامة يوم القيامة⁽⁷⁾.

تشي طريقة توظيف المغيلي لنصوص الثقافة الإسلامية التأسيسية بتشبعه بالنظر العقلي وما يعنيه من انفتاح على العلوم العقلية من منطلق وأساليب مناظرة وبرهان، فضلا عن سلامة رؤيته التاريخية والحضارية. وهو ما مكّنه من النفاذ إلى جوهر آيات الآفاق والأنفس ليحثّ الأمراء والسلاطين على التفقّه فيها والاهتداء بهديها ليستعيد المجتمع المسلم توازنه المفقود. ولا شك أنّ كلّ ذلك يمثّل قراءة جديدة لتلك النصوص الدينية بعد أن أوصلتها القراءات الحرفية والتعسّفية إلى مزلق معرفية وحضارية خطيرة.

1-1-2-سيرة الخلفاء والصالحين: إذا كان ليس غريبا انتقاء المغيلي من التاريخ الإسلامي نماذج وأعلام محدّدة عرفوا بفضائلهم السياسية شأن عمر بن عبد العزيز الذي أطنب المغيلي في استحضار مسيرته التاريخية لا سيما في مجال التعقّف والحفاظ على أموال المسلمين والزهد في مباحج السلطة وبهرجها، فإنّ ما يلاحظ أنّ نظرتة التاريخية لم تكن تقديسية

⁽⁶⁾ - محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ)، -تاج الدين في ما يجب على الملوك والسلطين، تحقيق محمد رمضان يوسف، (بيروت: دار ابن حزم للنشر، ط1، 1994)، ص15.

⁽⁷⁾ - كثيرة هي الأحاديث التي تحدّر من جسامة مسؤولية الإمارة. وفي قصّة أبي ذرّ مع رسول الله صلوات الله عليه خير مثال.

بصفة مطلقة بالطريقة السائدة في عصره. إذ نراه يدعو ولاة الأمور إلى الانخراط في تكريس قيم الحق والعدل والإنصاف حتى لو تعلق الأمر بعمّال وأعدان صالحين إذا ما انحرفوا في مهامهم وسلوكهم عن الصراط المستقيم مثلما فعل بعض الخلفاء الراشدين مع عمّالهم وولاتهم الذين حادوا عن سواء السبيل⁽⁸⁾.

ويمكن التذكير في هذا الصدد بما فعله عمر بن الخطاب مع واليه على مصر عمرو بن العاص وابنه حينما اشتكاه أحد الأقباط المصريين لما ضربه ابن عمرو بن العاص ضربا مبرحا خلال سباق خيل بينهما فاز به ذلك القبطي بذريعة أنّه "ابن الأكرمين" كيف لقبطي أن يسابقه ويهزمه. فنأدى الخليفة عمر ذلك القبطي إلى ضرب ابن عمرو بن العاص بمثل ما ضربه تعويضا له عن الإهانة التي تعرّض لها بموطنه⁽⁹⁾.

1-1-3-الفقه السياسي الإسلامي: بقدر ما يعسر الأسلوب الاختزالي القائم على الإجمال والإيجاز الذي توخّاه المغيلي في رسائله السياسية وفتاويه وأحوبته مهمّة استقصاء مصادر الفقه السياسي التي نهل منها في مدوّنته، فإنّ ركونه إلى المصادر الأساسية المعتمدة في الفقه السياسي الإسلامي بدا مضمرا. وقد ساعدته قدراته الذهنية الكبيرة على صهرها في توجّهات مقاصدية. إذ أنّ في حديثه عن أهمية العدل وإحلال الحق استعادة ضمنية لما أوردته أبرز المدونات الفقهية السابقة له مع إضافته لجمالية لفظية وسلاسة أسلوبية بيّنة. فهو عند حديثه عن السلطة مثلا يصفها بأنّها لها "رجلين هما العدل والإحسان"⁽¹⁰⁾.

(8) - المغيلي، تاج الدين، ص 47.

(9) - جمال الدين الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992)، 345/2.

(10) - المغيلي: تاج الدين، ص 43.

يبدو المغيلي في عموم حديثه عن أهميّة العدل مستحضرا تصوّرات الماوردي الذي يعتبر العدل "استثمار دائم والجور استئصال منقطع"⁽¹¹⁾ ينبغي على صاحب السلطة عدم التفريط فيه لضمان استمرارية قوة دولته ومناعتها وتماسكها. كما يحيل ضمّنيا في حثّه على ضرورة انتهاج سياسة الحق والإنصاف والعدالة وتطبيقها ولو على النفس والصالحين والبطانة بما ذكره ابن القيم في تقاطع شرع الله مع الحق. فحيث يوجد الحق يوجد شرع الله⁽¹²⁾.

ينطبق ذلك الأمر أيضا على مختلف الجوانب الأخرى المتّصلة بالمشورة والنصح رفضا للبغي والعدوان والتعدّي على الناس. فهو يستعيد ما رسّخته الآداب السلطانية أو ما يعرف بمرايا الملوك لا سيما الغزالي في كتابه "التبر المسبوك في نصائح الملوك". إذ سعى المغيلي إلى حثّ سلطان عصره محمد بن يعقوب أمير كانو ومن ورائه الأمراء الزبانيين المتقاتلين على السلطة إلى العودة إلى السياسة الشرعية لما فيه من صلاح للراعي والرعية على حدّ سواء.

بيد أنّ النقطة الإيجابية البارزة في هذا الصدد تكمن في صرف المغيلي نظره عن الاحتفال بمفهوم الطاعة على خلاف الفقهاء السابقين والمعاصرين له الذين حوّلوا إلى نقطة ارتكاز قارّة في مدوّناتهم⁽¹³⁾. وهذا التحوّل قد يعود إلى ما رصده المغيلي من فظاعات وانتهاكات أمراء عصره لا سيما في مسقط رأسه تلمسان وبلاد المغرب عامة. وهو ما فرض عليه الهجرة إلى غرب إفريقيا والسودان الغربي عساه يتمكّن من الإسهام في بناء

⁽¹¹⁾ - الماوردي، أبو الحسن (ت450هـ)، -قوانين الوزارة:، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ومحمد سليمان داود، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية: ط3، 1991)، ص42.

⁽¹²⁾ - ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت751هـ)، الطرق الحكمية، (مكتبة دار البيان، د-ت)، ص13.

⁽¹³⁾ - الطرطوشي، أبو بكر (ت520هـ)، سراج الملوك، أوائل للمطبوعات العربية، (بيروت: 1289هـ،)، ص47.

مجتمع إسلامي بديل. إذ انتقل من بلاد "أهر" وبلاد "تكدة" وبلاد "كانو" و"كشن" من بلاد السودان، فضلا عن رحلته إلى بلاد "التكرور" (موريتانيا) و"كاغو" و"فاس" بحثا عن نموذج المفقود أو البديل الذي طالما حلم به.

1-1-4-علم المنطق والمناظرة والجدل والحكمة: إن أسلوب المغيلي

الإقناعي الذي استخدمه للتأثير في الأمراء والسلاطين قصد انخراطهم في مشروع الإصلاح السياسي الجذري والعميق وفق معادلة توازن بين متزعي العقل والشرع أسلوب على غاية من التنظيم والإحكام والدقة يشي بتملك صاحبه للآلة المنطقية في موازنته بين مختلف الآراء والأحكام وفق معادلة فيها حسن نظم وانتظام داخل مدوّنته وخارجها. وإذا أخذنا بعين الاعتبار مساجلته الشهيرة لجلال الدين السيوطي في ما يخصّ الموقف من المنطق الذي يعدّه المغيلي السبيل الأبرز لمعرفة الله واستنباط أحكامه. ومن ثمة تحسين الأشياء وتقبيحها بناء على نور العقل، فإننا ندرك تمام اليقين أنّنا أمام مرجعية منطقية أوصلت المغيلي إلى صياغة دقيقة وموجزة لشروط الإمارة واستمرارها وازدهارها. يقول المغيلي في مساجلته للسيوطي المذكورة أنفا متحدثا عن المنطق:

"هل المنطق المعني إلّا عبارة * عن الحقّ أو حقيقة حين جهله؟
معانيه في كلّ الكلام فهل ترى * دليلا صحيحا لا يرد لمشكله؟
أرني هداك الله منه قضية * على غير هذا تنفها عن محله"⁽¹⁴⁾

أمّا عن علم المناظرة فهو كذلك نتاج لتشبع المغيلي بالآلة المنطقية. ويظهر ذلك في اعتماده تقنية السؤال والجواب. وهو ما مكّن من تطوير النقاش وتعميقه بين المغيلي ومختلف محاوريه لا سيما الأمير أسكيا⁽¹⁵⁾

⁽¹⁴⁾ - انظر ردّ جلال الدين السيوطي، حسن المقصد في عمل المولد، (بيروت: مؤسسة البلاغ، 1987)، ص52.

⁽¹⁵⁾ - محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسكيا محمّد وأجوبة المغيلي، تحقيق وتقديم عبد القادر زيادية، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1974)، ص21.

الذي فتحت له تلك المناظرات آفاقا أرحب في إقناع أعوانه وعمّاله وتوطيد دعائم حكم مملكته رغم المعارضة التي جوبه بها في البداية والتي وصلت إلى حدّ التمردّ عليه ومحاربتة⁽¹⁶⁾.

يؤكد كلّ ما تقدّم ذكره أنّ ثقافة المغيلي متينة تنسجم مع خصوصية الأنظمة المعرفية والسلوكية التي أنتجتها الثقافة العربية الإسلامية إبان عهود ازدهارها. يكفي في هذا السياق التذكير بأنّ علم المناظرة علم أنتجته الثقافة العربية الإسلامية مثلما خلص إلى ذلك المفكّر المغربي طه عبد الرحمن⁽¹⁷⁾. ولا شكّ أنّ المجال السياسي سواء في المجتمعات القديمة أو في المجتمعات الحديثة والمعاصرة يفترض توفّر قدرات بيانية وإقناعية كبيرة لتجاوز مختلف المغالطات والحيل المنطقية التي قد يستخدمها المعارضون أو الخصوم. ولعلّ هذا ما انتبه المغيلي إليه في مدوّنته السياسية. إذ اجتنب الإطالة والاستطرادات غير المجدية. كما تحرّى جيّدا في اختيار ألفاظه وعباراته في مساجلة أمراء عصره تفاديا لكلّ التباس محتمل قد يعجّل بواد مشروعه الإصلاحية ونهايته.

1-2-الواقع: لا يمكن لأية رؤية سياسية حقيقية أن تتمّ بمعزل عن الواقع الذي ظهرت فيه. وبالرجوع إلى رؤية المغيلي السياسية نلمس بوضوح تأثير الواقع السياسي والاجتماعي لعصره في تفكيره وتصوّراته وتمثّلاته. فقد كتب رسالته الشهيرة الموسومة بـ"مصباح الأرواح في أصول الفلاح"⁽¹⁸⁾ لمحاولة إيجاد مخارج شرعية فقهية وقانونية وسياسية لما آلت إليه الأمور

(16) - عبد القادر زيادية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493-1591، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1981)، ص31.

(17) - انظر طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، (بيروت: الشركة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2012)

(18) - وهي عمل مخطوط تعدّر علينا الاطلاع المباشر عليه، فاعتمدنا بعض الدراسات التي اشتغلت عليها. راجع هامش 1 ص107 من دراسة نور الدين بوكريدي: جهود العلامة محمّد بن عبد الكريم المغيلي، مرجع مذكور سابقا.

بمدينة تلمسان ولا سيما في توات وتيكورارين وتفيلالت من جور اليهود وطفغياهم بحكم سيطرتهم على مصادر الثروة والمال في تلك المناطق بعد حيازتهم للوحدات وحركة التجارة المرتبطة بها. فلئن كانت تلك الرسالة في ظاهرها إجابة عن سؤال تعلّق بالأحكام المتوجّبة على أهل الذمّة من الجزية والصغار، فإنّها في حقيقتها تمثّل صحيحة فزع لما آلت إليه المدينة الإسلامية من يؤس وذلّ وهوان وضلال⁽¹⁹⁾.

لقد فسّر المغيلي تفسيراً منطقياً وسببياً تزايد الأطماع المسيحية لا سيما الإسبانية والبرتغالية على تلمسان وبلاد المغرب وغرب إفريقيا عموماً بحالة الانحطاط الشامل التي يعيشها المسلمون. إذ لم يبق من الإسلام إلاّ شعائر وطقوس تتنافى مع عقيدة التوحيد بحكم شيوع التنجيم والسحر والشعوذة والتبرّك بالأفراد والأشجار والأحجار ومقامات الأولياء والزهاد والنسك. لذلك لا غرابة في شيوع المجون والفسوق والمحرمات في بلاط الأمراء والسلاطين، ويتخفّى أعوانهم الصالحون عنهم أثناء مزاولتهم لعبادتهم من صلاة وصوم خشية من البطش والتكيل بهم مثلما يشهد بذلك عهد السلطان سني علي الذي تولّى الإمارة قبل السلطان محمد بن يعقوب⁽²⁰⁾.

يبدو أنّ الإمام المغيلي وهو يتعامل مع ذلك الواقع يتمثّل سيرة بعض العلماء الذين عرفوا في الحضارة الإسلامية برباطة جأشهم وجرأتهم في قول الحق أمثال العزّ بن عبد السلام (ت1262م) الذي عاصر ظروفًا سياسية سمّتها الفتن وتصاعد هجمات الفرنجة والصليبيين شبيهة بعصر المغيلي. فكما افترى العزّ ابن عبد السلام بحرمة بيع السلاح إلى الفرنجة وتكفير من

(19) - هادي جلول، -الشيخ العلامة محمّد بن عبد الكريم بن محمّد المغيلي، مجلّة دراسات، عدد1، (الجزائر: 2013)، 112/2.

(20) - أسئلة الأسقيا محمد وأجوبة المغيلي، م س، ص 114 نقلا عن نورد الدين بوكريدي، م س.

بهدانهم ويوقع معاهدات سلام معهم⁽²¹⁾ أفتى المغيلي بوجوب الحرب على اليهود المستغلين للمسلمين والمذللين لهم. فقاد بنفسه معركة القضاء عليهم ما تسبّب في فتنة كبرى سنة 1409 م⁽²²⁾.

لئن حاولنا في هذا القسم من الورقة البحثية المخصّص لمصادر رؤية المغيلي السياسية ومرتكزاتها الاكتفاء بأهمّ المرجعيات الموجّهة لفكره السياسي، فإنّه بدا لنا صعوبة الفصل بين تلك المرتكزات أو المرجعيات ومضامينها. إذ هي عبارة عن علاقة وجه بوجه. لذلك لم يكن من الغريب حصول تداخل في بعض التفريعات الثانوية والجزئية لتلك المرتكزات ومصادرها ومرجعياتها. وسنحاول في المحور الآتي التعمّق أكثر في رؤية المغيلي السياسية من خلال التطرّق إلى المضامين والأبعاد.

2- مضامين رؤية المغيلي السياسية وأبعادها:

لقد وشى المحور السابق من هذه الورقة العلمية ببعض عناصر رؤية المغيلي السياسية بما أنّ الرؤية السياسية في نهاية الأمر خلاصة الثقافة السياسية التي يمتلكها صاحبها سواء عبر زاده المعرفي أو عبر تجاربه الوجودية والسياسية والتاريخية. وهي بهذا المعنى تتويج لمختلف الرؤى التاريخية والحضارية بحكم ما للسياسة من تأثير عميق يتجاوز الماضي والحاضر إلى آفاق المستقبل القريب والبعيد. ويمكن انطلاقا من ذلك تحديد مضامين رؤية المغيلي السياسية في العناصر الآتية:

2-1- المبادئ الإسلامية الكبرى: يبدو حضورها في مدوّنة المغيلي حضورا وظيفيا وليس نصّيا توزّع على مختلف ثنايا مدوّنة المغيلي وفق تصوّره

(21) - انظر ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد (ت851هـ)، طبقات الشافعية: تحقيق عبد الحليم خان، (بيروت: دار عالم الكتب، 1407هـ)، 139/2.

(22) - يحي بوعزيز، -مدينة تلمسان، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2003)، ص235

المقاصدي للدين ووظائفه السياسية والاجتماعية والحضارية مقابل من اتخذوا الإسلام غطاء لتحقيق مآربهم الخاصة ولو كان بانتهاك حدود الله وتحليل ما حرّم وتحريم ما حلّل⁽²³⁾. ويمكن الاكتفاء بذكر ثلاثة مبادئ كبرى متمثلة في الوحدانية ثم العدل فالمشورة.

2-1-1- التوحيد أو الوحدانية: التجأ المغيلي إلى استعادة معنى التوحيد الإلهي ووحدانية الله أمام ما عاينه من أهوال عصره الذي وصلت فيه الأوضاع في عديد المدن والممالك من تلمسان إلى تمبكتو وضعا مأساويا بتولية اليهود زمام الأمور دون وجه حقّ بحكم استغلالهم الفطيع ومراكمتهم لثروات غير مشروعة مقابل فقر مدقع للأهالي المسلمين واستنزاف منظّم لأرزاقهم ومعاشهم⁽²⁴⁾.

ذكَر المغيلي أصحاب السلطة بحقيقة وجودية وتاريخية متمثلة في وجود قوّة إلهية تنتهي إليها جميع القوى والقدرات، رابطا في هذا السياق بين توليتهم للسلطة وواجبهم في أداء أمانة الاستخلاف وخلافة النبوة. وهو معنى متواتر في الآداب السلطانية. ونجده حتّى في مقدّمة ابن خلدون الشهيرة. يقول المغيلي بأسلوب صارم لا يخلو في باطنه من وعد ووعيد تنبها لذوي الغفلات قائلا: "فتوكّل على الله واستعن في أمرك كلّ بالله، وليكن عملك كلّ لوجه الله (...). ما ولّاك الله عليهم لتكون سيّدهم ومولاهم، وإنّما ولّاك عليهم لتصلح لهم دينهم ودنياهم. واشكر نعمة الله عليك، وأحسن كما أحسن الله إليك"⁽²⁵⁾.

يرسم المغيلي بهذا التصوّر التوحيدي معادلة ثلاثية الأبعاد: بعدها العمودي الله، وبعديها الأفقيين الإنسان/الأمير وطبيعة عمله. فكّلما أحسن

(23) - أسئلة الأسكيا محمد وأجوبة المغيلي، م س، ص 115.

(24) - المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، م س.

(25) - المغيلي، تاج الدين، صص 16-17.

الأمير إدارة شؤون مملكته ورفق برعيته باعتبارهم إخوان له في الأدمية اقترب من مرضاة الله ومباركته. لذا فالإمارة في هذه الحالة تتحوّل إلى شكل من أشكال الإيمان والتكريم الإلهي لصفوة من الناس إمّا بنيل الثواب الأسمى أو العقاب الأقصى. ومن المعلوم أنّ الدعوة الوهابية مع محمد بن عبد الوهاب قد قامت على أساس فكرة التوحيد بعد وفاة المغيلي بما يقارب الثلاثة قرون. وهذا يعني أنّ أوضاع الشرك بالله والتبرّك بالأحجار والأشجار ومقامات الأولياء وأضرحتهم ثقافة راسخة الجذور انتشرت بسبب الاستبداد والجهل والفساد⁽²⁶⁾.

2-1-2-العدل: ليس غريبا أن تتردّد أصداء قيمة العدل في مدوّنة المغيلي بصيغ مختلفة بحكم ثقافته الموسوعية التي أشرنا إليها في ما تقدّم من هذه الورقة البحثية. فالعدل ليس فقط قيمة دينية أو نصيحة سياسية، وإنّما كذلك فضيلة الفضائل بما أنّ كلّ فضيلة هي في حقيقتها وسط بين رذيلتين⁽²⁷⁾. لذا لا ينبغي الإفراط أو التفريط حتّى لا يقع صاحب السلطة أو الإنسان عموماً في عواقب كارثية تهدّد حياته وحياة المجموعة التي ينتمي إليها.

يعرّف المغيلي العدل بأنّه «إتيان كلّ ذي حقّ حقّه»⁽²⁸⁾ ولو كان على حساب النفس، لأنّ في ذلك محافظة على توازن الأشياء واستمرارية الدولة واستقرار المجتمع وتماسكه. ويشمل العدل من منظور المغيلي مختلف المستويات التي لها صلة بشخصية الإنسان وسعادته بما فيها حقّه في التعبير والكلام لا سيما في مواضع الدفاع عن نفسه خلال الاتّهام. و«إذا ما تعدّرت العدالة في رفقة جهل أو قرية ضلالة، فبأمثلهم في الصدق حالة، بعد كشف

(26) - عبد العزيز الثعالبي، روح التحرّر في القرآن، (بيروت: دار الغرب الإسلامي)، ص 28.

(27) - انظر (Platon, La République, (Tunis ; CERES , 1994 -)

(28) - المغيلي، تاج الدين، ص 41.

واستكثار، وسياسة، واستبصار»⁽²⁹⁾. وهو يقصد في هذا الصدد مدى عدالة الشهود لكي لا يقدح فيهم، ففي ذلك العصر الذي مازالت فيه ثقافة السماع قائمة الذات حافظت الشهادة على مقام رفيع في إحلال قيم العدالة والإنصاف.

يستعيد المغيلي بهذه التصوّرات مواقف ابن عقيل الحنبلي (ت1119م) المعروفة في مقاومة الظلم ونصرة العدل. وهو ما كلّفه تضحيقات مختلفة على معاشه وحياته بحكم تغلبه للحقّ وعمله به. إذ يرى ابن عقيل أنّ الحقّ ليس حكرا على مذهب أو اتجاه معيّن. لذا لم يجد حرجا في الانفتاح على تصوّرات المعتزلة وغيرهم في وقت كانت فيه السلطة السياسية القائمة آنذاك تلاحقهم، مستخدمة علماء السنة والحنابلة تحديدا ممن ينتمي إليهم ابن عقيل مذهبيا⁽³⁰⁾.

يلاحظ في موقف المغيلي من قضية العدالة التي خاطر بحياته من أجلها إلى حدّ مغامرته بقيادة الثورة على اليهود النافذين ومحاربتهم -رغم سطوتهم وحدّة شوكتهم وقتها- أنّه ركّز تركيزا كلّيا على الجانب العملي من العدالة، متعمّدا إغفال بقية الجوانب النظرية والكلامية لكي لا يتشكّت ذهن سائليه أو متقبّليه رغم أنّه كان قادرا على ذلك بحكم ثقافته المتينة وتشبّعه بأساليب الجدل والآلة المنطقية والأصولية.

2-1-3-المشورة: لا ينظر المغيلي للمشورة في رؤيته السياسية كقيمة في حدّ ذاتها، وإنّما يعدّها وسيلة فعالة لتحقيق العدل⁽³¹⁾. ذلك أنّ نبذ الانفراد بالرأي والحكم والانفتاح على مختلف الآراء لا سيما من أهل الحلّ والعقد المعروفين بالحكمة والصلاح والتقوى ييسّر لصاحب السلطة الاهتداء إلى

(29) - م ن، ص 43.

(30) - بن عقيل، أبو الوفاء علي (ت531هـ)، كتاب الفنون، تحقيق جورج المقدسي، بيروت، لبنان: دار المشرق، ط1، (1970)، 2/755..

(31) - المغيلي، تاج الدين، ص 43.

حلول موضوعية للقضايا والمستجدات الطارئة. إذ من شأن كلّ ذلك أن يوفّر أسانيد شرعية وأخلاقية لصاحب السلطة ليقرّ سياسته الشرعية المنسجمة مع العقل المؤيد بنور الله وهديه.

يشير المغيلي بإيجاز إلى جملة من الشروط الكفيلة بتحقيق المشورة لأهدافها وأغراضها المعلنة والمضمرة. ومن أهمّ تلك الشروط تواضع العلماء وعدم تهرّبهم من أداء واجباتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء بالنسبة إلى الراعي أو الرعية. وبالتوازي مع ذلك لا بدّ أن يكون الأمير صادقاً في أقواله، ومخلصاً في أفعاله لتوفير مناخ من الثقة والأريحية بين الدوائر العميقة للسلطة السياسية في ما بينها أولاً، ثم مع المجتمع ثانياً. لذا يحذّر المغيلي من خطورة انقلاب تلك القيم والشروط إلى نقيضها. إذ "أقبح القبائح اثنان: كبر الفقيه وكذب السلطان. فإذا ما تحدّثت فاصدق، وإذا ما وعدت فأوف" (32). لكن كيف السبيل إلى الاستعانة بالعلماء ومشورتهم في تدبير أمور الدولة والحال أنّ بعضهم يتعمّد إصدار أجوبة وأحكام شاذة غريبة في رسائله وفتاويه إمّا بحكم نوعية الاصطلاحية التي يستخدمها أو لابتعاده عن المشهور من الأحكام والأقضية؟

يقدم المغيلي في هذا الصدد رسالته في ما يخصّ أحكام أهل الذمّة واليهود (33) خصوصاً نموذجاً تطبيقياً في تبسيط المعلومة وعدم الاعتماد على الأحكام الشاذة ليحصل الإجماع المطلوب حول الأهداف المراد بلوغها. يقول المغيلي بصيغة تقريرية في ذلك: «ولا يجوز له شيء من أحكامه إلّا بمشهور مذهب إمامه، فإنّ الحكم بغير المعتمد جور وضلال. ويجب نقضه على كلّ حال» (34).

(32) - م ن، ص 22.

(33) - انظر مصباح الأرواح في أصول الفلاح، م س.

(34) - المغيلي، تاج الدين، ص 44.

تكشف الطريقة التي ضبط بها المغيلي شروط انتظام المشورة ونجاعتهما عن وعي تاريخي بالأحكام ومتغيراتها بحكم أنّ حالة المجتمعات في حراك مستمرّ. ولئن كان من الواجب في نظره التكيّف مع تلك المتغيرات وفق سياسات معيّنة، فإنّه ظلّ وفيًا إلى مصادره السنوية الأصلية. لذا أوجب الاعتماد على المشهور من الأحكام المستقاة من مذاهب معروفة خوفاً من انزلاق المجتمع التلمساني والإفريقي إلى متاهات الفوضى والطائفية والفتن التي لا تبقي ولا تذر في ظرف تاريخي عصيب.

2-2-2-تباشير الحداثة السياسية:

2-2-2-الواقعية السياسية: قد يبدو من الغريب الحديث عن واقعية سياسية في مجال تداولي عربي إسلامي خلال عصر وصف بعصر أفول الحضارة العربية الإسلامية وشيوع التقليد بما أنّ الاعتقاد السائد يربط الواقعية السياسية بـ«الأزمة الحديثة»⁽³⁵⁾ على حدّ تعبير هيجل Hegel وبصفة خاصّة ما صاغه ماكيافلي Machiavelli في كتابه الشهير «الأمير» عن سياسة الثعلب والأسد التي ينبغي على كلّ صاحب سلطة سياسية أن يسلكها لتوطيد أركان مملكته واستمرارية حكمه⁽³⁶⁾. بيد أنّ ذلك التصوّر التنميطي للواقعية السياسية يمكن تجاوزه بالإشارة إلى أنّ واقعية المغيلي السياسية لها مميّزات تنسجم مع خصوصيات المجال التداولي العربي الإسلامي بمختلف تفرّعاته المعرفية والسلوكية.

تتمثّل تلك المميّزات في دعوة المغيلي ولادة الأمور إلى احترام طبيعة المجتمع المسلم الذي يتغلغل فيه الدين الإسلامي حتّى في متخيّلاته

(35) - Jurgen Habermas, Le Discours philosophique de la modernité, trad. de l'allemand par Christian Bouchindhomme et Rainer Rochlitz, (Gallimard : [Paris]) : 1988.

(36) - انظر نيكولا ماكيافلي، الأمير، تعريب محمد لطفي جمعة، (بيروت: مكتبة وادار بيبليون، (د-ت)

الاجتماعية ووجدانه وذاكرته رغم ما قد يبدو في الظاهر من انحرافات عن تعاليم الإسلام الحقيقية وجوهره التوحيدي. ويشير المغيلي في هذا السياق إشارة لطيفة حين يربط حال الرعية بحال السلطان مشبها إياهما بالكفتين. وكأنه بذلك يستعيد المثل المعروف حول فساد السمك الذي يبدأ من فساد رأسه⁽³⁷⁾. يقول المغيلي في هذا الصدد بعبارات دقيقة وأسلوب تمثيلي بليغ: "وبالجملة حال الرعية وحال السلطان كفتان فتصرف في ذلك بالزيادة والنقصان حتى يعتدل الميزان"⁽³⁸⁾.

يذهب المغيلي بمقتضى تلك الواقعية إلى عدّ الدولة كيانا سياسيا وماديا وقانونيا يكتسب شرعيته الوجودية والتاريخية من مستوى جهازه التنفيذي القائم على تسيير دواليب الدولة. لذا يربط المغيلي ربطا جدليا في شكل معادلة رياضية بين أداء الأمير وأداء عماله وأعوانه. إذ ينبّه في هذا الصدد إلى خطورة المحاباة في تعيين العمّال والتغاضي عن انتهاكاتهم ومصادراتهم ومغارمهم الكيدية. فكلّ ذلك قد يعود بالوبال على الدولة القائمة: «عاملك عاملك، وفعله فعلك، إن أحسن فالثواب لكما، وإن أساء فالعقاب عليكما»⁽³⁹⁾.

يدعو المغيلي إلى انتهاج سياسة واقعية تجعل من السلطان في تواصل لا ينقطع مع رعيته تفاديا لتراكم المظالم الناتجة عن الثقة المفرطة التي قد يمنحها للعمال وللقضاة وغيرهما من رجال الدولة وأعوانها الساهرين على تسيير دواليب السلطة. إذ لا شيء يمنع بأن يكون أولئك الأعوان أنفسهم موضع شكوى الناس واتهامهم. وتحدّث المغيلي في هذا الأمر في صيغة الواجب الذي لا ينبغي التفريط فيه قائلا: «وواجب عليه (أي الأمير) أن

⁽³⁷⁾ - انظر عبد الكريم سروش، السياسة والتدين حقائق نظرية ومآزق عملية، ترجمة

أحمد القبانجي، (بيروت، لبنان، دار الانتشار العربي، ط1، 2009)

⁽³⁸⁾ - المغيلي، تاج الدين، م س، ص 24.

⁽³⁹⁾ - م ن، ص 37.

يزجرهم عنهم، وإلاّ فهو كسَلَم الدار لأربابها، أو ماسك لقرون البقر لجلالها»⁽⁴⁰⁾.

يفضي التواصل المنتظم بين الأمير ورعيته حسب المغيلي إلى تحيين سياسات الدولة وتطويرها بما يتلاءم مع مختلف المستجدات المتتابعة. ويقدم في ذلك مثلا متصلا بالجنايات التي تتطلب سنّا وتقنينا مستمرين لسياسات محدّدة تتوافق مع خصوصية كلّ حالة على حدة. وانتهج المغيلي في هذا الإطار تفرّيعات مختلفة لأنواع السياسات المتّصلة بدعاوى الجنايات. فمثلا قسم المدعي عليه بسرقة دون بينة إلى ثلاثة تفرّيعات في شكل أقسام وغير ذلك من الحالات المتّصلة بهذه الوضعية الجنائية أو الفقهية⁽⁴¹⁾.

2-2-2- ربط الأقوال بالأفعال أو السياسة الاتّصالية: لئن لا يمكننا

الزعم بأنّ المغيلي كان مدركا لمفهوم الخطاب السياسي بالمعنى الحديث والمعاصر في العلوم السياسية والإعلامية والاتّصالية⁽⁴²⁾، فإنّه من الجلي واستنادا إلى مدوّنته كان واعيا تمام الوعي بأهميّة ترشيد السلطة السياسية لخطابها وتدقيقه انطلاقا من حرص الأمير أو السلطان على انتقاء عباراته وأقواله لتوافق مقاماتها حتّى لا يتورّط في متهاتات غير محمودة العواقب سواء بإغراق الرعية بالوعدود غير القابلة للتحقّق أو بالوعد والوعيد دون أن يكون لدولته قدرة على الردع فتضعف هيبتها في أعين الرعية. ومن ثمة تتعمّق الفجوة بين السلطة والمجتمع. وهو ما قد يفضي إلى انهيار تلك السلطة وتشتّي المجتمع ودخوله في دوامة الفتن والطائفية والوصاية الداخلية والخارجية. يقول المغيلي بلغة أنيقة وأسلوب إيحائي في ذلك

⁽⁴⁰⁾ - م ن، ص 47.

⁽⁴¹⁾ - م ن، صص 44-46.

⁽⁴²⁾ - انظر: Michel Kauffmann, Gunhild Samson, Effets et jeux de pouvoir dans le discours politique et médiatique, (PIA : Paris : 2002), p59.

متوجّها إلى صاحب السلطة: «فإذا تحدّثت فاصدق، وإذا وعدت فأوف، وإذا أمرت بشيء أو نهيت عن شيء فلا تغفل عنه حتى تبلغ المقصد منه. وإياك أن تقصر خطواتك عن مقالك، فتذهب هيبتك من قلوب رعيتك وعمالك»⁽⁴³⁾.

لئن لم يفصّل المغيلي كثيرا كعادته في هذه المسألة، فإنّ إخراجها في قالب شعري حكيم يدلّ دلالة قاطعة على أهمّيّتها في رؤيته السياسية. فقد أجملها في البيتين الشعريين الآتين:

"إذا أهمل السلطان شأن مقاله*** فقد بان منه الضعف في كلّ حالة

فأمسى كليل الأمر والنهي في الوري*** ورامى بثوبه عزّه وجماله"⁽⁴⁴⁾.

وقد أثبتت معظم التجارب السياسية الحديثة والمعاصرة بالعالم أهميّة الخطاب السياسي في حياة الدول ومجتمعاتها لدرجه أنّه قد يكلف تصريح سياسي غير متّزن عزل صاحبه أحيانا، أو اندلاع أزمة دبلوماسية، أو حتى حربية بين بلدين ما. ويلاحظ أنّه قد استنزفت الكثير من الطاقات والموارد والجهود بالعالم العربي والإسلامي في سياسات إعلامية واتّصالية لا تنسجم مع خصوصية أوضاع المنطقة وتطلّعات شعوبها المشروعة.

2-2-3-اليقظة أو الفطنة السياسية: يرى المغيلي أنّ الحقيقة السياسية ليست معطى ثابتا ينبغي الركون والتسليم إليه، وإّما هي معطى متحرّك لا يتوقّف عن الانتقال والتطوّر لارتباطه بالنوازل المستحدثة داخليا وخارجيا. لذا نادى المغيلي صاحب السلطة أو الأمير إلى اليقظة المستمرّة وعدم الاطمئنان إلى كلّ ما يصل إليه اعتمادا على التحري من المعطيات الواردة عليه من أعوانه ورجال دولته لما في السلوك الإنساني من قابلية للانحراف والتلاعب والمخادعة خاصّة من الذين يببالغون في التقرب طمعا

(43) - المغيلي، تاج الدين، ص 22.

(44) - م ن، ص ن.

في وصل أو نوال أو حظوة. لذلك قد لا يتورعون عن تزييل المعروف وتزيين المنكر. يقول المغيلي ناصحا الأمير باليقظة والتحرّي من ذمّ الدّمّامين ومدح المدّاحين: «فكم قرّبوا من بعيد، وأبعدوا من قريب، وكم حبّوا من عدوّ، وكم كرّهوا من حبيب»⁽⁴⁵⁾.

تختزل تلك الموعظة أو النصيحة درجة نفاذ المغيلي إلى دواليب الممارسة السياسية ممّا يطلق عليهم في الدراسات الحديثة تسمية "البنى العميقة" أو ممن يعرفون في الحضارة الإسلامية بالبطانة أو الخاصّة. إذ هي دواليب تفتقر إلى أخلاقيات العمل السياسي وآدابه وأعرافه المألوفة في مختلف الشرائع والمواثيق. ولعلّ سياق ذكر تلك النصيحة المقترنة بالحديث عن الفساد ووجوب الحذر من الأعداء ومتابعة أخبارهم⁽⁴⁶⁾ وصل ذكي من المغيلي بين عوامل النهوض والسقوط الحضاري بالواقع الإسلامي انطلاقا من واقع تلمسان وتخومها السياسي والاجتماعي.

2-2-4- الحوكمة الرشيدة والشفافية ومقاومة الفساد: لئن بدا في زمن المغيلي الحديث عن حداثة سياسية بالمعنى المتعارف عليه را هنا تصوّر مبالغ فيه، فإنّه من الممكن الإشارة إلى أنّ تباشيرها الأولى بدأت في الظهور وقتها بفعل التحوّلات السوسيوثقافية التي شهدتها المجتمعات الأوروبية. ولقد أصاب مكسيم رودنسون Maxime Rodinson في تفسيره لنجاح عملية التحوّل الحديث بالغرب وفشلها بالعالم الإسلامي حيث ربطها بعوامل خارجية في مقدّماتها تربص القوى الغربية بالعالم الإسلامي. وهو ما تسبّب في إجهاض تطوّراته التاريخية الحديثة⁽⁴⁷⁾.

(45) - م ن، ص 40.

(46) - م ن، صص 38-39.

(47) - انظر:

إنّ ما يبرّر حديثنا المذكور آنفا أنّنا نجد في مدوّنة المغيلي تصوّراً مؤسّساتياً للدولة رغم القوالب العتيقة التي صيغ فيها ذلك التصرّو واندراجه ضمن النسق الثقافي القائم على الآداب السلطانية. لذا يدعو المغيلي الأمراء المسلمين إلى إعادة تنظيم دولهم وترتيب شؤونها في جميع الوضعيات والحالات القائمة والمفترضة أي زمني الحرب والسلم⁽⁴⁸⁾. وهذا يدل على إدراك المغيلي لمفهوم الدولة بصفتها كيانا سياسيا وتاريخيا يعتريه ما يعترى بقية الكائنات الحية والظواهر الاجتماعية والحضارية من تحولات وتغيّرات ينبغي على صاحب السلطة تكييف سياساته معها، وإيجاد البدائل والحلول المناسبة لكي لا تصطدم بوقائع مخيّبة لأماله وتطلّعات رعيته.

تبدو دعوة المغيلي للأمير إلى ضرورة انتهاج سياسة ما اصطلح على تسميته بسياسة «الزهد والقوّة»⁽⁴⁹⁾ وفق مستجدّات اللحظة التاريخية ونوعية الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين المجايلين له تجاوزا لعالم المثالية إلى الواقعية الموصولة بروح الدين التي يتطابق فيها ظاهر السلطة السياسية مع ما تبطنه وتخفيه. وهذا أمر مفهوم بحكم تشبّع المغيلي بنفس مقاصدي بيّن «وهذا التصرّو أقرب إلى الواقعية من غيره. إذ يغدو الإنسان متّصلا بالواقع لا بظاهره فحسب، بل أيضا بباطنه الذي قد يكون طبقات بعضها أخفى من بعض. ومعلوم أنّ الواقع نفسه ليس مستوى واحدا، وإنّما مستويات عدّة منها الجلي ومنها الخفي. وهو أيضا طبقات بعضها أشكل من بعض إمّا طيّا للأسباب، أو طيّا للمكان، أو طيّا للزمان»⁽⁵⁰⁾.

إنّ تلك العوامل الترتيبية للحكم التي يمكن اختزالها في مفهوم الحوكمة الرشيدة⁽⁵¹⁾ المعاصر يربطها المغيلي في رؤيته السياسية بمسألة الشفافية

(48) - المغيلي، تاج الدين، صص 26-27.

(49) - م ن، ص 29.

(50) - طه عبد الرحمن، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية،

(بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط2، 2012)، ص 500.

(51) - اظر:

التي تشمل مختلف المستويات أثناء تعيين العمال والأعوان وبعد عزلهم أو حتى قبل تعيينهم لتتمّ محاسبتهم في كنف الوضوح والصرامة حتى لا تضيع أموال الناس باطلا « أن يحفظ على عمّاله في جميع أعماله، ويتدبّر أقوالهم، ويختبر أحوالهم، ويُحصي قبل الولاية أموالهم، ويتفقّد في كلّ شيء أعمالهم. فكلّ من ظهر عليه تقصير زجر، وكلّ من خشي منه ظلما عزله، وكلّ من تكرّرت فيه الشكوى من غير بيان أبدله»⁽⁵²⁾.

يرى المغيلي أنّ ثلاثية الحوكمة الرشيدة والشفافية ومقاومة الفساد تتطلّب من صاحب السلطة نفسا طويلا وجهودا مضنية لا تنقطع إلاّ لتتجدّد وفق سياسات وتدابير جديدة تتلاءم مع المتغيّرات. وقد أبدع المغيلي حينما أطلق صفة « كرم السلطة» على الوضعية التي تكفّ فيها تلك السلطة أيديها عن أموال الناس. فلا تصادر ممتلكاتهم أو تغرمهم طمعا وبغيا وعدوانا على أرزاقهم وممتلكاتهم ليتمتّع بها الأمير وبطانته في ملذّاتهم وشهواتهم. إذ في ذلك خراب المملكة ودمار عمرانها وانقطاع أيدي ناسها عن الكسب. «والكفّ عن أموال الناس بقاء المملكة وجمالها، والطمع في أموالهم خراب المملكة وزلزالها»⁽⁵³⁾.

سعى المغيلي بالتوازي مع ذلك إلى تبين المصارف الشرعية والعقلية للأموال التي ينبغي أن يحسن ترشيد نفقاتها ليس فقط بحسب الضروريات، وإنّما يميزان أكثر صرامة بتقديم «الأهمّ فالأهمّ، والأحوجّ فالأحوجّ، ويفضّل بعضهم على بعض بقدر الحاجة»⁽⁵⁴⁾. ومن هذا المنطلق يرسم المغيلي سياسة مالية ناجعة للدولة تحظى باحترام الرعية وثقتهم. فيتحوّل الخاصّة والعمال إلى أعوان مكلفين بتطبيق سياسة الدولة العامة في مجال التصرف في مواردها، معتمدين طريقة أميرهم أنموذجا وقدوة حسنة يقتدون به. وهو

(52) - المغيلي، تاج الدين، ص 36.

(53) - م ن، ص 48.

(54) - م ن، ص 52.

ما يسهم في إكساب تلك السلطة مصداقية لدى مجتمعها بما أنّها طبّقت سياساتها العامة على الجميع. ولم تقع في محذور البخل على الرعية وسخاء الحاكم على نفسه وانغماسه في الترف والمجون مثلما شاهده وعايته المغيلي في إمارات وممالك عصره مما فرض عليه البحث عن مدينته الفاضلة وأنموذجه البديل.

خاتمة:

لئن لم يخرج المغيلي من الدائرة الثقافية الإسلامية ونظامها المعرفي القائم على الانسجام والتكامل بين مختلف أصناف المعرفة وأنماطها، فإنّ رؤيته السياسية عكست مدى تشبّعه بروح تلك الثقافة الإسلامية. إذ نجح في تجاوز المغالطات التي تصطنع تعارضا بين العقل والنقل أو الحكمة والشريعة أو التصوّف والسنة. وهو ما أتاح له إنجاز قراءة مقاصدية للدين في علاقته بالسياسة والمجتمع في عصره. لذا يمكن القول بأنّ رؤية المغيلي السياسية حاولت إعادة الاعتبار لجوهر المنظومة الإسلامية التي تربط خلق الإنسان ووجوده بالعمل المتقن والصلاح الذي يتعدّى المصلحة الفردية أو الذاتية إلى مصلحة المجموعة والدولة.

ولا شكّ أنّ تلك المواقف التي صاغها المغيلي ما تزال تحتفظ براهنتها في ظلّ حالة التيه الحضاري التي يعيشها العالم العربي خصوصا بما أنّ بعض البلدان الإسلامية الأخرى قد قطعت خطوات هامة في درب الرقي الحضاري شأن تركيا وماليزيا. وهو ما يدفع إلى التساؤل عن نوعية الأسباب الحقيقية التي تجعل العالم العربي يتقدّم «القهقري» في وقت نجح فيه بعض المواطنين العرب المستقرّين بالمجتمعات الغربية إلى الوصول لمواقع علمية واجتماعية مرموقة؟....

قائمة المصادر والمراجع

1/ المدونة المدروسة:

1. المغيلي محمد بن عبد الكريم (ت909هـ)، تاج الدين في ما يجب على الملوك والسلطين، تحقيق محمد رمضان يوسف، (بيروت: دار ابن حزم للنشر، ط1، 1994).
2. المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسكيا محمّد وأجوبة المغيلي، تحقيق وتقديم عبد القادر زيادية، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1974).

2/ المراجع العربية:

1-2-الكتب:

1. بوعزيز يحيى، مدينة تلمسان، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2003).
2. الثعالبي عبد العزيز، روح التحرّر في القرآن، (بيروت: دار الغرب الإسلامي).
3. الجوزي جمال الدين، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992).
4. زيادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493-1591، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1981).
5. السوداني أبو العباس أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد الهرامة، (طرابلس: دار الكتاب، ط2، 2000).
6. سروش، السياسة والتدين حقائق نظرية ومآزق عملية، ترجمة أحمد القبانجي، (بيروت، لبنان، دار الانتشار العربي، ط1، 2009).
7. السيوطي جلال الدين، حسن المقصد في عمل المولد، (بيروت: مؤسسة البلاغ، 1987).
8. الطرطوشي أبو بكر (ت520هـ)، سراج الملوك، أوائل للمطبوعات العربية، (بيروت: 1289هـ).
9. عبد الرحمن طه، الحوار أفقا للفكر، (بيروت: الشركة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2012).
10. عبد الرحمن طه، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، (بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط2، 2012).

11. عبد الرحمن طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، (طرابلس: ط2، 2008).
12. بن عقيل أبو الوفاء علي (ت531هـ)، كتاب الفنون، تحقيق جورج المقدسي، (بيروت، لبنان: دار المشرق، ط1، 1970).
13. ابن قاضي شهبة أبو بكر بن أحمد (ت851هـ)، طبقات الشافعية: تحقيق عبد الحليم خان، (بيروت: دار عالم الكتب، 1407هـ).
14. ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت751هـ)، الطرق الحكمية، (مكتبة دار البيان، د-ت).
15. ماكياfli نيكولا، الأمير، تعريب محمد لطفي جمعة، (بيروت: مكتبة وادار بيليون، د-ت).
16. الماوردي أبو الحسن (ت450هـ)، قوانين الوزارة: تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ومحمد سليمان داود، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية: ط3، 1991).
17. المنجرة المهدي، عوالة العوالة، (الرباط: منشورات الزمن، ط2، 2011).

2-2-المقالات:

1. بوكريدي نور الدين، جهود العلامة المغيلي في مجال الكتابة في فقه السياسة الشرعية بين التجديد والتأثير، مجلة الشريعة والاقتصاد، عدد7، (الجزائر: 2015).
2. جلول هادي، الشيخ العلامة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، مجلة دراسات، عدد1، (الجزائر: 2013).

3/المراجع الأعجمية:

1. Habermas J ، Le Discours philosophique de la modernité ، trad. de l'allemand par Christian Bouchindhomme et Rainer Rochlitz ، (Gallimard : [Paris]) : 1988.
2. Kauffmann Michel ، Gunhild Samson ، Effets et jeux de pouvoir dans le discours politique et médiatique ، (PIA : Paris : 2002) ،
3. Moukamba Fidèle ، Ethique et gouvernance ، L'Harmattan (Paris : 2014).
4. Platon ، La République ، (Tunis ; CERES ، 1994).
5. Rodinson M ، Islam et capitalisme ، Edition du Seuil : (Paris : 1966).

بنيات التواصل بين الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي والتلمساني وإمارات وممالك أفريقيا الغربية خلال القرن 16م

د/ مبروك مقدم*

ملخص:

سنركز بهذه الدراسة الحقلية على مظاهر انبثائية صروح الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي منذ خروجه من مسقط رأسه مظهرين مجموعة الأسباب الداخلية والخارجية لمغادرته مسقط رأسه إلى وفاته سنة 909هـ/1503م. سوف نحاول استيضاح مجموعة العوامل الأساسية في حياته وتبنيها، والإجابة عنها بطرح العديد من الأسئلة التي لا تزال في نظرنا يكتنفها الغموض من جهة، أو لم ينتبه إليها المفسرون. وللإجابة عنها فقد تمّ تفحص مجموعة البحوث والدراسات والكتب والمصادر التي تناولت حياة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بأوجه متباينة ومختلفة. وهذا الاضطراب يعود في رأينا إلى ثلاثة عوامل:

العامل الأول: الاختلاف في تحديد تاريخ معين لقدم الإمام المغيلي وخروجه للأقاليم الأدرارية. **العامل الثاني:** ما كتبه خارج الوطن تصرف فيه الناسخون كثيرا. والدليل على ذلك الاختلاف حول عناوين كتب الإمام المغيلي. العامل الثالث: ما تمّ جمعه ورصده من مؤلفات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي توجي لغير المطلع بعددها المتداول. غير أن العدد الحقيقي لمؤلفات الإمام يفوق ثلاثة وسبعين عملا علاوة على مجموعة القصائد، والفتاوى على بعض النوازل التي كانت تنزل بالناس.

* مبروك مقدم: من مواليد سنة 1949 بولاية أدرار، خريج جامعة وهران وجامعة البليدة 2، حاصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع العنف والعقاب تخصص الوصم الاجتماعي، إطار سام في الدولة متقاعد، أستاذ معاون بجامعة وهران 2، متقاعد مع جامعة التكوين المتواصل فرع وهران، مؤلف في حوزته 65 تأليفا منها: 30 كتاب في تحقيق المخطوطات، 10 كتب حول التاريخ الاجتماعي للأقاليم الأدرارية، 25 كتاب في تحقق مخطوطات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، يعكف حاليا على توثيق كتاب يضم 10 أجزاء تحت عنوان (موسوعة علم الاجتماع الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية الدينية للأقاليم الأدرارية من نهاية القرن 17 لنهاية القرن 19م)

والسؤال الذي يطرح : ما المضامين التي مكّنت الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من تبوء المكانة الشرعية/والولاية الربانية خلال مسيرته التي أوصلته مقام ودرجة الأولياء الصالحين؟

الكلمات المفتاحية:الابتنائية، تقسيم العمل، إنتاجية العمل، الصالح، الولي.

Structures of Communication between Imām Muḥammad b. 'Abdul Karīm al-Maghīlī al-Tlemsani and the Princedoms and Kingdoms of West Africa during the 16th Century AD

Abstract

In this field study, we will focus on the construction manifestations of Imām Abū 'Abdullah Muḥammad b. 'Abdul Karīm al-Maghīlī edifice since his departure from his hometown, showing a number of internal and external reasons for his leaving until his death in 909 AH / 1503 AD. We will try to show and explain the main reasons in his life by giving many questions that still shrouded in ambiguity on the one hand, or which commentators did not pay attention to them. In order to answer it, several research studies, books and sources that dealt with the life of Imām al-Maghīlī were examined in different ways. In our opinion, this disturbance is due to three factors: The first factor: the difference in determining a specific date for the advent and departure of Imām al-Maghīlī to the region of Tuat. The second factor: what was written outside the country was used by transcribers a lot. The evidence for this is the difference in the titles of Imām al-Maghīlī's books. The third factor, what has been collected and monitored from the writings of Imām al-Maghīlī suggests to the uninitiated its current number. However, the real number of the Imam's writings exceeds seventy-three works, in addition to a collection of poems, and *fatwas* on some calamities that were befalling people. The question is, what are the contents that enabled Imām al-Maghīlī to assume the legal status and divine mandate during his career that brought him to the position and degree of righteous saints?

Keywords:

Anabolism, Division of Labour, Labour Productivity, The Righteous Saint

مقدمة:

نعني بالابتنائية بهذه الدراسة الحقلية كيفية تواصل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مع شعوب لا يعرفها إلا أنه بفطرتة وسليقته خلال فترة قصيرة تمكّن من بناء خيوط التواصل والاندماج بحياة المجتمعات رغم عوائق: اللغة والثقافة والدين والعادات والتقاليد والأعراف والبيئة. فحين دخل قصور قورارة بقرية أولاد سعيد أول ما اعترضه بنية اللهجة الزناتية المعتمدة بالمجتمع محادثة وإخبارا لكنها لم تمثل عنده عائقا لاندماجه في المجتمع والتفاعل مع الساكنة. ولما سافر إلى ممالك وأمراء أفريقيا الغربية كانت اللهجات المحلية تمثل عائقا أول الأمر ما تطلب منه مترجما، وما أن استوت عنده الرفقة، حتى استطاع الاندماج الكامل في مرافق الحياة الاجتماعية / الدينية / السياسية / القضائية / فأصبح إماما / قاضيا / مفتيا / مدرسا للأجيال.

نحاول بهذه الدراسة إمطة اللثام عن مجموعة البنيات المحفزة والمساعدة لبلوغ الإمام مرتبة الوالي الصالح المزار، تقام له فعالية الزيارة (الوعدة) كل سنة بقصر بوعلي، قسّمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ملخص لمفهوم الانبنائيات المغليلية، قسّم إلى ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: بنيات تفاعل محمد بن عبد الكريم المغيلي داخل الوطن، قسّم إلى ثلاثة مطالب.

المبحث الثالث: البنيات التفاعلية لمحمد بن عبد الكريم بإمارات وممالك أفريقيا الغربية، قسّم إلى ثلاثة مطالب.

المبحث الأول: ملخص لمفهوم الانبثائيات المغيلية.

المطلب الأول: مفاهيم الدراسة.

1-الانبثائية الاجتماعية(Social Anabolism): نعني بها تلك التصورات البثائية التي يركبها الفاعل في إطار تنظيم أفكاره وترتيبها، فهي نمو بناء تفاعل الفرد مع المجتمع يتم من خلاله استبناء وتكليف الأفكار والاتجاهات، والممارسات ليبنى من خلالها الكاتب صروحا تفاعلية. وهذا ما كان يفعله الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي⁽¹⁾. فعملية الانبثاء بهذه الدراسة، تأتي من فعل بنى يبني بناء، نقول فلانا بنى بيتا أو بحثا، فهو يبني بناء وابتناه يباري به غيره. والمقصود هنا بمفهوم البثيات كيفية بناء روابط وعلاقات للتواصل التفاعلي بين الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وأولئك الذين يختارهم للتواصل معه.

2-تقسيم العمل (Division of Labour): يمثل اعتماد الإمام المغيلي على منهجية وطريقة تقسيم الزمن لحقول حدها بمواعيد تمكنه من إعطاء كل زمان وحقل معرفي ما يلزمه من وقت. فقد كان يقوم بترتيب حقول التخيل الإنتاجي العلمي حسب مواعيدها الزمانية والمكانية. فكان تقسيم الزمن مطبوعا حسب الإنتاج العلمي⁽²⁾. يضاف إليه الزمان الوجداني (الاعتكاف بالخلوة) كل يوم بعد صلاة الصبح.

3-إنتاجية العمل (Work Productivity): عندما يدرك الفرد قيمة الزمن يتمكن من ضبط مواعيده بكيفيات تسمح له بتكثيف النشاطات وتنوعها في إطار زمني مكاني. فالكثافة الإنتاجية ترتبط أساسا بعملية ضبط مواعيد الزمن الإنتاجي العلمي، والزمن المخصص من قبل الفاعل لدراسة

(1) مصلاح، الصالح، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي-عربي(دار عالم للكتب، ط1، 1999)، ص497.

(2) ذبيان سامي، مرجع سابق، ص 147.

المسائل المطروحة من أفراد التفاعل، كالنوازل. فقد ثبت أن الكثافة الإنتاجية المغيلية وبنياته التأليفية ظهرت فيما منحه الله من قوة تأليفية ومثابرة التواصل العملي العلمي. فقد كان يعتمد في تأليفه وكتاباته على منظومة مقياسية معينة. فقد تمّ إحصاء الزمن الإنتاجي والزمن التدريسي والوعظي في مسيرة الإمام المغيلي. فجاءت الكثافة الإنتاجية لما يعادل 35 إلى 40 صفحة يوميا يكتبها بمعاونة نسخ عبد الجبار الفيقيقي، ناهيك العمليات الأخرى التي ينجزها وفق تقسيمه للأزمنة دون إغفاله عن أحوال الناس، واهتماماتهم الاجتماعية والدينية.

4-الصالح: جاءت من فعل صَلَح فهو صَلُحٌ وَالصَّلُحُ ضد الفساد، نقول صَلَحَ يَصْلُحُ ويصلح صلاحا وصلوحا وهو صالح وصليح أي: تقي، يجمع على صلحاء، نقول رجل صالح في نفسه من قوم صلحاء، ومصلح في أعماله وأموره، قد أصلحه الله وقد كُنُوا بالصالح، نقول أصلح الشيء بعد فساده: أقامه، وأصلح الدابة أحسن إليها، فصلّحت. والصالح تصالح القوم والصالح السلم وبكسر الصّاد مصدر المصالحة⁽³⁾.

لقد تعدّد مفهوم كلمة صالح، فهي تعني اليوم كل أنواع الأولياء بما فيهم الحمقى والبلهاء ومن له إشرافات علوية. نجد كلمة صالح وردت في مقابل ولي كما هو ببلدان المغرب العربي الكبير.

5-الولي: هو ذلك الشخص العارف بالله وبصفاته المواظب على الطاعات المتجنب للمعاصي المعرض عن الملهيات والشهوات المحافظ على السنن والآداب الشرعية، سمي وليا لتوليه عبادة الله على الدوام أو لأن الله تولاه بلطفه، فهو شخص تقي صالح يحظى في حياته ومماته بتقدير واحترام

⁽³⁾ ابن منظور، لسان العرب (بيروت، لبنان: م/1، بدون تاريخ النشر)، ص462.

الناس له⁽⁴⁾. وهذه الصفات ثبتت للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، ما جعل الناس يحمّدون عصره مثل ما حمّدت الأقاليم الأدرارية تواجده وارتباط تاريخها بتاريخه. لقد جاء تعريف الولي في القاموس المحيط، بالقرب، الدنو. والولي منه: المحبّ والصدّيق والنصير. وجاء المصطلح من الفعل العربي (وليّ) بكسر اللّام وفتح الياء، بمعنى: قُرب، وولّى بمعنى: حكم وحماية شخص ما، كما تعني: الحامي والرفيق والصدّيق⁽⁵⁾.

وفي التعريف اللغوي، جاءت كلمة الوليّ على وزن فعيل، بمعنى: الفاعل الذي والى طاعة الله، أي: تابع لطاعة الله ليلاً ونهاراً، صحة ومرضاً. والولّي بمعنى: مفعول، أي: والاه الله، أي: حفظه من كل مكروه. ونعني بهذه الدراسة، ذلك الشيخ الورع الذي تولّاه الله أمر المسلمين في تدبير دنياهم وآخرتهم، وهذه المهمة يوكلها المولى عز وجلّ لرجال يصطفهم من عباده الصالحين.

عندما يرتقي المسلمون بأحد يوصفونه بالصالح، يختارون كلمة وليّ التي تعني القريب من الله تعالى، فقد درس «كلود زهير» مختلف معاني الكلمة في القديم عند المسلمين، فوجد أن في القرآن لها معان مختلفة، فقد وردت بمعنى الوليّ الذي يطلب الانتقام، قال تعالى: {قُلْ أَدْعُ الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا}⁽⁶⁾ بمعنى حليف صدّيق، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁷⁾.

(4) ادموند دوتي، الصلحاء، ترجمة: محمد ناجي بن عمر (الدار البيضاء، المغرب:

إفريقيا الشرق، 2014)، ص55.

(5) جمال معتوق، كتاب جماعي، معجم الأولياء والكرامات، التوزيع الجغرافي للأولياء في

الجزائر (عمان، الأردن: دار ألف للوثائق، ط/1، 2022)، ص49-51.

(6) سورة الإسراء، الآيتين: 5-6.

(7) سورة يونس، الآيتين: 63-64.

المطلب الثاني: نسب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني؟

1-مولده ونشأته: ولد محمد بن عبد الكريم المغيلي بمدينة مغيلة بتلمسان سنة 831هـ/1428م، من عائلة علمية ذات حسب ونسب اشتهرت بالشجاعة والكرم والزود عن الأوطان، لا تخشى في الله لومة لائم. فكان رحمه الله تعالى لا يكل ولا يمل في نصرة الضعيف وإغاثة الملهوف، فقد شارك أحد أجداده (إلياس المغيلي) في الفتوحات التي قام بها (طارق بن زياد)على الأندلس. ومدينة مغيلة استوطنتها قبيلة الإمام لترحل لتلمسان ووهران ثم المغرب، فهي مدينة صغيرة بناها الرومان، لها أرض على الجبال وأخرى بالسهول⁽⁸⁾.

2-اسمه: هو محمد بن عبد الكريم بن محمد أبو عبد الله محي الدين المغيلي التلمساني.

3-نسبه: محمد بن عبد الكريم بن محمد بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحيى بن علي ابن أحمد بن عبد القوي بن عباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر مكررة بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت النبي صل الله عليه وسلم.

4-المغيلي: نسبة لقبيلة مغيلة البربرية، استوطنت تلمسان، ثم وهران، والمغرب. فرع من قبيلة صنهاجية.

5-التلمساني: نسبة إلى مسقط رأسه باعتباره موقع ميلاده وتنشئته الأولى.

6-التواتي: نسبة إلى لأقاليم الأدرارية، ارتبطت نسبه لها لتعداد رحلاته إليها بتواريخ مختلفة ذهابا وإيابا.

⁽⁸⁾ الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقية، ترجمة: محمد حجي (دار الغرب الإسلامي، ج/1، ط/2، 1992)، ص 297.

7-كنيته:(أبي عبد الله) نسبة إلى ابنه الأصغر الذي تفرع منه آل المغيلي بقصور توات.

8-نشأته: نشأ الإمام المغيلي بين أحضان عائلته المشهورة بالعلم والتقوى والتصوف. خرج منها العديد من العلماء والمتصوفة على سبيل المثال:(الشيخ موسى بن يحيى بن عيسى المغيلي المازوني). كما تنشأ على يد الشيخ محمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب، أخذ عنه القرآن الكريم ومبادئ الفقه وأمّهات الكتب الفقهية كالرسالة، ومختصر خليل وابن الحاجب، وابن يونس. وأخذ الحديث عن الإمام سعيد المقري، وعلوم التربية، واخذ عن الإمام يحيى بن يدر بقصور توات التفسير والفقه، كما أخذ عن أبي العباس الوغليسي⁽⁹⁾.

المطلب الثالث: في مفهوم البنية.

1-مفهوم البنية (Structure): البنية في اللغة: البنيان أو هيئة البناء، وبنية الرجل فطرته وقوامه، نقول: فلان صحيح البنية. وعند الفلاسفة: هي ترتيب الأجزاء المختلفة التي يتألف منها الشيء (بناء صروح تبوء المكانة القداسية الربانية). وتطلق البنية في علم التشريح على تركيب أجزاء البدن لأعلى وظائف هذه الأجزاء (الفسولوجية). وفي علم النفس تطلق على العناصر التي تؤلف الحياة العقلية من حيث هي عناصر ساكنة⁽¹⁰⁾.

وفي دراستنا الحقلية نعني بها مضامين انبناء عقود التناهي والتباري لدى الفاعل الذي يحاول بناء خطوات مستقبلية لعبور الحاضر إلى المستقبل، وبمعنى خاص إطلاقها على كل مؤلف من أبنية تفاهمية، تكون

⁽⁹⁾ مقدم مبروك، مدونة فقه التشريع، (وهرا، الجزائر، دار القدس العربي، ط/1، 2012)، ص35.

⁽¹⁰⁾ صليبيا جميل، المعجم الفلسفي: عربي/فرنسي/انجليزي/لاتيني(بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني، ج/1، 1982)، ص217.

كل بنية تابعة لسابقتها ومرتبطة بها. والبنية أنواع: اجتماعية / لغوية / مادية / ثقافية. فهذا ما نعنيه بمفهوم البنيات بدراستنا، نحاول استجلاء عناصر التوافقات والتباينات بين الأبنية، والوصول للعلاقة التفاهمية الكامنة التي تمكن الفرد ان يبني مجموعة من الحقول يرتبط بعضها ببعض بالتفاهات التي يستجلمها الفاعل. ترتبط البنيات بظاهرة تقسيم العمل داخل الهيكل العام للمجتمع وبعملية البحث عن مكثرات عوامل تكثيف إنتاجية العمل المبدعة، فكلما تطور نشاط تقسيم العمل بموازين ومقاييس مضبوطة، كلما حصل الفاعل على مسارات ترشده لمستقبل أفضل، قد تحصل بعض المطبات المعيقة لسير عملية التواصل داخل البنية، سلبية وقد تكون إيجابية، وبما أننا نبي حقول الترتي فلا وجود لبنية ساكنة، أو التراخي عند الصدمة والإعاقة، فعمليات التغيير التي كان ينشدها الإمام محمد بن عبد الكريم تمثلت بقانون التحوّل من حالة ساكنة إلى حالة دينامية.

لمفهوم البنية معانٍ مختلفة في علم الاجتماع والانثروبولوجيا، يصعب حصر لائحة كاملة لتفسيراتها، فبالنسبة لـ«موردوك Murdock» يدل مفهوم البنية عنده على تماسك المؤسسات والحقول التي تعني تجميعا حقيقيا. وهذا المعنى يكون مفهوم البنية عند الوظيفيين والبنويين قريبا من مفهوم النمط⁽¹¹⁾. يستعمل مفهوم البنية لمواجهة تعابير أخرى، إذ يميز "فغورفتش Gurvitch" بين المجموعات المنبئية عن المجموعات المنظمة، فالطبقات عنده منبئية. فمفهوم البنية يواجه في ظروف أخرى بمفهوم المصادفة، ما يعني التخطيط للوصول إلى هدف قد يتحقق وقد لا يتحقق، تلعب الظروف هنا العامل الحاسم، وفي حالات أخرى يستعمل مفهوم البنية للتمييز ما بين الثانوي والجوهري.

(11) يوريلو، ر، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: سليم حداد (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط/1، 1986)، ص90.

يرى «مانهايم» أن البنية: (نسيج القوى الاجتماعية في نشاطها المتبادل والذي تخرج منه مختلف نماذج الملاحظة، التصورات، التمثيلات). بهذه الحالة يدل مفهوم البنية بصورة ضمنية مجمل عناصر نظام اجتماعي معين، يقودنا هذا إلى الفرق بين البنيات ومسارح الحقول المعنية، وهنا يبدو مفهوم البنية مترابطا مع مفهوم النظام إذا اعتبرنا النظام كل العناصر المتبادلة ضمن النسق العام.

2-تعريف البنية لغة: جاءت من فعل (بَنَى) بيتا أحسن بناء وبنيان، نقول: فلان يباني فلانا يباريه في البناء، ومجازا نقول: بنى فلانا على أهله: دخل عليها⁽¹²⁾، والأصل في ذلك البناء والترصيص. وفي اللسان من بَنَى بنا في الشرف، وهو: جمع بنوه أو بنوة⁽¹³⁾. وفي تاج العروس (بنى) نقيض الهدم، يقال: بناه يبنيه بنياً بالفتح، وبنأه بالكسر والمد، وبنى بالقصر، وبنيانا كعثمان، وبنيه وبناية بكسرهما، وابتنأه وبنأه بالتشديد للكثرة، هي بمعنى واحد. والبناء ككتاب، ويراد به أيضا البيت الذي يسكنه الأعراب في الصحراء. والجمع أبنية.

3-التعريف الاصطلاحي للبنية: هي ذلك الكل المكوّن من أجزاء منتظمة ومترابطة لهذا الحد وذلك وإلى هذه الفترة أو تلك. يستعمل علماء الاجتماع مفهوم البنية لمعان مختلفة وأحيانا متناقضة بحسب تناولهم للمجتمع ككل أو تناول جماعات خاصة بالتنظيم الاجتماعي أو المواقف الاجتماعية أو بناء مراحل العبور من وإلى.. ويمكن التمييز بين البنى حسب المستويات التالية:

⁽¹²⁾ الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، عيون السود (بيروت، لبنان: الكتب العلمية، ج/1، ط/1، 1998)، ص 87.

⁽¹³⁾ الزبيرى محمد مرتضى الحسينى، تاج العروس، تحقيق: مصطفى حجازي (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط/1، 2001)، ص 216.

فعلى مستوى الأشكال بمعنى نمط يشكل الفرد مقاصده، وعلى مستوى تنظيم البحث، أي المواقع تحديد المواقع المستهدفة. وفي هذه الحالة يجري العمل مع البنيات على أنها كلا خاصا بالنسبة لغيرها، فالبنيات ليست أجساما جامدة تخضع لأداة الفاعل؛ بل هي أجسام حية متطورة تمتلك تاريخها الخاص في الزمان والمكان⁽¹⁴⁾. وهذه الحالة ما نوع الضغوط التي بنت شخصية الإمام المغيلي وجعلت منه أيقونة القرن السادس عشر الميلادي؟ يمكن اجمالها فيما يلي:

- 1) تلك الظروف المضطربة التي كانت تعيشها تلمسان والعالم الإسلامي؛
- 2) انبناء قدية الأقران البحث عن كيفية بناء كيان مستقبل يمكنه طرح أفكاره وتوجهاته المستقبلية؛
- 3) التطلع الدائم للتفوق والعلمية والإصلاح والبحث عن ملاذ آمن يستطيع فيه أن يكون كما يريد.
- 4) مساعدة الأهل على الرحيل لتنفيذ أبنيته التي خطط لها وارتضتها له العائلة.

لقد شبّه «إميل دوركهايم» تلك البنى بالموجودة في البيئة الطبيعية، فيقول عندما يؤدي الفرد واجباته تجاه أسرته ووطنه، ويؤدي التزاماته تجاه نفسه، فقد التزم في بما حدد القانون والمجتمع، لأن هذه المؤشرات كلها تقع خارج نفوسنا وأفعالنا وتصرفاتنا. فالهدف من ذلك أن ننظر للأشياء على أنها خارجة عن إدراكنا وإن كانت تؤثر فينا. وقد خالف هذا الرأي "أنتوني غدنز" الذي يرى ضرورة النظر للفجوة الظاهرة بين البنية والفعل، بل يجب الإقرار بأننا نحن الذين ننشط في صياغة البنية التفاعلية وإعادة صياغتها

⁽¹⁴⁾ ذبيان سامي وآخرون، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (دار رياض الريس للكتب والنشر، ط/1، 1990)، ص93.

من خلال التفكير والسلوك، لأن المجتمعات البشرية في حالة مستمرة من التباين (Structuration) والتشكيل، في كل لحظة كحال البناء المعماري.

يرى «أفرنج هوفمان» ثمة بنية ثنائية أي أن الفعل الاجتماعي يسبق البنية الاجتماعية، وأن البنية تسبق الفعل في نفس الوقت لأن البنية تعتمد على انتظام الأنماط وتوازنها في السلوك الإنساني⁽¹⁵⁾.

4-التعريف الإجرائي للبنية: نعني بها تلك المجموعات التفاعلية المرتبطة بعلاقات تفاعلية ينسجها الفاعل لبناء حقول التواصل مع محيطه، بهدف بناء شخصية تفاعلية تحوز القبول على مسرح الأحداث، باعتماد مجموعة الوسائط والادوار لضمان القبول الاجتماعي والرضى الرباني.

المبحث الثاني: بنيات تفاعل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي داخل الوطن

المطلب الأول: بنية خروجه من مسقط رأسه.

لقد تفاعلت مجموعة من العوامل شغلت ذهن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أدت في النهاية إلى اختياره مغادرة مسقط رأسه من بينها:

1) إنجاز بناء كيان بديل خالٍ من الأمراض الاجتماعية والصراعات المذهبية، وهيمنة الجالية اليهودية على دواليب الحياة الاقتصادية والمالية ومضايقة المسلمين في حياتهم ومعيشتهم؛

2) الابتعاد عن مظاهر الصراعات الطائفية الدينية، والاعتماد كلية على الكتاب والسنة، وإبداء الرأي باستخدام الحجة العقلية لمقارعة الخصوم؛

⁽¹⁵⁾ انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، (بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ط/1، 2005)، ص704.

3) اكتشاف السلطان المريني (المتوكل على الله) مؤامرة قلب نظام الحكم واغتياله شهر شوال سنة 874هـ/1469م؛

على إثر هذه الواقعة أمر المتوكل بالله جنده بقتل من شارك في المؤامرة وكان من بين الذين شملهم حكم الطرد وهدم البيوت، وحرق الكتب «الشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي»، فسافر لفاس سنة 874هـ/1469م هرباً من بطش المتوكل وجنده، بقي بها إلى أن وافته المنية سنة 914هـ/1509م. وقد نصح صديق دربه محمد بن عبد الكريم المغيلي الخروج من تلمسان حتى لا يقع بيد المتوكل على الله. وعمره آنذاك 31 سنة.

والسؤال الذي يطرح: لماذا اختار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التوجه لمدينة بجاية بدلا عن الجزائر، أو تونس لإكمال الدراسة بجامع الزيتونة، أو فاس للانضمام لجامع القرويين الأقرب إليه تفاعلا اجتماعيا وتاريخيا. فاختار متابعة الدراسة الزاوية البجاوية عند الشيخ أحمد إبراهيم البجاوي، بقي بها أربعة سنوات بحسب السياقات الزمنية المستقاة ومن العوامل المساعدة لتوجهه لبجاية، ثمة عوامل داخلية وخارجية:

أ- العوامل الداخلية:

1) محاولة الابتعاد عن الفتن والمناوشات التي كانت تنشب بين علماء تلمسان آنذاك؛

1) تشجيع العائلة ومباركتها مواصلة الدراسة خارج تلمسان.

ب-العوامل الخارجية:

1) السمعة العلمية العالية التي تحوزها الزاوية البجاوية من ازدهار علمي وكثرة طلابها؛

2) انتشار صداها في أصقاع الغرب والجنوب الجزائريين وحتى خارج الوطن؛

3) تخصصها الصوفي الذي يمثله سيدي أحمد إبراهيم البجاوي المتخرج من المدرسة الثعالبية بالجزائر.

والسؤال المطروح: لماذا اختار سيدي إبراهيم البجاوي إرسال الإمام المغيلي إلى المدرسة الثعالبية؟ وما المواصفات والمقاييس التي استطلعها في الإمام ليحثه على التوجه نحو الجزائر للانتساب للمدرسة الثعالبية؟ ولماذا لم يطلب منه التوجه إلى جامعة الزيتونة الأقرب إليه؟ الجواب في عاملين أساسيين:

العامل الأول: وجهه إلى المدرسة التي تخرّج منها عالم صوفي يعد عميد المتصوفة آنذاك.

العامل الثاني: ما لاحظته سيدي إبراهيم من استعدادات روحية وذكاء وفتنة عند الإمام جعله يختاره من بين تلاميذه ليرسل به إلى سيدي عبد الرحمان الثعالبي. ولا ندري بالضبط تاريخ خروجه من بجاية متوجها إلى الجزائر. الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي طالبا بالزاوية الثعالبية.

انتظم الإمام المغيلي إلى باقي طلاب سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وكان من الطلاب النجباء الأذكياء الذين لاحظ فيهم عبد الرحمان الثعالبي الاستعداد الفطري الكامل لتحمل المسؤولية. بقي المغيلي لفترة من الزمن، اختاره الإمام عبد الرحمان الثعالبي لتحمل أمانات كلفه بها.

والسؤال المطروح: لماذا اختار سيدي عبد الرحمان الثعالبي الإمام المغيلي من بين طلابه لتحمل مسؤولية تكليفه بتبليغ مهام المضامين الشرعية، الروحية، الوجدانية الثلاثة التالية وتنفيذها:

1) مقاومة الشذمة اليهودية بقصور توات الذين يعثون في الارض فساداً؛

2) نصر من لا ناصر له إلا الله سبحانه وتعالى؛

3) نشر مبادئ والطريقة القادرية وتعاليمها بقصور توات وإمارات وممالك أفريقيا الغربية.

الظاهر أنّ سيدي عبد الرحمان الثعالبي تكشف العقل الباطن للإمام المغيلي لما شاهد ورأى فيه من استعداد فطري وإقدام على تحمل الأمانة وتبليغ الدعوة ونشر الإسلام وتعاليمه بإمارات وممالك أفريقيا الغربية، والملاحظ أن سيدي عبد الرحمان قد قدّر المخاطر والصعوبات التي قد تواجه الإمام المغيلي عند اندماجه بمجتمعات لا يعرفها، فقد يواجه مصاعب لغوية، دينية، اقتصادية، اجتماعية، انبثائية تراكيبية بالبناء الاجتماعي الأدراري. فكانت وصايا شيخه التحلي بالصبر والمثابرة والمغامرة، فلم يرغب عن سيدي عبد الرحمان أن يذكر الإمام المغيلي بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾⁽¹⁶⁾. فحثّه أن يجعل من مقاصد ومعاني هذه الآية منهاجا وزادا لنشر الدعوة الإسلامية بين الناس خاصة بإمارات وممالك أفريقيا الغربية. وختتم وصاياه للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بعبيق الآية قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنَّ صَبْرَكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾⁽¹⁷⁾. هذه الآيات زاد وقبس من نور لناشري الدعوة المحمدية، وتاج الصابرين على المكاره، ومنهج يستضيء به العارفون بأمر الله تعالى الذين وهبوا أنفسهم لله ودعوته في أصقاع الأرض. فغرض الإمام الثعالبي حثّ الإمام محمد بن عبد الكريم على الصبر والمثابرة في ظلّ تواجد جالية يهودية ماكرة تناكفه أعماله وتعمل على افساد خططه وتوجيهاته.

⁽¹⁶⁾ سورة النحل، الآيتان: 125-126.

⁽¹⁷⁾ سورة النحل، الآيتان: 127-128.

لم يكن اختيار الإمام عبد الرحمان الثعالبي⁽¹⁸⁾ للإمام المغيلي محل صدفة أو اعتباطا، بل كان مبنيا على دراسة ودراية بالمؤهلات العلمية والإمكانات الجهادية التي اكتسبها الإمام المغيلي طيلة انتسابه للزاوية البجاوية والزاوية الثعالبية. لقد تزوج الإمام المغيلي ابنة سيدي عبد الرحمان الثعالبي (زينب الثعالبي)⁽¹⁹⁾، وقد أنجبت له ثلاثة أبناء هم:

(1) علي، وتوفي صغيرا وقبره على الجهة اليسرى من قبر أمه ببلدية أولاد سعيد؛

(2) محمد عبد الجبار، وهو الذي اغتالته الجالية اليهودية؛

(3) عبد الله، وهو الذي تفرّج عنه آل المغيلي بأقاليم توات/قورارة/تيديكلت/لحمادة والذي كَتَبَ به الإمام.

● جدول يمثل آل محمد بن عبد الكريم المغيلي بالأقاليم الأدرارية:

الرقم	الاسم العائلي	مكان الإقامة
1	بافكر	زاوية الشيخ
2	عثمان	زاوية الشيخ
3	الحاج أحمد	زاوية الشيخ
4	عثمان	زاوية الشيخ
5	الحاج الصديق	زاوية الشيخ
6	عبد الرحمان	زاوية الشيخ

(18) الثعالبي عبد الرحمان: هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي، العارف بالله، صاحب التصانيف العديدة، أهمها تفسيره للقرآن الكريم (الجواهر الحسان في غاية الحسن) وله تأليف في: الفقه، التصوف، يعد علامة الجزائر في زمانه أخذ العلم عند ابن مرزوق الحفيد، والبرزلي، وأخذ عنه ابن مرزوق الكفيف والإمام السنوسي، وأحمد إبراهيم البجاوي، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي. ولد سنة 775هـ/1383م، توفي سنة 785هـ/1470م.

(19) مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، (تلمسان: دار الكتاب، 2003)، ص42.

زاوية الشيخ	سالم	7
زاوية الشيخ	خضير	8
زاوية الشيخ	عبد الله	9
زاوية الشيخ	كروم	10
زاوية الشيخ	عبد الكريم	11
زاوية الشيخ	باعلي	12
قصة الجنة بوعلي	العثماني	13
زاوية الشيخ	عثماني	14
زاوية الشيخ	الحاج أمحمد	15
زاوية الشيخ	أبا الطاهر	16
قصر أقديم	غرابي	17
قصر تمقطن	الغوث	18
قصة السيد أولف	المغيلي	19
تيميمون	المغيلي	20
تماسخت	بن عبد الكريم	21
تاخفيف	الشيخ	22

معلومات الجدول: (الحاج محمد بافكر)⁽²⁰⁾

لقد كَتَبَ بابنه الأصغر (أبي عبد الله) الذي بقي بعد وفاته، وتفرعت منه شجرة آل المغيلي بالأقاليم الأدرارية. انجب ولدين هما «محمد، وعبد الرحيم» تقام سلكتة بقصر زاقلو كل سنة⁽²¹⁾. وتقام زيارة المغيلي 12 ربيع الأول.

⁽²⁰⁾ الحاج محمد بافكر: أحد الأحفاد.

⁽²¹⁾ مقدم مبروك، رسالة في الغلائف للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2016)

ليست الهجرة هدفا أوليا عند الإمام المغيلي بل الظروف القاهرة تحكمت فأرغمته على اعتمادها مخرجا لبناء فواعل ترسخت في ذهنه منذ خروجه من مسقط رأسه، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ، قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} ⁽²²⁾. فالهجرة في أصلها باقية كما جاء في الحديث (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة) ⁽²³⁾. والملاحظ ما راعته فتوى الإمام أحمد بن يحيى الونشريسي بضرورة الخروج من المدينة التي يعتقد المسلم أنه قد لا يأتى على دينه وعرضه فيها. فالهجرة هنا تصبح مباحة وواجبة. وهذا ما أقدم عليه الإمام المغيلي، استخلص قراره من النصوص القرآنية وفتوى زميله أحمد بن يحيى الونشريسي ⁽²⁴⁾.

المطلب الثاني: بنيات تفاعل الإمام المغيلي بالأقاليم الأدرارية.

لقد كان نزول الإمام المغيلي أول الأمر بقصر تتركوك، ولم يحدثنا الكتاب عن تاريخ دخولها، فحسب المعطيات وبعض الشهادات التي تمّ استيفؤها من كبار القصر أكدوا لنا بقاءه بهذه المدينة مدة غير محددة ليبنى بها: قوس النصر على مدخل المدينة لازالت آثاره؛ بناء مسجده؛ إحداث زقاق سمي (بزقاق الجماعة للتداول والتشاور ضمنه)؛ تنظيم مسيرة القوافل التجارية العابرة للقصور ليرحل عنها ويحط بقرية أولاد سعيد تبلغ المسافة بينهما ما بين 60 إلى 65 كلم.

1: الإمام المغيلي بقصر أولاد سعيد: لقد كانت هذه القرية تعجّ بالتجار اليهود المتحكمين في دواليب التجارة الخارجية والداخلية بقي بها مدة ثمان سنوات رفقة زوجته فأول ما قام به:

⁽²²⁾ سورة النساء، الآيتين: 97-98.

⁽²³⁾ الحديث رواه أبي داود في سننه تحت رقم 2479 وصححه الألباني.

⁽²⁴⁾ الونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس، تحقيق: أحمد حجي، (بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ج/2، 1981)، ص123-124.

- بناء مسجده الذي لا يزال قائما يعرف بمسجد الإمام؛
- بناء زاويته بقيت آثارها فقط؛
- العمل على تنظيم مرور القوافل التجارية بين أولاد سعيد وباقي القصور بناحية قورارة؛
- تنظم وفرض نظام الحسبة على التجار بدفع إتاوة المرور لبيت مال المسلمين الذي أنشأه؛
- بناء مدرسة أقريش⁽²⁵⁾؛
- بناء قوس النصر بمدخل المدينة لغرض تحديد مجال الدخول والخروج للقصر، بُنى على ربوة لتوجيهه جحافل القوافل التجارية وإظهار المدينة من بعيد، القوس لا يزال يسمى بقوس المغيلي.
- والسؤال المطروح: ما المصاعب التي واجهت مسيرة الإمام المغيلي بقصر أولاد سعيد. هناك العديد من الصعوبات التي واجته أثناء تواجده بقصر أولاد سعيد منها:
- صعوبة اللهجة: فالمجتمع يتحدث الزناتية تعاملًا وسلوكًا وتعاملًا في التجارة وأثناء التواصل؛
- التحكم التام للجالية اليهودية في دواليب الاقتصاد، والتجارة الخارجية والداخلية وقواعد الصرف (المقاييس / المعايير / الموازين) كلها بيد اليهود فاحتكرت التعاملات السوقية.

⁽²⁵⁾ أقريش أو المحضرة: تعني تعلم القرآن واعمل على نشره بين الناس. مصداقًا لقوله عليه الصلاة والسلام (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وهي كلمة زناتية اسم مذكر فزنته تؤنث بالتاء: توات، تيديكلت، تيط، تمنطيط، وتذكر بالألف: أفوس، أمطوي، أبادو... الخ.

- حالة الفاقة التي عليها أفراد المجتمع صعبت من الوصول أول الأمر لعدد كبير من السكان الذين كانوا يعملون في الخماسة / الخراصة / المثلثة / والتجارة القوافلية اليهودية.

- من الصعوبات التي عرضت للإمام المغيلي تلك المناكفات والخلافات التي حدثت بينه وبين أحد علماء تميمون "سيدي موسى والحاج" حول التعامل مع الجالية اليهودية بقصر تميمون فالمغيلي رفض التعامل معهم بينما سيدي موسى والحاج طلب عدم التدخل في شؤونهم وتحادث مع الإمام العصنوني بتمنيط.

وبعد فترة بدأ الإمام المغيلي يجمع حوله مجلسه الفقهي والعلمي نواته (بناء مسجد، ومحاضرة لتعليم القرآن الكريم) ومجموعة من تلاميذه ليبدأ في سن مجموعة البنيات الوقفية منها:

(1) قراءة الحزب الراتب بعد صلاة المغرب؛(2)إلقاء الدروس العلمية والفقهية؛(3) تفسير وتحليل النوازل التي كانت تطرح عليه.(4) تدريس التلاميذ بمدرسته. في هذه المرحلة لم يبدأ الإمام المغيلي عملية التأليف.

2: الإمام المغيلي بقصور تمنيط.

انتقل الإمام المغيلي إلى قصور تمنيط رفقة ابنه الأكبر محمد عبد الجبار، تاركا السيدة زينب الثعالبي مع ابنه الأصغر عبد الله بأولاد سعيد. والسؤال المطروح: ما الدافعية لانتقال المغيلي من قصر أولاد سعيد ليستقر بقصر تمنيط؟ هناك مجموعة عوامل التي ساعدت على انبناء فواعل التواصل للانتقال لقصور تمنيط.

(1) كانت تمنيط المركز الأول اقتصاديا ثقافيا دينيا ماليا صناعيا تجاريا، ودار القضاء العام؛

(2) تمنطيط كانت مركز قيادة كافة قصور توات، قورارة، تيديكلت،
لحمادة؛

(3) كما تعتبر المركز السياسي والإداري لقصور توات لامتلاكها خطة
قاضي قضاة الجماعة؛

(4) كانت تضم أكبر جالية يهودية تسيطر على المال والتجارة والموازن،
والصناعة التقليدية.

لما دخلها الإمام أول مرة انتسب للدراسة عند الشيخ «يحيى بن يدر
التدلسي»⁽²⁶⁾ فحصل أول لقاء له مع عبد الله العصنوني كطالب ومتعلم، لم
يحدد لنا الفقه المحلي تاريخ دخول الإمام هل هي أول مرة أو ثاني مرة يدخل
قصور تمنطيط. لقد جلس الإمام المغيلي مع الإمام العصنوني على مقعد
الدراسة عند يحيى بن يدر التدلسي⁽²⁷⁾ لما عاد المغيلي من سفريته لفاس
سنة 888هـ/1483م⁽²⁸⁾. لما دخل الإمام المغيلي قصور تمنطيط وجدها تعيش
حالة من الفوضى والتأزم والاضطرابات والصراعات بين المسلمين واليهود
لعدم وجود حاكم فعلي ينظر قضايا المجتمع. بمعنى لا يوجد حاكم على كل
الأراضي فالأقاليم كانت "سيبة".

(26) بابا أحمد، التمبكتي الصنهاجي، ولد في 21 ذو الحجة 963هـ/الموافق 28 أكتوبر
1556م فقيه مالكي قاض مدينة تمبكتو استخلف أباه في كرسي الإمامة والقضاء، يعد
من المؤرخين التراجم في السودان الغربي له مجموعة من الكتب منها نيل الابتهاج في
تطريز الدباج. وله مجموعة من الفتاوى منها معراج الصعود إلى نيل مجلوبي السودان
فيها على أسئلة طرحت عليه من قصور توات ومن المغرب الأقصى. تدور حول بيع
المجلوبين بأسواق النخاسة وهم مسلمون، توفي رحمه الله 6 شعبان سنة 1036هـ/
الموافق ل22 أبريل 1627م، ص 637.

(27) يحيى بن يدر عتيق التدلسي، أبو زكريا: فقيه عالم مشهور بقصور توات، أخذ
العلم عند الإمام ابن زاغو وغيرهم، أخذ عنه الإمام المغيلي الفقه، التفسير وعلوم
التصوف، توفي بقسنطينة يوم الجمعة قبل الزوال عاشر سفر سنة 877هـ/1473م،
وقد ذكر ذلك تلميذه الإمام المغيلي. للمزيد ينظر: بابا أحمد التمبكتي، نيل الابتهاج
بتطريز الديباج (طرابلس، ليبيا: دار الكتاب، ط/2)
(28) مقدم مبروك، مرجع سابق، ص 142.

1) عدم وجود نظام سياسي إداري منظم واضح فأرباب القصور يتحكمون وينظمون الحياة بين الناس؛

2) سيطرة رؤساء القبائل والقصور على قصورهم؛

3) سيطرة الجالية اليهودية على دواليب الاقتصاد/ المالية / التجارية / الهيدروولوجية/الصناعية؛

4) كان المجتمع يعيش حالة من التشتت والتشرذم والضياح؛ القوي يأكل الضعيف بما يملك من مصادر تتيح له استغلال الضعفاء كخماسين وخراصين، ومثالثين، وخدمة في الأسواق.

5) حاول أول الأمر وضع قواعد بناء إمارة إسلامية بقصر تمنطيط لتنظيم الحياة الاجتماعية/ السياسية/ الاقتصادية/ القضائية/ التجارية/ الصناعية فلم يسعفه الحظ لمخالفة ذوي المال توجهه.

6) ومع هذا فقد تمكن من بناء بعض معالم السلوك الجماعي الديني بسنّ قواعد بناء بيت مال المسلمين.

سافر الإمام المغيلي لمدينة فاس للمرة الثانية بعد أن بدأ الصراع يكبر بينه وبين قاضي قضاة الجماعة، وبعد انقسام المجتمع الأدراري إلى فريقين متناقضين حول فتوى الإمام المغيلي (أبعاد اليهود عن حياض المسلمين، ودفعهم الجزية لبيت مال المسلمين) لما عاد وجد شيخه قد توفي، ووجد ارتقاء عائلة العصنوني منصب قاضي قضاة الجماعة. فبدأت مظاهر الخلاف والتباينات تتزايد وتكبر وأصبح كل شيخ يجمع ويكوّن أتباعه لتبني وجهة نظره حول من له الحق في تسيير أمور المسلمين بالقصور الادارية. فالعصنوني يدعى أنه استلم خطة القضاء تبعاً للعرف المتبع في المجتمع، بينما الإمام المغيلي يشير لاستلامه الإجماع الشوري من كافة سكان قصور توات ليكون الحاكم الفعلي لها. لما عاد الإمام المغيلي من سفره سنة 888هـ/1483م، جعل همه تنفيذ المسائل التالية:

- 1) إيقاظ الروح الدينية بين عامة المسلمين داخل وخارج قصور توات؛
 - 2) إظهار خلافاته مع بعض علماء عصره على رأسهم قاض قضاة الجماعة الإمام عبد الله العصنوني حول نوازل قصور توات؛ وبعض العلماء من خارج قصور توات. فأصبحت النازلة عالمية.
 - 3) البحث عن كيفية إنارة العقول بنشر التعاليم الدينية الصحيحة بواسطة التعليم والتدريس؛
 - 4) نشر الفكر الإصلاحى بين عامة الناس ومحيطه بواسطة مذهبه الروحى الإصلاحى والجهادى؛
 - 5) البحث عن كيفية إمالة علماء عصره من خارج قصور توات لشرح نازلة يهود توات مع الإمام عبد الله العصنوني وأعيان القصور حول قضية دفع الجزية وتحديد مستحقها ومقدارها كل سنة، وحول نازلة هدم أديره اليهود المبنية قديما والمحدثة؛ ومنع بيع الارض لبناء السناقوق.
 - 6) العمل على تهيئة جيل جديد لتقمص الروح الدينية الجهادية للدفاع عن الأرض والعرض؛
 - 7) العمل على تصحيح المسارات المغلوطة والمندسة قصد تشويه الإسلام والمسلمين؛
 - 8) العمل على ترسيخ نمطية جديدة في المجتمع تعتمد على الحوار البناء وقرع الحجّة بالحجّة.
- 3: بنيات تفاعل وتواصل الإمام المغيلي محمد بن عبد الكريم المغيلي بتمنيط.

لقد كانت أول بنية بناها الإمام المغيلي بناء مسجده، وبناء زاويته، وبناء مدرسة اقربيش، فبدأ إنزال مجموعة من الفتاوى ونشرها في المجتمع، منها: تحريم التعامل مع اليهود. فقد نتج عن هذه الفتوى مجموعة العوائق حاول

المناوئون له تعطيل مسيرته وثنيه عنها. وقد وجد معارضة شديدة من الإمام عبدالله العصنوني.

اعتماد سكان المنطقة اللهجة الزناتية؛ وفقدان رأس أو عمود يرتكز عليه المجتمع؛ سيطرة اليهود على دواليب الحياة الاقتصادية والمالية وسك العملة المحلية المثقال الذهبي والفضي، واحتفاظهم بالمكاييل والموازين.

فطرح فتواه الثانية بتكفير من يتعامل مع اليهود، كونهم خارجين عن الحدود الشرعية لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽²⁹⁾ رافضون لحدود الله مصداقا لقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾⁽³⁰⁾ بما أن المجتمع لم يكن مهياً لفهم مضامين فتاوى الإمام واستيعابها، فالعامة كانت خارج ذلك التواصل البنائي مع الإمام المغيلي مما صعب عليه في المرحلة الأولى جلب أكبر عدد لتبني فتاويه.

المطلب الثالث: فتاوى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي على الأسئلة المطروحة عليه.

ينذر تعدد الفتاوى التي أصدرها الإمام محمد بن عبد الكريم وتنوعها بأنه كان رقما فاعلا يحسب له الحساب بين علماء عصره داخل وخارج الوطن تنوعت فتاويه ومناظراته لمختلف المشاكل المطروحة.

فبرغم الانقسامات التي عرفها المجتمع الأدراري حول تفسير وفهم مقاصد بعض النوازل، وهذا أمر طبيعي أن يكون هناك اختلاف لفهم العلماء مضامين تلك النوازل والافتاء حولها لارتباطها بعامل الزمان والمكان وعلمية المفتي. وهنا يتضح أن هناك نوعين من العلماء التواتيين:

⁽²⁹⁾ سورة المائدة، الآيتين: 53-54.

⁽³⁰⁾ سورة التوبة، الآية: 29.

النوع الأول: علماء درسوا وتلقوا معارفهم داخل وخارج الأقاليم الأدرارية بنو تجارب وخبرات عظيمة.

النوع الثاني: علماء انحصرت دراستهم داخل الأقاليم الأدرارية وبالتالي اختلفت المصادر والموارد، ومناهل العلماء الذين تلقوا عليهم. فلم يراكموا تجارب خارجية ولم يطالعوا مختلف المتون والمراجع.

لهذا نجد العلماء يختلفون في تفسيراتهم للنوازل التي كانت تنزل بالمسلمين بغض النظر عن زمان ومكان ظهورها وأسبابها ودواعيها، وتحقيق ملبساتها وتأثيرها على الأفراد كونها تبني مسارات حياتية.

*الفتوى الأولى: تدور حول منع التعامل والتعاطي مع اليهود، بنى الإمام المغيلي مضامينها مصداقا لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا»⁽³¹⁾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾⁽³²⁾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽³³⁾. استخلص مضامين هذه الفتوى من فحوى هذه الآيات، لذا أفقى بأن المتعامل معهم يعد خارجا عن التعاليم الدينية النقلية والعقلية وهو كافر بما أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام.

*الفتوى الثانية: تدور حول بيع قطعة أرض ليهودي ليبنى عليها معبدا يعبد فيه غير الله تعالى فقد أفقى الإمام المغيلي بحرمة بيع الأرض لبناء

⁽³¹⁾ سورة النساء، الآية: 144.

⁽³²⁾ سورة الممتحنة، الآية: 01.

⁽³³⁾ سورة المائدة، الآية: 51.

موضع يعبد فيه غير الله. اعتمد في ذلك على إجماع بعض العلماء ممن ايدوه بمنع بناء أماكن لعبادة غير الله⁽³⁴⁾.

فقد أفتى بعض العلماء بمنع تمكين الذمي بناء (دير، أو كنيس، أو سن قوف) في أرض العنوة التي قسموها لثلاثة أنواع: أرض خارجية؛ أرض داخلية؛ أرض سائبة. وأرض توات آنذاك لم تكن كلها تحت وضع اليد فأكثرها كانت (سائبة) وبناء عليه أصدر الإمام المغيلي فتواه بمنع بيع الأرض لبناء معبد، وقد كفر الشيخ أبو القاسم العبدوسي من منح أرضاً لبناء كنيس.

***الفتوى الثالثة:** تدور حول إلزام اليهود بدفع الجزية إلى بيت مال المسلمين وهم صاغرون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾⁽³⁵⁾. فقد طلب الإمام المغيلي إلزامهم الذلة، والمسكنة والصغار عند الأداء في أقوالهم وأفعالهم فبنى فتواه على ثلاثة مضامين: 1. كونه لا دين لهم؛ 2. كونه لا عقل لهم؛ 3. كونه عديم المروءة. فلم يكن قبله يوجد بيت مال المسلمين، لما استقر بتمنيط بناه ورعاها.

***الفتوى الرابعة:** تتعلق بضرورة أبعاد أبنية اليهود عن حياض أبنية المسلمين، يدور فحواها حول ما يراه قد يؤثر على المسلمين من إفشاء أسرارهم وكشف عوراتهم بنقل أخبار المسلمين لليهود، وخاصة نقل أخبار الركبان، فلا يجب كشف عورة المسلم للكافر لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁶⁾. وقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ

⁽³⁴⁾ الونشريسي أحمد، مرجع سابق، ص 239-246.

⁽³⁵⁾ سورة التوبة، الآية: 29.

⁽³⁶⁾ سورة المائدة، الآية: 57.

النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ
آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٧﴾ .

*الفتوى الخامسة: تتضمن تحريم التعامل الربوي مع اليهود، فقد كانت جلّ تعاملاتهم ربوية يقرضون الناس حملا من القمح ويطالبون في العام القادم بحملين من القمح. وإن عجز يرتفع لثلاثة أحمال وهذه المعاملة أدت إلى إفقار صغار التجار ومالكي العقار الفلاحي ومياه الفقارة، وعملت على تنزيل البعض من مكانة لأخرى أدنى منها، وعندما يعجز المقرض عن دفع ما عليه للقارض كان ينزع منه (بستانه/منزله/شاته/ ابنه/ بنته). وهكذا ينزل من مالك إلى أجير عند عجزه عن تسديد ما اتفق عليه، كانت تنزع منهم أملاكهم وتحوّل لليهودي المقرض. وقد كانت هذه الفتوى إحدى الفتاوى التي أحدثت صدى كبيرا لارتباط مدلولاتها بحياة الافراد والجماعات. فقد اعتمدها سكان إمارات وممالك أفريقيا الغربية ظهرت في مختلف تصانيفهم، فمن تأثيرها قلّة وانخفاض الأغلال والحبوب والتمور والبضائع كالطباقي، والحنة، فانقطعت القوافل الزاحفة نحو إمارات وممالك إفريقيا الغربية، فاشتكى وراسل بعض الأمراء علماء توات عن قلة التجارة القادمة من الأقاليم الأدرارية، فكان السبب تطبيق محتوى فتوى الإمام المغيلي بعدم التعامل الربوي الذي يقوم به اليهود المحتكرين للتجارة القوافلية العابرة للصحراء. وبما أن الطرق القوافلية بيد اليهود تجارة، بضاعة، تأميناً، امتنع الناس عن التعامل معهم فحصل كساد تجاري بضاعي بين الأقاليم الأدرارية وإمارات وممالك أفريقيا الغربية نهاية القرن السادس عشر، وبداية القرن السابع عشر الميلاديين بفضل فتوى الإمام المغيلي.

(37) سورة المائدة، الآية: 82.

*الفتوى السادسة: تتعلق (باقتراب المسلمين من الكافرين وأكل أطعمتهم)، فقد أفتى الامام بتحريم ذلك فيقول:(من قرّب كافرا تقريبا الصديق ولم يدافع عنه في الضلالة بطريق، فهذا رجل ضعيف التصديق، أمر سوء على التحقيق، لاسيما إن كان الكافر يتصرف في أعماله ويتطوّف بين منازل وعياله، ويفرح النساء والأولاد بطرق الهدايا والأعياد). فأنشد هذه الأبيات للتدليل والدلالة:

برئت للرب الودود * من قرب أنصار اليهود
 قوما أهانوا دينهم * ورفعوا دين اليهود
 يا ليتهم لو دبروا * واسترجعوا واستغفروا
 ونشروا ما أظهروا * من نصرهم رهط اليهود

تعبّر هذه الأبيات عن الحرقّة ورؤية الامام لمقتضيات الحياة العامة والسلوكية وتآزم أمور المجتمع من انقسامات وتوتر وتشردم ظاهرين بين الناس، وحتى بين علماء عصره بعضهم مع بعض. بفعل الاسافين التي تدقّها الجالية اليهودية لإحداث الفتنة والفرقة بين المسلمين (فرق تسد) لتجد مكانها بين المتخاصمين تميل لفريق بالمودة والمحبة وتظهر البغض والكراهية لأخرى⁽³⁸⁾. يواصل الإمام في سرد معالم فتواه (ومثل هذا الرجل لا تقبل شهادته، ولا تصلح إمامته ويجب عداوته، حتى يتوب إلى الله وتحسن حالته؛ لأن تقريب الكفرة بهذا الوجه من نفسه وعياله دليل واضح على جهله وضلاله، وكفى به من الضلالة والخسران، أن نصّب قلبه وقلب عياله لسهام الشياطين وعرض عرضه للطعن عليه بضعف الإيمان وأصبح من باطنه أهل الجزية والذلة وغضب الرحمان، ألم تر قبول بعض أهل المذهب

⁽³⁸⁾مقدم مبروك، مرجع سابق، ص 108.

يجب على المرأة المسلمة أن تستر من جسدها على المرأة الكافرة ما يجب عليها ستره على الرجل الأجنبي المسلم⁽³⁹⁾.

*الفتوى السابعة: في كراهية الزواج بالكتابات ووضع السكة بأيديهم⁽⁴⁰⁾.

في هذه الفتوى نستطلع أمرين مهمين:

الأمر الأول: كراهية الزواج بالكتابات، فربط ذلك بكشف سرائر المسلمين من قبل الأبناء عن طريق الخؤولة⁽⁴¹⁾. مصداقا لقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ وَلَآئِمَةً مُّؤْمِنَةً خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُوْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾⁽⁴²⁾ فالأمر لا يعني أخذه بظاهر الآية بل مضامينها تدل على صدق ما ذهب إليه. فقد كان الأطفال مزدوجي الأبوين (مسلم/يهودية) ينقلون عورات المسلمين.

الأمر الثاني: وضع الموازين والسكك (المعيارية) بيد اليهود أفسد الحياة التعاملية، الاقتصادية، التجارية، الدينية فقد استدل على ذلك بالآية الكريمة قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁴³⁾.

⁽³⁹⁾ مقدم مبروك، نفس المرجع، ص110.

⁽⁴⁰⁾ مقدم مبروك، رسالة لكل مسلم ومسلمة (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط/3، 2013)، ص106.

⁽⁴¹⁾ مقدم مبروك، مرجع سابق، ص123.

⁽⁴²⁾ سورة البقرة 219.

⁽⁴³⁾ سورة الممتحنة، الآيتين: 8-9.

*الفتوى الثامنة: في وصف ما عليه يهود هذا الزمان في أكثر الأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان، بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان. لقد جاءت فتواه بناء على سؤال طرح عليه فيما عليه يهود توات، وتنجورارين، وتفلالت، ودرعة وأكثر الأوطان كإفريقيا وتلمسان من الجرأة والطغيان. فيقول حلت دماؤهم وأموالهم، ولا ذمة لهم لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية لا ذمة الجاهلية... إلى أن يقول: تكون لهم الذمة الشرعية بإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون⁽⁴⁴⁾.
لقد دأب اليهود تقديم عطايا وهدايا لأرباب الشوكة ورؤساء القصور وما سماهم (بالغلائف) لقد أسهبت في مضمون ومعنى مفهوم كلمة الغلف أو المثلث، أو الغليف، والغلائف⁽⁴⁵⁾.

المبحث الثالث: بنية تولية الإمام المغيلي الولاية الشرعية على كل قصورتوات.

لما اشتدت الخلافات بين الإمام المغيلي والإمام عبد الله العصنوني، طالب المغيلي جماعته الالتقاء بالساحة العامة، فخطبهم طالبا منهم منحه الولاية (الشرعية) بقصور توات، فوافقوه على ذلك. فقد كان خروجه من مسقط رأسه برسم الدعوة إلى الله والدفاع عن إقامة الحدود الشرعية إرضاء لله ورسوله. فطالب شاسع الأصحار، ومضامين الاوطان فتوطن أولا تنكركوك، ومنها نزح لقرية أولاد سعيد ومنها سافر إلى قصور تمنطيط، فاستقر بها سنة 883هـ/1478م.

ولما عزم على السفر إلى إمارات أفريقيا الغربية وممالكها خلف مكانه ابنه محمد عبد الجبار بواسطة إقامة إشهد الناس على تلك التولية حسب ما جاء منصوصا عليه برسالة الاستخلاف.

⁽⁴⁴⁾ مقدم مبروك، مرجع سابق، ص 39.

⁽⁴⁵⁾ مقدم مبروك، مرجع سابق، ص 93-94.

المطلب الأول: دو افع سفر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى إمارات وممالك أفريقيا الغربية.

هناك على ما يبدو مجموعة من الدوافع والعوامل الأساسية التي دفعته للانتقال لمدينة كانو والزواج بها من امرأتين، خلفتا له ثلاثة أبناء هم: (1) محمد الأبيض وحيد أبيه مع أمه؛ (2) أحمد متوسط إخوته؛ (3) عيسى الابن الأصغر أمهما واحدة. وكان حسب العلماء على رأس السفرية مجموعة الإبنائيات التالية:

– العامل الأول: نقل وصية شيخه، نشر الطريقة القادرية بإمارات وممالك إفريقيا.

– العامل الثاني: تجسيد فكرته التي راودته منذ خروجه من تلمسان، بناء كيان (إمارة إسلامية)

– العامل الثالث: نشر الإسلام والتعاليم الإسلامية بهذه الربوع.

– العامل الرابع: قطع الطريق أمام الجالية اليهودية وغلفائها بتقويض خططهم وتجارتهم نحو إفريقيا.

العامل الخامس: طلبات أمراء أفريقيا الغربية وممالكها لرؤيته بعد أن سمعوا عنه وقرأوا له الكثير من الفتاوى التي وصلتهم عن طريق التجار/الحجاج/الطلبة. فجاءته مراسلات من الأمراء والممالك للاستعانة به في بناء السياسة الشرعية والدين (محمد زنقا/ محمد أسقيا الكبير).

وهنا يحسب للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أنه أول من بنى عناصر التباني والتوافق والمرافقة بين شعوب وعلماء الأقاليم الادارية وأمراء وممالك أفريقيا الغربية خلال القرن 16م. وان كان التواصل التجاري بين الشعوب متوصلا عن طريق القوافل التجارية. ولما استقر بتوات، وانتشرت وصاياه وسمعت كلمته، وكثرت جموعه وجماعته، ولاحظ من تمرد اليهود على الحكام والاحكام، بنقض العهود والتعرض لهتك أعراض

المسلمين، بالمكر والخديعة، والسحر، تصدى لمحاربتهم وقطع أديبارهم، فأذلمهم الله على يديه، بكسر شوكتهم، وهدم ما أحدثوا من كنائس وأديرة بعد توليهم إحكام جلّ قراها، قامت لهم الكلمة في غالب نواحيها، وقد جعله الله مرصداً لهم حتى ردهم إلى ما كانوا عليه في الزمن السالف، وأبرز فتواه في التعرض لقتلهم. بقوله: «من قتل يهودياً له من مالي الخالص سبعة مثاقيل من ذهب». ما يدل على أنه كان يملك ثروة كافية فطردهم وبراءاً ذمة المسلمين منهم، لأنهم لم يلتزموا الشروط المقررة في الشريعة الإسلامية لإبقائهم تحت الذمة، وإبقاء حرمتهم، فنازعه في ذلك قاضي قضاة الجماعة عبد الله العصنوني.

المطلب الثاني: فتوى الإمام المغيلي والقاضي العصنوني حول نازلة يهود توات.

يقول الإمام المغيلي بوجوب قتلهم والتعرض لهم لانتهاكهم الحرمات وطغيانهم وتمردهم على الأحكام الشرعية. وقد ساعدهم أهل الحل والربط من ولاة هذا الزمان، وتسامح المسلمون معهم، فخاف أن يؤول الأمر إلى ما هو أكبر من ذلك⁽⁴⁶⁾. فشنع عليه الإمام العصنوني ذلك، ونسب إليه ظلم اليهود، وفساد شأنهم قائلاً: «لا يجوز التعرض لهم ولا التعدي عليهم لأنهم تحت ذمة المسلمين محترمة دماؤهم، وأموالهم، باحترامها». فكاتبا بذلك علماء تلمسان وفقهاءها وشيوخها، وفاس وتونس وغيرها من البلاد مستنهضين هم العلماء حول النازلة.

أولاً: نص رسالة الشيخ العصنوني: بلفظها يقول الإمام العباس أحمد: (كتب صاحبنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني من بلاد توات لفقهاء تلمسان، وفاس، وتونس ما نصه «سادتي، ما مقالكم في مسألة وقع النزاع فيها بين علماء الصحراء، وهي كنائس اليهود الكائنة بتوات وغيرها

⁽⁴⁶⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق: بونار رابح (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1968)، ص 08.

من قصور الإسلام، وقد شغب علينا في ذلك المغيلي وولده عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع في فتنة، وذلك أني أفيتت بتقريرها، وسأشير لكم ببعض جوابي في الكنائس ملخصا لتنظروا فيه، وذلك أني طالعت ابن عرفة وابن يونس، فوجدتهما قد حصلا في ذلك أقوالا ثلاثة وتكلموا في حكم بلاد الصلح وبلاد العنوة، والذي اختطه المسلمون، وقد تكلم ابن يونس على الثلاثة، واستند في حكمه على قول مالك في بلاد الإسلام والعنوة، واتخذة دليلا على الحكم الذي أسسه في البلاد التي اختطها المسلمون وذكر بلاد الغير ببلاد العنوة»⁽⁴⁷⁾.

إنّ محصلة رسالة الإمام العصنوني أنه رجح إبقاء كنائس اليهود القديمة وإحداثهم كنائس أخرى كما في نفس الرسالة. وقال والصواب عندي إبقاؤها إتباعا لقول الغير، ولما جرى العمل به في كثير من مدن المغرب خلافا لما عليه مالك الخ.

ثانيا: نص رسالة الإمام المغيلي: أما نص رسالة الإمام المغيلي فقد قال فيها بعد الافتتاح (من عبىد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني لطف الله به، وبعد: فقد سألتني بعض الأخيار عما يجب لأهل الذمة من الجزية والصغار، وهل ندرج تحت الذمة يهود هذا الزمان، مع ما هم عليه من التمرد والطغيان، وعن محاباة، وتولي أصحاب الشوكة لهم، أقول وبالله التوفيق: قال الله جل جلاله: {الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثُثُونَ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}⁽⁴⁸⁾. وكل جنس إلى جنسه ألف من جميع الحيوانات، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وأنشد الشيخ المغيلي أبياتا في الموضوع حيث يقول:

⁽⁴⁷⁾ الونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار المغرب، تحقيق: محمد حجي (دار الغرب الإسلامي، ج/2، 1981)، ص214.
⁽⁴⁸⁾ سورة النور، الآية: 26.

إذا قرب السلطان خيار قومه *** وأعرض عن أشرارهم فهو صالح
وإن قرب السلطان أشرار قومه *** وأعرض عن أختيارهم فهو طالح
وكل امرئ ينبئك عنه قرينه *** وذلك أمر في البرية واضح⁽⁴⁹⁾

الرسالة طويلة جدا ركزَ حكمه في الفصل الثالث وقال: «ولا شك أن اليهود المذكورين كهود توات وتنجرارين وتفالات ودرعة وتلمسان، وكثير من الأوطان الإفريقية قد أحلت دماؤهم، وأموالهم، ونساؤهم، لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية لا الذمة الجاهلية وإنما تكون لهم الذمة الشرعية مع إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، لقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾⁽⁵⁰⁾. وحكم مالك بحكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نبين لك ما رواه ابن حبان وغيره، عن عبد الرحمان بن غانم أنه كتب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين طلب منه الصلح لنصارى الشام بقبولهم شروطا اشترطها عليهم ابن غانم وقال بشرط إقرار عمر لها، فكاتبه بن غانم على لسانهم فيقول: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من نصارى الشام: إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا، وعيالنا، وأموالنا، وأهل ملتنا، وشرطنا لكم على أنفسنا ألا نحدث في مدننا، ولا في ما حولنا كنيسة، ولا بيعة، ولا صومعة راهب، ولا نجدد ما خرب منها، ولا نمنع كنائسنا أن ينزل بها المسلمون، ولا نعلم أولادنا

⁽⁴⁹⁾ مقدم مبروك، أجوبة الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد أسقيا الكبير، (وهران: دار الغرب، ج/2، 2002)، ص90.

لقد جاءت هذه الأبيات في رد الإمام المغيلي على أسئلة الأسقيا عن السؤال الأول الذي طرحه عليه محمد أسقيا الكبير من بين جملة التساؤلات، فجاء رده عن السؤال الأول هذه الأبيات استخلصها من البيت الشعري لطرفة بن العبد البكري:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه *** فكل قرين بالمقارن يقتدى⁽⁵⁰⁾
سورة التوبة، الآية 29.

القرآن، ولا يظهر شرعنا، ولا ندعو إليه أحدا، ولا نمنع الإسلام عن أحد من قرابتنا إن أراد الدخول فيه. وأن نعظم المسلمين ونحترمهم ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في عمامة، ولا قلنسوة، ولا فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نتكفى بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئا من السلاح، ولا نحمله معنا، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية، ولا نبيع الخمر، وأن نجر مقادير رؤوسنا، ونلزم زينا حيث ما كان، وأن نشدّ الزنانير على أوساطنا، ولا نظهر صلباننا، ولا كتبنا في طرق المسلمين وأسواقهم، ولا نضرب بنواقصها في كنائسنا إلا ضربا خفيفا، ولا نرفع أصواتنا في شيء في حضرة المسلمين، ولا نخرج بأسوعاتنا، ولا يغوثاتنا، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في طرق المسلمين، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهامهم، ولا نعلي منازلهم: شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا، وقبلنا الأمان وإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم، فلا ذمة لنا ولا أمان، وقد حلّ لكم منا ما حلّ لكم من أهل العناد والشقاق»⁽⁵¹⁾. فأجابه عمر الفاروق: أن امض لهم ما سألوه وزد فيه:

(ولا نشترى شيئا من سبايا المسلمين، ومن ضرب مسلما فقد ملكه نفسه بسبب الضربة يتصرف فيه تصرف العبيد بالبيع والشراء والعمل، ومن طلب شيئا من أحكام المسلمين فقد قتل نفسه بيده).

فقال الإمام المغيلي وعلى هذا الكتاب اعتمد أجلاء علماء كل مذهب من الأربعة في الأحكام المتعلقة بأهل الذمة وما شد منهم إلا قليل. وذكر الإمام المغيلي اتفاق أئمة المالكية واختلافهم وما استدل به كل فريق⁽⁵²⁾. فانشد يقول:

⁽⁵¹⁾ الونشريسي أحمد، مرجع سابق، ص 27.

⁽⁵²⁾ مقدم مبروك، مرجع سابق، ص 47.

لا شك أن الق نور ** في كل سوق لا يجور
ينصره الرب الشكور ** على النصرى واليهود

وقد كان في صف الإمام المغيلي أئمة ثقة ورجال هداة، وعلماء أفاض
منهم: الإمام أبو مهدي عيسى بن أحمد المواسي الفاسي، والإمام العلامة
السنوسي، والإمام محمد بن عبد الجليل التونسي⁽⁵³⁾.

● جدول مؤيدي فتوى المغيلي ومعارضيه والإمام العصنوني:

الرقم	العلماء المؤيدون فتوى الإمام المغيلي يهدم أديرة اليهود	العلماء المعارضون فتوى الإمام المغيلي والمؤيدون فتوى الإمام العصنوني
01	أبو مهدي عيسى بن أحمد المواسي	عبد الله بن أبي بكر العصنوني
02	أحمد بن يحيى الونشريسي	أحمد بن محمد بن زكريا التلمساني
03	محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي	أحمد بن زكريا التلمساني
04	الشيخ أبو القاسم العبدوسي	أبو زكريا أبي البركات
05	محمد بن يونس السنوسي	الرصاع محمد بن بلقاسم
06	الحسين بن الطيفور الساموكني التازيني ⁽⁵⁴⁾	عبد الرحمان بن سعيد ⁽⁵⁵⁾

⁽⁵³⁾ المغيلي محمد، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق: بونار رابح (الجزائر):

المؤسسة الوطنية للكتاب، 1968)، ص 90.

⁽⁵⁴⁾ مقدم مبروك، مرجع سابق، ص 65-85.

⁽⁵⁵⁾ مقدم مبروك، نفس المرجع، ص 87-104.

المطلب الثالث: مناظرات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي.

لقد انتظمت له مناظرة مع الإمام جلال الدين السيوطي حول جواز استعمال علم المنطق وتعليمه: لقد اختلف الكتّاب والمحققين المحليين والأجانب حول مكان إجراء المناظرة بين الإمامين.

الفريق الأول: يرى أنها تمت بإمارة كانوا عند زيارة الإمام جلال الدين السيوطي لهذه الإمارة. وهذا الرأي اعتقد أنه الاضرب لما اطلعنا عليه من رسائل موجهة من الإمام السيوطي لأمير كانوا بعد رجوعه من سفريته يحثه فيها الامير عن مظاهر العري التي رآها بين النساء سافرات عاريات. فالعرف عندهم أن تبقى البنت عريانة بين والديها تستر عورتها بعد ما تزوج.

الفريق الثاني: يرى إجراء المناظرة بأسيوط بمصر عند زيارة الإمام المغيلي لجلال الدين السيوطي أثناء توجهه لأداء فريضة الحج رفقة الإمام⁽⁵⁶⁾ (عمر الشيخ).

إن تأخير العلماء في الرد على رسائله لم يوهن من عزيمته ولم يقلل من شأن المسألة المطروحة فلم يمل او يكل بل ذلك ما زاد من عزيمته لتنفيذ بنيات تواصله مع المحيطين به داخلا وخارجا فواصل الكفاح بالقلم، والموعظة الحسنة واللسان، والسيف، إلى أن تحقق له خروج اليهود من قصور توات وتوزعوا في الرحاب الخالية والعامرة، وكان هذا دأبه إلى آخر أيامه.

المناظرة الأولى: بين الإمام المغيلي والإمام جلال الدين السيوطي، موضوعها (استعمال وعدم استعمال علم المنطق). فالمغيلي يرى (ضرورة

⁽⁵⁶⁾ عمر الشيخ بن احمد بن محمد بن علي الكنتي اصغر أبناء سيد احمد الثلاثة، من الأولياء المشهورين سافر للمغرب ومصر والشام، صاحب الإمام المغيلي مدة ثلاثين سنة كان شعاره دائما (الصحة الصحة)، أخذ عنه الطريقة القادرية تم اللقاء بينهما في رحلة الهوصا، يعد عمر الشيخ المؤسس الحقيقي للطريقة البكائية، التي بلغت أوجها مع حفيده الشيخ مختار الكنتي المتوفى سنة 1226هـ الموافق 1821م، توفي سيدي عمر الشيخ سنة 959هـ الموافق 1552م.

استعماله للحجة وبناء البرهنة العقلية للمخاطب) فلا يمكن للمسلم الاستغناء عنه لتكوين مضامين الحجج ضد الخصوم.

بينما الإمام جلال الدين السيوطي: يرى العمل بالمنطق بدعة وخروج عن السلف الصالح، فهو من علوم الكفار لذا نهى عنه، كونه من منهج الكافرين وقد جاء في الآثار ذم استعماله كما يرى.

بينما ثبت عن الإمام المغيلي منذ نعومة أظفاره انه رضى الله عنه يدعو لأفراد العبادة لله الواحد الأحد ولا يخاف في الله لومة لائم. فعند دخوله إمارات وممالك أفريقيا الغربية لاحظ خليط من الديانات والمعتقدات واللغات، والعادات والتقاليد والأمم والأجناس، ولما استتب له الأمر دعا أمراء وممالك الإمارات للدخول في الإسلام الحنيف واتباع تعاليمه الحنيفة، مما هيأ له أرضية بناء علاقات التواصل بين الأمراء والممالك وعشائريهم. فاهتدى الإمام المغيلي منذ صغره لإصلاح ذاته وطلابه ومحبيه، باعتماد منهجه ومذهبه الثوري الجهادي برغم الصعوبات التي اعترضت طريقه، ومنها.

(1) مضايقات أفراد الجالية اليهودية وغلائفهم؛

(2) عدم إدراك بعض العلماء الذين غردوا خارج سربه؛

3. لما انتابه تأخر ردود العلماء عن رسائله التي بعث بها للأقطار العربية والإسلامية. فيقول: « من حوى علوم يهود أو نصارى لأجله يحوز به علما لديه، وأنه يعذب تعذيبا يليق بفعله بينما، أنّ الحق هو الميزان وليس الرجال الذين يذهبون إليه، وأنه يؤخذ إن صحّ ولو من كافر»⁽⁵⁷⁾. يظهر تأثير الإمام المغيلي على علماء القارة الإفريقية حيث أن (أبا العباس أحمد بن أحمد بن عمر التمبكتي أب أحمد بابا) المتوفي سنة (991هـ/1583م) شرح للإمام

⁽⁵⁷⁾ المغيلي محمد، مخطوطة شرح كتاب الجمل للإمام المغيلي في المنطقة توجد نسخة بالمركز الوطني للمخطوطات بأدرار.

المغيلي منظومته في المنطق، وقد علق⁽⁵⁸⁾ عليها فوضع سنة (973هـ/1550م) شرحا على أرجوزة المنطق للإمام المغيلي وهو قاض، وقد وقع الحوار في قيمة علم المنطق، فكتب في ذلك الإمام المغيلي نظما ونثرا محتجا على الإمام السيوطي في تنفيره من دراسة علم المنطق، لاسيما وأنه وسيلة ضرورية لإدراك الحق من الباطل ومما قاله نظما:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله * وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة * وينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعني لإعارة * عن الحق أو تحقيق حين جهله
معانيه في كل الكلام فهل ترى * دليلا صحيحا لا يرد لشكله
وأجابه الإمام جلال الدين السيوطي بمنظومة شعرية من نفس البحر
يقول في مطلعها:

حمدت إله العرش شكرا لفضله * وأهدي صلاتي للنبي وأهله
عجبت لنظم ما سمعت بمثله * أتاني عن حر أقربنبيله
تعجب مني حين ألفت مبدعا * كتابا جموعا فيه جم بنقله
ودع عنك ما أبدى كفور وبعد ذا * لدى ثناء واعتراف بفضله⁽⁵⁹⁾
1. الآثار العلمية للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

لقد خلف الشيخ العلامة البحر الفهامة سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي العديد من الآثار العلمية يمكن توصيفها على ثلاثة أصناف:
1) الآثار المتعلقة بالاتجاه التصحيحي للإعوجاجات التي وقف عليها
بالمجتمع؛

⁽⁵⁸⁾ أقيت عبد الله محمد بن عمر، الصنهاجي، مخطوطة الفهرس في المنطق شرح على
جمل الخونجي، توجد المخطوطة بمكتبة مركز الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية
أدرار.

⁽⁵⁹⁾ مقدم مبروك، مدونة الفقه الجدلي (وهران: دار القدس العربي، ج/1، 2012)،
ص 83-84.

2) الآثار العملية المتعلقة بالاتجاه الروحي الوجداني لدعوته وبناء منهجه العلمي وتصوفه؛

3) الآثار العلمية والعملية المتعلقة بالاتجاه المتمثل في إصدار الفتاوى والتأليف التي خلفها بعد وفاته، والتي سهر تلامذته على إخراج بعضها بكتب مطبوعة.

4) وإن كانت أجريت بمصر في أسيوط، فالسؤال: لماذا اختار الإمام المغيلي إجرائها بهذه الدولة العظمى. اعتقد أن الأمر يعود إلى ثلاثة عوامل أساسية: العامل الأول: لياخذ مكانته العلمية بين علماء العالم بالخروج من المحلية للارتقاء للعالمية. العامل الثاني: لإظهار قوته وعلميته وتفرضه أمام فطاحله علماء الأزهر الشريف. فيظهر لهم قدرة وقوة علماء الجزائر خلال القرن السادس عشر بين الأمم. العامل الثالث: تبليغ مضامين منظومته (منح الوهاب في رد الفكر للصبواب) والشرحين اللذين وضعهما عليه، وإظهار علم المنطق كضرورة عقلية لكل مسلم ومسلمة لتأسيس الحجج وتركيبها.

لقد وجدت أطروحات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي السند والمؤازرة بالحجج الفقهية لدى بعض العلماء من أمثال أبي مهدي عيسى المواسي، وأبي عبد الله محمد بن غازي، وأحمد بن يحيى الونشريسي، والإمام السنوسي والتنسي. وبالحجج الفقية أيضا يرى فريق آخر أمثال عبد الله بن أبي بكر العصنوني، وأحمد بن محمد بن زكري التلمساني وعبد الرحمان بن سعيد وغيرهم أن ما ذهب إليه المغيلي يعد من قبيل (التشغيب، والتفزيح، والفتنة) ولا يعكس الإسلام الصحيح. فما يحرك هذا الفقيه ليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر ما هو يسعى وراء الظهور، والطمع في السلطة كما كان يرى علماء فاس. وبناء على هذا الاختلاف انقسم العلماء لفريقيين، حول تفسير النازلة⁽⁶⁰⁾. فهناك خلط كبير في تحديد عناوين كتب المغيلي.

⁽⁶⁰⁾ محمد بن عبد الكريم، المغيلي، رسالة في اليهود، تحقيق: عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة (منشورات مجموعة الأبحاث والدراسات في تاريخ اليهود المغاربة، ط/1، 2005)، ص08.

والسؤال المطروح: لماذا اختار الإمام المغيلي الذهاب إلى فاس لطرح
قضيته على سلطانها: أحمد الوطاسي، ولم يتجه ل طرحها على علماء تلمسان
أو تونس، أو القاهرة، اعتقد أن السبب الرئيسي يعود لعاملين مهمين:
***العامل الأول:** قطع خيوط التوتر والروابط التواصلية التي تربط يهود
توات يهود المغرب بدرعة.

***العامل الثاني:** كان يظن ان يجد مناصرين ومؤيدين من علماء فاس
لقضيته. إلا أنه تفاجأ بدسائسهم ومكرهم لمحاولة مخادعته امام سلطانهم.
فقد كان علماء فاس ينظرون له نظرة ريبة وتوجس، وخوف من أن يستولي
على سلطنتهم، فنعته بضعيف الثقافة الفقهية مستواه لا يرقى لمناقشة
نازلة يهود توات. والسؤال الذي نطرحه على علماء فاس : إذا كنتم تظنون
فشله بتلمسان وقورارة وتوات، فلماذا نجح بإمارات وممالك أفريقيا الغربية.
معلوم أنه يتحلى بشخصية جعلته يرتقى إلى مصاف العلماء المؤثرين في
مسرح الأحداث وبناء الدول والتنظير لسياستها الادارية.

2. مناظرة الإمام محمد بن عبد الكريم مع أمحمد الوطاسي المريني
سلطان فاس:

لما يؤس المغيلي من بناء عوامل التغيير للوضع السائد بقصور توات،
لتعتت العلماء ومواقفهم المعادية له ولأفكاره الإصلاحية الجهادية
التجديدية. قرّر الذهاب للمغرب بنية المحاور والمناظرة مع علماءها حول
قضية اليهود ومفاسدهم على الارض لم يحدد تاريخا لذلك، وقد تمت

من بين الإشكالات المطروحة عنوانة مأثور الإمام المغيلي أعتقد أن سبب ذلك يعود
لثلاثة عوامل:العامل الأول: كانت تجمع كتلة واحدة فتختلط أوراقها.العامل الثاني:
أغلبها حول خارج الأقاليم الأدرارية، فوضعت له عناوين أحيانا لا علاقة لها بموضوع
الكتاب.العامل الثالث: تصرف النساخون في إعطاء عناوين أحيانا بحسب معرفتهم
وقراءتهم بدون إدراك مقاصد الكاتب، فمخطوطة رسالة في اليهود هي نفسها مصباح
الأرواح في أصول الفلاح وهي نفسها رسالة لكل مسلم ومسلمة.

المناظرة بحضور الشيخ ابن زكريا الوطاسي المريني⁽⁶¹⁾. فكان الهدف العام لرحلته لفاس يتلخص في العوامل التالية:

1) استقطاب التأييد لقضيته حول نازلة يهود توات؛ 2) اطلاع علماء فاس على دسائس اليهود وخبثهم وتنكرهم للتعاليم السماوية، ودسهم الدسائس ضد المسلمين؛ 3) توضيح الأفكار العامة برسالته التي بعثها للعلماء. المعنونة (مصباح الأرواح في أصول الفلاح، أو رسالة في اليهود أو رسالة لكل مسلم ومسلمة)؛ 4) وقد كان ينظر لتلك العلاقة التجارية والمالية بين يهود توات ويهود فاس وتلمسان والصحراء برية وتوجس، فكانوا يستغلون ويمكنون لطغيانهم، مستغلين الضعف السياسي، وسكوت الولاة والفقهاء، والقضاة عن ذلك، فبنوا كنيسا إعلانا عن القوة الاقتصادية والمالية والدينية، فتفطن المغيلي لهذه القوة الضاربة التي بدأت تنمو شيئا فشيئا كظواهر سياسية اقتصادية، مالية فصنّفها الامام المغيلي بدائرة الخطر الداهم على المجتمع الإسلامي.

ولما اختلف الفقهاء على رأيه حول النازلة المطروحة، هاجر لفاس سنة (891هـ/1486م) لأجل المناظرة بحضرة (السلطان الشيخ ابن أبي زكريا الوطاس المريني). فلما نزل بظاهر فاس، خرج الفقهاء للقاءه والسلام عليه، وكان معه ستة مماليك من السودان الغربي، كلهم يحفظون مدونة البرادعي، عن ظهر قلب، فقهاء.

فلما استقر الجلوس بفقهاء فاس وسلطانهم عنده، قال لأحد المماليك واسمه الفقيه (الشيخ ميمون) تكلم مع الفقهاء في (نازلة اليهود)، فأنف الفقهاء الكلام مع المماليك، ورجعوا إلى ديارهم. فلما كان من يوم الغد، ركبوا إلى السلطان وقالوا له: « إنَّ هذ الرجل (إنما مراده الظهور والملك، وليس مراده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). فلما دخل عليه الإمام المغيلي لقيه

⁽⁶¹⁾ مقدم مبروك: مرجع سابق، ص-ص: 96-97.

وتحدث معه وناقشه على مضرة الدين ومسألة اليهود وغيرها، فقال له السلطان: «ما أنت إلا معول عليها»، فرد عليه الامام المغيلي: «والله ما هي عني والكنيف إلا سيان». آل على نفسه ألا يلقي سلطانا وبعد هذه الواقعة، أنشد محمد بن عبد الجبار الفيحجي أبياتا يعاتب فيها سكان توات لتخليهم عن مناصرة ومؤازرة الإمام المغيلي، فيقول:

أيا قاطني توات فاصغوا إليّ *** فقد آن أن أبوح بالبعض والكل
أنتم على دين النبي محمد *** أم القوم واليهود شكل إلى شكل
فإن كان هذا الرأي رأي فقيهمكم *** فما الظن بالسفيه والناقص العقل

تُظهر هذه الأبيات تلك الحرقه والغبن والغيرة على شيخه ونقمة على من تخلفوا لنصرته وتبين ملامح الأوضاع السائدة التي كانت عليها قصور توات من فرقة وتشردم وتباعد بين العلماء والساكنة حول الأخذ برأي واحد حول نازلة اهتز لها المجتمع ككل وبلغت مضامينها العالم العربي والإسلامي فكان خوف الفاسيين من لهجة ونظرة وقوة الإمام المغيلي فرد عليه سلطان فاس: «إنما أنت معول على هذه الديار، وليس لك قدرة عليها» ليرد عليه الإمام المغيلي بنبرة وقوة: «والله هي عندي والكنيف سيان»، ثم خرج من عنده ولم يعد إليه، فرجع للصحراء، وعاهد الله تعالى ألا يلقي سلطانا حول قضيته⁽⁶²⁾. فاستقر بتوات وتفرغ للتعليم ونشر العلم، وبناء مذهبه الإصلاحية في إطار فواعل طريقة القادرية التي أدخلها للمجتمع التواتي. وبعد دراسة جيدة لأوضاع اليهود بتوات، تلمسان، وخارجهما، وحالة العلماء، والوضعية الخاصة بالقضاء والقضاة، تطلعت نفسه للبحث عن الوسائل الكفيلة لتغيير الوضع السائد بإمارات وممالك أفريقيا الغربية فسافر إليها⁽⁶³⁾.

⁽⁶²⁾ مقدم مبروك، مرجع سابق، ص 96-97.

⁽⁶³⁾ بن عسكر محمد الحسني، الفششواني، دوحة الناشر، تحقيق: محمد حجي (الرباط، المغرب: 1977)، ص 132.

3. المكانة العلمية والفقهية للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بين علماء عصره:

لقد اعتلى الإمام المغيلي مكانة علمية فقهية تأليفية بين معاصريه، فهو أحد أولياء الله الصالحين. ظهرت عليه كرامات نقلها بعض معاصريه ممن عاصروه وألفوه، فواقعة اليهودي الذي بال على قبره وأصيب بالعصى من علامات الولاية، شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. آتاه الله بسطة في العلوم والمعارف والذكاء، يقول عنه الإمام العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء، هو ممن أتاهم الله بسطة الفهم والتقدم⁽⁶⁴⁾. لقد أفرد علماء عصر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مجموعة من المفردات التي أنزلوه بهام منزلة الولي الصالح الإمام القدوة، فلقبوه بـ:

1- شمس الدين: تزيلا له لما قام به من تبيد للمنكرات والظلم وانزال الأحلام على المنافقين الضالين فأجلى الظلام عن التعاملات الربوية فتناسب اللقب بمكانة وشخصية الإمام.

2- ولقبوه بمحيي الدين: يقول الناسخ بعد البسمة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم: هذه أجوبة للشيخ الإمام محيي الدين أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني للأمير الحاج أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الملقب بأسقيا الكبير⁽⁶⁵⁾.

3- خاتمة المحققين: توسيم القاضي التمبكتي⁽⁶⁶⁾.

⁽⁶⁴⁾ الفشفسواني ابن عسكر، دوحة الناشر تحقيق محمد حجي (الرباط، المغرب: 1997)، ص253-254.

⁽⁶⁵⁾ مقدم مبروك، أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر أسقيا الكبير (دار الغرب، وهران: ج/2، 2002)، ص67.

⁽⁶⁶⁾ التمبكتي بابا أحمد، مرجع سابق، ص:57.

4- ولقبه محمد بن يوسف السنوسي بالأخ الحبيب في ذات الله تعالى القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القائم بها لاسيما في هذا الوقت علم على الاتساع بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية وعمارة القلب بشريف الإيمان⁽⁶⁷⁾.

5- ولقبه الإمام جلال الدين السيوطي بالحبر النبيل معترفا بفضله عليه من خلال مراسلته له في علم المنطق. ومحاورتهما بإمارة كانوا⁽⁶⁸⁾. فهذه الأوصاف إن دلّت على شيء إنّما تدل على انبناء مكانة عظيمة للرجل ذاع صيته حتى بلغ أسقاع المشرق والمغرب، فاقترن اسم مناطق توات وامارات وممالك افريقيا الغربية بذكر اسمه، فلا يخلو كتاب أو تراجم أو فتاوى إلا واقترن اسمه باسم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي.

6- ولقبوه بالشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام، ومصباح الأنوار.

7- وقال عنه ابن القاض أحمد بن محمد (إنّه الرجل الصالح).

8- وقال عنه الشيخ مخلوف محمد (إنّه خاتمة المحققين والعلماء العاملين مع البراعة والتفنن في العلوم والصلاح والدين المتين)⁽⁶⁹⁾.

9- وقال عنه صاحب دوحة الناشر (إنّه من أكابر العلماء وأفضل الأتقياء).

كان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽⁷⁰⁾.

1. مواصفات تحديد موروث الإمام المغيلي: يمكننا ملاحظة توصيف

إنتاج وتآليف موروثات الإمام المغيلي لثلاثة احقاب مختلفة:

⁽⁶⁷⁾ مقدم مبروك، مرجع سابق، ص:84.

⁽⁶⁸⁾ مقدم مبروك، مرجع سابق، ص:405.

⁽⁶⁹⁾ ابن القاضي أحمد بن محمد، درة الحجال في غرة أسماء الرجال (الرباط: المطبعة الجديدة)، ص:46.

⁽⁷⁰⁾ ابن عساكر، الفشفاشوي، دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشائخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي (الرباط: دار الغرب، 1979)، ص:13-14.

الحقبة الأولى: تتضمن إنتاجاته داخل قصور تمنطيط تمثل المنتج الأول، ركّز فيها على لِمَ الشمل والنهي عن المنكر، وتطبيق قواعد الشرع والاحترام المتبادل بين الساكنة. بدأ فيها بإصدار فتاويه حول الابتعاد عن اليهود الضالين المضللين.

الحقبة الثانية: تمثل إنتاجاته خارج الوطن بإمارات وممالك أفريقيا الغربية، ركّز فيها على توضيح الإشكالات التي طرحت عليه حول السياسة الشرعية، وفقه المعاملة وتديير أمور الحكم وكيفية بناء الإمارة على أساس شرعي، وبيان طرق التقاضي وحفظ الحقوق والواجبات بين الناس.

الحقبة الثالثة: تمثلت فيما أنجزه بعد عودته من إمارة كانو، واستقراره بقصر بوعلي. فامتاز منتج هذه الحقبة باعتماد منهجية علمية أكثر توثيقاً من سابقها. كما امتازت المنتوجات بطول الكتب المنجزة (كرسالة في الغلائف). يلاحظ في عملية السرد أنه يبني رسائل لطلابه وأهل بلدته يتطلع لوصول صداها لخارج الوطن.

2. بنيات المهام التي تَقَلَّدَهَا الإمام المغيلي داخل الوطن وخارجه:

أولاً: البنيات الداخلية: (1) البنية التعليمية (2) الدراسة الأولى عند الأهل؛ (3) التعليم بالزاوية البجاوية؛ (4) التعليم بالزاوية الثعالبية؛ (5) مواصلة الدراسة بمدرسة يحيى بن يدر بتمنطيط.

1. البنية التصوفية: (1) بالزاوية البجاوية عند سيدي أحمد إبراهيم البجاوي؛ (2) بالزاوية الثعالبية عند سيدي عبد الرحمان الثعالبي.

2. البنية التدريسية: (1) بقصر أولاد يعقوب بتمنطيط؛ (2) بإمارة كانو؛ (3) بمملكة الهوصا؛ (4) بقصر بوعلي عند رجوعه من كانو.

3. البنية القضائية: توليه كرسي القضاء: (1) بتمنطيط؛ (2) بكانو؛ (3) بمملكة الهوصا.

إنّ انبناء وتدعيم حلقات التواصل الاجتماعي/الديني/العلمي/الثقافي/
التشريعي/التجاري بين سكان إمارات وممالك أفريقيا الغربية خلال القرن
السادس عشر الميلادي لا يعني انقطاع حبال التواصل قبل ذلك بل يعني
الدعم الحقيقي لعالم مفوه قادم من شمال أفريقيا سبقت شهرته وعلميته
لإمارات وممالك أفريقيا الغربية.

4. البنية الإرشادية والإصلاحية: (1) توليه منصب الاستشارية بإمارة
كانو؛ (2) توليه خطة الافتاء في السياسة الشرعية وفقه المعاملات بكانو؛ (3)
توليه كرسي إصلاح ذات البين بين الامم.

5. البنية الاستشارية: رحلاته خارج الوطن: (1) إرساله رسائل للعالم
الإسلامي؛ (2) رحلاته لتعزيد محتوى فتواه حول نازلة يهود توات؛ (3) جمع
ودراسة الردود الموافقة لرؤيته والمعارضة له.

6. بنية توليه الولاية الشرعية على كامل قصور توت وفق الاستشارة
الجماهيرية: (1) انتقاله لإمارات وممالك أفريقيا الغربية؛ (2) توليته مكانه
محمد عبد الجبار ابنه.

7. بنية توليه كرسي الإفتاء في النوازل التي تنزل بالناس: (1) لقد كانت
تطرح عليه مجموعة من الأسئلة وكان يرد عليها؛ (2) أغلب كتبه تبدأ بكلمة
سألني... الخ.

8. بنية رجوعه لقصور تمنطيط بعد اغتيال ابنه من قبل اليهود
وغلائفهم: (1) قيامه بالنفريات الثلاثة ضد تواجد اليهود بقصور توات كلها؛ (2)
بعد النفرة الثالثة، رجع لقصر بوعلي بطلب من القبائل البرمكية؛ (3) بناء
مدرسته وزاويته ومسجده ومسكنه الذي لا يزال قائما حتى اليوم، تزوره
الركبان.

9.بنية وفاته بقصر بوعلي: فقد أوصى بأن يغسله ويكفنه ويصلي عليه
العالم عمر الشيخ رفيق دربه وصاحبه بديار الغربية الذي كان يردد دائما
(الصحة الصحة) هذه مقولة عمر الشيخ للإمام.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. القرآن الكريم:

1. سورة البقرة 219.
2. سورة النساء، الآية: 144.
3. سورة النساء، الآيتين: 97-98.
4. سورة المائدة، الآية: 51.
5. سورة المائدة، الآية: 57.
6. سورة المائدة، الآية: 82.
7. سورة المائدة، الآيتين: 53-54.
8. سورة التوبة، الآية 29.
9. سورة التوبة، الآية: 29.
10. سورة التوبة، الآية: 29.
11. سورة يونس، الآيتين: 63-64.
12. سورة النحل، الآيتين: 125-126.
13. سورة النحل، الآيتين: 127-128.
14. سورة الاسراء الاية 5-6.
15. سورة النور، الآية: 26.
16. سورة الممتحنة، الآية: 01.
17. سورة الممتحنة، الآيتين: 8-9.

ب. الأحاديث:

1. الحديث رواه أبي داود في سننه تحت رقم 2479 وصححه الألباني.

ت. الكتب:

1. ابن القاضي أحمد بن محمد، درة الحجال في غرة أسماء الرجال (الرباط: المطبعة الجديدة).

2. ابن عساكر، الفشفاشواوي، دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشائخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي (الرباط: دار الغرب، 1979).
3. ابن منظور، لسان العرب (بيروت، لبنان: م/1، بدون تاريخ النشر).
4. ادموند دوتي، الصلحاء، ترجمة: محمد ناجي بن عمر (الدار البيضاء، المغرب: إفريقيا الشرق، 2014).
5. أقيت عبد الله محمد بن عمر، الصنهاجي، مخطوطة الفهرس في المنطق شرح على جمل الخونجي، توجد المخطوطة بمكتبة مركز الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار.
6. انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، (بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ط/1، 2005).
7. الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، عيون السود (بيروت، لبنان: الكتب العلمية، ج/1، ط/1، 1998).
8. المغيلي محمد بن عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق: بونار رايح (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1968).
9. المغيلي محمد، مخطوطة شرح كتاب الجمل للإمام المغيلي في المنطقة توجد نسخة بالمركز الوطني للمخطوطات بأدرار.
10. المغيلي محمد، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق: بونار رايح (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1968).
11. الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي (دار الغرب الإسلامي، ج/1، ط/2، 1992).
12. الونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار المغرب، تحقيق: محمد حجي (دار الغرب الإسلامي، ج/2، 1981).
13. الونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس، تحقيق: أحمد حجي، (بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ج/2، 1981).
14. بابا أحمد التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج (طرابلس، ليبيا: دار الكتاب، ط/2).

15. بن عسكر محمد الحسني، الفششواني، دوحة الناشر، تحقيق: محمد حجي (الرباط، المغرب: 1977).
16. جمال معتوق، كتاب جماعي، معجم الأولياء والكرامات، التوزيع الجغرافي للأولياء في الجزائر (عمان، الأردن: دار ألف للوثائق، ط/1، 2022).
17. ذبيان سامي وآخرون، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (دار رياض الرايس للكتب والنشر، ط/1، 1990).
18. الزيري محمد مرتضى الحسني، تاج العروس، تحقيق: مصطفى حجازي (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط/1، 2001).
19. صلبيا جميل، المعجم الفلسفي: عربي/فرنسي/انجليزي/لاتيني(بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني، ج/1، 1982).
20. الفششواني ابن عسكر، دوحة الناشر تحقيق محمد حجي (الرباط، المغرب: 1997).
21. محمد بن عبد الكريم، المغيلي، رسالة في اليهود، تحقيق: عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة (منشورات مجموعة الأبحاث والدراسات في تاريخ اليهود المغاربة، ط/1، 2005)، ص 08. من بين الإشكالات المطروحة عنونة متأثر الإمام المغيلي أعتقد أن سبب ذلك يعود لثلاثة عوامل: العامل الأول: كانت تجمع كتلة واحدة فتختلط أوراقها. العامل الثاني: أغلبها حول خارج الأقاليم الأدرارية، فوضعت له عناوين أحيانا لا علاقة لها بموضوع الكتاب. العامل الثالث: تصرف النساخون في إعطاء عناوين أحيانا بحسب معرفتهم وقراءتهم بدون إدراك مقاصد الكاتب، فمخطوطة رسالة في اليهود هي نفسها مصباح الأرواح في أصول الفلاح وهي نفسها رسالة لكل مسلم ومسلمة.
22. مصلاح، الصالح، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي-عربي(دار عالم للكتب، ط/1، 1999).
23. مقدم مبروك، أجوبة الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد أسقيا الكبير، (وهران: دار الغرب، ج/2، 2002).
24. لقد جاءت هذه الأبيات في رد الإمام المغيلي على أسئلة الاسقيا عن السؤال الأول الذي طرحه عليه محمد أسقيا الكبير من بين جملة التساؤلات، فجاء

رده عن السؤال الأول هذه الأبيات استخلصها من البيت الشعري لطرفة بن
العبد البكري:

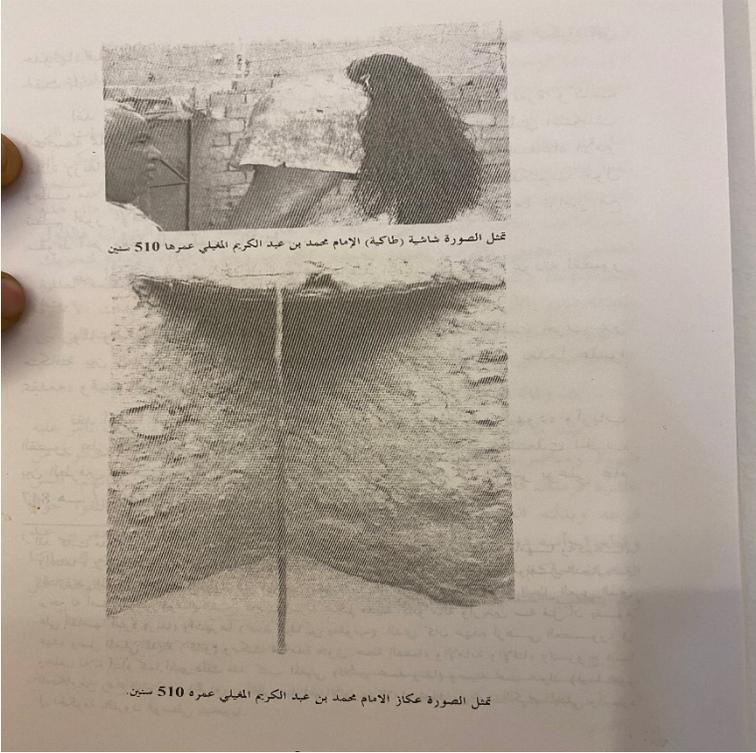
- عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه *** فكل قرين بالمقارن يقتدى
25. مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر
والوثائق التاريخية، (تلمسان: دار الكتاب، 2003).
26. مقدم مبروك، رسالة في الغلائف للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي
(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2016).
27. مقدم مبروك، رسالة لكل مسلم ومسلمة (الجزائر، ديوان المطبوعات
الجامعية، ط/3، 2013).
28. مقدم مبروك، مدونة الفقه الجدلي (وهران: دار القدس العربي، ج/1،
2012).
29. مقدم مبروك، مدونة فقه التشريع، (وهران، الجزائر، دار القدس العربي،
ط/1، 2012).
30. يوريلو، ر، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: سليم حداد (الجزائر:
ديوان المطبوعات الجامعية، ط/1، 1986).

الملاحق:

الملحق الأول: بعض الملامح الفسيولوجية المستقاة من ميادين تواجد ضمنها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، داخل الوطن وخارجه.

حسب التوصيفات المستقاة ميدانيا من أهل المنطقة، وما توارثته الأجيال المتعاقبة من سمات وملامح دلالية:

- كان الرجل طويل القامة بمنكبين عريضين؛
- كث اللحية يطبعها بياض ناصع يُرى عليه علامة المشيخة والإمامة والمهابة؛
- صليح مقدمة الرأس؛
- يرتدي قلنسوة حمراء قطرها 53 سم؛ ثبت في مركزها خيوط سود كما في الصورة؛
- لما بلغ الستين اتخذ عصا طولها 1.64 سم، تحتفظ بالعائلة الكنتية بالدار الكبيرة بزواوية كنته؛
- لما كان يسافر لإمارات وممالك أفريقيا الغربية أو لفاس أو الحجاز، كان يتزود بما يكفيه مدة سفره، فرحلته تضم (جملا+فرسا+بغلا)؛
- وأثناء المناسبات وإلقاء الدروس كان يرتدي (حواق+شاش+عباءة أو ضراعية+نعال من الشرك)؛
- تقام حلقات الدرس بوجوده يفتتح الجلسة، ويبدأ في الاستماع لأسئلة طلابه وتفسير وقاتهم؛
- امتاز منتج هذه الحقبة بعاملين أساسيين: الأول: تحديد عنوان الكتاب، الثاني: تقسيم العمل لأبواب وفصول.



الملحق الثاني: صورة العكاز والشاشية

الإمام المغيلي والراهن الإفريقيمن كدمات التطرف إلى سماحة التصوف.

قراءة سوسيوإثنولوجية لذهنية مجتمعات إفريقيا

الأستاذ الدكتور: الصديق حاج أحمد آل المغيلي

أستاذ التعليم العالي ومدير مخبر سرديات الصحراء - جامعة أدرار - الجزائر

ملخص:

تناول هذه الورقة المتواضعة، راهنية الإمام المغيلي وأصداء دعوته الإصلاحية في عموم إفريقيا عامة وغربها خاصة، وكذا ربط تلك الدعوة بالمؤثرات الجيوإستراتيجية لمنطقة الساحل الإفريقي، وما يمكن التعويل عليه من تقديم أطروحة الإمام المغيلي، كمرجعية بديلة للإسلام الوسطي المتصوف، بغية راب التمهّل الديني والتصدّع العقدي، الذي أصاب شعوب تلك المنطقة، جزاء تصدير ثقافة الدم والإرهاب العابر للقارات.

إنّ محاولة إجراء أيّة مقارنة تروم تفكيك راهن دول الساحل الإفريقي، لا يمكن التعويل عليها، ما لم تأخذ في أطروحتها؛ الخلفية الاستعمارية وتراكمات ما بعد الكولونيالية، بحكم أن الاستعمار الفرنسي والإنجليزي لغرب إفريقيا، قد عملا على صناعة وتعليب الذهنية الإفريقية، المرتبطة بالقبيلة والإثنية على حساب مفهوم الدولة، مما أدى إلى قيام دول هشّة في كيانها السياسي، متضعضة في أمنها القومي والاقتصادي والثقافي المستلب.

تكاد كل التقارير الجيوسياسية المرتبطة بدول الساحل الإفريقي، تشير في مجملها، إلى تأثر دول الحزام السوداني، الواقع أعلى السافانا، بالتحوّلات العالمية، المصاحبة لاستهلاك العوالة، فضلا عن أمراضها المزمنة وتبعاتها المتناسلة، كالفقر، وشح الموارد، والجفاف، والانقلابات العسكرية، والأوبئة، مما سهّل طريق الحرير، للتوسّع الإرهابي العابر للقارات، بعد نهاية حرب أفغانستان.

Imām al-Maghīlī and the Contemporary African Situation: From Extremism's Bruises to the Benevolence of Sufism A Sociocultural Reading of African Societies' Mentality

Abstract

This paper discusses the contemporary relevance of Imām al-Maghīlī and the echoes of his reformist call in Africa as a whole, and specifically in its western regions. It also examines the connection of this call to the geostrategic influences in the African Sahel region. The paper considers the presentation of Imām al-Maghīlī's arguments as an alternative reference to Sufi Islam, aiming to address the religious decline and doctrinal fragmentation that affected the peoples of that region due to the spread of the culture of violence and transcontinental terrorism.

Any attempt to analyze the current situation of the African Sahel countries cannot be relied upon unless it takes into account the colonial background and the post-colonial accumulations. The French and English colonialism in West Africa has worked to shape and control the African mentality, associated with tribes and ethnicities, at the expense of the concept of the nation-state. This has resulted in weak countries with fragile political entities, vulnerable in terms of their national, economic, and cultural security.

Most of the geopolitical reports concerning the African Sahel countries indicate, in general, the influence of the Sudanese Belt countries, located above the savannah, by global transformations accompanying globalization, along with its chronic diseases and multiplying consequences such as poverty, resource scarcity, drought, military coups, and epidemics. These factors have paved the way for the expansion of transcontinental terrorism following the end of the Afghanistan war.

لعبت طرق القوافل التجارية بين الشمال والجنوب قدما أدوارا
طلائعية، في نشر الإسلام والعربية ببلاد السودان الغربي (إفريقيا الغربية)،
بيد أن كل الدراسات التاريخية، لا تتخلف أو تتشوّش في عزو هذه
الفتوحات الحضارية، لشخصية الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي
(909هـ).

المخطوطات والوثائق التاريخية المصدرية لما قبل الممالك الإسلامية
بالسودان الغربي⁽¹⁾، تشير في سوادها الأعظم، إلى وثنية المعتقد بتلك
الربوع، وحيرة العقل الإفريقي في التعامل مع الوجود ونظرته إليه، وهو أمر
غاية في الأهمية لتلك الفتوحات المغيلية، وظلالها الوارفة على الإنسان
الإفريقي جنوب الصحراء الكبرى، حيث يذكر المؤرخ (روسيل وورين هاو) في
كتابه تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا⁽²⁾، أن الممالك السودانية القديمة، كانت
تسمى (الغابة)، نسبة إلى الأدغال المقدّسة، والأحراش المحيطة بمنطقة
الوثنيين، كما يمكن وبلا عدسات أو مكبرات؛ اعتبار أسئلة الحاج محمد
أسقيا⁽³⁾ وأجوبة الشيخ المغيلي عليها⁽⁴⁾ إبان دولة السنغاي⁽⁵⁾؛ إحدى الوثائق
الحيوية، للوقوف على خلفية الحياة العقلية والثقافية والاجتماعية إبان
تلك الفترة.

(1) ينظر على سبيل الذكر لا الحصر؛ (الهندي مادهو بانيكار، الوثنية والإسلام تاريخ
الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، ترجمة أحمد فؤاد بليغ) (هوبير ديشان، الديانات
في إفريقيا السوداء، ترجمة أحمد صادق حمدي).

(2) ترجمة د/ عبدالوهاب محمد الزنتاني – (القاهرة، دار غريب للنشر، 2009).

(3) في عهده بلغت مملكة السنغاي ازدهارا مذكورا (1441-1538م)، بسط سلطته على
المملكة سنة 1493م، بعد سني علي، نظر له الإمام المغيلي شؤون الإمارة، من خلال
أجوبة على أسئلة (ينظر عبدالعزيز غنيم عبدالقادر، أسقيا الحاج محمد وإحياء
الدولة الإسلامية للسنغاي، أطروحة دكتوراه تاريخ، جامعة الأزهر، مصر، 1988)
ص15.

(4) تحقيق الدكتور عبدالقادر زبايدية، الجزائر، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع، 1974).

(5) تكتب السنغاي كذلك، من الممالك الإسلامية التي قامت بالسودان الغربي، إلى
جانب مملكة غانا.

إن محاولة إجراء أية مقارنة تروم تفكيك راهن دول الساحل الإفريقي، لا يمكن التعويل عليها، ما لم تأخذ في أطروحتها؛ الخلفية الاستعمارية وتراكمات ما بعد الكولونيالية، بحكم أن الاستعمار الفرنسي والإنجليزي لغرب إفريقيا، قد عملا على صناعة وتعليب الذهنية الإفريقية، المرتبطة بالقبيلة والإثنية على حساب مفهوم الدولة، مما أدى إلى قيام دول هشة في كيانها السياسي، متضعضة في أمنها القومي والاقتصادي والثقافي المستلب.

تكاد كل التقارير الجيوسياسية المرتبطة بدول الساحل الإفريقي، تشير في مجملها، إلى تأثر دول الحزام السوداني، الواقع أعلى السافانا، بالتحويلات العالمية، المصاحبة لاستهلاك العولمة، فضلا عن أمراضها المزمنة وتبعاتها المتناسلة، كال فقر، وشح الموارد، والجفاف، والانقلابات العسكرية، والأوبئة، مما سهّل طريق الحرير، للتوسّع الإرهابي العابر للقارات، بعد نهاية حرب أفغانستان.

لقد ولى عهد تعالي الشمال الإفريقي، ونظرتة الدونية بالعين العوراء لدول الجوار الإفريقي، تلك النظرة التي مسحت شاشات عيون أنتلجانسيا دول الشمال الإفريقي بزكاة الاستلاب الهوياتي للاستعمار الفرنسي، بما فيها النّخب الجزائرية، التي كانت لا ترى إلا بريق الضفة الشمالية للفضاء المتوسطي، مما حجب عنها رؤية الكنوز والجواهر الإنسانية، المغمورة بجنوب الصحراء الكبرى.

إنّ التحديات التي تواجهها الجزائر إقليميا، تفرض عليها قبل أي وقت مضى، أخذ زمام المبادرة، في محاولة استقطاب الجوار الإفريقي، ولملمة شتاته، ورأب صداعه المزمّن؛ من منطلق مرجعياتها التاريخية والروحية (الإمام المغبلي أنموذجا)، وكيف لا؟ وقد حباها الله بشخصيته الجامعة، وما تركته أياديه البيضاء على تلك الشعوب من آثار حضارية، سجّلتها ذاكرتها بماء الذهب، في كل من (غاو) و(كانو) و(سوكوتو) وغيرها من الحواضر الإفريقية.

مدخل إلى الذهنية الإفريقية والمكوّن الاجتماعي القبلي بها:

لا يمكن بأي حال من الأحوال، رصد الظواهر الاجتماعية لأي تنظير ابستمولوجي للجماعة البشرية، ما لم ينطلق من الخلفية السوسيو تاريخية، التي تساعده على فهم المكوّن التاريخي الاجتماعي والإثني للجماعة المستهدفة بالدراسة.

لقد ادخلت نظريات ما بعد الاستعمار، لكل من (فرانس فانون)، و(إدوارد سعيد)، وكذا توظيف نظرية القوة الناعمة ل(جوزيف باي)؛ رؤى جديدة لدى بعض القادة الأفارقة المتحرّرين، في محاولة منهم، تبني أطروحة تنمية المؤسسة، حيث يعدّ (باتريس لومومبا)⁽⁶⁾ أحد المرافعين عن هذه الفكرة، إذ يقول؛ إنه يجب على الأفارقة إعادة بناء دولهم، حتى يتمكنوا من حل مشاكل الفقر والتفرقة واللاعْدالة بشكل فعّال، حيث وضع نقاطا محدّدة، منها استعادة وامتلاك الدولة من خلال السيطرة على مواردها، وتسيير البلاد بإرادة الشعب ومصالحه، مؤكداً على أهمية التعاون والتكامل الإفريقي المتلاحم⁽⁷⁾.

من الأشياء التي عمل عليها الاستعمار الفرنسي والإنجليزي بغرب إفريقيا، في تعاملهما مع الشعوب الإفريقية المستعمرة؛ إلهاء الذهنية الإفريقية، وتشبيعها بتقديس القبيلة والمكوّن الإثني للجماعة، وهو ما سنحدّث عنه باختصار شديد.

يمكن القول؛ إن الإنسان الإفريقي جنوب الصحراء الكبرى، إنسان قبلي بامتياز، إذ تغدو القبيلة والعرق، من المقدّسات الوجودية، التي يراها تؤمنه، وتساعد في بناء ذاته وانسجامها مع الجماعة المنتمية إليها.

⁽⁶⁾ زعيم كونغولي (1925 – 1961)، صاحب ميول اشتراكية، وثورة ضدّ الاستعمار البلجيكي، مات مغتالاً (30/09/2022 – 14h) (wikipedia).

⁽⁷⁾ عمر فرحاني، مريم راهبي، الأزمة في الساحل الإفريقي.. الخلفيات والأبعاد (الجزائر، الدار الجزائرية، 2017) ص43.

أهم القبائل والإثنيات الإفريقية بالفضاء الإفريقي المدروس:

التوارق: يذكر محمد سعيد القشّاط، في كتابه (عرب الصحراء الكبرى – التوارق)⁽⁸⁾، أن موطنهم الصحراء الكبرى، ينتسبون لصنهاجة المثلثون، وهم قبائل وبطون، منهم إفوغاس، وكلّ السّوك، وكلّ أنصّر، وإيلمّدن، وإذنان، وشمنّماس⁽⁹⁾ وغيرهم، تمرّدوا على الحكومة المالية غداة الاستقلال في عهد (موديبو كايّتا)، وقاموا بأول ثورة، سميت بثورة كيدال سنة 1963، كما تعرّضوا لموجة جفاف 1973، التي أجبرتهم على الهجرة نحو الجزائر، وبعدها ليبيا، حيث فتح لهم القذافي مراكز التدريب العسكري، بغية معاونتهم على قيام دولة في شمال مالي، وهو ما لم يتحقّق، وترك جوا متوتّرا براهن الساحل الإفريقي إلى يوم الناس هذا.

عرب حسان: يطلق عليهم البيضان، تأتي على رأسهم قبيلة كنتة، والبرابيش، وعرب تيلمسي، وهم شديدي التأثير بإخوانهم الحسان الموريتانيون، على أية حال، يتشابهون مع التوارق في العادات والطقوس المرتبطة بالبيئة الصحراوية، كالرعي ونصب الخيام، وأنواع الطعام واحتساء الشاي ولبس البازان؛ لكنهم مختلفون عنهم في الخصوصيات⁽¹⁰⁾.

قبيلة السنغاي: من القبائل القديمة التي استقرّت بشمال مالي، واتخذت من مدينة (غاو) محورا وعاصمة لها، إبان دولتهم من القرن 11م حتى القرن 15م، حيث عرفت ازدهارا حضاريا وعلميا، خلال حكم الحاج محمد أسكيا، وما يمكن أن يجمل في روافد ذلك، أسئلته وأجوبة الشيخ المغيلي عليها.⁽¹¹⁾

(8) (بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط4، 2008).

(9) المرجع نفسه – ص28.

(10) ينظر الصّدّيق حاج أحمد، رواية مَنّا.. قيامة شتات الصحراء (الجزائر، دار الدواية للنشر، 2021).

(11) ينظر عبد القادر زبايدية، أسئلة الأسكيا وأجوبة الش المغيلي، المرجع السابق.

قبائل البامبارة: هم شعوب ماندية مالية، تتخذ من وسط مالي وجنوبه مواطن لها، تنسب إليهم اللهجة البامبارية.⁽¹²⁾

قبائل الفلان: قبائل إفريقية تنتشر ويتوزع دمها على أغلب دول الصحراء الكبرى، تعتمد في تديبر معاشها على المواشي، ولها سلالات معروفة بها ووقف عليها⁽¹³⁾.

قبائل الزما: هي قبيلة منتشرة على ضفاف نهر النيجر من نيامي عاصمة النيجر ومدينة (دوصو) القريبة منها.⁽¹⁴⁾

قبائل الهوسا: قبائل واسعة الانتشار، تتخذ من شمال النيجر، ك(طاوة)، وصحراء (شنتبراتين) و(أبلغ)، و(زُندز)؛ مواطن لها، كما تتكاثف بنيجيريا، حيث يتمركز دورها الاجتماعي والروحي.

استنساخ الجيل الثالث للجماعات الإرهابية وتصدير ثقافة الدم للساحل الإفريقي:

بعد نهاية حرب أفغانستان، مرّت الحركة الجهادية بفترة انكماش، مما جعل المنظرين لتلك الجماعات، يفكرون في إيجاد فضاءات وتربيات بديلة، لاستنساخ الجيل الثالث منها، ولم يكن من سبيل متاح أمامها، سوى العبور لشرق إفريقيا أولاً، وقطف زهراتها الأولى بالصومال، والتي كانت قد غرستها قبل ذلك بأعوام قليلة، ومن ثمة التسلّل اليسير عبر صحراء الساحل لباقي دول غرب إفريقيا، كنيجيريا ومالي والنيجر وموريتانيا.

الجدير بالذكر أن هذه التربة الإفريقية الخصبة، التي قصدها تلك الجماعات الجهادية، بعد أقول نجمها بأفغانستان، كانت خلفها عوامل وشعب وديان، هيأت لهذه الجماعات الاختراق والتوغّل، رغم التمسك

⁽¹²⁾ ينظر الأزمة في الساحل الإفريقي، المرجع السابق.

⁽¹³⁾ ينظر المرجع السابق.

⁽¹⁴⁾ ينظر الصديق حاج أحمد، رواية مَنّا، المرجع السابق.

التقليدي العقدي والفهمي والصوفي بتلك الربوع، بما في ذلك موريتانيا ومالي والنيجر ونيجيريا؛ غير أن ثمة عوامل أخرى، عملت على كسر هذا السياج المحصّن منها؛ الفقر وتلهل الكيان السياسي لدول الساحل كما ذكرنا، فضلا عن تغوّل التفكير القبلي لهذه المجتمعات البمبارية والزمراوية والهوساوية والفلانية، دون أن نغفل شساعة الحدود وامتدادها، وكلفة حراستها من طرف دول منهكة اقتصاديا وحبيسة جغرافيا كمالي والنيجر، كل هذه الروافد وغيرها، ساعدت على العبور السلس للجماعات الجهادية بتلك الفضاءات الإفريقية.

أطلس الجماعات الجهادية بإفريقيا:

يُجمّع الدارسون والمهتمون بشأن الساحل والصحراء الكبرى، أن أطلس الجماعات الإرهابية، يتشكّل من ست جماعات مسلحة، سنعطي لمح ورذاذ خفيف عنها، حسب الترتيب الكرونولوجي لتأسيسها وظهور نشاطها المسلح على مسرح الأحداث، بتبني بعض الأعمال الإجرامية هنا وهناك.

الجماعة الإسلامية الجهادية بالجزائر:

نشأت هذه الحركة خلال فترة التسعينيات من القرن الماضي، بعد عودة الجزائريين المشاركين في حرب أفغانستان، ومع عودتهم، توقّف المسار الانتخابي للبرلمان، بسبب خوف الدولة على طمس معالم الحياة المدنية المعاصرة، وتغوّل أصحاب اللّحى وقصر اللّباس، من امتلاك زمام التشريع، عندها رأت هذه الزمرة رفع السلاح والصعود إلى الجبال والاحتفاء بالغابات، وممارسة ثقافة الدم والاغتيال والتفجيرات بالأماكن العامة، وذبح الرقاب بالأمكنة المعزولة من الأرياف والمداشر، ولعل نخب اليسار ووجوه الإعلام والثقافة والفن؛ كانوا مستهدفين من طرف تلك الجماعات، حيث عاشوا فوبيا عظيمة جزاء تلك التهديدات، التي كانت تصلهم كرسائل⁽¹⁵⁾.

⁽¹⁵⁾ للتوسّع حول هذه الحركة، ينظر: جمال بوازديّة، الاستراتيجيات المغاربية لمكافحة الإرهاب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 3، 2013.

جماعة (بوكو حرام) بنيجيريا:

معنى بوكو حرام، من اللّهجة الهوساوية المحلية (التعليم الغربي حرام)، متّخذة من تطبيق الشريعة منطلقاً لها، حيث أطلقت في البداية على الفلول الأولى من المتشدّدين منها؛ جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد، وقد أنشأها طالبة بجامعة (مبوجوري) بولاية (بورنو) من شمال نيجيريا سنة 1995، برئاسة (أبوبكر لوان)، ومن ثمّة قويت شوكة هذه الحركة لاسيما في الشمال، تحديداً بين حدود النيجر ونيجيريا، لتقوم بعدة هجمات دموية بمدينة (يوي) خلال مطلع الألفية الثالثة، بقيادة محمد يوسف، الذي قُتل من طرف القوات الحكومية النيجيرية سنة 2009، ليستخلفه سنة 2010 (أبوبكر شيكاو)⁽¹⁶⁾.

حركة أنصار الدين:

هي حركة جهادية، نشأت بشمال مالي، تحديداً بين جبال إفوغاس حيث مدينة (كِدال)، معقل قبيلة إفوغاس التارقية، وزعيمها (إياد أغ آغالي)⁽¹⁷⁾، الذي تدرّب بمعسكر بن وليد الليبي، بعد دعوة القائد الليبي آنذاك، معمر القذافي للتوارق، مطالع الثمانينيات، وفتح معسكر (بن وليد)⁽¹⁸⁾، لتوارق شمال النيجر ومالي، حيث تبوأ إياد آغالي الزعامة بتلك المعسكرات التدريبية المخصصة لأبناء الأزواد، فضلاً عن بلائه وحدة شوكته الملاحظة في حرب فلسطين بجنوب لبنان، التي كانت تحت أمره أحمد جبريل والخيار السوري، ولما عاد القائد إياد آغالي مع قومه، بعد أن فقدوا حلم

⁽¹⁶⁾ لمزيد من التوسّع، ينظر: عبد الوهاب عمروش، الأمن في منطقة المغرب العربي والساحل التحدييات والاستراتيجيات، المجلة الجزائرية للسياسات العامة، ع02، 2013، الجزائر.

⁽¹⁷⁾ تارقي من قبيلة إفوغاس مواليد 1954، أحد قادة التوارق الإفوغاس، الذين ثاروا ضد حكومة مالي في تسعينيات القرن الماضي، ضمن ما سمي بالحركة الشعبية لتحرير الأزواد (wikipedia) – 2022/10/09 – h21..

⁽¹⁸⁾ في الأصل بني وليد.

الدولة، الذي مناهم به ذلك الزعيم الليبي، حيث يؤسوا من التسويات والتميطات، التي كان يبخر عطرها؛ السعيد القشاط، كوسيط استراتيجي بين القذافي وزعماء شمال مالي والنيجر، قلت لما قنطوا من تلك المنومات، غزوا متسللين جنوب ليبيا، ومنها شمال النيجر، لينعقدوا غربا من شماله، وصولا للحدود الشمالية لمالي، ومن ثمة التحضير للهجوم العنيف من أولئك التوارق الذين تدربوا بليبيا، على مدينة منكا من شمال مالي، ووقوعها في قبضتهم خلال منتصف سنة 1990⁽¹⁹⁾.

حركة الجهاد والتوحيد في غرب إفريقيا:

ظهر اسم هذه الجماعة الجهادية على مسرح الأحداث بشمال مالي سنة 2011، حيث بسطت سلطتها على الوديان والحسيان والحلات المحيطة بمدينة غاو حتى بادية وخيام مدينة تساليت من شمال مالي، من استراتيجيات هذه الحركة، اختطاف وأسر الرعايا الغربيين، والمطالبة بفيديت باهظة الثمن، لقاء إطلاق سراحهم، وكذا تأمين ممرات التهريب، مقابل أموال طائلة كذلك، مما مكنها من التسليح المريح عدة وعتادا⁽²⁰⁾.

القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي:

تعتبر الجماعة السلفية للدعوة والقتال، التي تأسست بعد عودة بعض الجزائريين من أفغانستان، وإعلانهم لاسمها سنة 2004، الذين بدورهم أطلقوا الولاء لراية تنظيم القاعدة البلادني سنة 2006، وعلى الرغم من تعاور عدة أسماء واشتهارهم كرؤوس لهذا التنظيم بالجزائر؛ غير أن أكثر الأسماء دورانا في التقارير الأمنية والإعلامية؛ مختار بلمختار الملقب بالأعور، نظرا للمحور الذي كان ينشط فيه من جنوب الجزائر والصحراء الكبرى⁽²¹⁾.

حركة شباب المجاهدين في الصومال:

⁽¹⁹⁾ ينظر الأزمة في الساحل الإفريقي، المرجع السابق.

⁽²⁰⁾ الأزمة في الساحل الإفريقي.. الخلفيات والأبعاد، مرجع سابق، ص 111.

⁽²¹⁾ المرجع نفسه، ص 108.

ظهرت حركة شباب المجاهدين الصومالية سنة 2006، بعد أن نضجت في مطايخ ومعقل إتحاد المحاكم الإسلامية بالعاصمة الصومالية (مقديشو)، وفي سنة 2009 أعلنت حركة شباب المجاهدين، انضمامها لتنظيم القاعدة ودخولها تحت أمرة أيمن الظواهري، من أبرز زعمائها؛ أحمد عبدي عودان وأحمد عمر أبوعبيدة، تبنت الحركة الجهاد وتطبيق الشريعة بالقوة وثقافة الدم.

الإمام المغيلي والرهان المفتوح..

لا يمكننا الانطلاق في مرافعة التعويل على أطروحة الإمام المغيلي والرهان عليهما، للململة الجوار الإفريقي، ومحاولة تضميد كدمات التطرف بسماحة تصوّفه ودعوته المباركة في تلك الربوع، دون الارتكاز على معطيات تاريخية مرجعية، تركز على المعطى التاريخي، والواقع الآني للمحيط الجيوستراتيجي إقليمي، وقد تلمسنا عديد المرتكزات والمعطيات نذكر منها ما يلي:

(أ) - تكاد تكون كلّ الرسائل التي كتبها الإمام المغيلي، لملوك الممالك الإسلامية وأمرائها بالسودان الغربي (السنغاي - الهوسا)، جاءت بطلب من أولئك الأمراء، مما يعني قابلية الذهنية الإفريقية لمشروع الدعوة المغيلية، والصدى الطيّب الذي بلغ تلك الأدغال عنه، إذ يقول الإمام المغيلي في صدر رسالته لسلطان كانو (محمد بن يعقوب) ما نصّه؛ « فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة، فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام⁽²²⁾، وأمر

⁽²²⁾ نص الرسالة المحقّق ضمن كتاب الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني، مناقب وآثار، تحقيق مبروك مقدم، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، المجلد الثالث، ص 71.

هذا الطلب يتكرّر كذلك في إجابة الإمام المغيلي على أسئلة الحاج محمد أسكيا، إذ يقول في صدرها ما نصه؛ « فإنك سألتني عن مسائل ⁽²³⁾ .

فمن خلال هاتين الإحالتين، نستخلص مكانة الإمام المغيلي عند سلاطين السودان الغربي، باعتبار أنهم التمسوا منه النصح والتنظير لدولهم، ولم يعرض عليهم تنظيراته، مما يؤكد قابلية الشعوب الإفريقية لفكر الإمام المغيلي، وفي ذلك مكسب حيوي، يمكن الالتفات إليه في الراهن والتأسيس عليه، فليس من تطلب بضاعته، كمن يعرضها.

(ب)- تأثر الفكر الإصلاحي لعثمان دان فوديو بالدعوة الإصلاحية للإمام المغيلي، مما استقطب مدينة (سوكوتو) وما حولها، وكذا قبيلة الفلان، وهو أمر يزيد من صلاحية وصدى الدعوة المغيلية بإفريقيا، وتناسل أجيالها المهتمين بتعاليمه الإصلاحية والصوفية السمحة.

(ج)- مكانة الإمام المغيلي عند عرب الساحل لاسيما (قبيلة كنتة)، حيث يمكن استثمار هذا المكوّن الاستراتيجي، للعلاقة القوية بين الإمام المغيلي وقبيلة كنتة، المنتشرة عبر دول الساحل قاطبة، بحكم أنه يُعزا لهذه القبيلة، مواصلة الحركة الصوفية المغيلية القادرية، عن طريق الأب الروحي لها (سيد أعمار الشيخ)، وما تدينه هذه القبيلة من تعظيم وإجلال للإمام المغيلي وذريته.

(د)- كما يمكن التعويل على التراكم الصوفي السمح لخمسة قرون من أصداء الدعوة الصوفية للإمام المغيلي بإفريقيا، وهو أمر ليس من السهولة بمكان إطفاءه بين يوم وليلة، وغزوه من لدن الحركة السلفية الوافد الجديد.

(هـ)- إعادة النظر في أسباب ضعف الكيان السياسي للدول الإفريقية، وتعزيز الكيان الاجتماعي لمفهوم الدولة عند الإنسان الإفريقي، بعيدا عن ثقافة القبيلة والعرق، باعتبارهما أحد مستهلكات الاستعمار.

⁽²³⁾ المرجع نفسه، المجلد نفسه، ص 392.

و)- العودة إلى سماحة التصوّف، واتخاذ المرجعية المغيلية القادرية والتجانية للجزائر، كأطاريح للإسلام السمح، المبني على الوسطية والاعتدال.
ي)- تقوية التعاون الإفريقي على الحدود وفي الاقتصاد، لمجابهة المد الإرهابي العابر للقارات.

التوصيات:

- إنشاء مركز خاص بالدراسات الاستشرافية الإفريقية بالجزائر.
- تثمين المرجعيات الجزائرية ذات البعد الإفريقي مثل الإمام المغيلي، بالمنهج التربوية في الجزائر.
- تفعيل الاتفاقيات والتوأمة بين الجزائر وجوارها الإفريقي.
- الالتفات لنظريات ما بعد الكولونيالية، ومحاولة إسقاطها على الواقع الإفريقي والاستفادة منها من طرف النّخب والمنظّرين السياسيين.
- محاولة ردم مخلفات الاستعمار، التي أثرت على الشعوب الإفريقية في تنميتها وبنائها، كالفكر القبلي والإثني.

المصادر والمراجع:

1. جمال بوازديّة، الاستراتيجيات المغاربية لمكافحة الإرهاب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 3، 2013.
2. الصديق حاج أحمد، رواية منّا.. قيامة شتات الصحراء (الجزائر، دار الدواية للنشر، 2021).
3. عبد العزيز غنيم عبدالقادر، أسكيا الحاج محمد وإحياء الدولة الإسلامية للسنگاي، أطروحة دكتوراه تاريخ، جامعة الأزهر، مصر، 1988).
4. عبد القادر زبايدية، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق، (الجزائر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974).
5. عبد الوهاب عمروش، الأمن في منطقة المغرب العربي والساحل التحديات والاستراتيجيات، المجلة الجزائرية للسياسات العامة، ع02، 2013، الجزائر.
6. عمر فرحاني، مريم راهيمي، الأزمة في الساحل الإفريقي.. الخلفيات والأبعاد (الجزائر، الدار الجزائرية، 2017).
7. الهندي مادهو بانيكار، الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، ترجمة أحمد فؤاد بليغ).
8. هوبير ديشان، الديانات في إفريقيا السوداء، ترجمة أحمد صادق حمدي).
9. مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مناقب وأثار، تحقيق، (الجزائر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، المجلد الثالث).

10. wikipedia.

الرؤية الكونية ومقامه الإمام المغيلي في الحياة السياسية والاجتماعية

إعداد الدكتورة: اميدا غفاراوه

عميد معهد العلوم الاجتماعية بجامعة خجند الحكومية

جمهورية تاجيكستان

الملخص :

هذه المقالة مخصصة للبحث في الحياة والآثار العلمية للإمام محمد عبد الكريم المغيلي. يركز مؤلف المقالة على تطوره الروحي وأساتذته وطلابه والأفكار الأخلاقية وتعيين مقامه في الحياة الاجتماعية والسياسية في البلدان الأفريقية. قارن مؤلف المقالة بين الرسائل مماثلة للكتاب الفارسيين التجيكيين مثل خواجه نصيرالدين الطوسي وأنصور المعالي كيكافوس والمغيلي الذين في رسائلهم الأخلاقية إلى الحكام يدعونهم إلى الأخلاق الحميدة ويصفون العدل والكمال والكريم والحلم والبر.

الكلمات المفتاحية:

الإمام محمد عبد الكريم المغيلي، الأفكار الأخلاقية، ممالك إفريقيا جنوب الصحراء، الكتاب الفرس والطاجيك

The Universal Vision and the Position of Imām al-Maghīlī in Political and Social Life

Abstract

The paper focuses on the spiritual development of Imām Abū ‘Abdullah Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī, his teachers and students, his ethical ideas, and his role in social and political life in African Sub-Saharan states and kingdoms. The author compares al-Maghīlī’s ethical teachings to similar works by Persian-Tajik writers such as Khwaja Nasir al-Din Tūsi, Anwar al-Ma’ali Kikaous, who in their ethical writings call on rulers to uphold noble ethics and describe justice, perfection, generosity, forbearance, and righteousness.

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Ethical Teachings, Persian-Tajik Writers, Social and Political Life

يسرنا أن فخامة الرئيس الجمهورية الشعبية الجزائرية عقد الذكرى الستين للجمهورية الشعبية الجزائرية وتعظيم العلامة الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني بوصفه ممثلاً لعلماء القرون الوسطى والذي قام بتعمير بعض الأراضي الأفريقية من الجهات المعنوية وأشكر اللجنة العلمية لملتقى الجزائر الدولي والذين أقاموا هذا المؤتمر العالمي وبخاصة رئيس اللجنة العلمية للملتقى دكتور أحمد جعفري الجزائري للدعوة إلى هذا الملتقى.

أحب أن افتتح الكلام بيتين من إنشاد الشاعر الشهير والصوفي المرشد كمال خجندي القائل:

أَيُّ مَجْلِسٍ وَرِيَاضٍ وَمَقَامٍ هَذَا؟ عَمْرُبَاقٍ وَجْهٌ سَاقٍ شَفَّ جَامٍ هَذَا!
دولة حاز جميعاً وقفت هذا الباب، فَرَحَةً فَرَمَنَ الْكَلِّ غَلامَ هَذَا.

عندما نتحدث عن سيرة العلماء وأعمالهم، نتعرف على تاريخ الأمم وثقافتهم بما في ذلك الجمهورية الشعبية الجزائرية. لأن التراث الثقافي الذي تجسده ينعكس في ممارسات الشعوب وإنجازاتهم.

وهذه الأيام يوجه رئيس جمهورية تاجيكستان إمام علي رحمن العلماء والشعب التاجيكي بأسرهم إلى دراسة الثقافة الإسلامية والوطنية، حيث أصبح هو نفسه رائداً في دراسة أعمال الإمام أبي حنيفة، مولانا جلال الدين الرومي، وكتب أبي علي بن سينا والحكيم الترمذي وغيرهم من عظماء الأمة وكتب العديد من الآثار. وإن الحق معه في تسمية الثقافة بجوهر الأمة.

وفي الوقت نفسه، كان محمد المغيلي يتحاور وينظر مع كبار علماء عصره ويرشدهم إلى الأخلاق. وهكذا اشتهر محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي بصفته الواعظ المصلح والعالم المتبحر والفقهاء البارز يحاول نشر العلوم الفكرية وتنقية الإسلام من فساد البدع والخرافات في البلدان

الإفريقية. كما أنه يعد محمد العلامة العشرين المشهور من سلالة المغليين، والتي تنتهي إلى إلياس المغيلي.

وبعد ذلك توجه المغيلي إلى مناطق غرب السودان خطيبا معلما وقاضيا مفتيا. وقد استقبله الأفارقة في هذه المناطق بالحفاوة والترحاب وقربه أمراؤها وملوكها وأخذوه مستشارا ومرجعا فقهيا لهم. وكتب المغيلي لهم رسائل ووصايا وفتاوى في قضايا الدولة والسياسة والأخلاق ودعا الحكام إلى العدل والكياسة والإنسانية والتعليم. ويمكننا العثور على أعمال مماثلة لها في الأدب التاجيكي، كمثل "سياسنامة" لنظام الملك، و"نصيحة الملوك" للإمام الغزالي وغيرهما من الآثار. بقي هذا العالم الشريف إلى الأبد في ذاكرة الأفارقة سرمديا حتى قام العلماء بحفظ آثاره.

الإمام محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني (790هـ/1425م تلمسان - 909هـ/1504م أدرار) العلامة والصدّر هو عالم وفقهيه مسلم من مدينة تلمسان في أواخر عهد مملكة بني زيان، كان له دور كبير في نشر الإسلام في أدغال وممالك إفريقيا السوداء.

يصل نسب محمد المغيلي من جهة أبيه إلى الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن فاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلى الله عليهم وسلم. ولد الإمام بمدينة تلمسان غرب الجزائر ودرس بها فترة من الزمن ثم انتقل لطلب العلم عند الشيخ عبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر، ومنها انتقل إلى بجاية ثم انتقل أخيرا إلى أرض توات ثم انتقل من هناك إلى أرض السودان واتصل بعدة أمراء لتكون عودته النهائية إلى أرض توات أدرار وبها توفي بالمكان الذي يحمل اسم زاويته الآن بالقرب من قصر بوعلي بلدية زاوية كنتة سنة 909هـ.

كان محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني يتدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية ليس في المغرب العربي فحسب بل في إفريقيا جنوب

الصحراء أيضاً، فنصح أمراء السودان وقاوم العداء في توات، وكان كثير المراسلات مع علماء عصره في القضايا التي كانت تهمه، وهو لهذا كان في حاجة إلى آراء الفقهاء فيما كان بصدده من مشاكل، نَهَم مُحَمَّد لا يزال كبيراً، وشغفه بالعلم عظيمًا، فقرَّر الاستزادة من العلوم الأخرى؛ مثل: التصوِّف والطب والفنون الأخرى، فتوجَّه للقاء مُحَمَّد بن إبراهيم - بن يحيى حسب الونشريسي في المعيار - بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله ابن الإمام أبي الفضل التلمساني (ت 845 هـ)، عالم بالتفسير والفقاه مشارك في علوم الأدب والطب والتصوِّف مِنْ أَهْل تلمسان.

قال عنه السخاوي في "الضوء اللامع": "ارتحل في سنة عشر وثمانمائة فأقام بتونس شهرين، ثمَّ قدم القاهرة فحجَّ منها وعاد إليها، ثم سافر إلى الشام فزار القدس، وتزاحم عليه النَّاس بدمشق حين علموا فضله وأجلوه".

وفي هذه المرحلة ظهرت موهبة جديدة تتمثَّل في عبقرية تدريس اللِّغة العربية وتحبيبها إلى النَّاس، فقد استطاع أن يدرسها وينشرها في جُملةٍ من البلدان الإفريقيَّة بطريقة بديعة وجميلة، يشهد له بذلك كلَّ علماء إفريقيا الَّذِينَ تَتَلَمذوا على يديه.

انتقل بعدها إلى بجاية حيث أخذ عن علماء التفسير والحديث الشَّريف والفقاه، وكانت بجاية حينئذٍ إحدى حواضر العِلْم والثَّقافة العربيَّة الإسلاميَّة، وكيف لا يقصدها وقد أصبحت قبلة العلم والعلماء؛ إذ كانت هذه الحاضرة قد استعانت بعلماء المشرق في نشر العلم، ثمَّ سرعان ما أنجبت وخرَّجت علماء كثيرين سار بذكرهم الرِّكبان، ليس فقط في المغرب الأوسط أو المغرب الكبير، بل وذاع صيتهم في المشرق العربي؛ حيث تولَّى بعضهم التدريس والقضاء في الشَّام وبغداد ومصر.

انكبَّ المغيلي على الدِّراسة في بجاية، تلقَّى خلالها علوما جمَّة على يد علماء أجلاء، أمثال:

• الشيخ أحمد بن إبراهيم البجائي (ت سنة 840هـ / 1434م)، إمام جليل، اشتهر بالتفسير والفقہ، تتلمذ له المفسر المشهور الثعالبي.

• منصور بن علي بن عثمان أبو علي الزواوي المنجلاتي، من فقهاء وعلماء بجاية، ومن ذوي العصبية والقوة فيها، وكان من أصحاب الرأي والتدخل في الأحداث السياسية لمكانته المرموقة، قال عنه السخاوي في "الضوء اللامع": "رأيت من قال: إنَّه الزَّواوي العالم الشهير، وأنَّه مات بتونس 846هـ".

كما أخذ عن غيرهم من العلماء، منهم:

يحيى بن نذير بن عتيق، أبو زكريا، التدلسي، القاضي، من كبار فقهاء المالكية، من أهل تدلس، تعلم بتلمسان وولي القضاء بتوات، أخذ عنه محمد بن عبدالكريم المغيلي، وأبو العباس الوغليسي، ويذكر المغيلي أنَّه: قرأ الصحيحين، والسنن وموطأ الإمام مالك، والفقہ المالكي".

ولم يكتفِ عبد الكريم المغيلي بما تحصَّل عليه من علوم في تلمسان وبجاية، بل راح يبحث الاستزادة من رحيق المعرفة، فتوجَّه مباشرة إلى الجزائر؛ حيث أتصل بالمفسِّر المشهور عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف بن طلحة الثعالبي، صاحب التفسير المشهور "الجواهر الحسان"، ولأزمه ملازمة لصيقة، وقد أعجب الإمام الثعالبي بالطَّالِب المغيلي وبفِطنته وذكائه، فرَّوَّجه ابنته اعترافاً منه بعلمه وفقهه وأدبه.

كلمة عن الأخلاق لدى شيوخه وتلاميذه:

أشهر من أخذ عنه: أيد أحمد، أبو العباس الونشريسي، أحمد الكنتي، محمد بن عبد الجبار الفجيجي، عمر الكنتي، العاقب الأنصمني.

وأما سبب تأليفه: فقد ذكر أنّ أبا جعفر المنصور قال للإمام مالك: "يا مالك، اصنع للناس كتابًا أحملهم عليه، فما أحدُ اليوم أعلم منك"، فاستجاب الإمام مالك لطلبه، ولكنّه رفض تلمسان، بلد الحضارة والقيَم، يبرز نجم عالمٍ ترعرع في أحضان مغيلة، قبيلة من البربر استوطنت تلمسان ووهران والمغرب الأقصى، وهي فرع من قبيلة صنهاجة، كبرى شعوب الأفاقة، يظهر في سنة 790 هـ / 1425 م أبو عبدالله، محمد بن عبدالكريم بن محمد المغيلي التلمساني، في أسرة عُرفت بالعلم والأخلاق الفاضلة؛ فقد كان الابنُ يرى طلاب العلم يتوافدون على والده عبدالكريم الذي اشتهر بالعلم والورع والتقوى، فرأتُ عينا الطفل محمّد الأب الوقور الذي يحترمه النَّاس، وكان يجلس معه يستمع لكلامه الذي تتلقّفه أذان المريدين بكلّ شغف وحبّ، وعندما ينتهي الوالد من حلّقه يخرج الطالب بكلّ وقار واحترام وهم يقبلون رأس العالم وابنه، ينظر لكلّ هذه المشاهد التي رسخت في مخيلته وسراها فيما بعد تكبر معه، وتكون هي اللبنة النيرة التي كوَّنت شخصيّة هذا الطفل.

وظلَّ الطِّفْل يتلقّف العلم من يد والده، الذي علّمه قراءة القرآن الكريم، وكانت مظاهر النبوغ والتفوق تبرز في ملامحه، فيجلس يعرض ما حفظه والأب يسمع ويلاحظ، وما إن يتمّ الطِّفْل القراءة فيُثني عليه الثناء الحسن فيزداد حماس محمد على طلب العلم، والأخذ من شتى صنوفه، فصار قارئًا يُضرب به المثل في الحفظ وحسن التّجويد وضبط أحكام التّلاوة، وفي حفل تخريج الطِّفْل يحضر جمع كبير من شتى البقاع، ويمتلئ المسجد عن آخره فيتقدّم الأب بكلمة يرحّب فيها بالحضور، ويسأل الله أن يأجرهم على تعيّمهم وتحمل أعباء السّفر، ثمّ جاء المتحدثون تثرى، وأخيرًا جاء دور الابن محمّد فألقى السّلام، وبدأ بحمد الله، ثمّ شرع في التّلاوة فأعجب الحضور بحلاوة صوتِه وحسن أدائه، وجاءت لحظة التّكريم وانتهى الحفل المبهج.

وهكذا صار يعرف بالواعظ المصلح، والعالم والفقهاء، والقارئ محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي الذي وصل إلى مملكة صنغاي بالنيجر، مروراً ببلاد التكرور وكانو، بعد أن انتقل من تلمسان إلى واحات أدرار تمنطيط توات، وغيرها من القصور بالصحراء الإفريقية الشاسعة ينقي الإسلام ممّا علق به من الشوائب.

ويُعد محمد العالم رقم عشرين في سلالة المغيليين التي تبتدئ بإلياس المغيلي، وهو ذلك العالم البربري الذي اعتنق الإسلام، وحمل لواء الجهاد فكان له شرف المشاركة مع طارق بن زياد في فتح الأندلس، والده عبدالكريم اشتهر بالعلم والصلاح، كما أنّ أمّه اشتهرت بأنّها سيّدة فاضلة تحب الفقراء والمساكين، وتنفق عليهم بسخاء، وقد قام هذان الوالدان - كما أسلفنا - بتربيته وتنشئته تنشئة حسنة طيبة مباركة.

بين أحضان الأب الوقور.

لم يحفظ على يد والده القرآن الكريم فقط، وإنّما علّمه أيضاً مبادئ العربيّة من نحو وصرف وبيان، كما قرأ عليه أيضاً موطأ الإمام مالك وكتاب ابن الحاجب الأصلي، وقد سأل والده في بداية دراسته عن هذا الكتاب العظيم، عن سر تسميته بالموطأ، فذهب إليه مسرعاً فوجده جالساً يعلم طلابه العلم فانتظر حتّى أُنهي كلامه ثمّ قال: يا أبت، عندي سؤال يحيرني ولم أستطع الإجابة عنه؟ فقال الأب: ما هو السؤال الذي يحيرك يا بني؟ فقال الابن: لماذا سميّ الإمام مالك كتابه بالموطأ، فقد حاولت أن أفهم ولم أستطع إلى ذلك سبيلاً؟ فقال الأب بكلّ وقار وتواضع: يا بُني، إنّ الموطأ هو واحدٌ من الدواوين العظيمة، وكتبه الجليّة، يشتمل على جملة من الأحاديث المرفوعة، والآثار الموقوفة من كلام الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ثمّ هو أيضاً يتضمّن جملة من اجتهادات المصنّف وفتاواه، وقد سميّ الموطأ بهذا الاسم لأنّ مؤلفه وطأه للنّاس، بمعنى أنه هدّبه ومهدّه لهم.

وقد نُقِلَ - يا بنيّ - عن مالكٍ - رحمه الله - أنّه قال: عرضتُ كتابي هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة، فكلمهم واطأني عليه، فسَمَّيْتُهُ الموطأً.

وقد مكث - يا بنيّ - الإمام مالك أربعين سنة يقرأ الموطأً على الناس، فيزيد فيه وينقص ويُهَيِّبُ، فكان التلاميذ يسمعون منه أو يقرؤونه عليه خلال ذلك.

فرح الابن بهذه الإجابة الشافية الكافية، ثمّ شكر أباه ثمّ انصرف فرحاً مبتهجاً بما سمع من الكلام المفيد.

ثمّ انتقل بعدها ليُدْرَسَ عند الإمام الفقيه محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشَّهير بالجلاب التلمساني (ت سنة 875 هـ)، والذي أخذ عنه بعض التفسير والقراءات، ولقَّنه الفقه المالكي، فقد ذكر المغيلي أنّه ختم عليه المدونة مرّتين، ومختصر خليل والفرائض من مختصر ابن الحاجب، والرسالة، وهكذا ظلَّ الابن يتنقل بين العلماء مُقتبساً العلم تنقل النحلة بين الأزهار لتصنع الشَّهد الذي فيه شفاء لكلِّ سقيم.

ولمّا بلغ أشدَّه وبلغ الثلاثين من عُمره، قرَّر أن يتعلَّم علم التفسير ويتبحَّر فيه، فسمع بعلم من أعلام تلمسان في ذلك الزَّمان، زمان الرقيِّ والعلم والحضارة والسؤدد، حيث توجَّه إلى عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن عليّ بن يحيى الحسيني أبي يحيى التلمساني (826 وقيل 825 هـ)، وهو عالم بالتفسير، حافظ محدِّث من أكابر فقهاء المالكيَّة، قال عنه أحمد بابا في "نيل الابتهاج": "بلغ الغاية في العلم، والتهاية في المعارف الإلهيَّة، وارتقى مراقي الرُّلْفى، ورسخ قدمه في العلم، وناهيك بكلامه في أوَّل سورة الفتح، ولما وقف عليه أخوه عبدالله كتب عليه: وقفت على ما أوَّلتموه وفهمت ما أردتموه، فألفيته مبنياً على قواعد التَّحقيق والإيقان، مؤدِّياً صحيح المعنى بوجه الإبداع والإتقان، بعد مطالعة كلام المفسرين ومراجعة الأفاضل المتأخِّرين".

فأخذ عنه علم التفسير بجميع مدارسه، حتى صار علماً من أعلام التفسير، فأجازه الشيخ ورخص له بالتدريس.

عندما نتناول سير الأعلام في الحقيقة نتناول تاريخ الرجال وما أكثرهم في الجزائر، حيث لا تكاد تخلو منطقة منهم، التراث ليس مجرد استحضار أنواع الفلكلور ولا الرقص في الساحات، بل التراث هو الثقافة كلها بتجارب الشعب وخبراته ومنجزاته، بل هي خلاصته التي تعطيه معالم شخصيته المتميزة، بها يعرف ومنها يأخذ خصائصه.

محمد المغيلي أنجبته مدينة العلم والحضارة تلمسان كأمثاله من العلماء الذين تفتخر بهم، فهو الأمام محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، وهو من قبيلة مغيلة البربرية التي انتشرت في وهران وتلمسان والمغرب الأقصى، وهي إحدى فروع قبيلة صنهاجة العظيمة، ولد محمد بن عبد الكريم بمدينة تلمسان (790هـ - 1425م) من عائلة عريقة اشتهرت بالعلم والدين والشجاعة.

تعليمه: حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العربية من نحو وصرف وبيان، وقرأ موطأ الإمام مالك وكتاب ابن الحاجب عن والده، كما تلقى العلم عن شيوخ أجلاء نذكر منهم:

- الفقيه بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (ت 875هـ) أخذ عنه التفسير والقراءات والفقاه المالكي، فقد ختم على يديه المدونة ومختصر خليل وابن الحاجب والرسالة.

- الشيخ عبد الرحمن بن محمد الحسني التلمساني (826هـ) أخذ عنه التفسير والفقاه المالكي.

- الشيخ محمد بن إبراهيم الونشريسي صاحب كتاب المعيار وهو أبو الفضل التلمساني (845هـ).

لم تكن معارفه مأخوذة عن علماء تلمسان فقط، بل أيضا على علماء بجاية حيث تلقى عنهم علوما متعددة، منهم على سبيل المثال الشيخ أحمد بن إبراهيم البجائي (ت840هـ) أخذ عنه التفسير والفقه، وكان من تلاميذ هذا الشيخ الجليل سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

كما تتلمذ أيضا على يد الشيخ منصور بن علي عثمان أبو علي الزواوي المنجلاتي وهو أحد كبار علماء وفقهاء بجاية.

كما أخذ عن يحيى بن نذير بن عتيق أبي زكرياء التدلسي وهو من كبار فقهاء المالكية.

كما عاصر سيدي محمد المغيلي علماء أجلاء منهم: قاسم بن سعيد العقباني، محمد بن أحمد بن مرزوق، إبراهيم التازي، محمد بن يحيى التلمساني، ابن مرزوق الكفيف، أحمد بن يحيى الونشريسي، ويعد محمد المغيلي ابن تيمية المغرب في جهاده وعلمه، ولم تقتصر حياته على الدعوة والإرشاد، بل تجاوزتها إلى المراسلات والمناظرات مع كبار علماء عصره، منهم الإمام السيوطي كما ذكر ذلك ابن مريم في كتابه "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان".

كما قال الشاعر المشهور من باكستان محمد إقبال اللاهوري:

ملة از افراد مي يابد كمال

أي: إن الأفراد هم الذين يبلغون الملة إلى الكمال يعني إلى أعلى الدرجات.

الخلاصة:

– إن الفقيه ابن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (ت 875 هـ) أخذ عنه محمد ابن عبد الكريم المغيلي التفسير والقراءات والفقہ المالكي، فقد ختم على يديه المدونة ومختصر خليل وابن الحاجب والرسالة.

الشيخ عبد الرحمن بن محمد الحسني التلمساني (826 هـ) أخذ عنه التفسير والفقہ المالكي.

– ومن شيوخه الشيخ محمد بن إبراهيم الونشريسي صاحب كتاب المعيار وهو أبو الفضل التلمساني (845 هـ).

– استقبله الأفارقة في هذه المناطق بالحفاوة والترحاب، وقربه أمراؤها وملوكها وجعلوا منه مستشارا ومرجعا فقيها، وكتب لهم رسائل ووصايا وفتاوى في أمور الحكم والدولة والسياسة الشرعية.

– بقي هذا العالم الجليل خالدا في ذاكرة الأفارقة، وظلت أعماله وآثاره يحفظها العلماء.

المصادر والمراجع:

1. تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية د. يحي بو عزيز الاول
2. الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الاصلاحى بامارات وممالك افريقيا الغربية أ. مبروك مقدم 2002 الاول
3. الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي اسهاماته في نشر الثقافة الاسلامية افريقيا الغربية أ. مبروك مقدم 2000 الاول
4. تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن 16 الي القرن 20 مملكة سنغاي في عقد الأسقيين د. يحي بو عزيز 1989
5. الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الاصلاحى أ. مبروك مقدم 2002
6. المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب نشر دسلان 1875
7. اجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للامير الحاج محمد بن ابي بكر اسقيا الكبير الترغيب والترهيب أ. مبروك مقدم 2000
8. الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال الوثائق التاريخية أ. مبروك مقدم 2000
9. الإمام المغيلي وأثره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نجيريا ادم عبد الله الألوري 1974
10. نبذه عن حياة الإمام المغيلي وقائع الملتقى الاول للتعريف بتاريخ منطقة توات إعداد مركز الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية ادرار 1985.

الفكر الصوفي الكوني بين المغيلي وبعض معاصريه من الهنود والفرس

أ.د. محمد ثناء الله الندوي

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، الهند

ملخص

يمثل الفكر الصوفي الكوني للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (1425-1505م) منطلقاً رؤيويًا هامًا في مشروع بناء الإنسان داخل منظومات الثقافة المعرفية التي تتخطى حواجز التاريخ والجغرافيا في خضم التأسيس المفاهيمي والسلوكي للإنسان المتجه صوب جوهره الوجودي في سياق تنحسر فيه ظلال المدرسية التشريعية ومنطق المفارقة بين التفكير العقلي والفقهي والروحي، في امتداداته الشرقية والغربية والآسيوية والإفريقية.

يقترح هذا السياق رصد وتحليل أبعاد من فكر الإمام المغيلي مع معاصريه من كبار الصوفية من الهنود والفرس، وهم أكثر، في مقدمتهم: الشيخ نور الدين عبد الرحمن الجامي (1414-1492م) والشيخ علي المتقي البرهاننوري (1472-1567م)، وآخرين من الجشتيين والنقشبنديين والسهرورديين والقادرين والشاذليين وغيرهم الذين عرفوا بدورهم الكبير في نشر منظومات التربية الروحية وتعاليم الدين وتوطيد العلاقة بين السلطة والدين في مجتمعات المسلمين.

يهدف البحث إلى مخاطبة الموضوع ذاته في منهج تاريخي وتحليلي مقارن.

كلمات دالة:

الإمام المغيلي، التصوف، الهنود، الفرس، المجتمع، بناء الإنسان.

Global Sufi Thought between Imām al-Maghīlī and his Indian and Persian Contemporaries

Abstract

The Cosmic Sufism represented by Imām al-Maghīlī (1425-1505) while proposing a spiritual cognitive for building humans who surpass geo-historical boundaries in theoretical-behavioural formatives of inclusivism, eclipses the theology of exclusion and segregation between the rational, the juristic and the spiritual, in wider East-West or Afro-Asian stratifications. Such a context proposes for a reckoning and analysis of the same in historical perspectives in as much it brings forth a shared legacy of addressing human society in a plethora of concerns such as spiritual training, theological injections, relations between state and religion in Muslim communes, etc.

The paper aims at analysing comparatively the Cosmic Sufi paradigm common to Imām al-Maghīlī and several among his Indian and Persian Sufi contemporaries of Chishtīya, Qadīrīya, Suhrawardiya, Naqshbandīya and Shazilīya orders such as Nooruddin Jamī (1414-1492), Ali Muttaqī Burhanpurī (1472-1567), among others . in socio-historical perspectives.

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Sufism, Indians, Persians, Society, building humans.

توطئة:

لن يُشكل على متبّعي مسيرة الفكر الإنساني رصد الالتقاء المواقفي المتجانس في تعددية رؤيوية تتخطى حتى الخصوصيات العقديّة والدينيّة في سياق تاريخ الثقافة المعرفيّة الذي يمثّل جوهر التوجّه البشريّ إلى ما بعد الطبيعة وما يتمخّض عنه ذلك التوجّه من تشكيل الرؤى والسلوكيات والأخلاق النازعة إلى تقليص حجم التباين الجغرافيّ والعرقّي، خاصّة في القرن الخامس عشر الذي يؤرّخ للمفارقة بين أواخر العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة في جملة من الأبعاد: سياسةً واجتماعاً وعلماً وثقافةً، وهي ركائز أولى لمخاطبة تاريخ الاستكشاف والاستعمار والتبشير والمقاومة في القطبين الشرقيّ والغربيّ، وقد نتجّر في تسمية هذه الظاهرة في خضمّ مسميّات تتأرجح بين كفتي التأميل والتواصل في السياق المصطلحيّ تاريخياً، وبين الإيجاب والسلب في سياق الأدلجة والمضاد الأدلجيّ، على غرار ما نعاينه في مجال صياغة المصطلحات وتحسين منطقتها دلاليّاً وجماليّاً، على أن البعد التخاطبيّ للمسألة في السياق الإسلاميّ الصوفيّ - رغم ما يثقل خطاه من الحساسيات: مفارقات الإحسان والتركيّة الروحية والتصوّف الفلسفي وفلسفة "الهاكتي" الهنديّة ووحدة الوجود الهندوسية ووحدة الوجود الصوفيّة - لدى أبي يزيد البسطامي (804-874م) الذي أخذ تصوّر الفناء في التوحيد عن أبي علي السندي الهندي من أعيان القرن الثالث الهجري (الحسني، 1988، 1/53) وأبي المغيث الحلاج (858-922م) والشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي (1165-1240م) وفخر الدين العراقي (1213-1289م) وأوحد الدين الكرمانلي (ت 1238م) وعبد الرحمن الجامي (1414-1492م) وعبد الغني النابلسي (1641-1731م) مؤلف كتاب "إيضاح المقصود من وحدة الوجود"، والأمير عبد القادر الجزائري (1808-1883م)، بين آخرين، والثيوصوفية والغنوص الكونيّ، وعقليّات التشكيك والهميش

أو التخطئة والتكفير - يحرزنا كثيرا من جرائم الأخطار، إن لم تكن صفاتها.

إن هذا المنطق الرامي إلى بناء الإنسان قبل بناء المعجمية الصوفية يسدّد خطى الباحث إلى حد كبير في رسم خيوط الوصل أكثر من الفصل بين الإمام محمد بن عبد الكريم المغيليّ (1425-1505م) وبعض معاصريه - أو من سبقوه بقليل - من الهنود والفرس في ساحة الفكر الصوفيّ الكوني: نور قطب عالم البندوي (ت 1416م) من بنغالة ومخدوم علي المهنديّ (1372-1432م) وحسام الدين المانك بوريّ (ت 1478م) وميران جي شمس العشاق (ت 1499م) من الدكنو محمد زاهد الوخشيّ (1449-1530م) وندد رشي (1377-1438م) و بابا ريش مير صائب (ت 1504م) وسيد محمد الجونبوريّ (1443-1505م) مؤسس طائفة المهدوية، وكبير داس (1398-1518م) ودرويش محمد (1443-1562م) وحمزة مخدوم الكشميريّ (1494-1576م) ووشاه جلال الدكني (ت 1476م) من داكا (بنغلاديش)، وعلي متقي البرهانپوريّ (1472-1567م)، وآخرين، من الهنود، ويعقوب الجرخيّ (1360-1447م) ونصير الدين عبيد الله خواجه أحرار (1404-1490م) وخواجه أبو نصر محمد پارسا (ت 1461م) ونور الدين عبد الرحمن الجاميّ (1414-1492م) وعلي شير نوائي (1441-1501م) وكمال الدين حسين بن علي الواعظ الكاشفيّ (1436-1504م) ومحمد سليمان أوغلي فضولي (1494-1556م)، بين آخرين، من الفُرس.

هذه الأسماء مع ما سجّل لها من أدوار تاريخية تعكس ظلّالا من تاريخ الفكر الإسلامي في مساحة زمنية تضمّ متضادات مثل فتح قسطنطينية (1453م) وسقوط مملكة غرناطة (1492م) ووصول كولمبوس إلى أمريكا في نفس العام (1492م)، والزحف الاستعماري (الإسبانيّ والبرتغاليّ والفرنسيّ والهولنديّ والإنكليزيّ وسواه) في إفريقيا وآسيا أمريكا اللاتينية، واجتياح

التيموريين (1370-1507م)، التركمانيين (الأقويينلو: 1378-1503، والقره قوينلو: 1374-1468م) في دياربكر آذربيجان، والصفويين (1501-1736م) في إيران، والسمود والمقاومة في العالم الإسلامي: الزيانين (1235-1556م) في تلمسان والحفصيين (129-1574م) في تونس والمماليك (1250-1517م) في مصر، وأواخر سلطنة دلهي (1206-1526م) والإمارة الميرشاهية في كشمير (1339-1561م) والإمارة المظفريّة في غجرات (1391-1583م) وسلطنة بنغالة (1352-1576م) وسلطنة الهنميين (1347-1527م) وسواهم، في شبه القارة الهندية، ولا يفوتنا أن بعض هذه المضادات السياسية لم تخل من متضادات عقديّة وفلسفيّة في العالم الإسلاميّ، أهمها الدعوة المهدويّة وما لا ينفصم عنها من أجواء معتمّة وخفايا مريبة، والتصوّف والغنوص في تعدديتهما المرجعيّة مثل الأوبنيدشاديّة الهندية والأفلاطونيّة المحدثّة وغيرهما (الندوي، 2020، ص 629-652، 2010، تقديم)

المغيلي ومعاصروه:

لا داعي أن يقدّم الباحث مقاله هذا بنبذة سيريّة عن الإمام عبد الكريم المغيلي، فهو غني عن كل تعريف، وتكثر حوله الدراسات في العربيّة وعدد من اللغات الأوربيّة، سواء في الاحتفاء به، أو عكس ذلك في المصادر الأوربيّة (مثل هيرشبرج، 1974م، 401-402، بلاشين ديمو، 1975-76، ص 260-261، كوركوس، 1963-64، 271-287، استرات، 1993، هنوك، 2006، فيسيلوس، 2015، وسواهم)، وحسبه أن يشير إلى القيمة الاستثنائية لتراث المغيلي العلمي والدعوي والجهادي في سياق تاريخي وجغرافي هامّ هو المرحلة الانتقاليّة بين العصر الكلاسيكي المتأخّر وإرهاصات العصر الحديث: فتح العثمانيين للعاصمة البيزنطينيّة (29 مايو 1453م) وزفرة الأمير أبي عبد الله الأخيرة (2 يناير 1492م) وزحف القوى الاستعمار الغربي

والكنيسة على العالم العربي والإسلامي والاحتياح الإسباني والبرتغالي - بوجه خاص - للساحل الإفريقي المسلم، مصحوباً مع فتن اليهود في غرب إفريقيا وملاحم الاحتياح التيموري لحواضر المسلمين في الشرق الأوسط ودعوات الدروشة والشعوذة والبدع والخرافات بمسميات صوفية ولافتات إحصانية تجذب الجماهير وتستغلهم لغايات مريبة.

في مثل هذا الوسط الفكري والمجتمعي والسياسي المتعسر على الأعصاب قام الإمام المغيلي بتحمل مسؤولية جسيمة هي رفع كلمة الحق والدفاع عن الإسلام والتصدي للباطل العقدي والمجتمعي والسياسي وكسر الحواجز النفسية للقيام بالواجب في سياق تغافل العامة وتساهل الخاصة ومداهنة رجال الدين وتغلل الضعف فهم لأسباب يرفضها العقل والشرع والسياسة الحكيمة. والتأهب لمثل هذه المهمة يقتضي استراتيجية علمية ودعوية وإصلاحية وسياسية، مع عدة وعتاد للجهاد الذي لا تثمر في غيابه جهود الجاهدين وإخلاص المخلصين. وهذا ما يفسر لنا هجرة المغيلي من تلمسان الزينانيين إلى توات، ورسائله ومناظراته العلمية مع العلماء لإقناع رجال السلطة بضرورة معالجة قضايا ذات حساسية دولية مثل قضية اليهود في توات والجهاد ضدهم، مع مواصلة الدعوة والإصلاح الاجتماعي في المجتمع الصحراوي الإفريقي الممتد إلى جنوب السودان، والقضاء على البدع والمنكرات الدينية والخلقية والطقوس الاجتماعية الباطلة، وذلك كله وفق مشروع شامل يضم تأسيس الزوايا والمدارس ونشر الطريقة القادرية، ومن هنا تأتي مكانته متميزة تاريخياً في تعددية سياقية (علمية، دعوية، إصلاحية، روحية، جهادية) لكونه همزة وصل بين أساتذته وشيوخه الكبار مثل الشيخ محمد بن أحمد المغيلي الجلاب (ت 1470م) والشيخ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي (ت 1471م) والشيخ يحيى بن يدير التغلبي التلمساني التمنطيبي وبين تلامذة أفذاذ مثل عمر بن أحمد البكاي الكنتي (ت 1460م) والشيخ محمد بن عبد الجبار الفيحجي والشيخ العاقب بن

عبد الله الأنصمانيّ المسوفيّ والشيخ محمد بن أبي أحمد التاذختيّ، ومن تلمذ عليهم من العلماء والشيوخ. لقد أثرى المغيليّ مكتبة علم الكلام والتوحيد والتصوف والفقه بجنب علوم العلوم العقليّة والبلاغة، ويرجع الفضل إليه في توطيد الإمارة في السنغاي على الأسس الإسلامية وتأسيس الخلافة الماسينيّة في حمد الله، علاوة على أثره الكبير على الحركات الإصلاحية في إفريقيا: حركة عثمان دان فوديو وغيرها من الحركات.

يؤرّخ هذا السياق لأهمية كل ما قام به الإمام المغيلي في ساحة العلم والإصلاح الديني والسياسي، فتفسيره لسورة الفاتحة من القرآن الكريم، مع كتابه «البدر المنير في علوم التفسري» وعمله في الحديث: الأربعون حديثاً وشرحها، وقصيد في مدح النبي محمد الصلاة والسلام الميمية، تأليفاته في العقيدة مثل: مصباح الأرواح وأصول الفلاح، ومراجعاته مع الإمام السنوسي في أصول الدين، وردّه على المعتزلة، وعمله في المنطق: لبّ الباب في ردّ الفكر إلى الصواب، وشرح الجمل للخونجي في المنطق، وإمناح الأحاباب في شرح منح الوهاب وهو نظم في المنطق في 63 بيت شعري، مع تأليفاته في الفقه مثل شرح بيوع الأجل لابن حاجب، ومختصر خليل ومختصران في الفرائض تشكّل الخريطة المفاهيمية لمشروعه الفكري، بينما تأليفه المعنون: مقدمة في العربية، وشرح التبيان في علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبديع والبيان، يعزّز مشروعه اللساني الذي يعد ركيزة هامة للإرهاص العلمي والدعوي، أيا كان. وكتاب "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين" وهو أصلاً رسالته إلى سلطان كانو، وكتاب: "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي" (نقله إلى الإنكليزية جون هنويك أوفن عام 1985م) من أهم ما يشدّ انتباه المهتمّين بقضايا الإسلام والسياسة في المجتمع الإفريقي المسلم. والكتاب الثالث في هذا السياق هو: "رسالة إلى كل مسلم ومسلمة" بعنوان: فتاوى العلماء حول نازلة يهود توات"، وهو كتاب مهمّ يعالج قضية يهود توات وفتوى العلماء فيها ومعارضة بعض العلماء (منهم عبد الله العصونيّ

قاضي قضاة الجماعة) وحكم الشرع - في رأيه - عن التعامل مع اليهود ومنع بناء أديرة لهم قرب مساكن المسلمين ووضع السيف فيهم في حالة رفضهم دفع الجزية وحكم من يتعامل معهم.

من أهم ما يشدّ اهتمام الباحثين بجانب اهتمام رجال السياسة وجهات التنصير والاستعمار الغربي وصول الإمام المغيلي الى إمارة كانو حيث التقى بحاكمها محمد بن يعقوب الذي كان يتربع على العرش في الفترة الزمنية (867-904هـ - 1493-1499م) وتوطن بها وبني مدرسته المعروفة بإسمه: "الشيخ المغيلي"، فكان الإمام وجهة يرتادها طلاب العلم والتربية الروحية من شتى جهات جنوب إفريقيا والأقطار السودانية، وتخرّج على يده العديد من المشايخ، ويعود الفضل إلى سلطان كانو الذي لا يكاد يقدم على أمر من أموره الدينية والدينيوية إلا بالرجوع إليه، فكان المغيلي مستشاره الديني والدعوي والروحي والسياسي، وولاه القضاء والإفتاء في الفترة التي قضاها في البلاد، فكان خير مستشار لأمير يحرض على تحصين حكمه بالتوجه الديني الرشيد. ويمتدّ الأمر إلى إمبراطورية السنغاي الإسلامية في غاو بحاكمها الحاج محمد أسقيا (1443-1538م، فترة الحكم: 1493-1528م) الذي رحّب بالإمام المغيلي واتخذته مستشارا له وطرح أسئلة اجتماعية ودينية وسياسية كانت تواجهها بلاد السودان، وكان رد المغيلي فيها وفق تعاليم الإسلام وأحكام الشريعة ليطبّع الممكلة بطابع إسلامي صحيح (غوميز، 2018، 226 بوهنن 2005/1-83-90، هونك، 1999، 103، جونوسن وهال، 1997، ص126، هونك، 2006، برودر، 2008م، محمود كعت التنبكتي، 2014م)

لقد اشتهر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي عدد من الصوفيّة بإثراءهم الكبير للمجتمع العلميّ والعرفانيّ والدعويّ في الدول العربيّة وبلاد الفرس والأتراك وفي شبه القارة الهنديّة، ومنهم من عاصروا

الإمام محمد عبد الكريم المغيليّ (1425-1505م) أو سبقوه أو تأخروا عنه بقليل، وفي مقدّماتهم - في رأي الباحث - الأسماء التالية وفق الانتماء الطريقي:

1. الطريقة الباعلوئيّة: أبو بكر العدنيّ بن عبد الله العيدروس (1447-1508م)، مؤلف " الجزء اللطيف في التحكيم الشريف"، و" ثلاثة مجاميع: وسيط وبسيط ووجيز في الأذكار والأدعية النبوية، وديوان شعر: « محجّة السالم وحجّة الناسك».

2. البكتاشيّة: بالم سلطان (1457-1517م) في البلقان.

3. الخلوئيّة: السيد يحيى الشرواني الباكوي (1403-1462م) في أذربيجان وتركيا، مؤلف "شرح گلشن راز" و"أسرار الطالبين" و«أسرار الأرواح»، وغيرها من الكتب.

4. الكبرويّة: الشيخ أمير سلطان (1368-1429م) في تركيا والشيخ حمزة مخدوم (1494-1576م)، في كشمير.

5. المداريّة: بديع الدين شاه مدار (ت 1434م)، في الهند.

6. الشطّاريّة: الشيخ سراج الدين عبد الله الشطار (ت 832 هـ/ 1428م) مؤلف "الرسالة الشطّاريّة" (بالفارسية)، ووجه الدين العلويّ الكجراتيّ (1490-1580م) مؤلف "حاشية العلو على تفسير البيضاوي" و"شرح نزهة النظر للكجراتي مع نخبة الفكر للعسقلاني" و"حاشية العلوي على شرح الجامي ورسالة القوشجيّ شرح القوشجيّ وإيضاح شرح الحقيقة المحمّدية، ومحمد غوث الغوالييري (1500-1562م) مؤلف "الأوراد الغوثية" و"الجواهر الخمسة" و"بحر الحياة" ترجمة لكتاب "أمرت كند" السنسكريتي في اليوجا.

7. نعمة اللهيّة: شاه نعمة الله ولي الحلبي الكرمانى (1330-1431م) في ماهان، كرمان (إيران)، وابنه سيد برهان الدين خليل الله الكرمانى ت

1469م) الذي وصل إلى الهند (في سلطنة بيدر، على دعوة من السلطان علاء الدين أحمد شاه ولي الهمني) عام 1430م (فرشته، 1863، 329/1، 319، الحسني، 1988م، 51/3، معصوم عليشاه، 1339-1345 هـ، 513/3-514).

8. النوربخشيّة: محمد بن عبد الله الموسوي القهستاني (1392-1465م) مؤلف "كتاب الاعتقادية" و"سلسلة الذهب" و"رسالة في علم الفراسة أو إنسان نامة" و«كشف الحقائق» و«رسالة معاش السالكين» و«مكارم الأخلاق» و«سلسلة الأولياء» و«رسالة نوريّة أو نور الحق» و«رسالة معراجيّة» (بالفارسيّة) و«رسالة الهدى» و«رسالة عرفاني» (بالفارسيّة) و«الشجرة الوفيّة في ذكر المشائخ الصوفيّة» وديوان شعر، وشمس الدين محمد بن يحيى أسيري اللاهيجي (ت 912هـ/1506م) مؤلف مثنوي «أسرار الشهود» في الشعر، و«مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز لمحمود الشبستري» في النثر.

9. القادريّة: سيدي أحمد البكاي الكنتي (ت 1504م) وعبد الرحمن الثعالبي (1384-1471م) مؤلف "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، وأبو مهدي الغبريني (ت 1413م).

10. الشاذليّة: الإمام جلال الدين السيوطي (1445-1505م) مؤلف "تأييد الحقيقة العلية وتشديد الطريقة الشاذلية"، والشيخ أحمد زروق (1442-1493م)، والإمام محمد بن محمد شمس الدين السخاوي (1428-1497م)، والشيخ علي المتقي الهندي البرهانفوري (1472-1567م)، وآخرون، بأعمالهم العلميّة المعروفة.

11. النقشبنديّة: خواجه ناصر الدين عبيد الله أحرار (1404-1490م) ونور الدين جامي (1414-1492م) مؤلف «هفت اورنگ» و«تحفة الأحرار» و«ليلي ومجنون» و«فاتحة الشهاب» و«اللوائح» و«الدرّة الفاخرة»،

و«نفحات الأنس» و«بهارستان» على غرار «گلستان» للسعدي الشيرازي، و«الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب» و«جامع عاشقان خواجه پارسا» و«رسالة مناسك حج» و«رسالة شرائط الذكر» و«رسالة حديث أبي ذر العقيلي» و«سررشته طريقه خواجهگان» و«شواهد النبوة» و«تجنيس اللغات»، وخواجه بنده نواز گيسو دراز (ت 1422م) في بيدر (الدكن) ومخدوم أعظم أحمد خواجهي بن جلال الدين الكاشاني (ت 1542م).

12. الجشتية: علاء الحق البنغالي البندوي (1301-1398م) وعثمان سراج الدين البنغالي (1258-1357م) ونور قطب عالم البنغالي (ت 1416م) وحسام الدين المانكبوري (ت 1478م) مؤلف «أنيس العاشقين» و«رفيق الطالبين» و«خلاصة الأوراد» و«رسالة ماهية» و«مكتوبات مانكبوري».

13. السهروردية والأكبرية: عبد الرزاق الكاشاني (ت 1329م)، ومحمود الشبستري (1288-1340م) وداؤود القيصري ت 1351م) وحيدر العاملي (ت 1385م) وعبد الكريم الجيلي (ت 1428م) وملا شمس الدين الفناري (1350-1431م) وإدريس البتليسي (ت 1520م) وعبد الوهاب الشعراني (1493-1565م)، مخدوم جهانيان جهان گشت مير سيد جلال الدين النقوي البخاري (1308-1384م) وكان للسهرورديين - مع نظريتهم لوحدة الوجود) مكانة كبيرة في بلاط الإيلخانيين (1256-1335م) وفي الثقافة الفارسية بأوساطها الهندية أيام المغول، بوجه عام. والجدير بالذكر أن نظرية وحدة الوجود وجدت قبولا كبيرا في بلاط الإمبراطور المغولي جلال الدين محمد أكبر (1556-1605م) الذي قرّب الشيخ تاج الدين زكريا الأجودهني إلى نفسه وكان يستشير سرّا في أمور كثيرة، والنظرية وجدت في شخص الشيخ محب الله الإله آبادي (1587-1648م) من أكبر حماتها الذي أثرى المكتبة الصوفية في الهند بمؤلفات مثل «شرح فصوص الحكم» و«عبادة الخواص» و«هفت أحكام» و«غاية الغايات» و«التسوية بين

الإفادة والقبول» في شرح التوحيد الوجودي و«مفتاح العاشقين» و«ترجمة الكتاب» و«أنفاس الخواص»، وغيرها من الكتب (الدهلوي 2004م، الحسني، 1988م، أوليسي، 1854م، هادي، 1995م)

إن تعددية الطرق الصوفيّة – من السنة والشيعة (مثل نعمة اللاهية والنوربخشيّة والحقّانية –متأخراً- في سياق علاقتها مع النزاريّة - مصحوبة بتعددية تصوّراتها ودرجات تفاوتها في التجانس والمفارقة - في بناء الإنسان عقلياً في السياق المعرفي لتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وفي مجال الأوراد والأذكار والأشغال ووسائل الارتياض وبعض المقاربات الفلسفيّة التي لم تكن بمأمن من الخلاف بين العلماء والصوفيّة، مثل وحدة الوجود ووحدة الشهود والفناء والبقاء والحال والوجد والشطحات ولغة الذكر (مثل الذكر الهندي) والذكر الجلي و"پاس أنفاس" الفارسية (ضبط الأنفاس) والمراقبة واللطائف والاعتكاف لأربعين يوماً (چلة الفارسيّة) والصلاة المعكوسة وبعض ممارسات اليوجا والزهد والتجرّد والسماع والرقص، وتصوّر الشيخ والأعياد الصوفية ومسألة التقرب إلى السلاطين وسواها من الطقوس والأشغال والتصوّرات. فالجشتيون يقرّون بالذكر الجلي مع الذكر الخفي علاوة على ضبط الأنفاس والمراقبة والاعتكاف الأربعيني، وبعضهم - مثل الشيخ قطب الدين بختيار الكاكي – (الندوي 2020م، 95-112) يقرّون بالذكر الهندي، بينما الطريقة القادريّة تشجع التجرّد، والطريقة الشاذلية في فروعها الدرقاوية والتيجانية والبدوية والرفاعية وغيرها متميزة بتصوّراتها للتوبة والإخلاص والنيّة والخلوة والذكر والزهد (فراغ القلب مما سوى الله، والزهد في الحلال وترك الحرام) والنفس وأحوالها وتزكيتها باعتبار النفس مركز الطاعات ومركز الشهوات ومركز الميل إلى الراحةات ومركز العجز في أداء الواجبات، والورع والتوكّل (صرف القلب عن كل شيء إلا الله) والرضى (رضى الله عن العبد) والمحبة والذوق وعلم اليقين والسماع، والطريقة النقشبندية – الوحيدة التي تنسب نفسها إلى سيدنا علي مع سيدنا أبي بكر

الصديق رضى الله عنهما - معروفة لمبادئها المختزلة في جمل بسيطة: « هوش در دم» (حفظ النفس عن الغفلة) وسفر در وطن (سفر السالك من عالم الخلق إلى جناب الخالق) و«خلوت در انجمن» (مكان يتخلى فيه العبد للتعبد) و«ياد كرد» (الذكر بالنفي والإثبات) و«باز گشت» (إلهى أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) و«نگاهداشت» (حفظ القلب عن معنى النفي والإثبات عن الذكر، وياد داشت (حضور القلب مع الله)، بجنب تصورها الخاص عن مراتب النفس: الأمانة واللؤامة والمطمئنة والمهمة والراضية والمرضية والكاملة. أما الطرق الملامتية والشطارية والقلندرية وغيرها من الطرق التي انتشرت في الأوساط الأعجمية بوجه خاص، فيأتى معطائها العقدي والسلوكي - أحيانا - متفاعلا بسلوكيات تفقد - أو تكاد - التأييد الفقهي الشرعي، ومن ثم تختلف - بالكثير أو القليل - عن الطرق الرئيسية في سياقات الأشغال والمراقبات والأعياد والثقافة الصوفية العامة (البغدادي، 1895م، محمد الخاني، 2002م، الكاشفي، 2008م، الكردي، 1911م، النقشبندي، 2003م، المجددي، 2013م، غوث، مخطوط1، الجشتي:مخطوط1، الخويشكي، مخطوط1، جيلاني، مخطوط1)

التصوّف بين المؤسسة والتشريع والفلسفة:

إذا كان التصوّف في جوهره عبارة عن منظومة روحية تعزّز علاقة المربوب بالربّ في أسى معانها في جملة من سياقاتها المعرفية والقيمية والسلوكية، فلا مناص - إطلاقا - من العودة حرفياً إلى كتاب الله وسنة رسوله والتمسك الكلي بهيكلية التفكير الديني تشريعاً وتقنيناً، وهذا هو السرّ وراء التأكيد الشديد على الالتزام بأحكام الشريعة وتقرير مبدأ عامّ هو عدم الفصل - أو تقليل الفجوة على الأقل - بين البعد الشرعي والبعد الطريقي للروحانية في الإسلام، كما يتجلّى في مواقف تاريخية عرف بها أعلام التصوّف في الإسلام، مثل الشيخ نور قطب عالم البندوي (ت 1416م)

والإمام عبد الكريم المغيلي (1425-1505م) والإمام أحمد السرهندي (1564-1624م) والشاه ولي الله الدهلوي (1703-1762م)، وغيرهم من الصوفيّة وعلماء الشريعة، وهذا ما يفسّر ظواهر الصمود والثورة ضد القهر والجور والاستبداد السياسي وإثارة الرأي العام والاستنجاج من الجهات الضرورية لإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي في ضوء قواعد الخضوع لرب الكون وتأسيس المجتمع الإنساني على دعائم الحق والعدل وتحرير الإنسان من عبودية بنى جلده من البشر والنهوض به إلى علياء المجد والكرامة والصفاء الروحي وخلق جوّ موافق خلقى إنساني عبق من فوائح الأخوة والنصيحة والقيم الإنسانية السمحة: جهاد الشيخ نور قطب عالم ضد الملك الهندوكي الجائر غانيش راي في بنغالة واستنجاده من السلطان إبراهيم الشرقي (فترة الحكم: 1402-1440م) في جونبور، وصمود السرهندي أمام الإمبراطور المغولي جلال الدين محمد أكبر واستنكاره للديانة الجديدة سمّاها (دين إلهي)، ورفضه للسجدة التعظيمة أمام الإمبراطور نور الدين جهانكير (1605-1627م)، على أن بعض الفقهاء كانوا قد أفتوا بجواز ذلك، وجهاد الإمام المغيلي ضد اليهود في توات في غرب إفريقيا ورسالته إلى الأمير الأسقيا في السنغاي وأثر دعوته في توطيد الإمارة في السنغاي على الأسس الإسلاميّة وتأسيس الخلافة الماسينية في حمد الله، وجهاد الشاه ولي الله الدهلوي ضد الإنكليز والمرهتة في الهند واستنجاده من أحمد شاه الأبدالي الدرّاني الأفغاني (1747-1772م) لهزم المرهتة في "پاني پت" عام 1761م.

سبقت الإشارة إلى أن التصوّف في مراحلها التاريخية المختلفة اعتراه الكثير من التحوّل في السياقين النظري والطقوسي، ومرّد ذلك كله ظاهرة المؤسسة التي اقتضت تبنيّ مفاهيم فلسفيّة وقيما طقوسيّة هي كفيلة بتحويله إلى غير ما كان عليه في السياق الإحساني الأوّل: "أن تعبد الله كأنك تراه، إن لم تكن تراه فإنك يراك"، فبعدت الشقة بين الشريعة والطريقة،

وأصبح الإسلام الطرقي شبه أجنبي على الإسلام الشرعي والفقي، من كثرة البدع والخرافات والخزعبلات التي ألهمت بعقول الجماهير وسحرتهم بالدروشة والشعوذة. ومن هنا ضرورة فصل الخطاب بين الحق والباطل في الخضم الروحي الذي لم يعدمه تاريخ الفكر الإسلامي عبر الأزمنة والأمكنة في ظواهر التجديد الديني والمهام الدعوية والإصلاحية، وفي هذا السياق يعدّ كتاب الإمام المغيلي المعنون: تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين" جزءاً هاماً من مشروعه في الإصلاح الصوفي للمجتمع.

لقد عُني التفكير الفلسفي والعرفاني - بجنب الديني والمدرسي - بأسئلة جادة تمسّ أبعاد الإنسان الماهوية والوجودية في سياق تفاعل أشرف المخلوقات مع الآخر الماورائي في الكون، وهل تاريخ الفكر الفلسفي والروحي والعُمُراني ومعجمياته في أبهى صوره وأجمل معطياته غير ما يخاطب البعد الدلالي والتوضيحي والجمالي لظاهرة الوجود الإنساني وتشابكه أو تحاوره مع الآخر في مساحات من الزمان والمكان ورصيدها العرقي والثقافي واللساني؟ على أن هذا الأخير معروف لدوره الكبير في تطوير المعجم الذهني للإنسان وتأطيره مادياً ومعنوياً، وفي البعد المحلي والكوني، والمرجعية بين الأحادية والتعددية.

فالمسألة الكبرى - إذن - هي إشكالية الإدراك ومرجعياته الأحادية والتعددية ودورها في تنظير الثابت والمتحول لدى الآخر (الذي يباشر الحوار معرفياً وثقافياً) والتي تتشكّل دائرة تتمحورها مباحث فلسفية عدة في مجال الحسّ الرؤيوي الطامح لرسم خيوط الوصل والفصل في التعريف الفلسفي والصياغة المصطلحية. الإدراك بإعتباره النقطة البؤرية للعمل الفلسفي ظل محتفظاً بمكانة مركزية منذ أن بدأ الإنسان دراسة الوجود في الأنفس والآفاق: يستقرأ ويستنبط منه ما يبني به لحمة وسدى منظومة مفاهيمية تتطلبها الحياة فرداً وجماعة. فالفلسفة منذ عهدها المبكر في التاريخ

الإنساني - إلى زمن عمانوئيل كانط (1724 - 1804م) - أصرت على أنها معرفة العالم، ولكن بدايةً بالتفكير الديكارتي (ديكارت: 1596-1650) ومروراً على نقد العقل المحض وفهم التعقل الإنساني (جون لوك، 1632-1704م) مالت إلى تعريف نفسها بأنها بل تفكير في معرفة العالم أو هي معرفة بالمعرفة - ومن هنا وجد التمييز بداية بين طريقة وضع المشكلة لدى فلاسفة اليونان بشكل عام، وبين طريقة وضع المشكلة عند الغربيين في العصر الحديث، وعند العلماء المسلمين مثل أبي الحسن الأشعريّ (ت 324 هـ) والقاضي عبد الجبار المعتزليّ (ت 415 هـ) والباقلانيّ (ت 403 هـ) والرازيّ (ت 606 هـ) والغزاليّ (ت 505 هـ)، وصدر المتألهينالشيرازيّ (1571-1640)، وسواهم (كوربن، 1964، ص 79-88، نصر، 1961، الفيومي، 1997م، كرم، 1946م). ولعلّ علماءنا المسلمين قد سبقوا غيرهم في أفراد بحث المعرفة بصورة مستقلة في كتبهم، لأهمية هذا الموضوع بالنسبة لهم، وعلاقته بالوجود، بينما لم يبدأ أفرادها من الفلاسفة الغربيين إلا مع جون لوك في القرن السابع عشر. وفي هذا السياق تبرز أهمية الحوار بين مدارس الفلسفة والأدبيات الروحية مثلما تحويه قصة حي بن يقظان لابن سينا والسهروودي (1155-1191م) وابن طفيل (1105-1185م) وغيرها، ولا يخفى ما كان لهذا الكتاب الأخير من أثر بارز على مؤلفات أوربية منها: *PhilosophicusAutodidactus* (حقّقها المستشرق الإنكليزي أدوارد بوكوك 1604-1691م) وقصة روبنسن كروسو للأديب دانيال دو فو (1660-1731م) والتي كانت قد تبنت قصة ابن طفيل في هيكلية السرد والمضمون (الندوي 2013م). اختلفت الآراء في زيارة الحلاج للهند، على أنه لم يعد متنازعا في أنه زار آسيا الوسطى، والعديد من تلامذته ومريديه زاروا الهند، و كل سلاسل التصوّف التي تروّجت إنما كانت وافدة من فارس وماوراء النهر، فلم تخل من رواسب الثقافة القديمة التي كانت تلاحمت مع العقل المسلم إثر الفتوحات الإسلاميّة. الشعر الصوفي بالعربية والفارسية يعكس هذا

الحوار في تعددية أفقية وعمودية ملموسة. شعر الحلاج وطواسينه وشعر الشيخ الأكبر ابن عربي وابن الفارض (1181-1232م) يمثل هذه اللقاء، ونفس الشيء نراه في شعر فريد الدين العطار (1146-1221م) وجلال الدين الرومي (1207-1273م) وعبد الرحمن الجامي (1414-1492م) معاصر الإمام المغيلي.

هناك جوانب في كل من التفكير المشائي والإشراقي تستحق النظر، وهي لقاء إسكندر الأعظم مع رهبان هنود وحواره معه، منهم الحكيم دنداميس في مدينة تكسلا في السند، والحكيم كلانوس أو قالانيموس (25 ق. م - 50 م) المذكور في الشاهنامه للفردوسي (ت 1025م). وقد تناول الباحثون قضية الإحتكاك بين الفكر الهندي والفكر الإشراقي الفلوطيني التاسوعي إضافة الأثر الهندي في مسألة الأقانيم الثلاثة والتثليث الناصري في الغنوص. سيرة الحكيم أبولونيوس تحوى إشارة إلى «أشوميدها» (Ashwamedha) الفيديا وإلى عدد من الطقوس اليوجية الهندية القديمة، كما أن نظرية الرياح الأبقراطية تشبه نظرية «برانا» الفيديا (يونج، 1854-5، برايجيلوسكي، ص 925-933، 1936، كيث، 1936، 125-130، سابو، 1938، ص 57-96، غوشنس، 1930، ص 280، ميل، 1943-1945، ص 451، فيلوجه، 1945، ص 59-91).

لا تخلو أمهات كتب التصوّف - مؤلفات الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي (1165-1240م) وعبد الكريم الجيلي (1306-1403م) والشيخ صدر الدين الشيرازي (1571-1640م) وسواهم - من مباحث المراتب السبع والتنزلات الستة والحضرات الخمس. فالمراتب إلهية وكونية وجامعة: المراتب الإلهية ثلاث: الأولى: الذات، الأحدية، الغيب. الثانية: التنزل الأول، الوحدة، الحقيقة المحمدية. الثالثة: التنزل الثاني، الوحدية، الأعيان الثابتة. أما المراتب الكونية، فهي الرابعة والخامسة والسادسة: الروح والمثل والجسم.

أما المرتبة الجامعة فهي السابعة: الإنسان. التنزلات الستة هي: الوحدة والوحدية والروح والمثل والجسم والإنسان (الذات ليس لها تنزل). المرتبة الأولى هي الغيب المطلق، والمرتبة الثانية هي الحقيقة المحمدية، والمرتبة الثالثة هي الأعيان الثابتة. حضرة الغيب المطلق عالمها عالم الأعيان الثابتة في الحضرة العلمية، وفي مقابلتها حضرة الشهادة المطلقة: وعالمها عالم الملك. حضرة الغيب المضاف تنقسم إلى ما يكون أقرب منه الغيب المطلق، وعالمه عالم الأرواح الجبروتية. و حضرة الملكوتية: عالم العقول والنفوس المجردة، إلى ما يكون أقرب من الشهادة المطلقة، وعالمها عالم المثال، ويسمى بعالم الملكوت. الحضرة الجامعة للأربعة المذكورة: وعالمها عالم الإنسان الجامع لجميع العوالم وما فيها، فعالم الملك مظهر عالم الملكوت، وهو عالم المثال المطلق، وهو مظهر عالم الجبروت، أي عالم المجردات، وهو مظهر عالم الأعيان الثابتة وهو مظهر الأسماء الإلهية والحضرة الواحدية، وهي مظهر الحضرة الأحادية (الشعراني، دون تاريخ، 22/1، 2004، 149/2).

ترى الطريقة النقشبندية أن النفس الإنسانية لها سبع مراتب... فالقلب له ظاهر.. وباطن...، أما ظاهره فهو الروح الحيوانية والتي يمكن أن نعبر عنها الآن بأنها مجموع قوتي الغضب والشهوة...، وهي القائمة على تدبير حياة الجسد المادية كما قلنا...، وله باطن وهو الروح أو النفس الإنسانية...، والقلب وسط بينهما، والروح الإنسانية لها باطن وهو السر والسر له باطن وهو سر السر...، وسر السر له باطن وهو الخفي...، والخفي له باطن وهو الأخرى. فإذا مال القلب إلى الروح الحيوانية واتتمر بأمرها، وصار منفذا لرغباتها، صارت النفس المسيطرة على الإنسان هي النفس الأمارة بالسوء...، النفس الحيوانية البحتة وصار الإنسان كالحيمية بل أضل...، فإذا توازن القلب بين النفس الحيوانية والروح، وأصبح يحكم هذه مرة وهذه مرة فيكون ذلك هو مقام النفس اللوامة...، فإذا مال إلى الروح وأحوالها وأصبح نظره إلى الروح الحيوانية هو مجرد استمرارية حياة الجسد الضرورية؛

فيرتقى حينئذ إلى درجة النفس الملهمة وتزداد عنده درجة الإلهام... فإذا مال القلب بالكلية إلى عالم الروح وبدأ يستجلي عالم الغيب بقوة أعمق.. صارت درجة النفس في هذه الحالة هي المطمئنة. فإذا بدأ القلب بالاتصاف بصفات عالم الملكوت وضمحت فيه قوى النفس الحيوانية إلى أقصى اضمحلال لها صارت درجته هي النفس الراضية...، فإذا دخل القلب في أنوار تجليات الله تعالى وترك عالم الملكوت أيضا...، فقد صار إلى مرتبة النفس المرضية...، فإذا اكتمل بالأسرار الإلهية فقد انتقل إلى مرتبة النفس الكاملة (القوصي، 2004، ص 33-35). وللذكر سبع خطوات: وهذا معنى ما قاله الإمام الرباني «إن طريقتنا سبع خطوات» وقال بعضهم كناية: «الطريقة خطوتان» خطوة في عالم الأمر، وخطوة في عالم الخلق. وأن الدوام على الذكر يجعل اللطائف السبع وكل ذرة في الجسم تذكر «الله». وفي هذه الحال يشعر المريد بالراحة واللطافة في قلبه ووجدانه. هذه الحالة توازي «سلطان الأذكار» أو «سلطان الذكر» وقد يصل الذّاكر إلى حالة يحس فيها بعد مواظبته على الذكر أن العالم كله يذكر «الله» بل يسمع ذكر "الله" من كل ذرة في الكون وهذا الذكر يسمى ذكر «ماسوي». ويعني أن كل مخلوق يذكر الله سبحانه. وهذه من لطائف الطريقة الجليّة. وقد أشار إليها الشيخ عمر ضياء الدين قدس سره حين قال في إحدى قصائده الصوفية: اللطائف جميعها غارقة في ذكر الله.

النقشبنديون يتصوّرون اللطائف وفق منظومة فلسفيّة صوفيّة: (1) لطيفة القلب تحت قدم آدم ولون نوره أصفر. (2) لطيفة الروح تحت قدم نبيين هما نوح وإبراهيم واللون احمر. (3) لطيفة السر تحت قدم موسى واللون أبيض. (4) لطيفة الخفي تحت قدم عيسى واللون أسود. ولا تناقض بين النور ولون السواد فقد يكون السواد أجمل شيء كلون العين والحاجبين مثلا. (5) لطيفة الأخرى ولونها أخضر تحت قدم حضرة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم). فان كان للسالك مرشد فإنه ينتقل بمريده من لطيفة إلى

أخرى وإن تمّ نور اللطيفة تلاً هذا النور في وجه المرید فيحس به هو ومرشد (الندوي 2015م، ص 28-51).

لا يمكن تحليل تاريخ الديانات والمنظومات المعرفية والروحية في العالم بمنظور إقصائي يتنكر لأبعاد التفاعل فيما بينها على المستوى التنظيري المفاهيمي الذي يؤسس المجال التطبيقي السلوكي، وذلك بدوره قد يوهم بطبع انعزالي، على أن التماس خيوط الوصل والفصل هو ما يضمن التصوير الأكثر واقعية وشمولاً، إذ جميع ما وجده الإنسان على ساحات التاريخ من الروى والمفاهيم والقيم لم يكن وليد عشية أو ضحاها، كما لا يتعب الباحث نفسه دون جدوى عندما يسعى للعثور على المشترك المفاهيمي والتطبيقي - القليل أو الكثير - في سياق المنظومة الروحية الإبراهيمية من الفصيصة السامية، وأخرى براهمية هندية من فصيلة الهند أوربية. فهناك خط تصاعدي يربط القيم الروحية الإنسانية شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، لأن المنهل واحد هو الوجود المحض، والمنهل واحد هو الإنسان. و"الإنسان الكامل" هو المتجه صوب تصفية القلب وتزكية النفس إلى مدى يؤهل الفاني (الإنسان) للبقاء مع الباقي (الله) في منظومة تنادى بالتوحيد الوجودي (أبو المغيث الحلاج، محي الدين ابن عربي، ابن الفارض، سرمد الهندي، وآخرون) أو التوحيد الشهودي (الشيخ أحمد السرهندي، وسواه). ومن هنا تصوّر "الإنسان الكامل" الذي يقول فيه الجيلي:

"اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الأبد، ثم له تنوع في ملابس، ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين....واعلم أن الإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه، فيقابل الحقائق العلوية بلطافته،

ويقابل الحقائق السفلية بكثافته.. ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصاله والملك بحكم المقتضى الذاتي، فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات، والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات، ليس لها مستند في الوجود إلا الإنسان الكامل، فمثاله للحق مثال المرأة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها، وإلا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه إلا بمرآة الاسم (الله) فهو مرآته، والإنسان الكامل أيضاً مرآته." (الجيلي، 1997، 73/2 وما بعدها).

الدعوة الصوفية والسلطة بين المغيلي ومعاصريه:

على نفس المنهج الذي نجده لدى الإمام المغيلي في نشر الدعوة والإصلاح والتوجه الصوفي في غرب إفريقيا، سار صوفية الهند من مختلف الطرق والسلاسل مثل الجشيتية والقادرية والسهروردية والنقشبندية في القيام بمهامهم الدعوية والإصلاحية وترشيد عباد الله إلى تزكية النفس وتربية الباطن وخدمة المجتمع وإيواء المظلوم والمنكوب، إضافة إلى رفع كلمة الحق عند سلطان جائر والدفاع عن حوزة الإسلام في وجه اعتداءات من الغزاة. لقد عرفت فترات الحكم الإسلامي المختلفة في الهند منذ العصر الغوري وسلطنة دلهي إلى الإمبراطورية المغولية ومرحلة الاستعمار البريطاني وبعدها نماذج مشرقة لمثل هذا الدور الحيوي للصوفية في توطيد دعائم السلطة على الأسس الإسلامية، فالسلسلة النقشبندية في شخصيات مثل الخواجه محمد بارسا والخواجه يعقوب الجرخي والخواجه عبيد الله الأحرار (ت 1590م) والخواجه باقي بالله والخواجه محمد معصوم والمجدد للألف الثاني الشيخ أحمد السرهندي وغيرهم عرفت لمزلتها الكبيرة وجهادها الكبير – في بعض الأحيان - في بلاط التيموريين والمغول، والصوفية الجشيتيون مثل الشيخ معين الدين الأجميري والشيخ قطب الدين بختيار الكاكي والشيخ نظام الدين الأولياء والشيخ الأمير خسرو وغيرهم من رجال الله الصالحين

أدوا دورا هاما في توطيد دعائم السلطة وترشيدها زمن سلطنة دلهي. الخواجه عبيد الله الأحرار وأولاده كانوا يتمتعون بنفوذ كبير في بلاط التيموريين، وكانت لهم شعبية كبيرة وجاه عريض وسلطة روحية تضاهي سلطة الأمراء في منطقة خراسان وما وراء النهر وملتان، وتوسع نفوذهم في شبه الجزيرة العربية وأناطوليا ومناطق روسيا حاليا بفضل صوفية مثل الشيخ خالد البغدادي (1779-1827م) والشيخ ضياء الدين الكمشخاني (1812-1894م) والشيخ زين الله رسوليف (1833-1917م)، وآخرين. كان الخواجه الأحرار هو من بشر الأمير ظهير الدين محمد بابر (فترة الحكم: 1526-1530م) - مؤسس الإمبراطورية المغولية - بفتح الهند، وكان الأمير همايون (فترة الحكم: 1530-1540م و1555-1556م) من مريدي الخواجه بهلول شقيق الغوث القادري الشطاري الغوالييري (ت 1562م). كان الخواجه معين الدين عبد الحق (ت 1554م) - شقيق الخواجه نورا- معلما روحيا للأمير كامران مرزا، وكان بيرم خان أستاذا للإمبراطور جلال الدين محمد أكبر (فترة الحكم: 1556-1605م) ومريدا للصوفي النقشبندي الفارسي ضياء الدين كمانكر، وقد تمتع الخواجه عبد الكافي والخواجه قاسم من أحفاد الخواجه الأحرار بمناصب جليلة في الدولة أيام الأمير همايون. كان السلطان خواجه النقشبندي مريدا للخواجه عبد الشهيد النقشبندي وعينه الإمبراطور أكبر مسؤولا عن الإقطاعات والأوقاف الحكومية، مثلما تعين الخواجه يحيى خليفة أبيه الخواجه أبي الفيض النقشبندي أميرا للحج من قبل الإمبراطور أكبر في عام 1590م.

نجد مثل هذه الأمثلة في بلاط الأمراء في بندوة (مالدة، حاليا) ومرشدآباد في بنغالة وبنغلاديش، منها: الشيخ نور قطب عالم البندوي وجهاده ضد الملك الهندوسي غانديش راي (فترة الحكم: 1414-1415م). كان أبوه الشيخ علاء الحق البنغالي (1301-1398م) من أمراء الأمير سكندر شاه (فترة الحكم: 1358-1390م)، وكان الأمير غياث الدين أعظم شاه (فترة

الحكم: 1390-1411م) زميلا للشيخ نور قطب عالم في مدرسة الشيخ القاضي حميد الدين الناكوري في بيرهوم، بنغالة. كان الشيخ نور قطب عالم من أساتذة الشيخ حسام الدين المانكبوري مؤلف كتب مثل: أنيس العاشقين، ورفيق العارفين (جمعه تلميذه الشيخ فريد سالار) وخلاصة الأوراد، ورسالة الماهية، ومكتوبات مانكبوري، وغيرها من الكتب).

من جلائل الأعمال التي قام بها الشيخ نور قطب عالم البندوي أنه أرسل رسالة إلى السلطان إبراهيم الشرقي في جونبور يدعوه لتحرير بنغالة من الملك الهندوسي غانيش الذي عرف لمظالمه الشديدة على رعاياه من المسلمين، بعد أن هجم على الإمارة "الإلياس شاهية" (1342-1487م) في بندوة وغور وستكاون، واستولى على بنغالة (سمناني، مخطوط، علي كره، رقم 27، و139 أ)، كما أرسل رسالة إلى الأمير أشرف جهانكير السمناني أحد تلامذة أبيه، فأرسل السلطان جيشه إلى بنغالة لمحاربة غانيش راي، ولم يكن له سوى الرجاء أن لا يخرب السلطان ملكه، فطلب منه الشيخ نور قطب عالم أن يسلم، ولكن زوجته حالت دون إسلامه، ورضي غانيش وزوجته أن يهباه ابنهما المسعى "جادو" الذي تربى في كنف الشيخ وأسلم على يديه، واعتلى العرش باسم جلال الدين محمد شاه (فترة الحكم: 1415-1416م) وخلفه ابنه شمس الدين أحمد شاه (1433-1436م) آخر ملوك عائلة غانيش راي.

خلف لنا الشيخ نور قطب عالم البندوي 121 كتابا من تأليفه، جمعها مريده الشيخ حسام الدين المانكبوري، منها: مغيث الفقراء، وأنيس الغرباء (توجد النسخة الخطية للأول في مكتبة خليفة آباد في مدينة بهاكلبور، بهار، ونسخة خطية أخرى (ناقصة) في مكتبة المجمع الآسيوي الملكي في كولكاتة (رقم 466)، مع نسختين للكتاب الثاني (رقم 1212 و1213)، وله رسائل كتبها إلى شخصيات كبيرة في زمانه جمعها الشيخ عبد الحق المحدّث

الدهلوي (1551-1642م) بعنوان: مكتوبات نور قطب عالم، وهي موجودة في الأرشيف الوطني الهندي في نيو دلهي.

من معاصري الإمام المغيلي في شبه القارة الهندية: الإمام المحدث الفقيه الشيخ علاء الدين علي بن حسام الدين بن عبد الملك بن قاضي خان المتقي القادري والجشتي والشاذلي البرهانفوري (1472-1567م) الذي ولد بمدينة برهانفور، إقليم كجرات، الهند، سنة خمس وثمانين وثمان مائة من الهجرة، المصادف ثمانين وأربعمائة وألف من الميلاد. أصله من جونفور، انتقل أجداده إلى برهانفور، وتلقي العلم من أبيه ثم على أساتذة في مندة وملتان، منهم الشيخ باجن العمري البرهانفوري (912هـ) الذي جعله مريده، والشيخ عبد الحكيم الجشتي ابن الشيخ باجن الجشتي (عبد الحق المحدث الدهلوي: زاد المتقين، 52-53)، ثم سافر إلى مكة المكرمة سنة 942هـ، وتعلم على يد الإمام محمد بن محمد شمس الدين السخاوي (1428-1497م) نزيل مكة المكرمة وعلى يد الشيخ طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني (ت بعد 1533م) نزيل المدينة المنورة الذي كان زاهدا وعارفا وخليفة الشيخ أحمد زروق الصغير ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الفاسي البرنسي (1442-1493م)، ونال الإجازة والخلافة من الإمام السخاوي في الطريقة القادرية الشاذلية، وتعلم على يد الإمام الشيخ أبي الحسن علي البكري (1493-1545م)، وصحبه واستفاد منه، وكان من أولياء عصره، وغيرهم من المشايخ في مكة المكرمة. ونال أيضا الخلافة في سلسلة الإمام الشيخ أبي مدين شعيب المغربي (1126-1198م) قدس سرّه، في الطريقة المدنية، وقرأ الحديث الشريف على يد الإمام الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي (1503-1566م) وأقام بمكة المكرمة قريبا من بيت الحرام. خلف الشيخ على المتقي أكثر من مئة مؤلف، منها: كنز سنن الأقوال والأقوال، وجوامع الكلم في المواعظ والحكم، ونعم المعيار والمقياس لمعرفة مراتب الناس، وزاد

الطالبين، وأسرار العارفين في سير الطالبين، وتبيين الطرق، ونظم الخدور، والبرهان الجلي في معرفة الولي، وسلوك الرجال، والعنوان في سلوك النسوان، وخلاصة الدقائق في الحكم الدقائق، وعمدة الوسائل، والرتبة الفاخرة في سلطنة الدنيا والآخرة، وسلوك غزاة، والهداية عند فقد المرابي، وسلوك الطريق إذا فقد الرفيق، وشرح الضابطة لوصول الطريقة، وكفاية أهل اليقين في طريق المتوكلين، والتصوف التساعي، ونعم المعيار والمقياس في معرفة مراتب الناس (الدهلوي، 2004م، ص 453، الحسني، 1988م، 389/4، المعلّمي، 2000م، 746/1). بمثل هذه الأعمال العلمية يسجل علي الهندي حضوره القوي بين معاصري الإمام المغيلي في سياق طريقي متعدد يجمع بين الطرق القادرية والشاذلية والمدينية، وهو لتلمّذه على الشيخ أحمد زروق الصغير والشيخ الإمام محمد بن محمد شمس الدين السخاوي (1428-1497م) والشيخ طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني (ت بعد 1533م) يمثل همزة وصل مباشر بين التصوف في شبه القارة الهندية وأعلام التصوّف في الجزائر.

يرى كاتب هذه الأسطر في سياق المشروح التربوي والإصلاحي الروحي الجامع بين الشريعة والطريقة أن مواقف الشيخ علي المتقي الهندي من المرأة والسلوك الروحي، وعن الرجل الذي لم يظفر بمرشد من غير ما يخاطب مسألتين مهمّتين للغاية في المجتمع الروحي الذي يسعى لإيجاد توازن حيوي بين مأسسة التصوف على قواعد طرقية إقصائية، ولأجل أن إقصاء المرأة - أو تهميشها - من ساحة العمل التربوي الروحي لا يتمخّض سوى عن نقص في المعدل العمراني، ونفس الشيء بالنسبة إلى من عدم من الذكور تربية روحية مؤسسية، إذ ذلك أيضا من شأنه أن يخلّ بميزان المجتمع في البعد القيمي والسلوكي المنشود، فلا مناص من التمهيد لدور وتوكيده للمواقف التي لا تُقصي - لا الذكر ولا الأنثى - ولا تهمّشهما في هذا السياق.

جمع الهندي بين الرسوخ في العلوم الشرعية وبين التصوّف في عدد من السلاسل التي حمل لواءها لهداية العباد إلى الإحسان: القادرية والشاذلية والمدينية والجشّية، وكان هذا المزيج الصوفي والعلمي من خير ما حمله تلامذته الكبار مثل إبراهيم بن داود الأكبرآبادي القادري (ت 1593 م) والقاضي عبد الله بن إبراهيم السندي والشيخ عبد الله بن سعد الله المتقي السندي (ت 1577م) والشيخ عبد القادر بن أحمد الفاكهي (1514-1574م) والشيخ عبد الوهاب البرهانفوري المتقي الهندي (الذي لازمه إثننا عشرة سنة) والشيخ علي بن محمد بن عبد الصمد الأنصاري البانيبتي والشيخ محمد بن طاهر الفتني (1504-1578م) الشهير بملك المحدثين والشيخ محمد بن أبي محمد الشافعي النائطي (الحسني، 389/1، 285/2، 373، 389، 571، القنوجي، 1978م، 283/3، العيدروس، 2001م، 283/1).

الهندي في كتابه (العنوان في سلوك النسوان) لا يفرّق بين الرجل والمرأة في السياق الإحساني في بعض حدوده، إذ يقول في المقدّمة: «أما بعد، فهذه نبذة في سلوك النساء وطريق تقربهن إلى الله، فمن أرادت منهن هذه الرتبة فلتعمل بما في هذه الرسالة يحصل مقصودها إن شاء الله» (البرهانفوري، 2007م، ص 29)، ويقول: الكمالات على ثلاثة أنواع: الألوهية، وهي الكمال المطلق المفطوم عنه كل الخلق، والنبوة والولاية، ومن المعلوم الذي لا مرية فيه أن الرجل والمرأة لو اجتهد كل واحد منهما في العبادة والسلوك كل الجهد لا يصل إلى رتبة النبوة، لأن بابها مسدود، فما بقي إلا رتبة الولاية، وهي على قسمين: قاصرة ومتعدية، والمتعدية على ثلاثة أقسام: ولاية على ظاهر الخلق وبواطنهم، كما كانت للخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن نحوهم، وولاية على بواطن الخلق، كولاية السادات الصوفية رضي الله تعالى عنهم، وولاية على ظواهرهم فقط، كولاية بعض الملوك والسلاطين، فلا حظ للنسوان في هذه الولايات المتعدية، لأن مبنى هذه الولايات على الظهور

والنشر والإعلان، ومبنى أمر النسوان على الستر والإخفاء في أشخاصهن وأصواتهن، هذا، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن خلقهن على هذه الصفة وخلقهن ناقصات عقل ودين، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فغاية أمرهن أن تحصل لهن الولاية الناقصة، كولاية السالك غير المجذوب أو ولاية.. يعني أن نفعهن قاصر لا يتعدى إلى غيرهن في الأغلب.. (البرهانفوري، 2007م، ص 30-31)

أما مسألة الرجل الذي لم يجد مرشدا روحيا، فيقول فيه الشيخ في كتاب (هداية ربي عند فقد المرابي) محيلا إلى شيخه سيدي أحمد زروق الذي ينقله عن شيخه أبي العباس الحضرمي: إن نفيت التربية بالاصطلاح ولم يبق الإفادة بالهمة والحال، فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان، جادّ في معاملة الحق والنفوس والخلق، فأما معاملة الحق فثلاث: إقامة الفرائض واجتناب المحرمات والاستسلام للأحكام، وأما معاملة النفس فثلاث: الإنصاف في الحق، وترك الانتصاف لها والحذر من غواياها في الجلب والدفع والرد والقبول والإقبال والإدبار، وأما معاملة الخلق فثلاث: توصيل حقوقهم لهم، والتعفف عما في أيديهم، والفرار عما يغير قلوبهم إلا في حق واجب لا محيد عنه، انتهى كلام الشيخ في غاية الاختصار. قلت: الخصال التي إذا لم يجد الطالب مرشدا يربيه تنوب مناب المرشد في الجملة إن شاء الله تعالى هي: المجاهدة والتقوى والعلم مع العمل والزهد وكذا العقل الاكتسابي في الجملة. فهذه الخصال وإن كان بعضها مع بعض متحدا فجملتها تصلح لتحصيل المقصود إن شاء الله تعالى. ورد في القرآن المجيد: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - واتقوا الله ويعلمكم الله - يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا، وفي السنة: العلم حياة الإسلام وعماد الدين ومن علم علما أتم الله أجره ومن تعلم فعمل علمه الله ما لم يعلم، أخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس (البرهانفوري، 2007م، ص 3-4).

التصوّف في الهند في كل طرقها الرئيسية الأربع (الجشتية والقادرية والسهروردية والنقشبندية) رهين لأعلامه الفرس والأتراك من فارس وآسيا الوسطى، وقلما يصادف الباحث من مرجعيّات عربيّة خالصة للفكر الصوفي في الهند، ولعل لقاء القادرية والجشتية مع الشاذلية عبر شخصيات قلائل من الهند في الحرمين الشريفين مثل الشيخ علي المتقي الهندي (1472-1567م) من ضمن هذه الاستثناء القليل. والصوفية مثل خواجه محمد بارسا (ت 1461م) ويعقوب الجرخي (1360-1447م) وخواجه باقي بالله (1564-1603م) وشاه خليل الله ولي (1373-1455م) ابن شاه نعمة الله ولي (1330-1431م) وعبد الله الشطّاري (ت 1485م) ومعين الدين الجشتي (1143-1236م) وعلاء الحق البنغالي البندوي (1301-1398م) أصلهم من فارس أو خراسان أو ما وراء النهر. ومولانا عبد الرحمن جامي (1414-1492م) الذي نذكر بعض آراءه الصوفية في نهاية هذا المقال أصله من أفغانستان التي كانت جزءا من فارس قبل العصر المغولي في شبه القارة الهندية.

كان الشيخ عبد الرحمن الجامي (1414-1492م) من كبار رجال التصوّف من الطريقة النقشبندية والأكبيرة، أصله من خراسان، وتلمذ على أساتذة مثل خواجه علي القوشجي السمرقندي ومحمد الجاجرمي، أخذ الطريقة من الشيخ سعد الدين محمد الكاشغري (1377-1456م) في السلسلة النقشبندية، واستفاد من فخر الدين اللورستاني (ت 1461م) وخواجه محمد بارسا (ت 1461م) والشيخ بهاء الدين عمر الجفاري (ت 1453م) وخواجه شمس الدين محمد الكوسوني (ت 1459م) وجلال الدين البوراني (ت 1458م) وخواجه عبيد الله أحرار (1404-1490م) كان يقره أمراء وسلاطين مثل ألغ بيك في سمرقند وسلطان حسين بايقرا وعلي شير نوائي وأوزون حسن أق قوينولو في تبريز والسلطان محمد الفاتح في قسطنطينية والملك المملوكي الأشرف قلاوون في مصر. لقد ترك الجامي أثرا

جمّاً على الفكر الصوفي في زمانه وعلى من جاء بعده من الصوفية في الدول الأعجمية والعربية على السواء، وذلك لأعماله العلمية المهمة في التصوف في اللغتين العربية والفارسية، منها: ديوان شعر بالفارسية يضم قصائد غزلية ومقطعات ورباعيات في مطالب العشق والسلوك، ومثنوي بعنوان في سبعة أجزاء سميت "هفت أورك" : الأول: سلسلة الذهب، والثاني: سلامان وأبسال، والثالث: تحفة الأحرار، والرابع: سبحة الأبرار، والخامس: يوسف وزليخا، والسادس: ليلي ومجنون، والسابع: خرد نامه سكندري يضم حكم اليونانيين مثل سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وبقراط وفيثاغورث والأسكندر المقدوني، وله في النثر مؤلفات مثل: بهارستان وشواهد النبوة ونفحات الأنس ولوائح، وغيرها من الكتب.

يقول الجامي في كتاب «لوائح الحق ولوامع العشق» نقلا عن الخواجه عبد الله الأنصاري: التوحيد ليس أن تكون غريبا عن الله، وإنما أن تكون منفردا بالله، التوحيد هو أفراد القلب أي تخليصه وتجريده عن التعلق عما سوى الله سبحانه، سواء من ناحية الطلب والإرادة أو من جهة العلم والمعرفة، أي ينقطع طلبه وإرادته عن كافة المطلوبات والمرادات وترتفع سائر المعلومات والمعقولات عن نظر بصيرته، وأن يشيع الموحد بوجهه عن كل توجه ولا يعود به وعى وشعور إلا بالحق سبحانه. رباعي: التوحيد في عرف الصوفي يا صاحب السير، هو تخلص القلب من توجهه إلى الغير، هو رمز نهايات مقامات الطيور، قلته لك إن فهمت منق الطير. (الجامي، 2002، ص 24) ويقول في لائحة: ما دام الإنسان في شرك الهوى والهوس أسيرا فإن دوام هذه النسبة صعب عليه، لكن إذا ظهرت آثار جذبات أطف فيه وتجاقت مشغلة المحسوسات والمعقولات عن باطنه غلب عليه الالتذاذ بها على اللذات الجسمانية والراحات الروحانية، وزالت كلفة المجاهدة وتعلقت بروحه لذة المشاهدة" (الجامي، 2002، ص 25)، وفي سياق مباحث الوجود يقول:

«لائحة: يطلق لفظ الوجود حيناً على التحقق والحصول، وهما معانٍ مصدرية ومفهومات اعتبارية، وبهذا الاعتبار فهو من قبيل المقولات الثانية التي لا يكون أمامها أمر في خارجها، بل تعرض الماهيات في التعقل، كما حقق محققو الحكماء والمتكلمين. ويقال لفظ الوجود حيناً آخر ويراد به الحقيقة التي وجودها في ذاتها. الوجود الباقي للموجودات بها وفي الحقيقة ليس غيرها موجود خارجها. وباقي الموجودات عارض علمها وقائم بها، كما يشهد بذلك ذوق كبراء العارفين وعظماء أهل اليقين، وإطلاق هذا الإسم على حضرة الحق سبحانه وتعالى بالمعنى المثالي وليس بالمعنى الأول. رباعي: الوجود بقياس عقل أصحاب القيود، لا يظهر إلا عارضاً على الأعيان والحقائق، لكن بمكاشفات أرباب الشهود، الأعيان كلها عارضة ومعرضة للوجود».

(الجمامي، 2002، ص 26-27). ويقول عن الصفات:

«الصفات غير الذات من حيث ما تفهمه العقول، وهي عين الذات من حيث التحقق والحصول. فمثلاً، العالم ذات باعتبار صفة العلم والقار ذات باعتبار القدرة، والمريد باعتبار الإرادة، وليس من شك أن هذه الصفات متغايرة بحسب مفهومها وتغاير أيضاً الذات لكن بحسن التحقق والوجود، فهي عين الذات بمعنى أنه ليس ثمة وجودات متعددة بل وجود واحد والأسماء والصفات هي نسبه واعتباراته. رباعي: يا من ذاتك في كل شأن طاهرة من كل شين، ولا يمكن القول بالكيف في حقلك ولا أنت هذا، من وجهة التعقل كل الصفات متغايرة لذاتك، ومن وجهة التحقيق فكلها عين ذاتك».

(الجمامي، 2002، ص 27-28). ويقول في سياق وحدة الوجود:

«أما الصوفية القائلون بوحدة الوجود، فلما ظهر عندهم أن حقيقة الواجب تعالى هو الوجود المطلق، لم يحتاجوا إلى إقامة الدليل على توحيدِهِ ونفى الربك عنه، فإنه لا يمكن أن يتوهم فيه إثنية، وتعدد من غير أن يعتبر فيه تعين وتقيّد. فكل ما يشاهد أو يتخيل أو يتعقل من المتعدد، فهو الموجود،

الوجود الإضافي لا المطلق. نعم يقابله العدم، وهو ليس بشي، ثم إن الوجود الحق سبحانه وحدة غير زائدة على ذاته، وهي باعتباره من حيث هو هو، وهي ليست بهذا الاعتبار تعنا للواحد، با عينه، وهي المراد عند المحققين بالأحدية الذاتية، ومنها تنشأ الوحدة، والكثرة، المعلوماتان للجمهور، أعنى العدديتين، وهي إذا اعتبرت مع انتفاء جميع الاعتبارات سميت أحديّة، وإذا اعتبرت مع ثبوتها سميت واحدة». (الجامي، 2002، ص 18)

المغيلي المتزن:

يعتمد فكر الإمام المغيلي على الجمع بين الشريعة والطريقة والعقل في مشروعه الإصلاحية الديني والروحي والعقلي، فالدعائم الثلاث هي: كتاب الله وسنة رسوله، والوحدانية الصوفية على الطريقة القادرية، والمنطق الذي يقرع الحجة بالحجة، وتستند هيكلية أفكاره إلى التراث الكلامي والصوفي والتقنين السياسي الذي خلفه لنا الإمام أبو الحسن الأشعري (873-936م) وحجّة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي (1058-1111م) خاصة من كتابه "إحياء علوم الدين" وأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (974-1058م) من كتابه: "الأحكام السلطانية والولايات الدينية".

من الملاحظ أن الإمام المغيلي لا يعتمد العقل إلا المناصرة الحق في سياق قرع الحجة بالحجة، فهو في رده على المعتزلة - أول فلاسفة الإسلام - في رسالته الشهيرة: "الرد على المعتزلة" يستهدف الطائفة العزائية ببلاد المغرب أكثر من نقده على المعتزلة، إذ يقول في مقدمة الرسالة: أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة في الرد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة، وذكرت لي أن طائفة العزائية ببلاد المغرب بينهم قوم من المالكية لا قوة لهم ولا علم عندهم، طلبت مني أن أذكر لك أدلة تنصرهم عليهم" (المغيلي 2020م، مقدمة)

يوضح المغيلي الفرق المعتزلة وأهل السنة في الخوض في الفلسفة قائلا: "فإن قلت ستقول المعتزلة: إذا كان الكلام في العقائد بغير طريق الكتاب والسنة بدعة، فقد ابتدع كثير من علماءكم، لأنهم سلكوا في الكلام على العقائد طريق الفلاسفة، إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات، وخاضوا في الرياضيات، حتى كاد أن يمتاز كلامهم في علم العقائد عن الفلسفة، لولا اشتماله على السمعيات، فهذا الذي أنكرتم علينا هو الذي تفعلونه بعينه، فما الجواب عن هذا؟ قلت لمثل هذا قلت لك أولا: من لا معرفة له بالحرب ربما قتل بسيفه، الجواب عن ذلك أن المعتزلة جاؤوا بالفلسفة ليصرفوا بها نصوص الكتاب والسنة عن ظواهرها للاعتقادات التي اعتقدوها، وأما أهل السنة، فلم يزالوا على أثر هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقائد وغيرها، قديما وحديثا، لكن لما نقلت الفلسفة للغة العربية وخاض فيها الإسلاميون، وكثر لغط أهل البدع بها، حتى توهم كثير من الناس أنهم على الحق، لم يكن بد لعلماء السنة من سدّ الذريعة عن إفساد الشريعة، فخاض بعض المتأخرين في الفلسفة حتى تحققوا مقاصدهم وحققوها للناس، ليلا يقول قائل: لو علم أهل السنة من أصول الفلسفة ما علمه المعتزلة ما أنكروا عليهم مذهبيهم، لكن من جهل شيئا عاداه وليتمكنوا من إبطال أصولها الفاسدة، لأن الكلام علي الشيء ردا وقبولا فرع من كونه معقولا، وإذا علمت ذلك، فالإتيان بالباطل لإبطاله ليس كالإتيان بالباطل لإثباته، ألم تر إلى ما في القرآن كثيرا من كلام الكفرة، واستدلّ لهم لبيان ضلالهم، فهذه الأوضاع التي وضعها المتأخرون في علم على أصول الفلسفة وسموها بعلم الكلام، إنما المقصود منها إبطال عقائد أهل البدع بالطريق التي سلكوها، ليكون ذلك أوضح وأنكى، وليس المقصود منه إثبات عقائد أهل السنة وبيانها بالطرق الفلسفية، لأن في كتاب الله غنى عن كل شيء ولا يغنى عنه شيء، فلا يعتقد أنه يحتاج لغير كتاب الله في العقائد إلا من طبع على قلبه وختم على سمعه وبصره، فمن يهديه من بعد الله، ومن أصدق من الله قيلا، ومن أوضح من رسول الله دليلا" (المغيلي: 2020م، ص 91-92).

يذكر المغيليّ قصّة الإمام أبي الحسن الأشعري مع أستاذه أبي علي الجبائي وكيف ردّ عليه في مسألة العقل والجبر والقدر وكيف ترك مذهبه: « قال أبي الحسن الأشعري لأستاذه أبي علي الجبائي: ماذا تقول في ثلاثة إخوة: مات أحدهم مطيعاً، والآخر عاصياً، والثالث صغيراً؟ فقال الجبائي: الأول يثاب، والآخر يعاقب، والثالث لا يثاب ولا يعاقب، فقال له الأشعري: فإن قال الثالث: يا رب لم أمتني صغيراً، وما أبقيتني إلى أن أكبر، فأومن بك وأطيعك فأدخل الجنة، فقال الجبائي: يقول له الرب، إني كنت أعلم أنك لو كبرت لعصيت فتدخل النار، فكان الأصح لك أن تموت صغيراً، فقال له الأشعري: فإن قال الثاني يا رب لم تمّمتني صغيراً لئلا أعصي فأدخل النار، فما يقول الرب؟ فهت الجبائي وترك الأشعري مذهبه، واشتغل هي ومن تبعه بإبطال رأى المعتزلة وإثبات ما وردت به السنة ومضى عليه الجماعة، فسموا أهل السنة والجماعة» (المغيلي 2020م، ص 89).

على أن الإمام المغيلي يناقش في كتابه (لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب) هيكليّة التفكير العقلي على طريقة القدامى مثل الشيخ الرئيس ابن سينا (980-1037م) وأبي الوليد ابن رشد (1126-1198م)، يتجلى ذلك في شرح المبادئ المنطقية وتقسيم التصور إلى النظري والضروري، وتقسيمه في سياق آخر إلى الحد التام والحد الناقص والرسم التام والرسم الناقص، والدلالة إلى الأقسام الستة: اللفظية الوضعية، واللفظية الطبيعية، واللفظية العقلية، وغير اللفظية الوضعية، وغير اللفظية الطبيعية، وغير اللفظية العقلية (المغيلي، 2006م، ص 34-35)، ويعتبره علماً وآلة في وقت واحد: « والحقيقة أنه علم بالنظر لنفسه، آلة بالنظر إلى غيره، فعلى الأول قالوا المنطق علم، يتعلم فيه كيفية الانتقال من أمور حاصلة في الذهن لأموار مستحصلة فيه، وعلى الثاني قالوا المنطق آلة قانونية، تعصم مراعاتها الذهب من الخطأ في الفكر» (المغيلي، 2006م، ص 25)

خاتمة:

دخل العالم العربي والإسلامي والغربي في طور جديد بعد أن انحسر أمر المسلمين في الأندلس عام 1492م بإجلاء أبي عبد الله الصغير - آخر النصريين (1232-1492م) في غرناطة وخسوف تاريخ الزحف والحكم في الأندلس الذي كان محمد بن قاسم الثقفي قد بدأه عام 711م من المغرب الإسلامي، ضد فتح العثمانيين للقسنطينية عاصمة البيزنطيين عام 1453م، والعام نفسه يصادف اكتشاف أمريكا في شخص كولومبوس ومن أبحروا معه - وبعضهم من العرب - إلى القارة الجديدة، وازدياد الغزو الإسباني الصليبي على السواحل الإفريقية من الأبيض المتوسط واحتلال المرسى الكبير عام 1505م ووهران عام 1509م وبجاية عام 1510م وخضوع المدن المغاربية الأخرى، وزحف الاستعمار الغربي إلى الشرق في خضم أحداث سياسية مهمّة في الشرق الإسلامي، مثل الاجتياح التيموري وسلسلات من التعالي والانحناء التي تحوّل الشرق إلى مسرح لها على الصعيد الإقليمي والأممي. لم ينتف هذا التطور السياسي أبعاده الثقافية والاجتماعية والعقدية وما يصاحبها من معاركات وتزعزعات في مجتمع يغزوه الآخر الخارجي، وهذا ما يبرز أهم ملامح الوجه التاريخي للقرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين بالنسبة إلى العالم الإسلامي.

شهدت هذه الفترة تطورا هامًا للفكر الديني والدعوي والصوفي في الإسلام تزعمه نخبة من العلماء والصوفيّة وقد سجّل التاريخ أدوارهم الحاسمة في معاركات الاجتماع والدين وعلومه وفي التصوّف والأدب في الدول العربية والإسلامية، منهم العالم الجليل والمربي الكبير والمجاهد العظيم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (1425-1505م) وشيوخه الأجلاء مثل الشيخ محمد الجلاب (ت 1470م) والشيخ عبد الرحمن الثعالبي (ت 1471م)، وتلامذة حملوا راية فكره مثل الشيخ عمر البكاي

الكنتي (ت 1460م) والشيخ محمد الفيحجي والشيخ العاقب بن عبد الله الأنصمي المسوفي والشيخ محمد بن أبي أحمد التاذختي، ومن تلمذ عليهم من العلماء والشيخوخ. لقد أثرى الإمام المغيلي المكتبة الإسلامية بعدد من الكتب المهمة في الأصول والشريعة والتصوف والعلوم العقلية والبلاغية، وإليه يعود الفضل في توطيد الإمارة في السنغاي على الأسس الإسلامية وتأسيس الخلافة الماسينية في كانو، مع أثره الكبير على الحركات الإصلاحية في إفريقيا، مثل حركة عثمان دان فوديو، وغيرها من الحركات.

يعاصر الإمام المغيلي عدد من كبار العلماء والصوفية من الهنود والفرس مع مزايا انتماءهم العقدي والطريقي والفقهية المتضارب بين سلاسل التصوف السني والشيعة، والرئيسي والفرعي، مثل يعقوب الجرجي (1360-1447م) ونصير الدين عبيد الله خواجه أحرار (1404-1490م) وخواجه أبو نصر محمد پارسا (ت 1461م) ونور الدين عبد الرحمن الجامي (1414-1492م) وكمال الدين حسين بن علي الواعظ الكاشفي (1436-1504م)، ونور قطب عالم البندوي (ت 1416م) وحسام الدين المانك بوري (ت 1478م) ومحمد زاهد الوخشي (1449-1530م) ودرويش محمد (1443-1562م) وحمزة مخدوم الكشميري (1494-1576م) ومخدوم علي المهائي (1372-1432م) وشاه جلال الدكني (ت 1476م) من داكا (بنغلاديش)، وميران جي شمس العشاق (ت 1499م) وعلي المتقي البرهانپوري (1472-1567م)، وآخرين. وهؤلاء كلهم عرفوا بدورهم الكبير في نشر منظومات التربية الروحية وتعاليم الدين وتوطيد العلاقة بين السلطة والدين في مجتمعات المسلمين.

من أبعاد أهمية هذه الطرق الصوفية التي يمثلها صوفية الدول العربية والإفريقية والآسيوية أنها متداخلة متلاحمة في العديد من تصورات المعرفة والسلوك وآليات لتزكية النفوس وتهذيب الأخلاق وبناء الإنسان

الذي يعبد ربه ويخدم خلقه، مع الجمع أحياناً بين الطرق لدى العديد من المشائخ. ومن هنا المشترك المفاهيمي والسلوكي والطقوسي في سياق الوجود والشهود والعبادة والذكر وسواه في السلاسل الصوفية الكبرى مثل القادرية والشاذلية والجشئية والنقشبندية، بيد أن مباحث وحدة الوجود المتداخلة مع المعرفية الكونية والغنوص ومذهب الفيديانتا الهندي والتصوف الباطني والحلولية علاوة على إخضاع الشريعة للسلطة والشعوذة والدروشة وغيرها مما دفع علماء الحق ورجال التصوف المخلصين إلى اتخاذ مواقف صارمة معروفة في التاريخ، منها مواقف الإمام المغيلي في سياق القضاء على فتنة اليهود في توات، والسلطة في السنغاي وكانو، ومواقف سياسية عرف لها عدد من العلماء والصوفية من الهنود والفرس مثل الشيخ نور قطب عالم (ت 1416م) وخواجه عبيد الله أحرار (1404-1490م) والشيخ أحمد السرهندي (1564-1624م) والشاه ولي الله الدهلوي (1703-1762م)، و آخرين.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. المخطوطات:

1. جيلاني، غلام: لطائف السلوك المحمدية من الطرق الأفضلية اليعقوبية والأوحدية، مخطوط، مكتبة مولانا آزاد، جامعة علي كره الإسلامية، مجموعة مجموعة سليمان، رقم 35/135، فارسي.
2. الجشتي، عبد الرحمن الردلوي: مرآة الأسرار، مخطوط، مكتبة مولانا آزاد، جامعة علي كره الإسلامية، مجموعة عبد السلام، مخطوط رقم 29/934، تصوف.
3. الخويشكي، عبد الله غلام معين الدين القصورى: معارج الولاية، مخطوط مجموعة آذر، جامعة بنجاب لاهور، رقم 7765.
4. سمناني، أشرف جهانكير: مكتوبات أشرفي، مخطوط، رقم 27، مكتبة قسم التاريخ، جامعة عليكره الإسلامية، رسالة رقم 45، ورق 139 ألف. فارسي.
5. الكواليري، محمد غوث: أوراود غوثية، مخطوط، مكتبة مولانا آزاد، جامعة علي كره الإسلامية، مجموعة سبحان، فارسي، رقم 27/297.7
6. _____، جواهر خمسة، مخطوط، مكتبة مولانا آزاد، جامعة علي كره الإسلامية، مجموعة حبيب كنج، فارسي تصوف، رقم 114/21

ب. المصادر والمراجع العربية:

1. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (980-1037م): القصيدة العينية في النفس، في البير نصري نادر: النفس البشرية عند ابن سينا (بيروت، دار الشروق 1986م)
2. _____، الإشارات والتنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، طبعة ثانية، القسم الثالث، بدون تاريخ.
3. البغدادي، محمد أمين بن مير سليم الباباني إسماعيل باشا (1920-1939م): هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين (استانبول: وكالة المعارف الجليلية، 1951م)

4. ابن محمد الخاني، عبد المجيد البغدادي الخالدي النقشبندي (1847-1900م): الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية (أربيل: دار ناراس للطباعة والنشر، 2002م)
5. بوعتروس، أحمد: الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا جنوب الصحراء، ط1
6. (الجزائر: دار الهدى، 2009م)
7. بوعزيز، يحي: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين (الجزائر: دار البصائر).
8. التنبكي، أحمد بابا بن أحمد بن عمر التكروري (1556-1627م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة (طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية)
9. الحسني، عبد الحي بن فخر الدين اللكنوي (1869-1923م): نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (حيدر آباد، 1988م)
10. زينه، حسني: العقل عند المعتزلة: تصور العقل عند القاضي عبد الجبار (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط1، 1978م).
11. الشعرائي، عبد الوهاب بن أحمد بن علي (1493-1565م): اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ)
12. ____، لطائف المنن والأخلاق (دمشق: دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004م).
13. الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم (1365-1424م): كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997)
14. عزقول، ريم: العقل في الإسلام (بيروت، 1946)
15. العيدروس، عبد القادر بن عبد الله (811-865 هـ): النور السافر عن أخبار القرن العاشر. تحقيق أحمد حالو ومحمود الأرنؤوط وأكرم البوشي (بيروت: دار صادر، طبعة 1، 2001م)
16. الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان (810-950م): رسائل الفارابي: رسالة الفصوص، ضمن الثمرة المرضية في بعض الرسائل الفارابية، تصحيح الشيخ فريد، خ. ديتريصي، طبع في مدينة ليدن، ورسالة دعاوي القلبية، ضمن رسائل الفارابي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، 1345هـ - 1926م،

- والفارابي : المدينة الفاضلة، إعداد د. علي عبد الواحد وافي، 1393 هـ / 1973م، دار الكتب للطبع والنشر.
17. الفيومي، يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط (دار الكتاب المصري، الطبعة الاولى، 1946م)
18. القنوجي، صديق بن حسن خان (1832-1890م): أبجد العلوم، تحقيق عبد الجبار الزكار (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد، 1978م)
19. القوصي، عبد الله صلاح الدين (1940-2008م): كتاب قواعد الإيمان (الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الثالثة، 2004م)
20. الكاشفي، الواعظ، حسين بن علي الهروي (1436-1504م): رشحات عين الحياة في مناقب مشائخ الطريقة النقشبندية وأسرارهم الربانية، تعريب الشيخ محمد مراد بن عبد الله القازاني (بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م)
21. الكردي، محمد معصوم العمري النقشبندي (: سبع أسرار في مدارج الأخيار (دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م)
22. كعت التنبكتي، محمود (1468-1593م): تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تحقيق آجم بمبا (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 1435 هـ/ 2014 م)
23. المتقي، علي البرهانفوري (1472-1567م): العنوان في سلوك النسوان، تحقيق عدنان أبي زيد، دمشق ولبنان: دار النوادر، 1428 هـ/ 2007م.
24. معصوم عليشاه، محمد معصوم بن زين العابدين: طرائق الحقائق، طبعة محمد جعفر محجوب، طهران، 1339-1345 هـ
25. المعلّي، عبد الله بن عبد الرحمن: أعلام المكيّين (دار الغرب الإسلامي، 2000م)
26. المغيلي، عبد الكريم: الرد على المعتزلة في عقائدهم الفاسدة (دار الكتب العلمية، 2020م)
27. _____، لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب. حققه أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري (دار ابن حزم، 2006م)
28. مقدم، مبروك : الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية (ط1، مؤسسة الجزائر، 2002م)

29. المليتي، ابن مريم، محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشريف المديوني التلمساني: البستان في ذكر العلماء والاولياء بتلمسان، ط1، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية)

30. الوزان، حسن بن محمد "ليون الإفريقي" (1494-1556م) : تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين (الجزائر: دار البصائر)

31. الندوي (2013م): مقاربات عن قصة حى بن يقظان، مجلة المجمع العلمي الهندي، العدد 1-2، المجلد 31، 2013م، ISSN 2250-0413

32. الندوي (2015م): الراج يوجا وأوجه الشبهه بينه وبين التصوف الإسلامي، مجلة ثقافة الهند، العدد 2، المجلد 66، ISSN 2250-0413

33. الونشريسي، محمد بن يعي (1430-1509م) : كتاب الوفيات ضمن ألف سنة من الوفيات، تحقيق محمد حجي (مطبوعات دار العرب، 1976م)

ج. المصادر والمراجع الفارسيّة والأردويّة:

1. الدهلوي، عبد الحق المحدث: أخبار الأخيار (تهران: انجمن آثار ومفاخر فرهنگي، 2004م)

2. فرشته، محمد قاسم بن غلامعلي: تاريخ فرشته أو گلشن إبراهيمي (لكنّاؤ: 1281م)

3. سمناني، أشرف جهانگیر: مكتوبات، رسالة رقم 9، ص 69.

4. المجددي، محمد إقبال: تذكرة علماء ومشائخ باكستان وهند (جزآن، بالأردوية، لاهور: پروكيسيو بكس، 2013م)

د. المصادر الإنكليزية والأوربية:

1. Al-Nadawi، Mohd. Sanaullah (2006). *The Arab-Romance Parnassus* (Aligarh Muslim University، Aligarh).
2. Al-Nadawi، Mohd. Sanaullah (2010). "Elements of Yoga in Sufism" ، in *History of Science، Philosophy and Culture in Indian Civilization*. General Editor: D. P. Chattopadhyaya، Volume XVI، Part 2 *History*

- of Yoga* ,edited by S.P. Singh (PHIPCS-Centre for Studies in Civilizations ,New Delhi ,2010. ISBN 81-87586-44-3 ,pp. 629-652.
3. Al-Nadawi ,Mohd. Sanallah (2020). "Khawaja Bakhtiyar Kaki of Osh (1173-1235) and the Indo-Kyrgyz Sufi-trajectory" ,in Kashif Hasan Khan (ed) ,*The Strategy of (Re)connectivity: Revisiting India's Multi-faceted Relations with Central Asia*. KW Publishers Pvt Ltd. ISBN 9789389137538.
 4. Bakchine-Dumont ,Simonne. "Les Juifs du Touât (XIVe et XVe siècles)" ,*Mémoire de Maîtrise d'Histoire*. Université de Paris , Faculté des Lettres et Sciences Humaines ,1975-1976 ,pp. 160-161.
 5. Bruder ,Edith (2008). *The Black Jews of Africa* (OUP USA)
 6. Bühnen ,Stephan (2005). 'Askiya Muhammad I and his qabila: name and provenance'. *Sudanic Africa*. 1;83-90
 7. Corbin ,H (1964). *Le livre des pénétrations métaphysiques* (Tehran-Paris)
 8. Corcos ,David (1963-64). "The Jews of Morocco under the Marinids" ,*Jewish Quarterly Review* ,LIV (1963-64) ,pp. 271-287.
 9. Filliozat ,J (1945). *La doctrine des brahmanes d'après saint Hippolyte* ,*Revue de l'Histoire des Religions* 130 (1945) 59-91 (announced in: *Journal Asiatique* 234 (1943-1945) 451)
 10. Gobineau ,Comte de (2018). *Les religions et les philosophies dans l'Asie Centrale*(Wentworth Press)
 11. Goossens ,R (1930). *Un texte grec relatif à l'ásvamedha* ,*Journal Asiatique* (1930) 280
 12. Hadi ,Nabi (1995). "Muhibb Ullah Ilahaabadi ,Shaikh". *Dictionary of Indo-Persian Literature*. Abhinav Publications. ISBN 9788170173113

13. Hirschberg ,H.Z (J. W.) (1974). *A History of the Jews in North Africa*. Leiden.
14. Hunwick John O (1985). "Al-Mahili and the Jews of Tuwat: The Demise of a Community". *Studia Islamica*. Brill. No 61 (1985) ,pp. 155-183.
15. Hunwick John O (1985). *Sharia in Songhay: The Replies of Al-Maghili to the Questions of Askia Al-Hajj Muhammad* (British Academy ,1985) ,213 pages.
16. Hunwick ,John O (2006). *Jews of Sahara Oasis* (Princeton: Markus Weiner Publishers)
17. Johnson ,John William; Hale .Thomas A (1999). *Timbuktu and the Songray Empire. Al-Sa'di's Tarikh al-Sudan down to 1613 and other contemporary documents*. Leiden; Boston: Brill.
18. Keith ,A.B. "Plotinus and Indian thought" ,*Indian Culture* 2 (1935-1936) , 125-130
19. Meile ,P (1943-1945). "Appolonius de Tyane et les rites védiques" , *Journal Asiatique* 234.
20. Nasr ,S.H. (1961). *Mulla Sadra Commemorative Volume* (Tehran: Dānishgāh -é- Tehrān)
21. Ouseley ,Gore (1854). "Note sur le véritable auteur du Dabistan". *Journal asiatique*. Vol. 35
22. Pines ,Shlomo and Gelblum Tuvia (1966). "Al-Bīrūnī's Arabic Version of Patañjali's Yogasūtra". *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* ,Vol. 29 ,No. 2 (1966).
23. Przyluski ,J (1936).*Les trois hypostases dans l'Inde et à Alexandria Mélanges Cumont II* ,Bruxelles 1936 ,925-933.
24. Sen ,Sailendra Nath (1999). *Ancient Indian History and Civilization* (New Age International ,India)

25. Starratt, Priscilla Ellen (1993). *Oral history in Africa: Al-Maghili legends in Kano* (Library Deep Blue Documents)
26. Szabó, A. (1938). *Indische Elemente in Plotinischen Neuplatonismus*. *Scholastik* 13 (1938).
27. Vasileios Syros (2015). "Behind Every Great Reformer there is a Machiavelli: Al-Maghili" "Machiavelli and the Mirco politics of an early Modern Africa and an Italian City State". *Philosophy east and West* 65 (4): 1119-1148.
28. Yonge, Charles Duke (1854-5). *Philo of Alexandria: The Works of Philo: Complete and Unabridged*.

تقنية عين الطائر في الرؤية الاستشرافية للإمام المغيلي

أستاذ دكتور، أحمد حمد حميدي النعيمي

ملخص بالعربية:

هذه دراسة تسعى للوقوف على الرؤية الاستشرافية للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، بوصفه واحداً من أبرز علماء زمانه، حيث كان له تأثير واضح على العامة والسلاطين، خاصة فيما يتعلق بالسياسة والدين.

كلمات مفتاحية:

الجزائر، الإمام المغيلي، إفريقيا، سلطان كانو (أو كَنُو)، الدراسات الإسلامية، علماء الإسلام.

The Bird's Eye Technique in the Forward-looking Vision of Imān al-Maghīlī

Abstract

This study seeks to find out the forward-looking vision of Imān Muḥammad b. 'Abdul Karīm al-Maghīlī (909 A.H), as one of the most prominent scholars of his time, because he had a clear impact on the public and the sultans, especially regarding politics and religion.

Key words:

Algeria, Imān al-Maghīlī, Africa, Sultan Kano, Islamic studies, Islamic scholars.

عندما تلقيت دعوةً كريمةً للمشاركة في ملتقى الجزائر الدولي «الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ)» -الحوكمة واستقرار المجتمعات الإفريقية ووحدتها- فلم يكن بإمكانني التردد في قبولها للحظة واحدة؛ ذلك أنّ الجزائر من جهة بلدي الثاني الذي أحبُّ وأعشق، ومن جهة ثانية أنّ هذا الملتقى ينعقد تحت الرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية السيد عبد المجيد تبون، ومن جهةٍ ثالثة لا تقل أهميةً عمّا سبقها أنّ في هذا الملتقى ربطاً أصيلاً ودقيقاً بين الماضي والحاضر، فلا يكون الحاضر حاضراً إلاّ عندما نُدرِكُ بأنّ اللبنة العليا في جدار البيت تستندُ على كل ما سبقها من لبّات، وأنّ أيّ لبنةٍ خارج البناء - أو بعيدة عنه- ليست جزءاً منه.

وهنا كان لزاماً عليّ أن أتحرّك بأقصى سرعة، فتنقلتُ بين المكتبات الأردنية باحثاً عن كتب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أو دراسات حوله وحولها، غير أنني للأسف لم أجد إلاّ أقل القليل ممّا ابتغيته، وكان على رأس ما وجدته كتابه « لب اللباب في ردّ الفكر إلى الصواب»، بتحقيق أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري وتقديمه وتعليقه، والصادر عن دار ابن حزم في بيروت بطبعته الأولى عام 2006، وهنا حقّ لي أن أتساءل: لماذا هذا الشحّ المعرفي المشرقي عن عالمٍ إفريقي كبير وجليل بحجم المغيلي؟ ولم أجد جواباً سوى في ضعف التواصل، وتركيز المشاركة والأفارقة على أعلامٍ بعينهم، على الرغم من إدراكهم لأهمية غيرهم.

غير أنني وبمساعدة كريمة من رئيس اللجنة العلمية للملتقى الأستاذ الدكتور أحمد الجعفري، وصديقي الأستاذ الدكتور العيد جلولي تمكنتُ من الوصول إلى عدد لا يُستهان به من المصادر والمراجع التي أرخّت للعلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي، وتناولت آراءه وكتبه بالبحث والدرس

والتحقيق والتعليق، فجزاها الله عني وعن غيري خيرَ الجزاء وأعظمه وأكرمَه، وكذا لكل باحث وصل علمه النافع لي ولغيري.

وفي هذا السياق كان لا بدّ من اختيار عنوان لدراستي هذه، فقلّبتُ الأمرَ على وجوهه كافة؛ ولأنني لا أرغبُ في تكرار صَليحِ غيري، فقد اخترتُ عنواناً أظنّه جديداً، وهو: تقنية عين الطائر في الرؤية الاستشرافية للإمام المغيلي، والحقيقة أنّه عنوان أملاه عليّ بُعدُ نظر الإمام، وسِعَةُ علمه، وتَنَوُّعُ معارفه، وجرأته في طروحاته ومراسلاته، وتَفَوُّقه في التفكيكِ بصوتٍ عالٍ.

الإمام المغيلي: بطاقة تعريفية.

اختلف الباحثون والمؤرخون حول تاريخ ميلاد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (وإن كانت جمهرتهم قد مالت إلى أنّه ولد عام 831 للهجرة الموافق لعام 1427 للميلاد) غير أنهم جميعاً اتفقوا على أنّ وفاته كانت في عام 909 للهجرة الموافق لعام 1503 للميلاد، فهذا باحث يقول: « ولد المغيلي في مدينة مغيلة، التابعة لبلدية مغيلة ودائرتها، ولاية تيارت حالياً سنة 831 هـ الموافق سنة 1427م»⁽¹⁾، وهذا آخر يقول: «"يُرَجَّحُ أَنْ يَكُونَ مَوْلده سنة 820 هجرية"⁽²⁾، ومن الباحثين مَنْ وثق سنة ولادة المغيلي وسنة وفاته في عنوان دراسته، مفترضاً أنّ سنة الولادة لا خلاف عليها، أو متفقاً مع أغلب الباحثين؛ لذلك نجد إحدى الباحثات تعنون دراستها على هذا النحو: الشيخ المصلح عبد الكريم المغيلي 831-909هـ/1427-1503م⁽³⁾.

(1) مقدم، مبروك: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2004، ص 27.
(2) نور الدين، حاج أحمد: المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011، ص 27.

(3) شفشة، نادية سالم: "الشيخ المصلح عبد الكريم المغيلي 831-909هـ/ 1427-1503م"، مجلة كلية التربية، الزاوية، جامعة الزاوية، العدد الثاني والعشرون، الجزء 2، يوليو 2021، ص 2.

وهذا باحث آخر يذهب إلى أنّ الشيخ المغيلي «ولد في مدينة مغيلة بتلمسان عام 831هـ»⁽⁴⁾، أمّا عن سنة الوفاة، فيتفق عليها جمهرة الباحثين، فعلى سبيل المثال هذا الأستاذ الدكتور أحمد جعفري يقول: «يعتبر الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ) واحداً من أبرز الشخصيات خلال القرن العاشر الهجري؛ وذلك لما عُرف عنه من ثورة فكرية، وإصلاحية امتدّ صداها على طول الساحل الإفريقي ليصل أدغال إفريقيا، مروراً بمنطقة توات التاريخية محل إقامته النهائية، ومثواه الأخير»⁽⁵⁾، ولم أعر على أي مصدر أو مرجع يخالف سنة الوفاة هذه، ممّا يؤكد على أنّ ثمة إجماعاً بين الباحثين على أنّ الإمام المغيلي توفي سنة 909هـ.

ما هي عين الطائر؟ ولماذا عين الطائر؟

العين هي مجرى البصر، وكلما نظرتُ للأشياء من علو وارتفاع كان مدى الرؤية أوسع، وأعمق، وأكثر شمولاً واستكشافاً للأشياء المرئية، والأشياء المتوقعة رؤيتها؛ وربما لهذا السبب قلّد الإنسان الطائر، فاخترع الطائرة، والمركبة الفضائية، وغزا الكون مستكشفاً، وباحثاً عن اليقين.

وربما ليس صدفة أنّ يسمي الخليل بن أحمد الفراهيدي معجمه «العين» نسبة لأول حرف فيه، فالعين حرفٌ وبَصْرٌ، وربما ليس صدفة أيضاً أنّ يكون «العين» أول معجم شامل وصل إلينا، وقد يكون من الجدير بالذّكر أنّ «الفراهيدي رأى في بعض الحروف أصواتاً مُحَاكية للطبيعة»⁽⁶⁾.

⁽⁴⁾ بوكريدي، نور الدين: جهود العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي في مجال الكتابة في فقه السياسة الشرعية بين التجويد والتأثير، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (د.ت)، ص 99.

⁽⁵⁾ جعفري، أحمد: حوار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ) مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي لإفريقيا، مجلة الفضاء المغاربي، المجلد الرابع-العدد الأول، سبتمبر 2020م/صفر 1442هـ، ص 6

⁽⁶⁾ سارة، خليل وعبد القادر بوشيبة: قراءة في مقدمة معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي في ضوء علم اللغة الحديث، مجلة (لغة-كلام)، الجزائر، مخبر اللغة والتواصل-المركز الجامعي بجليزان، المجلد 06، العدد 04، 2020، ص 311.

أما عين الطائر؛ فتلك التي ترصد الأشياء من علو شاهق، وتعاين المكان ومدى ملاءمته لها ولحاجاتها، وأما لماذا عين الطائر؛ فلأنها يَقِظَةٌ، مَلَّاحَةٌ، قادرةٌ على الانتقاء والاصطفاء؛ والطيور أنواع، فما بالك إذا كانت العينُ عينَ نسر أو صقر، كما هو حال الإمام المغيلي رحمه الله؟! لا شكَّ ساعتئذٍ أنها عينٌ ترصد، وترى، فتحلل ما تراه، وتُرْجِي النصائح، وتَمْنَحُ المعارف.

عين الطائر في منطق الإمام المغيلي

نَظَرَ الإمام المغيلي إلى المعارف بعين الطائر المحلق عالياً، رانياً تفاصيل المكان، وحاجات زمانه، مُدْرِكاً أَنَّ الْعَالِمَ الْحَقَّ بِحَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى وَإِنْ تَخَصَّصَ؛ لذلك نجده يُبْرِعُ في علومٍ شتى، فهو الفقيه، ورجل الدين والسياسة، وهو العارف بالتاريخ والمنتحي إلى الجغرافيا الإسلامية على اتساعها، وهو الفِطْنُ العارفُ بما أحاق بأمته من مخاطر ماضية، ومخاطر حاضرة -في زمانه- ومخاطر متوقعة، وهو الأديب والشاعر والمنطقي، والمتمكن من علوم اللغة العربية بصرفها ونحوها وبلاغتها، وسائر تفرعاتها.

ولعل هذا ما دفع أحد الباحثين للقول: «برع الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في علوم ذلك الزمان، فهو أصولي، وفقيه، ومحدث، ومفسر، ومنطقي، ولغوي، وأديب، وشاعر موهوب»⁽⁷⁾، وليس أفضل من تجسيد رؤية المغيلي في هذا الجانب سوى المغيلي نفسه، إذ يقول في رسالته إلى سلطان كانو:

«مُقَامُ عُقَابِ الطَّيْرِ فِي الْجَوِّ وَالْفَلَاوِ أَنْشَطُ دَيْكٍ فِي الْبَيْوتِ يَجُولُ»

«وَمَا الْمُلْكُ إِلَّا لِلْعُقَابِ بِعَزْمِهِ وَلِلدَيْكِ صَوْتُ فِي الدَّجَاجِ يَصُولُ»⁽⁸⁾.

⁽⁷⁾ فرقاني، محمد: تحقيق: رسالة المغيلي إلى سلطان كانو "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين"، تصنيف الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 909هـ/1503م)، أرشيف الإسلام، منصة جامعة للمحتوى الإسلامي على الإنترنت، (د.ت) ص 188.

⁽⁸⁾ المصدر السابق، ص 191

هكذا نجد المغيلي مهتماً بصورة العُقاب، والعُقاب ليس سوى طائر كبير الجناحين استهوى الشعراء منذ القدم، نظراً لتحليقه المتميز، ووقفته التي تتسم بالكبرياء ونظرته الثاقبة؛ ولأنه يمتلك جناحين يفوقان حجم جسده بكثير، فقد استخدمه المتنبي كرمز للشموخ وشبّه سيف الدولة به من خلال استعارة تمثيلية متقنة الصياغة، وبناء فريد للصورة الشعرية، وفي ذلك يقول المتنبي واصفاً سيف الدولة الحمداني:

"يهزّ الجيشُ حولك جانبيه كما نفضت جناحها العُقاب" (9).

هنا يستخدم المتنبي صورة طيور العُقاب (وتُجمَع على عِقبان) لوصف سيف الدولة وهو واقف في قلب جيشه يستعد لبدء المعركة، بحيث يبدو سيف الدولة كما لو كان جسداً صغيراً محاطاً بجناحين كبيرين، يقصد بهما المتنبي ميمنة الجيش وميسرته. إنّه مشهد مهيب مناسب لفيلم سينمائي مؤثر، فيما لو التقط مخرج بارع صورة لعُقاب يفرد جناحيه معتلياً جبلاً أو محلقةً في السماء، ثم ينتقل بالكاميرا فوراً لسيف الدولة وهو يتوسط جيشه.

غير أنّ الإمام المغيلي استخدم العُقاب لصورة مغايرة عن تلك التي استخدمها المتنبي، على الرغم من أنّهما التقيا في الهدف، فنقيض العُقاب عند المغيلي هو الديك؛ ذلك الطائر الذي لا يملك القدرة على الطيران، فالديك مجرد طائر بالاسم فقط، ومجرد ظاهرة صوتية لا قيمة لها أيضاً، حاله كحال الإنسان العاجز، أو حال السلطان الفاشل في أن يسوس رعيته كما يجب للرعيّة أن تُسّاس.

لقد أبدع المغيلي في رسالته إلى سلطان كانوا إبداعاً قلّ نظيره، فلا مجاملة في هذه الرسالة، ولا هي برسالة مديح أو ذم، وليس فيها أي مطلب شخصي، بل هي بمثابة برنامج نهضة، وبرنامج عمل يتوجب على السلطان

(9) الشلبي، محمود وآخرون: قواعد تطبيقية ونصوص مختارة، الأردن، جامعة البلقاء التطبيقية، 2009، ص 95.

الناجح اتباعه، والسير على هديه، ابتداء من مظهر السلطان واتزانه وهيبته، مروراً بأوامره ونواهيه، ومراقبته لوزرائه وعماله، وعدم احتجاجه عن رعيته، وهو ما يفسر رأي المغيلي الواضح بأن أساس كل بلية احتجاج السلطان عن الرعية، وهي الجملة التي أعادها مراراً وتكراراً في رسالته القوية والمؤثرة.

بين السياسة والدين: المغيلي والمسألة اليهودية

لم ينطلق المغيلي في اختلافه مع اليهود من باب عنصري، أو تعصب ديني، ففي الحقيقة هو اختلاف تطور إلى خصومة، وخصومة تطورت إلى عداوة، وعداوة تطورت إلى حرب بين الطرفين، فأوجعهم وأوجعوه؛ أوجعهم في حربهم الضروس معهم، وإصراره على أن يرتدعوا، وأوجعوه حين اغتالوا ابنه أثناء سفره حاجاً إلى بيت الله الحرام.

ولقد كان للصدام بين المغيلي واليهود مسوغاته في ذلك الزمان، على أنه يجب الانتباه إلى أن الإمام لم يحارب اليهودية بوصفها ديانة، ولم يحارب اليهود بهدف دفعهم ليتحولوا إلى الإسلام، ولكنه حارب طائفة، أو رهطاً منهم؛ لأسباب اقتصادية واجتماعية رآها تلحق الضرر بشعبه وبلاده وأمتة، ورأى بأنه لا يمكنه السكوت عن تجاوزاتهم الكثيرة والمتكررة.

والحقيقة أيضاً، أنه لم يكن ثمة إجماع بين العلماء المسلمين الذين عاصروا الإمام المغيلي على محاربة تلك المجموعة اليهودية بأسلوب يفضي إلى الصدام الذي لا يحتمل العودة عنه، فكان للإمام أسلوبه، وكان للآخرين أساليبهم، غير أنهم جميعاً اتفقوا على أن ثمة ضرراً لا يمكن السكوت عنه تسببت به تلك المجموعة من اليهود.

على أي في تتبعي لسيرة الإمام المغيلي ومسيرته، وجدته إنساني الرؤية، إسلامي النزعة والمعتقد، ولم يحارب اليهود؛ لأنهم يهوداً، فهو عالم مسلم يُدرك أن الإسلام دين إنساني في السلم والحرب (نستذكر هنا وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم للمقاتلين قبل توجيههم للقاء أعدائهم، فهي وصايا

سَبَقَتْ ما يسمونه اليوم باحترام قواعد الاشتباك)، ويدرك الإمام المغيلي أيضاً بأنّ اليهود أهل كتاب، ولأهل الكتاب في الإسلام قواعد خاصة في التعامل معهم، يعرفها الإمام المغيلي حق المعرفة.

وعلى الرغم من أنّ الإمام المغيلي وَجَدَ «طائفة يهودية طاغية بمالها وثرائها الفاحش الذي اكتسبته بالطرق غير الشرعية كالربا والاحتيال»⁽¹⁰⁾، فإنّ عدداً لا يُستهان به من علماء ذلك الزمان خالفوا الإمام المغيلي في موقفه من تلك المجموعة اليهودية، و"منهم الشيخ ابن زكري، والفقير عبد الله العضوني قاضي توات واعتبروه عنصرية، وضرباً من ضروب الجاهلية نهى عنها الإسلام الذي دعا إلى التسامح والأمن وإن اختلفت الأديان»⁽¹¹⁾، وقد خالف هؤلاء العلماء الإمام المغيلي على الرغم من دوره الكبير « في ظهور الحركات الجهادية في غرب إفريقيا»⁽¹²⁾.

ومثل هذا الخلاف والاختلاف في زوايا النظر -إن دُلَّ على شيء- إنّما يدل على أنّ العلماء المسلمين كانوا ينطلقون من قناعاتهم، وفهمهم لأُمور دينهم وديناهم، وكانوا يتفقون ويختلفون ويتحاورون وينتقدون بعضهم في سياق حركة علمية، ومعرفية واجتهادية، تستحق التأمل والدرس.

الحَاكِمُ وَالْعَالِمُ: هَرَمُ بَرَأْسَيْن.

بات معلوماً بأنّ الإمام المغيلي «نشأ بين أحضان عائلته المعروفة بالعلم والتّقوى والتّصوف»⁽¹³⁾، و«بفضل الاتصال والاحتكاك الذي وقع للإمام

(10) عطية، عبد الكامل: دعوة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في الجنوب الجزائري وحواضر غرب إفريقيا، الجزائر، جامعة الوادي، مجلة جامعة الوادي، المجلد 2، العدد 4، ديسمبر 2020، ص 156.

(11) الخيالي، عبد المجيد: رسالتان في أهل الذمة: دراسة وتحقيق، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001، ص 17-18.

(12) شفشة، نادية سالم (مرجع سابق)، ص 3.

(13) بن خويا، ادريس وبرماتي، فاطمة: الشيخ سيدي بن عبد الكريم المغيلي: من المهد إلى اللحد، الجزائر، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، مجلة الذاكرة، العدد السابع، ماي 2016، ص 12.

المغيلي مع مُجْمَلٍ مَن التقى بهم من ملوك وأمراء إفريقيا توسّعت رقعة الإسلام، وصُححت كثير من المفاهيم، والأفكار المغلوطة التي ظلت معششة لفترة طويلة من الزمن في أذهان كثير من الأفارقة حكماً ومحكومين»⁽¹⁴⁾.

لم يُنظر الإمام المغيلي إلى العالم على أنه ظلّ للحاكم، أو تابع له، أو مجرد مُنفذ لأوامره، ونواهيته، بل رأى في العالم الحقّ موجهاً وناصحاً للسلطان، وإذا كان دور السلطان أن يدير البلاد والعباد، فإنّ دور العالم أن يراقب هذه الإدارة، ويقدم النصيحة للسلطان كلما شعر أنّه بحاجة.

وعلى الرغم من أنّ للهرم رأساً واحداً فإنّ المغيلي رأى هذا الهرم برأسين: رأس يدير، ورأس يوجه، وبهذا لم يكن الإمام المغيلي ينظر لدور العلم والعلماء على أنّه مجرد تنظير، أو حبر على ورق، ولكنّه رأى في هذا الدور دوراً فاعلاً يؤدي وظيفة لا تقل أهمية عن وظيفة السلطان نفسه، ولسان حاله يقول: صحيح أنّ الحاكم القوي الصارم ضرورة حاسمة للدولة، لكنّ النواحي المعرفية والمعنوية بيد العلماء، وهي ضرورة لا تقل أهمية عن ضرورة وظيفة الحاكم.

وقد كانت رسالة الإمام المغيلي لسلطان كانو (أو كَنُو) خير تجسيد لتلك العلاقة بين الحاكم والعالم كما رآها المغيلي؛ ذلك أنّها رسالة عميقة في مغزاها ومحتواها، عبقرية في مضامينها، وصياغتها، وأسلوبها، وتسلسلها المنطقي.

ويحسُن بنا أن نقف عند هذه الرسالة نظراً لأهميتها المعرفية من جهة، وأهميتها التاريخية من جهة أخرى، حيث تقع هذه الرسالة في مقدمة مختصرة، وثمانية أبواب، جاء الباب الأوّل منها بعنوان: فيما يجب على الأمير من حُسن النية، وفي هذا الباب يقول الإمام المغيلي للسلطان⁽¹⁵⁾: « ما ولاك

⁽¹⁴⁾ جعفري، أحمد (مرجع سابق)، ص 13.

⁽¹⁵⁾ يُنظر: فرقاني، محمد: تحقيق: رسالة المغيلي إلى سلطان كانو "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"، تصنيف الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت

الله عليهم لتكون سيدهم ومولاهم، وإتّما ولاك عليهم لتصلح لهم دينهم وديناهم»⁽¹⁶⁾.

أمّا الباب الثاني، فجاء تحت عنوان: «فيما يجب على الأمير من حُسن النية، وفيه يطلب الإمام المغيلي من السلطان عدم التزُّين "بذهب ولا فضة ولا حرير»⁽¹⁷⁾، إذ لا ينبغي للسلطان أو الأمير أن يجعل من نفسه «عبد ثوب، ولا حصان، ولا عبد فسطاط ولا مكان»⁽¹⁸⁾، بينما يأتي الباب الثالث تحت عنوان: فيما يجب على الأمير من ترتيب مملكته، وفيه يرى المغيلي بأنّ «الإمارة سياسة في ثوب رياسة، فعلى كلّ أمير أن يرتب نظام مملكته لسكونه وحركته»⁽¹⁹⁾، ويشرح المغيلي بعض هذه الترتيبات في الباب الرابع الذي جاء بعنوان: فيما يجب على الأمير من الحذر في الحضر والسّفَر، حيث يقول للسلطان: «وليس وقت الخوف كوقت الأمان، واكنتم سرك عن غيرك حتى تتمكن من أمرك»⁽²⁰⁾.

ويأتي الباب الخامس بعنوان: فيما يجب على الأمير من كشف الأمور، وفيه يطلب الإمام المغيلي من السلطان أن ينتبه لرجاله، ويحرص على عدم وقوعهم بالرشوة حتى لو كانت تحت مسعى هديّة، «فكم حوّلت الهدية من ناسك لليهودية والنصرانية»⁽²¹⁾، أمّا الباب السادس فيأتي بعنوان: فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام السلطانية، وفي هذا الباب يرى الإمام المغيلي بأنّ «السلطنة رجلان: العدل والإحسان»⁽²²⁾.

909هـ/1503م)، أرشيف الإسلام، منصة جامعة للمحتوى الإسلامي على الإنترنت، (د.ت) ص189.

⁽¹⁶⁾ المصدر السابق، ص189.

⁽¹⁷⁾ المصدر السابق، ص189.

⁽¹⁸⁾ المصدر السابق، ص190.

⁽¹⁹⁾ المصدر السابق، ص190.

⁽²⁰⁾ المصدر السابق، ص192.

⁽²¹⁾ المصدر السابق، ص193.

⁽²²⁾ المصدر السابق، ص193.

أمّا الباب السّابع، فجاء بعنوان: في مجي الأموال من وجوه الحلال، وفيه يُحذر الإمام المغيلي السلطان من إرهاب الناس بالمكوس، فيقول له: «ومن الظلم أيضاً: المكس، وهو حرام بإجماع»⁽²³⁾، بينما يأتي الباب الثامن - وهو الباب الأخير في هذه الرسالة- بعنوان: في مصارف أموال الله، وفيه يرى الإمام المغيلي بأنّ «الكرم دوام الملك، والبخل والتبذير خرابه»⁽²⁴⁾، وقد حرص الإمام المغيلي أن يقول في نهاية كل باب من الأبواب: «ورأس كلّ بلية احتجاب السلطان عن الرعيّة»⁽²⁵⁾، وقد استثنى الباب الثامن من هذه المقولة، حيث ختمه، وختم الرسالة بالصلاة على النبي⁽²⁶⁾.

المنطق في عين الطائر.

تتجلى عين الطائر أكثر ما تتجلى عند الإمام المغيلي من خلال كتابه: لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب، فهو كتاب في المنطق، وفيه يبرز الإمام المغيلي كمنطقي متمكن، لا يقل أهميّة عن العمالقّة من منطقة الشرق والغرب.

وفي هذا الكتاب الذي يُعدُّ كنزاً لا يُقدر بثمن، نجد أول عنوان فيه: أصول المنطق، ثم ينتقل الإمام المغيلي إلى عنوان آخر، هو "مسألة"، وهذا العنوان يتكرر في أغلب صفحات الكتاب، حيث تُفْضِي كلّ مسألة إلى أخرى ضمن تسلسل منطقي تمّ العمل عليه بأسلوب إبداعي.

ولعله من المناسب قبل الولوج إلى آراء الإمام المغيلي في المسائل المنطقية، أن نميّز -من وجهة نظر معاصرة- بين الفلسفة، والمنطق، فالفلسفة «هي بذل الجهد من أجل الحصول على المعرفة الحقيقية الخالصة

⁽²³⁾ المصدر السابق، ص 196.

⁽²⁴⁾ المصدر السابق، ص 196.

⁽²⁵⁾ المصدر السابق: يُنظَر نهاية كل باب من الأبواب السبعة الأولى في الرسالة.

⁽²⁶⁾ يُنظَر: المصدر السابق، 198.

مهما كان نوع المعرفة: طبيعية أو رياضية أو ما إلى ذلك»⁽²⁷⁾، بينما المنطق هو «القوانين المنطقية التي تحمي الذهن من الخطأ والزلل وتوجهه إلى صواب الرأي وتبعده عن الخطأ في العقيدة وغير ذلك؛ حتى تتوافق العقول الصائبة على صحة المنطق»⁽²⁸⁾، أما موقع ويكيبيديا فيذهب إلى أن «علم المنطق يمكن أن يُسمى أيضاً علم الميزان، حيث به توزن الحجج والبراهين، وكان ابن سينا يسميه خادم العلوم، كما كان الفارابي يسميه رئيس العلوم. وجاءت تسميته بالمنطق من «النطق» ويطلق على «اللفظ» وعلى «إدراك الكليات» وعلى «النفس الناطقة»⁽²⁹⁾.

وبالعودة إلى الإمام المغيلي، نجده يقول في المنطق: «أما المنطق: فاختُلفَ فيه، هل هو علم أو آلة؟ والتَّحقيقُ أنَّه علم بالنظر لنفسه، آلة بالنظر لغيره»⁽³⁰⁾، ثم يضيف: «فعلى الأول قالوا: المنطق علم يُتعلَّمُ فيه كيفية الانتقال من أمور حاصلة في الذهن لأُمور مستحصلة فيه، وعلى الثاني قالوا: المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر»⁽³¹⁾.

وفي المسألة السابقة لمسألة تعريف المنطق يميز الإمام المغيلي بين الترتيب، والعلم، والمعلوم، فيقول: «أما الترتيب: فهو جعلُ الأشياء في المراتب، وهي المنازل. والعلم: فحصول صورة أمر في الذهن. والمعلوم: هو الصورة الحاصلة في الذهن».

⁽²⁷⁾ موقع المرسل: موقع الكتروني على الإنترنت، 26/أكتوبر/2018 رابط صفحة

الإقباس: <https://www.almrsl.com/post/611159>

⁽²⁸⁾ المرجع السابق، الرابط نفسه.

⁽²⁹⁾ ويكيبيديا: موقع الكتروني على الإنترنت

⁽³⁰⁾ المغيلي، محمد بن عبد الكريم: لبُّ الباب في رد الفكر إلى الصواب، تحقيق وتقديم وتعليق: الجزائري، أبو بكر بلقاسم ضيف، بيروت-لبنان، دار ابن حزم، 2006، ص25.

⁽³¹⁾ المصدر السابق، ص25.

إنّ التمييز بين «حصول صورة أمر في الذهن» و«الصورة الخاصة في الذهن» يدلّ على منطقي متمكن، يُدرك أنّه يتعامل مع «علم الميزان»، حيث لكلّ كلمة منطقيها في سياقها.

وفي مقاصد التصورات يتساءل الإمام المغيلي: «ما المُعرِّف من حيث هو؟ وكم أقسامه؟ وما كلّ قسم فيه؟»، وعلى هذا المنوال يستمر الإمام المغيلي في طرح المسائل المنطقية، وهي الأسئلة التي تُلدّ إجابات، ثمّ لا تلبث الإجابات أن تُلدّ أسئلةً أخرى، لا بدّ لها من إجابات.

نعم، إنّها عين الطائر تلك التي نَظَرَ الإمام المغيلي من خلالها لكلّ مسألة استحقت النَّظر، وهي عين ترى الأشياء وهي بعيدة عن الهدف، ثمّ تُمَعِنُ في معاينة الهدف كلما اقتربت منه أكثر، إنّها عين ترى المكان على اتّساعه، وتتأمل في آفاقه، فقد تدرّبت جيداً على العيش في أرضه، وسمائه، وقريبة من مائه... يا لها من عين بصيرة! ويا للإمام المغيلي من عالم شمولي، درّب نفسه جيداً على الفهم المنطقي للعالم، وأمور دينه ودنياه!

الخاتمة.

أما وقد وصَلت هذه الدراسة إلى خاتمتها، فقد توَصَّلت إلى جملة من النتائج، أبرزها:

- اختلف الباحثون حول سنة ميلاد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، لكنهم اتفقوا حول سنة وفاته، وهي 909هـ/1503م.

- الإمام المغيلي عالم مسلم، يتسم بالشمولية، وُبُعْد النَّظر، وسِعة الأفق، وكان واحداً من أبرز علماء زمانه.

- رجَّحت هذه الدراسة بأنّ الإمام المغيلي لم يحارب اليهود؛ لأنّهم يهود، ولكنه حارب طائفة منهم اتسمت بالجشع، والاحتكار، والمبالغة في التعاملات الربوية، والخروج على القوانين والأعراف.

- لم يتفق جميع العلماء المسلمين في عصر الإمام المغيلي على محاربة تلك المجموعة اليهودية بالطريقة التي حاربهم فيها.
- لم يكن الإمام المغيلي مجاملاً للسلطين، ولا باحثاً عن عطاياهم، ولكنّه كان ناصحاً أميناً لهم.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر السياسي للإمام المغيلي

صلاح الدين بن نعيم

باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

إمام أستاذ، مسجد الطاعة/ مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية معسكر

ملخص:

عرف مجتمع الغرب الإسلامي في الفترة الوسيطة عددا من المظاهر الحادثة عن الشرع الإسلامي، من تفشي المنكرات والفساد والعادات السيئة والبدع والشرك، مسّت مختلف الطبقات والفئات من العامة إلى الملوك. ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منهجا شرعيا لتقويم مثل هذه المظاهر من جهة، وتعيّن وجوبه على من توفرت فيه شروط هذا المبدأ والمنهج من جهة أخرى، قام الإمام المغيلي الذي استوفى شروط الأمر والنهي بالسعي فيه سعيا حثيثا، وخاطب به فئة الملوك وأعوانهم والعلماء والعامة من الناس، من خلال مجموعة من الرسائل الشرعية التي حاولنا من خلالها استخلاص مراتب المكلفين ممّن عناهم الإمام بخطابه، وتحديد ما اشترطه عليهم من الصفات للقيام بالأمر والنهي.

هذا ومن خلال تحليل نصوص الإمام من خلال رسائله، والتي تُعتبر مدوّنة مهمة في السياسة الشرعية، ضبطنا منهجه في تنظير مبدأ الأمر والنهي من حيث التركيب والمضمون، على ما يُوافق روح العصر وفقه الواقع وخصوصية المجتمع. وبناءً على ما سبق ذكره، يُصنّف الإمام المغيلي درجات الأمر والنهي، على اعتبارات تخصّ المكلف من حيث المرتبة والاستطاعة، وعلى مدى ترك المعروف أو اقتراف المنكر، ثم على قدر تجاوب صاحبه للأمر والنهي.

Enjoining Good and Forbidding Evil in the Political Thought of Imām al-Maghīlī

Abstract

Imām al-Maghīlī observed that many people in Western Islamic societies during his time were engaged in corrupt and harmful practices, such as polytheism, heresies, and bad habits. He proposed the lawful approach of Promotion of Virtue and Prevention of Vice to address these issues. Imām al-Maghīlī directed legal messages towards kings, their helpers, scholars, and the public, outlining the necessary qualities to perform the commandment and prohibition. His approach aimed to reflect the reality and privacy of society, categorizing degrees of command and prohibition based on a person's rank, ability, and response.

By analyzing his messages, we see that Imam adapted his approach to better reflect the times, jurisprudence of reality, and society's privacy. His messages serve as a call to action for individuals at all levels of society to promote good and prevent evil. Overall, his approach highlights the importance of promoting virtue and preventing vice, providing guidance on how individuals can create a fair and righteous society.

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Enjoining Good and Forbidding Evil, Political Thought, Justice

توطئة:

ترك الإمام المغيلي رصيذا علميا يصبُّ جانب منه في إطار السياسة الشرعية، وبالخصوص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يشهد على اهتمامه الكبير بهذا المبدأ الذي تقوم عليه الأمة، فهو وقاية لها من الضياع، وحفظ لخيريتها على غيرها، والعلاج لآفاتهما وأقضيتها وميلها عن حدود الشرع. هذا الذي وقف عليه الإمام في مجتمع الغرب الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء أو السودان الغربي، فعاصر وعان من ضياع الدين وإسقاط أحكامه والتعدي على حدود الله تعالى شيئا كثيرا، حتى لم يبق من الإسلام في بعض النواحي إلا رسمه، واختلطت به مناكر وبدع وشركيات ومفاسد، دفعت الإمام إلى رفع لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عاليا، فشمر عن ساعد الجد، ولم يأبه فيه بمواطن القرب والبعد، وعليه نطرح الإشكال؛

ما هي مظاهر ضياع الدين في عصر الإمام بالأمصار التي مرَّ عليها؟ وإلى أي مدى تغلغت هذه المظاهر في مجتمع الغرب الإسلامي الإفريقي وطبقاته؟ ثم كيف كانت خصوصية الأمر والنهي في فكر الإمام من خلال رسائله التي تُعنى بهذا المبدأ، سواء من حيث صياغة المبنى، وتحديد المعنى والمقصد؟ باعتبار أن الغاية من رسائله إنما هي تطبيق فحواها على الأمر الواقع المستعجل، لا لترديدها على الأسماع وتلقيها لطلابها من أجل التحصيل أو ما شابهه.

ولحصول الجواب، وفتح موضوع هذا الباب، رتبت هذا المقال على خمسة مباحث: أولا: في الاطلاع على عصر الإمام المغيلي، الذي يفتح لنا نافذة على أحوال المجتمع وما ظهر فيها من منكرات تُبرّر ما انتهجه الإمام في الإصلاح والدعوة. ثانيا: في مراتب المكلفين به والمعنيين بخطاب الإمام، وأبرزهم: السلاطين والملوك والأمراء، ثم العلماء والعُباد والمشايخ، ثم بعض الأعوان كالمحتسب، ثم عامة الناس.

أما المبحث الثالث، ففصلنا من خلاله شروط وصفات المُكَلَّف بالأمر والنهي، التي استقيناهما من ثنانيا رسائل الإمام المغيلي. ثم المبحث الرابع في خصوصية تنظير هذا المبدأ في نصوص الإمام من حيث التركيب والتضمين، بما يقتضيه الحال من التعجيل وإرادة الكاتب من إعمال الأحكام، وتطبيق النصوص الشرعية.

ولتسليط الضوء أكثر حول هذا الواجب الديني، وخصوصية الفكر المغيلي في تنظيره بما يوافق فقه الواقع؛ عرضنا في المبحث الخامس ما يُشير إلى نظرة الإمام في درجات تطبيق الأمر والنهي، آخذاً بعين الاعتبار مقام المُكَلَّف بالواجب وقدرته، ثم مقام المقصود بالأمر والنهي، من حيث مقدار تركه للمعروف أو اقترافه لمنكر، وقابليته للنهي أو الردع، ومقدار تجاوبه، وغلبة الخير أو الشر فيه.

وخاتمة البحث عرضُ لأهم نتائجها التي تعطينا صورة عامة عن هذا الواجب الشرعي، وخصوصيته تنظيراً وتطبيقاً في فكر الإمام المغيلي من خلال تحليل نصوصه، وإسقاطها على واقع الغرب الإسلامي في زمنه.

المبحث الأول: عصر الإمام المغيلي ودو أفع أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

عاصر الإمام فترة كانت فيها تلمسان تتخبط في مشاكل وأحداث واضطرابات سياسية داخلية؛ تمثلت في صراع الأمراء والسلطين الزينيين على العرش، والصراع القبلي في المنطقة. وخارجياً في كثرة الغارات والقرصنة الأوروبية على السواحل الجزائرية، خاصة من الإسبان والبرتغاليين.⁽¹⁾

ومن أبرز مظاهر مجتمع عصره، غياب واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على عمومهم، هذا المبدأ الذي كان دافعاً بارزاً ورئيسياً للإمام المغيلي

(1) بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، (الجزائر، دار البصائر، طبعة خاصة، 2009)، ج 2، ص 143، 144. - مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، (وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006)، ص 96.

لإعادة بعثه ورفع رايته، من كون غيابه يُعتبر في حد ذاته منكرا لزم التنبيه عليه؛ قال الإمام السنوسي موافقا للإمام المغيلي في أمره ضد اليهود: «القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».⁽²⁾

1-1 فساد بعض السلاطين:

تأثر السلاطين بعوائد المشركين عبدة الأصنام، وليس لهم من الإسلام إلا صورته؛ كما هو حال السلطان علي سني وأعوانه، الذي تأثر بأخواله من بلاد فار، وهم قوم كفار يعبدون الأصنام من الأحجار والأشجار، على أنه لا يعرف من الإسلام إلا الشهادتين، دون إدراك حقيقتهما، وصوم رمضان، وليس له من الصلاة إلا الجلوس يومئ بالسجود دون حركة ولا ذكر. وفي النساء لا نكاح له بالشروط الإسلامية... قال السعدي في تاريخ السودان: "أما الظالم الأكبر والفاجر الأشهر سن علي... فإنه كان ذا قوة عظيمة وممتنة جسيمة ظلما فاسقا متعديا متسلطا سفاكا للدماء، قتل من الخلق ما لا يحصيه إلا الله تعالى، وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة".⁽³⁾ لذا قال المغيلي: «وفساده في الأرض بذلك ونحوه مشهور، ولم يسمع قط بمثله في الإسلام».⁽⁴⁾

2-1 اهتمام باقي السلاطين بأمور الدين:

وجد الإمام في بعض الأمصار التي حلّ بها بالسودان الغربي ظروفًا مواتية لينصب فيها لواء الأمر والنهي، حيث كان الاهتمام بآراء العلماء معتبرا لدى بعض الملوك، نذكر منهم:

⁽²⁾ التنبكي أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، (المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000)، ج 2، ص 213.

⁽³⁾ السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، (باريس، LIBRAIRIE D'AMÉRIQUE ET D'ORIENT، 1981)، ص 64.

⁽⁴⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زبادية (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974)، ص 35-37.

الأسكيا؛ قال الإفرائي عن آل سكية ملوك السودان: «وأول ملوكهم الحاج محمد سكية... وقد بنى رياسته على القواعد الشرعية، وجرى على منهاج أهل السنة... وأحيا طريق العدل... فصلحت الأحوال». وقال في وصفه أيضا: «وكان الحاج محمد المذكور سهل الحجاب، رقيق القلب، خافض الجناح، شديد التعظيم لأئمة الدين، محبا للعلماء مكرما لهم غاية الإكرام، يفسح لهم في المجلس ويوسع عليهم في العطاء».⁽⁵⁾ ومثله بن عسكر قال عن أحوالهم: «ففي على حالة حسنة إلى هذا العهد، والإسلام في بلادهم غض وشعائره مستجدة، وملكهم على الغاية في تعظيم العلم والعلماء، وإجلال أهل البيت وإكرام الغرباء...».⁽⁶⁾

3-1 فساد بعض العلماء:

تطرق الإمام المغيلي إلى أحوال علماء وقته، وحمل أكثرهم انتشار الفساد بصددهم عن السبيل وانشغالهم بالدنيا فقال: «إن كثيرا من علماء هذه الأمة وعبادها يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وبسبب هؤلاء العلماء والعباد شاع الفساد»⁽⁷⁾. ولعل من العلماء من تقاعس عن أداء واجب الأمر والنهي، لدرجة أن الشيخ ابن غازي عدّ الإمام من الغرباء فقال: «وصاحبه غريب في هذا الجيل»⁽⁸⁾، أو لم يقف فيه العلماء الموقف التام المطلوب منهم، أو لم يكونوا على إحاطة تامة بواقع الأمر، أشار إليهم الإمام السنوسي في جوابه قال: «وتوقف من توقف لمعارضة من عارضكم من أهل الأهواء فبعثتم للعلماء، فلم أر من وفق لإجابة المقصد

⁽⁵⁾ الإفرائي محمد الصغير المراكشي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، (فرنسا، مطبعة بردين، 1888)، ص 89، 90.

⁽⁶⁾ الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، (المغرب، مطبوعات دار المغرب، 1977)، ص 131.

⁽⁷⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص 26.

⁽⁸⁾ الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر، مصدر سابق، ص 131.

وتحقيق الحق لقوة إيمانه دون مDAHنة من يتقي شوكته سوى الإمام
التنسي...»⁽⁹⁾.

4-1 فساد العامة:

كما هو وصف الأسقيا لنفر كثير ممن كانوا تحت سلطة وأمر سني
علي، فهم ينطقون الشهادة، مع اعتقادهم بالضر والنفع لغير الله، ولهم
أصنام وغير ذلك من وسائل الإشراف بالله تعالى⁽¹⁰⁾. وقال الإمام المغيلي عن
أهل مملكة كانو في جوابه عن سؤال سلطانهم: «والغالب على أهل تلك
البلاد الجهل والهوى وأصلهم كان ذلك، وقد قال العلماء: الرجوع إلى الأصل
يكون بأدنى سبب»⁽¹¹⁾. ومن جملتهم أهل الأهواء؛ قال الإمام السنوسي حول
اليهود: «وتوقف أهل تمنطيط فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل
الأهواء...»⁽¹²⁾.

5-1 تسلط اليهود على الحياة السياسية والاقتصادية بالمغرب والصحراء:

وجد الإمام في توات جالية يهودية طاغية، استغلت تجارة الصحراء
الرابحة، والربا، وصنعت منها ثروة على حساب بساطة أهالي المنطقة. كما
استغلت المال للتحكم في القادة وأصحاب النفوذ لخدمة مصالحهم⁽¹³⁾.
يقول الإمام المغيلي في رسالته للمسلمين حولهم: «سألني بعض الأخيار...

⁽⁹⁾ التنيكتي أحمد بابا، كفاية المحتاج، مصدر سابق، ج 2، ص 213.

⁽¹⁰⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص
44.

⁽¹¹⁾ مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إسهاماته في نشر
الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية في القرن 9هـ، 15م، (وهران، دار الغرب للنشر
والتوزيع، 2004)، ص 92، 93.

⁽¹²⁾ التنيكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، (ليبيا، منشورات كلية الدعوة
الإسلامية، 1989)، ج 2، ص 576.

⁽¹³⁾ بوغيزي يحيى، أعلام الفكر والثقافة، مرجع سابق، ج 2، ص 146.

عمّا عليه أكثر يهود هذا الزمان، من التعدي والطغيان، والتمرد على الأحكام الشرعية، بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان»⁽¹⁴⁾

المبحث الثاني: مراتب المكلفين.

وفي ذكر هذه المراتب هي من حيث التكليف حسب مرتبة المكلف بهذا الواجب الشرعي، وهي في نفس الوقت الفئة التي استهدفها الإمام المغيلي في رسائله والمعنية بخطاباته ونصوصه.

1-2 ما هو من صلاحيات السلطان، الحاكم، والأمير:

اعتبر الإمام المغيلي صاحب المملكة راعيا لا مالكا، فقال في أجوبته للأسقيا: «إنما أنت مملوك لا تملك شيئا وقد رفعتك مولاك على كثير من عباده لتصلح لهم دينهم ودنياهم لا لتكون سيدهم ومولاهم، وأنت في جميع مملكته راع لا مالك، وكل راع مسؤول عن رعيته»⁽¹⁵⁾.

وباعتبار ما سبق كانت وجهة الإمام في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى سلاطين وقته، فاجتمع بصاحب كنو وكتب له رسالة في أمور السلطنة يحضه فيها على اتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم رحل لبلاد التكرور؛ يقول التنبكتي: «فوصل إلى بلدة كاغو واجتمع بسلطانها ساسكي محمد الحاج، وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف، وألف له تأليفا أجابه فيه عن مسائل»⁽¹⁶⁾.

⁽¹⁴⁾ المغيلي، فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار وما عليه يهود الزمان من الجراءة والطغيان، (أمريكا، مكتبة جامعة برينستون، طبعة حجرية، دون تاريخ)، ص 2.

⁽¹⁵⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص

ومن صلاحياته ما جاء في جواب الشيخ لسلطان كانوا؛ قال له: «فَصُنْ مقامات الخلافة النبوية عن الإهانة، بردع العامة عن سوء الأدب، بالأقوال والأفعال، وسائر الأحوال... وامنع جميع أهل بلادك عن جميع أنواع الشرك، وكشف العورة، وشرب الخمر...»⁽¹⁷⁾.

ومن صلاحيات السلطان ونحوه أيضا، ما هو من أمر جهاد أصحاب المنكر، ممن اشتدت شوكتهم على المسلمين وبلغوا مبلغا من السيطرة عليهم واستحلال دمائهم وأموالهم، وتعطيل أحكام الشريعة، كما هو الحال مع السلطان الفاسد سني علي، الذي أوكل الشيخ أمر جهاده وأعوانه إلى الأمير أسقيا⁽¹⁸⁾.

ويصل أمر الوجوب عند الإمام المغيلي، إلى أن كل معروف تُرك أو منكر ظهر في عهد من سبقه من السلاطين والأمراء، فأدركه في ولايته، فإنه مُلَزَم بمعالجته، قال الإمام المغيلي: «فكل ما فعله غيرك ثم صار إليك، إن كان خيرا فأثبتته، وإن كان شرا فأزله، ولو طال زمانه»⁽¹⁹⁾.

2-2 ما هو من صلاحيات العالم والشيخ:

قال الإمام المغيلي: « فلا بد لهذا العالم في كل قرن أن يكون أحواله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح أمور الناس والعدل بينهم ونصر الحق على الباطل والمظلوم على الظالم»⁽²⁰⁾.

ثم إن الإمام المغيلي اعتبر نفسه—بالدرجة الأولى— ملزما بهذا الواجب الديني، كونه من العلماء، قال عنه التنبكي: «التلمساني خاتمة المحققين

⁽¹⁷⁾ مقدم مبروك، الإمام... إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 90، 91.

⁽¹⁸⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص 39.

⁽¹⁹⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، المصدر نفسه، ص 45.

⁽²⁰⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، المصدر نفسه، ص 30.

الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني...»⁽²¹⁾. ونقف من خلال سيرته وتراثه على أن للعالم الأمر والنهي للعامي والخاص ولولي الأمر، بالقول والفعل.

2-3 المحتسب:

الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله⁽²²⁾، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁽²³⁾؛ فالحسبة في النظام الإسلامي كما قال ابن خلدون: «هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين»⁽²⁴⁾. وإن كان هذا يصح في كل مسلم، إلا أن فرضه متعين على المحتسب بحكم الولاية، وفرضه على غيره داخل في فروض الكفاية، فهذا من جملة الفروق التسعة التي أوردها الماوردي بين المحتسب والمتطوع؛ ومنها: أن على المحتسب البحث عن المنكرات وليس للمتطوع ذلك. وأن يتخذ أعوانا، وأن يعزّر، ويرتزق على حسبته من بيت المال، وأن يجتهد فيما تعلق بالعرف دون الشرع⁽²⁵⁾.

وبناء على ما سبق كان اعتناء الإمام المغيلي بأمر الحسبة، كونها وظيفة لها ارتباط مباشر بمبدأ الأمر والنهي، ويُعتبر صاحبها من أهم أعوان الحاكم، فضمنها في كتابه: "حقوق وواجبات الزعماء في علاقاتهم مع مجتمعاتهم"، هذا الكتاب الذي وجّهه إلى محمد زنكا صاحب قبيلة كانو،

(21) التنبكي أحمد بابا، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص 576.

(22) القاسمي ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، (بيروت، دار النفائس،

ط 2، 1983)، ص 588.

(23) آل عمران، 104.

(24) ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، (بيروت، دار الفكر، 2012) ص 219.

(25) الماوردي أبو الحسن علي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (الكويت: مكتبة

دار ابن قتيبة، الطبعة الأولى، 1989)، ص 35. - ابن خلدون عبد الرحمن، مصدر

سابق، ص 219.

وعدّ المحتسب من جملة خدامه المبرزين، في رسالته أيضا للأمر محمد بن يعقوب⁽²⁶⁾.

4-2 الشرطة:

تطرق الإمام إلى عنصر الشرطة، وظاهر كلامه أن جعل سلطته على الرعية تنفيذية، من خلال تطبيق العقوبات بمختلف درجاتها، فقال في رسالته للأمر محمد بن يعقوب الموسومة بـ (فيما يجب على الأمر من حسن النية للإمارة): « وأرباب شرط يزجرون»⁽²⁷⁾.

5-2 المسلمون عامة:

وجّه الإمام بعض دعواته في الأمر والنهي إلى عامة المسلمين، من حيث إنهم السواد الأعظم من مراتب المكلّفين، بخلاف غيرهم. وخصّهم بالخطاب في رسالته (فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار...)، وقال في مقدمتها: «هذا كتاب من عبد ربه تعالى... إلى كل مسلم ومسلمة...»⁽²⁸⁾.

وحكم الأمر والنهي على المسلمين في الأصل هو فرض كفاية، وليس له البحث عن المنكر لينهى عنه، إنما هي مما يختص به المحتسب عن غيره (المتطوع) - كما تقدم-، وفي ذلك قال الإمام الخرخشي: « ويشترط ظهور المنكر من غير تجسس ولا استراق سمع ولا استنشاق ربح ولا بحث عما أخفى بيد أو ثوب أو حانوت»⁽²⁹⁾.

⁽²⁶⁾ مقدم مبروك، الإمام... إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 38، 39. - مقدم مبروك، الإمام... ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 96.

⁽²⁷⁾ مقدم مبروك، الإمام... ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 96.

⁽²⁸⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، مصدر سابق، ص 2.

⁽²⁹⁾ الخرخشي أبو عبد الله محمد، شرح على مختصر خليل، (مصر، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، 1317هـ)، ج 3، ص 110.

على أن العامة من المسلمين عند الإمام لهم أن يُعينوا ولي أمرهم في سعيه للأمر والنهي، إذا طلبهم إليه، حيث قال: « وأما إعانة المسلمين بإمامهم فواجبة عليهم في أنفسهم وفي أموالهم بحسب طاقتهم»⁽³⁰⁾.

المبحث الثالث: شروط المُكَلَّف وصفاته عند الإمام المغيلي.

قال الماوردي في ذكر الشروط: «أن يكون حراً، عدلاً، ذا رأي، وصرامة، وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة»⁽³¹⁾. وعلى هذا ذهب الإمام المغيلي، فكان مما ذكر:

3-1 العلم والتقوى: قال الخرخشي في شرحه على المختصر: « أن يكون الأمر عالماً بالمعروف والمنكر، لئلا ينهى عن معروف يعتقد أنه منكر...»⁽³²⁾. وقال المغيلي في قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾: «والذكر هو القرآن، وأهله من اجتمع فيه وصفان: العلم والتقوى؛ لأنه بالعلم يُعرف الرشد من الغي، وبالتقوى يأمر بالرشد وينهى عن الغي...»⁽³³⁾.

وعلى هذا الشرط كان الإمام المغيلي؛ حيث يقول عنه التنبكتي: «خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني»⁽³⁴⁾. وقال ابن عسکر: «كان من أكابر العلماء، وأفاضل الأتقياء»⁽³⁵⁾.

على أن المغيلي لا يشترط للمكَلَّف علم العلماء في كل الأحوال، فإن بعض المعروف المتروك أو المنكر الظاهر مما هو معلوم عند الخاصة والعامة على السواء، ولا ينبغي لأمتي جهله، كحرمة الخمر. أو تم تعليمهم حكمه، على أن يكون أمرهم أو إنكارهم على قدر علمهم واستطاعتهم، لهذا

⁽³⁰⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص 42.

⁽³¹⁾ الماوردي أبو الحسن علي، الأحكام السلطانية، مصدر سابق، ص 316.

⁽³²⁾ الخرخشي أبو عبد الله محمد، شرح على مختصر خليل، مصدر سابق، ج 3، ص

110.

⁽³³⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص

26.

⁽³⁴⁾ التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 576.

⁽³⁵⁾ الشفشاواني محمد بن عسکر الحسني، دوحة الناشر، مصدر سابق، ص 130.

جعل جميع المسلمين معينين بقضية اليهود، بعد أن أثبت العلة وأكد لهم الحكم الشرعي فيهم وبين لهم في رسالته وجه التصرف فيهم.⁽³⁶⁾

2-3 الإيمان والاعتقاد بالواجب وفضله: وهذا الذي كان يدين به الإمام المغيلي؛ قال الإمام السنوسي موافقا لرأي المغيلي مع اليهود ما نصه: «علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية وعمارة القلب والإيمان السيد أبي عبد الله عبد الكريم المغيلي... فقد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية...»⁽³⁷⁾.

ودائما ما يركز الإمام المغيلي على ذلك، ويؤكد في مقدمة رسائله للمُكَلِّفِينَ، فقال مثلا في مقدمة رسالته إلى سلطان كانو: «اعلم... أنه لا بد من ردع المفسدات الدينية والدنيوية بالمقاطع الشرعية... ولا يجوز أن يُترك مُفسِدٌ على فساده مع إمكان ردعه منه...»⁽³⁸⁾.

أما من حيث الفضل؛ فإن النص القرآني قد خصَّ هذه الأمة بما يُميزها؛ فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁽³⁹⁾ وعليه جاء في تراث الإسلام، وخصوصا في كتب السياسة الشرعية ما يُحدِّد فضله؛ قال ابن بطة الحنبلي: «من أنكر مُنْكَرًا فَقُتِلَ مات شهيدا»⁽⁴⁰⁾. وذهب المغيلي في أن من مات وهو يريد هدم كنائس اليهود فهو من أهل الجنة، ومن غيرهم فمن أهل النار⁽⁴¹⁾.

⁽³⁶⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، مصدر سابق، ص 3-

7.

⁽³⁷⁾ التنبكي أحمد بابا، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص 576.

⁽³⁸⁾ مقدم مبروك، الإمام... إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية، مرجع

سابق، ص 87.

⁽³⁹⁾ آل عمران، 110.

⁽⁴⁰⁾ كوك مايكل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، (لبنان، الشبكة

العربية للأبحاث والنشر، 2013)، ص 213.

⁽⁴¹⁾ الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي

أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، (لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1981)، ج 2، ص 216.

3-3 الحزم:

جاء في الأحكام السلطانية: «أن يكون... ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين»⁽⁴²⁾ وهو منهج الإمام المغيلي في أمره ونهيه؛ قال عنه ابن عسكر: «وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»⁽⁴³⁾. وقال التنبكتي عنه: «وكان رحمه الله مقداما على الأمور جسورا جريء القلب...»⁽⁴⁴⁾. والإمام بدوره أكد على هذا الشرط في خطابه، فقال في رسالته إلى الأمير محمد بن يعقوب: «وإذا أمرت بأمر أو نهيت عن شيء فلا تغفل عنه حتى تبلغ المقصد منه، وإياك أن تقصر خطوتك عن مقالك، فتذهب هيبتك من قلوب رعيتك وعمالك». وفي مسألة اليهود قال: «فكل مؤمن حقيقي لا بُدَّ أن يكون شديدا على الكفار»⁽⁴⁵⁾.

4-3 الفطنة والذكاء:

وهي صفة الإمام من باب أولى، كونه القائم بالأمر والنهي في عصره ومصره؛ فقال التنبكتي عنه مؤكدا لهذا الشرط ما نصه: «أحد الأذكياء ممن لهم بسطة في الفهم والتقدم»⁽⁴⁶⁾.

5-3 التحري في الأمر:

وذلك بطرق منها: الشهادة؛ يأتي الإمام في ذلك بمثال: «أن يكشف عن من قويت فيه تهمة الفساد، إن شهد بوجود علاماتها الأشهاد. فمن شهد عليه عدول...». أو ما يدل من علامات وأدلة؛ حيث قال في نفس السياق السابق: «بوجود خمر في بيته أو علاماته، كشف الأمير عن بيته، فإن وجدته

⁽⁴²⁾ الماوردي أبو الحسن علي، الأحكام السلطانية مصدر سابق، ص 316.

⁽⁴³⁾ الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر، مصدر سابق، ص 130.

⁽⁴⁴⁾ التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص 576.

⁽⁴⁵⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، مصدر سابق، ص 3.

مقدم مبروك، الإمام... ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية، مرجع سابق، ص 93.

⁽⁴⁶⁾ التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص 576.

فيه نكله وكسره، وإلا توعده وزجره. ومن ظهرت علامات شربه من رائحة أو كلام أو مشي استنكله. فإن ثبتت عليه رائحة خمر، حد لشربه، ولو لم يكن متهما بذنبه، وإن شك في رائحته زجر بحسب بعده وقربه»⁽⁴⁷⁾.

3-6 اختيار الأعوان:

قال ابن خلدون في مقدمته: «يُعَيَّن - أي: ولي الأمر- لذلك من يراه أهلا له، فيتعيَّن فرضُه عليه، ويتَّخذ الأعوان على ذلك»⁽⁴⁸⁾. ولهذا ففي جواب الإمام المغيلي للأسقيا، أورد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من وال إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر...»، فأشار إلى الأمير بإبعاد أهل الشر، وتقريب أهل الخير، وما تعلق بهذا الأمر⁽⁴⁹⁾.

وجمع في رسالته للأمر محمد بن يعقوب أوجه الأعوان: «على كل أمير أن يرتب قطاع مملكته، لسكونه وحركته، على ما يتمكن به من صلاح رعيته، فمن ذلك: أولا؛ خدام بالحضرة يتصرفون، وعقلاء يُشِيرُون، وأمناء يقبضون ويتصرفون، وكتاب وحساب يحفظون، ورسول وجساس، وحفظ وعساس... علماء ثقة يرشدون، وأئمة فضل يجمعون، وعدل يشهدون ويحتسبون ويكشفون ويصلحون، وأرباب شرط يزجرون، وقضاة ثقة يفصلون، ورجال يعظمون وجه الله، وعمال يجيبون حق الله، ووزراء لا يخشون إلا الله»⁽⁵⁰⁾.

وربما كان الأعوان من صنف العلماء، بالرأي والفتوى، كحال الإمام المغيلي مع اليهود؛ حين بعث إلى العلماء ليدعموا موقفه؛ ومما اعتمد عليه

⁽⁴⁷⁾ مقدم مبروك، الإمام... ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 109.

⁽⁴⁸⁾ ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، مصدر سابق، ص 219.

⁽⁴⁹⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص 25.

⁽⁵⁰⁾ مقدم مبروك، الإمام... ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية...، مرجع سابق، ص ص 98-93.

في استنهاض أهل توات جواب الإمام السنوسي والإمام محمد بن عبد الجليل التنسي. ثم ينبه إلى النظر في أحوال الأعوان والعمال؛ قال: «أن يحتفظ على عماله في جميع أعماله، ويتدبر أقوالهم، ويختبر أحوالهم، ويحصي قبل الولاية أموالهم، ويتفقد في كل حين أعمالهم. فكل من ظهر فيه تقصير زجره، وكل من خشي منه ظلم عزله، وكل من تكررت فيه الشكوى من غير بيان أبدله إن وجد بدله»⁽⁵¹⁾.

7-3 المشورة:

قال الإمام للأسقيا في شأن المشورة: «أن تسأل أهل الذكر عن كل ما لا تعلم حكمه من تصرفاتك كلها...». ومثله في رسالته للأمير محمد بن يعقوب، في ذكره للخدام: «وعقلاء يشيرون... وعلماء ثقة يرشدون». ثم خصّ المشورة بالباب الخامس من الرسالة فقال: «فيما يجب على الأمير من الكشف عن الأمور: ... فمن ذلك أن يسأل عن كل ما جهل من العدول والأمناء والمثقفين قبله والأوصياء...»⁽⁵²⁾.

8-3 الاجتهاد: وإليه يُشير الإمام في وصيته للأمير محمد زنقا؛ قال بعد أن عدّد أوجه ودرجات العقاب: «لكل داء دواء، ولكل مقام مقال، بحسب ما يظهر من الأحوال... فتصرف في ذلك بالزيادة والنقصان»⁽⁵³⁾.

كما نقف على قضية الاجتهاد خاصة في فهم النصوص الفقهية، ما وقع من الخلاف بين الإمام المغيلي وقاضي توات العصنوني في معنى «البلد الذي

⁽⁵¹⁾ التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص 577. مقدم مبروك،

الإمام... ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية، مرجع سابق، ص 107، 108.

⁽⁵²⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص

25. مقدم مبروك، الإمام... ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ص

96-105.

⁽⁵³⁾ مقدم مبروك، الإمام... إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا، مرجع سابق،

ص ص 90-98.

اختطه المسلمون»، وما تعلق به من حكم بناء كنائس اليهود، في خضم دعوة الإمام ضدهم. والخلاف مبسوط في رسائل العلماء والردود⁽⁵⁴⁾.

المبحث الرابع: منهج الإمام في تنظير مبدأ الأمر والنهي.

الناظر في مؤلفات الإمام ورسائله إلى ولاية الأمور والعلماء والعامّة من الناس، يجد ما يُميزها في المبنى بالدرجة الأولى، وفي المعنى، بحيث تميزت في تراكيبها ومضامينها بما يلي:

1-4 الإيجاز:

وهو ما يقتضيه الحال من التعجيل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان ذلك للسلطين والأمراء وأعيانهم وعامّة الناس، ما يقتضي الإيجاز والتلخيص، لا التطويل والاستفاضة، التي هي مراد طالب العلم، لا تطبيق الأحكام الشرعية على الواقع الذي يقتضي التعجيل في معالجة قضاياها، وهذا ما يقصده السائل والمسؤول -الإمام المغيلي-، فالأخير في جوابه لمحمد بن يعقوب سلطان كانوا، وبعد مقدمة قصيرة قال: «أما بعد فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، فاعلم...». ثم راح يوجز في الأحكام إيجازاً شديداً، حتى صاغها أوامر للسائل، بلا استدلال ولا استشهاد بالنصوص الشرعية، فجاء الجواب رسالة ملخصة في أسطر قليلة تامة عامة، نافعة ودافعة. حتى أن الإمام جعلها كافية للسلطان، فقال: «وهذا الذي بيّناه يكفيك إن شاء الله في تلك المناكر، وغيرها»⁽⁵⁵⁾.

⁽⁵⁴⁾ الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب، مصدر سابق، ج 2، ص ص 232-214.

⁽⁵⁵⁾ مقدم مبروك، الإمام... إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 96.

واستعمل في ذلك الشعر؛ لأنه وكما قال البحري: «والشعر لمَّح تكفي إشارته × وليس بالهذر طُوِّلت خُطْبُهُ». لذلك استعمل الإمام في مواضع كثيرة من رسائله وتقاييده أبياتا من الشعر له؛ منها:

إذا قرب الإنسان أختيار قومه × وأعرض عن أشرارهم فهو صالح
وإن قرب الإنسان أشرار قومه × وأعرض عن أختيارهم فهو طالح
وكل امرئ يُنبئك عنه قرينه × وذلك أمر في البرية واضح⁽⁵⁶⁾.

2-4 التفصيل والإيضاح:

فقد فصّل الإمام في تقييده «فيما يجب على المسلمين...»، على أنه لا يُوالي العدو ولا يقربه إلا من لا دين له ولا عقل ولا مروءة، ثم خاض في بيان الأدلة العقلية ثم النصوص الشرعية من حيث كونه لا دين له، وخاض فيها أيضا لبيان كونه لا عقل له، ثم من حيث كونه لا مروءة له⁽⁵⁷⁾.

وفصّل في الكفار، فذكر منهم ثلاثة؛ كافر كفرا صريحا أصالة، المرتد، ثم الزاعم بإسلامه والمحكوم بكفره. وهذا مما يلزم التفصيل فيه للحكم على أموالهم وذرائعهم ونسائهم بالسبي من عدمه، فالحكم على الكفار أصالة بحلية أموالهم وأعراضهم، وأما المرتدون فمالهم فيء للمسلمين فقط، ولا تُسبى ذرائعهم ونسائهم⁽⁵⁸⁾.

3-4 البرهان: برهن الإمام في المسألة المذكورة أنفا ببراہين عقلية وشرعية، فقال: «أما بيان كونه لا دين له؛ فبأدلة عقلية ونصوص شرعية...»، وفي موضع آخر أيضا: «وأما بيان كونه لا عقل له، فبأدلة عقلية

⁽⁵⁶⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، مصدر سابق، ص 3.

⁽⁵⁷⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، مصدر سابق، ص 3-6.

⁽⁵⁸⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص 40.

ونصوص شرعية أيضا...»⁽⁵⁹⁾. على أن الشيخ استدل بالآتي والأحاديث والسماعات والقصص المدونة في التواريخ، التي تؤكد قوله، وتُقعن القارئ. وهذا حاله في تقييده « فيما يجب على المسلمين...»: ومثال ذلك:

من القرآن: مثل استدلاله بعداوة الكفار، ذكر قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله...﴾ الآية. -الفتح 29-⁽⁶⁰⁾.

من السنة: ذكر من الأحاديث الشريفة: قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تكون قبلتان في بلدة واحدة». وذكر كذلك في أجوبته للأسقيا ما نصه: «وروى أصبغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: المسلمون شركاء في ثلاثة: في الكلاً والماء والأرض».⁽⁶¹⁾

من السيرة: على ما جاء فيها من الأخبار والآثار؛ قال الإمام مثلاً: «وهؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد قتلوا أحبائهم وأبائهم وأبناءهم وإخوانهم في مرضاته صلى الله عليه وسلم، وقال له عبد الله بن أبي: لو شئت لأتيتك برأسه - يعني أباه»⁽⁶²⁾ اهـ.

فتاوى العلماء: من ذلك قول الإمام في مسألة اليهود: «ألم تر أن الشيخ أبا الحسن الأشعري إمام أهل السنة قد أفتى بأن بناء المسلم الكنيسة كفر. قال: ويكون ردّة في صفة لاستلزام إرادة الكفر. نقله عنه القرافي في كتاب الجمع والفروق...»⁽⁶³⁾.

⁽⁵⁹⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، مصدر سابق، ص 3-6.

⁽⁶⁰⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، المصدر نفسه، ص 3.

⁽⁶¹⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، المصدر نفسه، ص 4.

أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص 42.

⁽⁶²⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، مصدر سابق، ص 4.

⁽⁶³⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، المصدر نفسه، ص 11.

السماعات والأخبار: ذكر الإمام المغيلي بعض الأخبار، خاصة في قضية يهود توات، فمثل ذلك قصة الشيخ المصمودي وإعراضه عن صاحب المحل الذي وقف عليه يهودي، قال فيها الإمام: «ولقد أخبرني بسنده بعض الإخوان عن سيدي إبراهيم المصمودي...»، وأخرى في نفس الموضوع عن أحد الفضلاء قال في روايتها الإمام: «وكذلك أخبرني أيضا بعض الإخوان عن الأستاذ سيدي...». وأخرى في إذابة اليهود للمسلمين؛ قال الإمام: «وقد أخبرني بعض الإخوان، وكان قاضيا في هذه الأوطان... وأخبرني بعض الناس أيضا... وأخبرني آخر أيضا أنه رأى يهودية... والأخبار في ذلك كثيرة، لا يستبعدنها وأعظم منها إلا أعمى البصيرة».⁽⁶⁴⁾

المبحث الخامس: درجات الأمر والنهي في فكر الإمام المغيلي:

جاء في السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام: «من رأى منكُم مُنكرا فليُغيِّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».⁽⁶⁵⁾ وبناء عليه رتب العلماء درجات الأمر والنهي، فقال الإمام الخرخشي: «وأقوى مراتب الأمر بالمعروف اليد ثم اللسان برفق ولين ثم القلب».⁽⁶⁶⁾

وضع الشيخ المغيلي اعتبارات مختلفة تخص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتخص أيضا المعنيّ بالأمر والنهي، ومردّ الأول إلى منصبه واستطاعته، والثاني إلى مدى تركه للمعروف أو اقراره لمنكر، أو على قدر تجاوبه مع الأمر والنهي، وبناء عليه يتم اختيار أسلوب ودرجة الجزاء، من خلال سُلّم جزائي يعتمد عليه المُكلّف، حيث يقول الإمام لسلطان كانوا:

⁽⁶⁴⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، المصدر نفسه، ص 6-4.

⁽⁶⁵⁾ النيسابوري مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (السعودية، دار السلام، 2000)، ص 42.

⁽⁶⁶⁾ الخرخشي أبو عبد الله محمد، شرح على مختصر خليل، (مصر، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، 1317هـ)، ج 3، ص 110.

« لا بد من ردع المفسد الدينية والدينيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية، ولا يجوز أن يُترك مُفسد على فساده مع إمكان ردعه عنه بسببه، أو لعنه أو طعنه أو حبسه، أو ربطه، أو ضربه، أو صلبه أو قتله، أو نفيه، أو أخذه ماله، أو حرق بيته، أو غير ذلك من العقوبات الشرعية، لكل داء دواء، ولكل مقام مقال، وفعال بحسب ما يظهر من الأحوال». وقال: « ومقابلة كل واحد بما يليق به، حسب حاله من الخير والشر، والتواضع والطغيان، فتصرف في ذلك بالزيادة والنقصان، حتى يعتدل الميزان، وليس الخبر كالعيان».⁽⁶⁷⁾

وقال أيضا ضاربا للمثال: «من لم ينته من الناس من عمل الخمر إلا بأخذ أموالهم، أو حرق بيوتهم، أو إجلائهم، أو بيع الكفار منهم، أو غير ذلك، فافعله ولا تبال... وكذلك من يغش بمسحاة ناقصة، وأبى أن ينتهي عن المعاملة بها، فخذها منه واجعلها في مصالح المسلمين، وأما من لم يغش بها، ولا أبى أن ينتهي، فمُرْه بإصلاحها إن أراد المعاملة».⁽⁶⁸⁾ هذا على العموم، وفي تفصيل ذلك يمكن أن ترتب درجات الأمر والنهي إلى أربع من حيث الأسلوب:

1-5 ما يوجب التنبيه:

ذكر منها الإمام المغيلي حالات واعتبارات، فمثلا إذا كان المذنب ممن ينتهي بمجرد تنبيهه، فلم يكن متكبرا ولا ممن أخذتهم العزة بالإثم، وكان يغلب خيرُه شرّه، فيكفيه التنبيه، وبه ينتهي عن منكره.⁽⁶⁹⁾

⁽⁶⁷⁾ - مقدم مبروك، الإمام... إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 98.

⁽⁶⁸⁾ مقدم مبروك، الإمام... إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا، المرجع نفسه، ص 94، 95.

⁽⁶⁹⁾ مقدم مبروك، الإمام... إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا، المرجع نفسه، ص 94، 95.

2-5 ما يوجب التعزير:

قال المغيلي في أجوبته للأسقيا عن من ظهرت من أفعاله الموجبة للتكفير: «فكل من فعل شيئا من تلك الأفعال الموجبة للتكفير يستتاب، فإن تاب تُرك». على أن التعزير واسع في طُرُق تطبيقه، فربما كان بضرب، وهو بدوره على أوجه ومراتب، أو ربطه، أو حبسه، أو تغريمه أو سلبه ماله... وهذا على حسب الحال وما يقتضيه الظرف وفقه النازلة، لهذا قال الإمام: «وليس الخبر كالعيان»⁽⁷⁰⁾.

3-5 ما يوجب تغيير المنكر ومخالفة من أذن به من ولاة الأمور:

ففي بناء الكنائس في بلاد الإسلام قال: «فإن أذن لهم في ذلك سلطان أو قاض... وجب نقض إذنه وهدم ما بنوه به، إذ لا يكون إذن أحد ولا حكمه مانعا من إقامة الحق وتغيير المنكر كائنا من كان»⁽⁷¹⁾.

4-5 ما يوجب القتل أو القتال:

إذا وصل الأمر إلى تعطيل حكم الله، أو فساد ظاهر كاستحلال دم المسلمين وأموالهم، وهذا الذي ذهب إليه الإمام في أمر السلطان علي سني وأعوانه، حيث قال: «فجهاد الأمير أسكيا فيهم وأخذه السلطنة من أيديهم من أفضل الجهاد...»⁽⁷²⁾ وفي أمر اليهود رأى أنه لا ذمة لهم لانتقاضها، من حيث تعلقهم بأرباب الشوكة من المسلمين، المنافي للذل والصغار المشروط في أداء الجزية، فأباح دماءهم وأموالهم⁽⁷³⁾.

⁽⁷⁰⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص 40، 41. مقدم مبروك، الإمام... إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص ص 93-96.

⁽⁷¹⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، فيما يجب على المسلمين...، مصدر سابق، ص 3.

⁽⁷²⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص

39.

⁽⁷³⁾ الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، دوحه الناشر، مصدر سابق، ص 130.

على أن الإمام المغيلي جعله - في حالاتٍ - آخرَ ما يعالج به المُكَلَّف صاحب القضية، إذا لم تردعه ما هو دونها من العقوبات، فَمَن ظهرت من أفعاله مثلا ما يوجب التكفير؛ قال للأسقيا: « فكل من فعل شيئا من تلك الأفعال الموجبة للتكفير يستتاب، فإن تاب تُرك، وإن لم يتب قتل بالسيف كفرا»⁽⁷⁴⁾.

خاتمة:

لما كان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائما في الأمة لا ينقطع بأي حال من الأحوال، باعتباره قوام أمر المجتمع والأفراد، وصلاح الأمة والعمران، ولما ترك أمر هذا المبدأ في زمن ومصر الإمام المغيلي من المُكَلِّفين به على اختلاف رتبهم، حتى أصبح المنكر والبدع جهارا، قام الإمام يُجدد الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عصره ومصره.

إن الحالة التي وصل إليها المجتمع من الانحلال والفساد والبدع والمنكرات، ينوّه إلى أهمية وضرورة القيام بالأمر والنهي، وهذا ما أكدّه الإمام من خلال رسائله التي وصفت تلك الأحوال الرديئة، وكانت المبرّر والدافع الأول له ليوجّه برسائله إلى أهل الحل والعقد، منبّها إلى دورهم الرئيسي في إقامة المبدأ الشرعي اتجاه الرعية.

لقد فصّل الإمام المغيلي على ميزان الشرع كل ما يتعلق بالأمر والنهي، محددا المُكَلِّفين به ومراتبهم وأحوالهم وشروطهم، ودرجات الأمر والنهي، على قدر الترك من جهة المعروف، أو الفعل من جهة المنكر، وعلى قدر تقبل المأمور أو المنهي. مثل هذه الجزئية التي جعلت هذا المبدأ الشرعي في فكر الإمام مَرِنًا وقابلا للمطاوعة والتكييف، بما يسمح للمكَلَّف به من الاجتهاد حسب ما يقتضيه الحال والمصلحة، وهذا مقصد عظيم من مقاصد

⁽⁷⁴⁾ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص 41، 40.

الشارع، التي نستشفها من فكر الإمام وعلمه بالسياسة الشرعية، وفقهه بواقع وأحوال مجتمعه.

الناظر في رسائل الإمام إلى خاصة وعامة الناس، يظهر له من روح الشريعة اتجاه المكلفين من المطاوعة واللين، والواقعية والثبات والشدة في الحدود، ما يجعله قابلاً للتكييف وتمكين على روح أحوال العصر، من لدن العلماء أهل الفتوى والاجتهاد، سواء على المستوى الفردي، أو الجماعي وخصوصياتهما.

من جهة أخرى تكشف مثل هذه الرسائل من مظانها، ما يلزم كل مجتمع في عصره من رصيد علمي شرعي على منوال تراكمي، يمثل الزاد المعرفي الذي يستقي منه كل مسؤول عن رعيته من الضوابط والمناهج والحلول لمشكلات عصره ومصهره، خاصة إذا كان هذا الرصيد الشرعي ما هو إلا خلاصة فقه نوازلي لامتداد اجتماعي واقعي، هو في مثالنا هذا مُحدّد بجغرافية المغرب الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الإفرائي محمد الصغير المراكشي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، (فرنسا، مطبعة بردين، 1888).
2. التنبكي أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، (المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000).
3. التنبكي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، (ليبيا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989).
4. الخرشبي محمد، شرح الخرشبي على مختصر خليل، (مصر، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، 1317هـ).
5. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، (لبنان، دار الفكر، 2012).
6. السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، (باريس، Librairie D'Amérique Et D'Orient، 1981).
7. الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، (المغرب، مطبوعات دار المغرب، 1977).
8. بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، (الجزائر، دار البصائر، 2009).
9. القاسمي ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، (بيروت، دار النفائس، ط 2، 1983).
10. كوك مايكل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، (لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2013).
11. الماوردي أبو الحسن علي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، (الكويت، دار ابن قتيبة، 1989).
12. المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زبادية، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974).
13. المغيلي محمد، فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار وما عليه جهود الزمان من الجراءة والطغيان، (أمريكا، مكتبة جامعة برينستون، طبعة حجرية، دون تاريخ طبع).

- 14.مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني -إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية في القرن 9 هـ 15م، (الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2004).
- 15.مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، (الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006).
- 16.النيسابوري مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (السعودية، دار السلام، 2000).
- 17.الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، (لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1981)

مخطوطات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في البوابة الجزائرية للمخطوطات

أ.د/إدريس بن خويا
جامعة أدرار

ملخص:

نحاول في ورقتنا الحديث عن مخطوطات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في البوابة الجزائرية للمخطوطات، وهو بحث يعكس حقيقة تنوع مؤلفات المغيلي المتعددة العلوم والمعارف، التي منها المنطق، والفقه، والتفسير، واللغة، والسياسة الشرعية... والموزعة عبر خزائن ومكتبات داخل الجزائر وخارجها، إلا أن البوابة الجزائرية للمخطوطات قدمت جهدا متميزا في التعريف بتلك المخطوطات ومكان تواجدها، وكانت البوابة نتيجة سعي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في تشجيع الباحثين ودعمهم في هذا المجال حسب الإمكانيات المتاحة، بُغية الإسهام الفعلي في حفظ تراث بلدنا من الضياع، ومن ذلك دعمها لفكرة تأسيس مشروع حضاري متمثل في «البوابة الجزائرية للمخطوطات» الذي اقترحه مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا بجامعة أحمد درايعة أدرار.

The Manuscripts of Imām al-Maghīlī on the Platform of the Algerian Manuscripts

Abstract

In this research paper, we attempt to talk about the manuscripts of Imām al-Maghīlī on the Platform of the Algerian Manuscripts, a research that reflects the reality of the diversity of the manuscripts by Imām al-Maghīlī in different disciplines. These manuscripts cover disciplines such as logic, jurisprudence, exegesis, language, Shari'a, scattered in khizanat and traditional libraries in Algeria and abroad. It is worth noting that the Platform of Algerian Manuscripts has made significant effort to make these manuscripts and their whereabouts known by the researchers. The Platform comes amongst the measures taken by

the Ministry of Higher Education and Scientific Research to encourage and support researchers in this field according to the available means for an efficient contribution to the preservation of the heritage of the country from loss. This support brought the idea of establishing a civilizational project represented in "The Platform of the Algerian Manuscripts" at University Ahmed Draia in Adrar.

Keywords :

Platform of Algerian Manuscripts, Imām al-Maghīlī, University of Adrar

مقدمة:

ومما لا يختلف فيه اثنان، هو أن بلدنا الجزائر يزخر بتراث علمي ضخم و متميز، وصل إلينا من خلال تلك المخطوطات العلمية المحفوظة عبر الأجيال وبمختلف وسائل الحفظ التي كانت متاحة آنذاك، وصولاً إلى استغلال طرائق الحفظ المعروفة في عصرنا الحالي، ولا أدل على ذلك ما شهدته ساحة البحث العلمي من استغلال واستثمار التكنولوجيا الرقمية في حفظ المخطوط مخافة الإهمال والضياع من جهة، ومن جهة أخرى التمكن من إتاحتها في أوساط الدارسين والباحثين عبر مختلف بلدان العالم.

إن اعتماد مشروع البوابة لم يبق حبيس أدراجه منذ تأسيسه، وإنما عمل القائمون على البوابة على استغلال كل الإمكانيات المتاحة بين أيديهم لتجسيد عمل فهرسة الخزائن ورصدها على البوابة وفق إطار فريق عمل متكامل ومنسجم، حمل على عاتقه مسؤولية هذا المشروع، مما نتج عنه فهرسة أزيد من 15000 مخطوط، وأكثر من 100 خزانة؛ داخل الجزائر وخارجها إلى غاية تاريخ 2022/11/15. وهو ما يتضح لنا - من خلال الاطلاع على البوابة- أن العملية لازالت مستمرة ومتواصلة نتيجة اتساع الرقعة الجغرافية لتواجد المخطوط.

كما أن المتتبع لمعطيات الفهرسة الأولى على البوابة سيجد - بلا شك- عدة أسماء لعلماء جزائريين وغير جزائريين أسهموا في إنعاش حركية البحث العلمي في عصور خلت من خلال مؤلفاتهم المخطوطة التي مست علومها ومعارف مختلفة؛ كالتفسير، والطب، والكيمياء، وأصول الفقه، واللغة، والمنطق، والتراجم والسير، والفلك، والتاريخ...؛ ومن هؤلاء العلماء الأجلاء الذي سجلوا حضورهم العلمي من خلال مؤلفاتهم وإسهاماتهم العلمية، التي تم رصدها على البوابة الجزائرية للمخطوطات نجد العلامة الجزائري الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ) الذي قدّم الكثير من المؤلفات المتنوعة العلوم والمعارف؛ كالفقه، والمنطق، والتفسير، والبلاغة، ... وهي

مؤلفات تم الوقوف على عناوينها ضمن خزائن عديدة مشار إليها في البوابة، وهو ما يُبنى أن مخطوطات الإمام المغيلي - إضافة إلى أهميتها وشهرتها- لم تكن محصورة في منطقة معيّنة، وإنما شهدت تنقلات عديدة في داخل الوطن وخارجه، ولعل من بين الأسباب في ذلك عناية النُسخ بتراث الإمام المغيلي منذ القدم لأهميته والحفاظ عليه من الضياع.

ولأجل ذلك، جاءت ورقتنا البحثية لإبراز مكتبة أو تراث الإمام المغيلي عبر البوابة الجزائرية للمخطوطات، ومن ذلك نطرح التساؤلات الآتية:

- ما البوابة الجزائرية للمخطوطات؟ وأين تكمن دواعي تأسيسها؟ ماهي الإجراءات القانونية والتنظيمية المتخذة في اعتمادها؟ ماهي أهدافها؟ وما النتائج المنتظرة من اعتمادها؟ ما هو العدد الإجمالي لمؤلفات الإمام المغيلي عبر البوابة؟ وماهي عناوينها وموضوعاتها؟ وكذا أسماء وعدد الخزائن المتضمنة لمؤلفاته؟

ومن خلال ذلك، عمدنا إلى المنهج الوصفي المدعم بأداة التحليل في رصد وقراءة وصفية للجانب الشكلي للبوابة، وتقديمها على شكل بطاقة تعريفية للباحثين والمهتمين على حد السواء من خلال قراءة في نوافذ البوابة التعريفية.

وعمدنا في ورقتنا إلى تقسيمها إلى أربعة محاور أساسية؛ المحور الأول تضمن الحديث عن الرقمنة وتعريفها وأهميته، والمحور الثاني عمدنا فيه إلى التحدث عن القراءة الوصفية للبوابة الجزائرية للمخطوطات، وأما المحور الثالث فكان حول الإسهامات العلمية للإمام المغيلي عبر البوابة الجزائرية للمخطوطات، وصولاً إلى نتائج البحث التي وسمناها بالمحور الرابع.

أولاً: أهمية رقمنة المخطوطات:

الرقمنة هي عملية تحويل البيانات إلى شكل رقمي، وذلك من أجل معالجتها باستخدام الحاسب الإلكتروني، وفي مجال نظم المعلومات تشير

الرقمنة إلى تحويل النصوص المطبوعة، أو الصور إلى إشارات ثنائية باستعمال جهاز الماسح الضوئي، كما أنها تسمح بعرض نتيجة ذلك على شاشة الحاسب.

كما أن عملية الرقمنة –أيضا- هي تلك الوسيلة التقنية التي تعمل على تحويل الصورة الورقية، أو أي من الحوامل التقليدية للوثائق إلى صورة إلكترونية، فالوثائق المرقمنة تصبح وثائق إلكترونية، والرقمنة تهتم بكل الوثائق، ويمكن إجراؤها انطلاقا من مختلف الحوامل كالورق، المصغرات الفيلمية، الأشرطة المغناطيسية، أشرطة الفيديو، الأفلام، ... وغيرها.⁽¹⁾

ولقد جاءت المكتبات الرقمية كواحدة من نواتج تلك الثورة التي شهدتها الألفية الثالثة لتحتمل مكانها كدعامة أساسية من دعائم المجتمع، وأهلها لذلك تاريخ المكتبات العريق الذي أثبت قدرتها على التكيف والمواءمة مع مختلف المجتمعات والبيئات.⁽²⁾

ثانياً: حول البوابة الجزائرية للمخطوطات

البوابة الجزائرية للمخطوطات مُوطنة بمخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا بجامعة أحمد درايعية أدرار، وتعرف اختصاراً (pam) La Plateforme Algérienne des Manuscrits، وهي مشروع بحث ذي طابع اجتماعي واقتصادي، معتمد من طرف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وبإشراف المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، في إطار اتفاقية بين المديرية ومؤسسة جامعة أحمد درايعية أدرار بتاريخ 18 نوفمبر 2017، والمستفيدة من إعانة التسيير في إطار ميزانية الصندوق الوطني

⁽¹⁾ عزالدين مبرك: الرقمنة من المنظور التقني (الجزائر، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية، السياسية والاقتصادية، مجلة دولية محكمة تصدر عن جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، المجلد 12، العدد 5، 2022) ص 247.

⁽²⁾ فراج عبد اللطيف، مفاهيم أساسية في المكتبات الرقمية، مجلة المعلوماتية، العدد 10 (السعودية وزارة التربية والتعليم، 2005)، ص 38.

للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي وفق عقد رقم: 33 مؤرخ في 01 فبراير 2018.

تهدف البوابة إلى فهرسة ورقمنة أزيد من ثلاثين ألف مخطوط من المخطوطات الجزائرية داخل الوطن وخارجه خلال مرحلة ثلاث سنوات الأولى بدءا من تاريخ الاعتماد، والبوابة ستكون عين الباحث ودليله إلى رفوف الخزائن ومكتبات المخطوطات داخل الوطن وخارجه، وشعارها (مع المخطوط الجزائري أينما وجد)، وعنوان صفحتها هو (<https://pam.univ-adrar.edu.dz>)، بدأ العمل في البوابة في شهر جوان من 2018م، وتم الإعلان الرسمي عنها مع تنظيم الملتقى الدولي الرابع للمخطوط، والمنعقد يومي 04-05 ربيع الأول سنة 1440 هـ الموافق 13-14 نوفمبر 2018، المنظم من طرف مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، الجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار- الجزائر.

وحسب اطلاعنا على موقع البوابة فإن الأهداف المرصودة من طرف القائمين على البوابة في تأسيسها نجدها كالاتي:

- وضع أرضية رقمية وبوابة إلكترونية تعنى بتتبع شتات المخطوطات الجزائرية في الجزائر والعالم جردا وإحصاء، فهرسة ورقمنة.
- العمل على جعل الأرضية في متناول الطلبة والباحثين المهتمين بهذا المجال.

- وضع خارطة بليوغرافية لأماكن حفظ المخطوطات داخل الجزائر وخارجها.

- التعريف بالتراث الجزائري المخطوط المحفوظ في شتى بقاع العالم، وتسهيل مهمة الوصول إليه تحقيقا ودراسة.

- تحديد أماكن النشاط العلمي للعلماء الجزائريين داخل الجزائر وخارجها.

- التعريف بجهود الجزائريين ودورهم في نقل العلوم والمعارف إلى مختلف الحواضر والعواصم.

- توثيق صلة الربط التاريخي بين الجزائر ومحيطها الإنساني العالمي⁽³⁾.

يشرف على البوابة الجزائرية فريق عمل علمي بحثي مكون من رئيس وتسعة أعضاء باحثين من جامعة أدرار، سنحاول الإشارة إليهم بإيجاز في الآتي:

-أ.د/ أحمد جعفري مدير البوابة: من مواليد 28 سبتمبر 1970 م، بولاية أدرار، أستاذ التعليم العالي بجامعة أدرار تخصص لغة وأدب عربي، رئيس قسم وعميد كلية الآداب واللغات سابقا، ومدير مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا سابقا، شغل عدة مناصب علمية وإدارية بالجامعة منذ سنة 2002 ولغاية اليوم.

-أ.د/ إدريس بن خويا: أستاذ اللغة العربية في جامعة أدرار من مواليد 1981/07/30 بأدرار، التحق بجامعة أدرار منذ سنة 2006، تخصص الدلالة واللسانيات، شغل سابقا مناصب مساعد رئيس القسم المكلف بالبيداغوجيا، ثم رئيس قسم اللغة والأدب العربي، ومسؤول ميدان اللغة والأدب العربي، وكذا رئيس المجلس العلمي لكلية الآداب واللغات بجامعة أدرار حاليا، وهو عضو مؤسس لمخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، ورئيس فرقة بحث، وهو عضو ومساعد رئيس تحرير في عدة مجلات محكمة....

-أ.د/ مبارك جعفري: من مواليد 24 مارس 1976 بأدرار، أستاذ جامعي منذ سنة 2009، متحصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة الجزائر 02، وشهادة الدراسات العليا المتخصصة (DPGS) في المخطوطات من قسم علم المكتبات جامعة الجزائر سنة 2005،

⁽³⁾ من موقع البوابة على الرابط : <https://pam.univ-adrar.edu.dz/home> بتاريخ 2022/11/20.

وهو مسؤول ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية حاليا بجامعة أدرار، وله عدة مؤلفات مطبوعة...

أ.د/ عبد الرحمان بعثمان: من مواليد 15 نوفمبر 1980 برقان ولاية أدرار، أستاذ جامعي تخصص تاريخ حديث ومعاصر منذ 2009، مسؤول تخصص الماجستير تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، عضو مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية بجامعة وهران، وعضو وحدة بحث مشروع المخطوطات الجزائرية في علوم القرآن والسنة جامعة وهران...

د/ الطاهر عبو: تاريخ الميلاد خلال 1962 تيميمون، أستاذ محاضر «ب» بقسم اللغة الإنجليزية، جامعة أدرار، متحصل على شهادة دكتوراه لغة انجليزية، من جامعة وهران 2 تخصص حضارة افريقية، عنوان الأطروحة «السياسة الاقتصادية الاستعمارية البريطانية وأثرها على الاكتفاء الذاتي الغذائي في ساحل الذهب (غانا) 1896 -1957»، شغل عدة مناصب في الجامعة منها-رئيس سابق لقسم اللغة الانجليزية، ونائب عميد كلية الآداب واللغات المكلف بالبحث العلمي والعلاقات الخارجية سابقا، ومسؤول مركز التعليم المكثف للغات بجامعة أدرار حاليا...

طالبة الدكتوراه رشيدة بن عبيد: من مواليد 07 جانفي 1985 بأولاد براهيم تيبلي أدرار، متحصلة على شهادة ماجستير في علم الاجتماع تنظيم وعمل، وتحضر شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، شاركت في الدورة التكوينية في علم المخطوط، والخط العربي المنظمة من قبل مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا والمركز الوطني للمخطوطات بأدرار ومركز أمجاد للمخطوطات بالرياض بالمملكة العربية السعودية سنة 2016 م بجامعة أدرار.

طالبة الدكتوراه سعيدة بوزينة: هي طالبة دكتوراه في جامعة أدرار تخصص الدراسات الجزائرية في اللغة والأدب العربي، أستاذة التعليم الثانوي تخصص اللغة العربية، شاركت في الدورة التكوينية في علم

المخطوط، والخط العربي التي نظمها مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا والمركز الوطني للمخطوطات بأدرار ومركز أمجاد للمخطوطات بالرياض المملكة العربية السعودية سنة 2016 م بجامعة أدرار.

- طالبة الدكتوراه عائشة أبختي: هي من مواليد 1985/02/27 م بقصر تيويرين بلدية زاويةكنته ولاية أدرار، طالبة دكتوراه تخصص الدراسات الجزائرية في اللغة والأدب العربي، بجامعة أدرارشاركت في الدورة التكوينية في علم المخطوط، والخط العربي المنظمة من قبل مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا والمركز الوطني للمخطوطات بأدرار ومركز أمجاد للمخطوطات بالرياض المملكة العربية السعودية سنة 2016 م بجامعة أدرار.

- طالبة الدكتوراه سعيدة بن عثمان: تدرس سنة خامسة دكتوراه بجامعة أدرار تخصص دراساتجزائرية في اللغة والأدب، شاركت في الدورة التكوينية في علم المخطوط، والخط العربي المنظمة من قبلمخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا والمركز الوطني للمخطوطات بأدرار ومركز أمجاد للمخطوطات بالرياض المملكة العربية السعودية سنة 2016 م بجامعة أدرار.

- طالبة الدكتوراه أم الخير بن عبيد: من مواليد 23 ماي 1983 بأولاد براهيم بلدية أولاد أحمد أدرار، طالبة دكتوراه وعضو مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا منذ سنة 2014، لها عديد المشاركات في، الملتقيات والندوات والأيام الدراسية...

- توطين البوابة في مخبر البحث:

تم توطين البوابة في مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا برئاسة الأستاذ الدكتور أحمد جعفري. الكائن مقره بالجامعة الإفريقية أحمد درايعية أدرار، والمعتمد بقرار رقم 145 المؤرخ في 14 أبريل 2012.

يُعى المخبر بالمخطوطات الجزائرية في خزائن ومكتبات إفريقيا خاصة ومكتبات العالم عامة، للمخبر مجلة محكمة ومصنفة هي مجلة رفوف، يضم المخبر حاليا ثمانية فرق للبحث، وأكثر من ستين باحثا في تخصصات مختلفة: اللغة والأدب، التاريخ، الشريعة، الإنجليزية.

- طريقة فهرسة المخطوطات في البوابة:

إن المطلّع على البوابة من خلال الولوج إليها يجدها تضم حاليا فهرس لحوالي 15643 مخطوط، لغاية يوم 15 نوفمبر 2022، وعلى 100 خزانة في 22 موضوعا، وأزيد من 10 دول وهي: الجزائر، المغرب، موريتانيا، النيجر، نيجيريا، السنغال، مالي، غانا، الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا.

كما تشمل البطاقية المخصصة لفهرسة المخطوط والمعتمدة حصرياً من طرف القائمين على البوابة المعلومات الآتية: رقم الحفظ في البوابة، رقمه في الخزانة، موضوعه، نوعه، هل هو كتاب أم وثيقة، عنوان المخطوط، مؤلفه، تاريخ التأليف، الناسخ، تاريخ النسخ، عدد أوراق المخطوط، عدد الصفحات، معدل السطور، مقياس الورق، مقياس النص، بداية المخطوط، نهايته، نوع الغلاف، نوع الخط، وعاء المخطوط، وصف عام للمخطوط، ملاحظات حول المخطوط، الزخرفة موجودة أم لا، التعقيب موجودة أم لا، التملكات والعواري موجودة أم لا، الحواشي موجودة أم لا، تعليقات العلماء موجودة أم لا، اسم مكتبة أو خزانة الحفظ، الدولة، الولاية، الدائرة، البلدية، البلدة، اسم المفهرس، اسم المدون في البوابة⁽⁴⁾.

⁽⁴⁾ ينظر إدريس بن خويا، فهرسة خزانة الشيخ مولاي عبد القادر بن مولاي المهدي بن خويا، (الجزائر، دار الكتاب العربي، ط1، 2019)، ص31.

-الإحصائيات العامة للمخطوطات عبر البوابة:

من خلال تتبعنا للإحصائيات الموجودة في البوابة إلى غاية تاريخ 15 نوفمبر 2022 نجدها قد وصلت إلى 15643 مخطوطا. سنحاول تبيانها حسب التوزيع الآتي⁽⁵⁾:

1-عدد المخطوطات حسب الموضوع:

الرقم	الموضوع	عدد المخطوطات
1	الفقه	4749
2	رسائل وعقود	1737
3	الأدب	1489
4	اللغة	1457
5	التصوف	1324
6	علوم القرآن	888
7	الحديث الشريف	779
8	بيع وشراء	537
9	القرآن الكريم	426
10	التراجم والسير	364
11	السيرة النبوية	354
12	التاريخ	280
13	السياسة الشرعية	265
14	الطلاسم	249
15	الفلك	220
16	الطب	199
17	المنطق	184

⁽⁵⁾ ينظر موقع صفحة البوابة <https://pam.univ-adrar.edu.dz/manustats> بتاريخ 2022/11/15

77	الرياضيات	18
23	الجغرافيا	19
15	كتب سماوية	20
12	علوم الزراعة	21
8	الكيمياء	22
4	البيع والشراء	23

2- عدد المخطوطات حسب كل خزانة:

من خلال اطلاعنا على جدول الخزائن المفهرسة على البوابة الجزائرية للمخطوطات، نجد أنها وصلت إلى 100 خزانة تقريبا إلى غاية تاريخ 15 نوفمبر 2022، وهو عدد قابل للزيادة الذي يتماشى بطبيعة الحال حسب استمرارية العمل في إطار الفهرسة للخزائن والمكتبات داخل الوطن وخارجه.

ومن هذه الخزائن المفهرسة نجد الآتي:

عدد المخطوطات	اسم الخزانة	الرقم
4091	خزانة مخبر المخطوطات بالجامعة الإفريقية بأدرار/الجزائر	1
1963	خزانة مولاي العباس بن مولاي عبد الله بن مولاي عبد المالك الرقاني	2
845	خزانة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عبد السلام	3
812	خزانة سيدي عبد الرحمن بن أمحمد العالم الأنصاري الزجلوي	4
734	خزانة الشيخ سيدي محمد بن محمد العالمي الزجلوي	5

591	خزانة مخبر المخطوطات بالجامعة الإفريقية بأدرار /الجزائر	6
420	خزانة الحاج أحمدادو بن محمد بن عبد القادر الحاج الصديق البهامدي	7
362	خزانة زاوية الشيخ المداني بن الحاج	8
338	خزانة مولاي امحمد بن مولاي الشريف بن عابد الشاهد	9
275	خزانة الشيخ محمد بن محمد العلمي الزجلاوي	10
258	خزانة مولاي سليمان بن علي	11
254	خزانة محمد الحبيب بن الحاج المكي بن عمراني	12
238	ابناء الحاج الصديق \ "أبي مدين\ " أولاد علي بن موسى تمنطيط	13
236	خزانة الشيخ باكلي أمحمد	14
222	خزانة سيدي إبراهيم	15
212	خزانة زاوية الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله البوبكري	16
199	خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي - كوسام	17
190	خزانة مولاي عبد القادر بن مولاي المهدي بن خويا	18
168	خزانة بلقاسم ضيف الجزائري للمخطوطات	19
166	خزانة بن الوليد الوليد	20
159	خزانة مولاي عبد العالي بن مولاي المهدي بن خويا	21
159	خزانة الحاج محمد بن سالم بن الصافي بكرأوي زاوية سيد البكري أدرار	22
137	خزانة الشيخ الحاج عبد القادر بن سيدي سالم المغيلي	23
133	خزانة المرحوم مولاي علي بن مولاي مبارك قريشي	24
116	خزانة الشيخ سيدي محمد بن مولاي سالم قصر أولاد	25

	موسى شروين	
112	مكتبة الزاوية العلاوية	26
107	الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية -حي سيدي بوجمعة -تلمسان-	27
105	خزانة الشيخ مولاي أحمد أمحمدي قصر المنصور شروين	28
100	خزانة الشيخ علي بن عمر العثمانية طولقة - بسكرة	29
100	خزانة زاوية الشيخ مولاي عبد الحكم بن مولاي عبد العالى	30
97	خزانة البلباليين بقصر برينكان تسابيت	31
97	خزانة أبناء الطالب سالم	32
91	خزانة الحفصي	33
86	خزانة الشيخ سيد الحاج قصر ملوكة	34
84	خزانة القرويين بفاس - المغرب	35
80	خزانة سيدي محمد بن مولاي عبد الله عزيزي الوشاني	36
71	خزانة زاوية سيدي ملوك	37
68	خزانة الشيخ سيدي أحمد بن محمد عبد الرحمن بن محمد عبد المالك التسفاوتي	38
68	خزانة زاوية أحمد بوزيد مولى القرقور	39
68	خزانة الشيخ محمد بن الطيب العزاوي	40
67	خزانة عائلة الشيخ الحاج الصديق تميمون	41
67	خزانة المدرسة الطاهرية بالعلوشية بلدية سالي	42
64	خزانة الشيخ الحاج اعمر بن حمزة	43
61	خزانة الشيخ سيدي العربي بن أمحمد بن الصديق بومدين التمنطيبي	44

58	خزانة بن عبد الله عبد القادر بن محمد زاوية سيدي الحاج بلقاسم	45
57	خزانة المدرسة القرآنية الفتح بباحو سالي	46
55	أولاد الشيخ لالة مباركة بنت بابا الكنتي بالحي الغربي بلدية أدرار	47
52	خزانة الشيخ مولاي لحسن بن مولاي أحمد قصر أولاد موسى شروين	48
51	خزانة الشيخ أحمد بن محمد السالم عباسي قصر أولاد الحاج شروين	49
50	خزانة العلامة الشيخ محمد المختار بن بلعمش الجكني	50
43	خزانة أبناء الطالب الصديق أبختي	51
43	خزانة الحاج محمد بن الملياني بن لحبيب (الخال)	52
43	خزانة سيدي موسى ولمسعود	53
42	مكتبة زاوية الشيخ عدة بن غلام الله	54
29	خزانة سيدي جعفر بن قصر تيلولين	56
22	مكتبة الشيخ التهامي صحراوي بباتنة	57
21	مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار	58
19	معهد الابحاث في العلوم الانسانية IRSH	59
18	خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي	60
17	خزانة الشيخ الحاج عبد الجبار بن محمد الصديق قصر المنصور شروين	61
17	خزانة الشيخ مولاي أحمد بن مولاي عبد الحي موساوي قصر أولاد موسى شروين	62
11	خزانة سيد أحمد العالم بن مبارك أبختي	63
11	خزانة الشايب محمد عبد القادر بن الشيخ علي	64

7	خزانة تشيت	65
6	زاوية أبي عبد الله البوعبدلي	66
6	ابناء الحاج الصديق \\\\\" أبي مدين \\\\\" أولاد علي بن موسى تمنطيط	67
5	خزانة الشيخ محمد باي بلعالم	68
4	خزانة قريشي	69
4	دار الوثائق للوزير جنيد	70
3	خزانة الداه بن أيده	71
3	خزانة الدده بن باريك	72
3	خزانة محمد ابن الوليد التينيلاني	73
3	خزانة الشيخ سيدي محمد عبد الحي بن محمد بن مولاي عبد الحي الفقيه	74
3	خزانة مخبر جامعة أنتا جوب دكار السنغال	75
3	خزانة أهل حبت	76
3	خزانة الشيخ سيدي محمد عبد القادر بابا حاج قصر أولاد الحاج شروين	77
2	خزانة أهل المرواني	78
2	خزانة مولاي أحمد بقصبة زاوية سيدي الحاج بلقاسم	79
2	خزانة أهل فاضل الشريف	80
2	خزانة أهل الإمام	81
2	مكتبة جامعة إبادان	82
1	خزانة اهل الشريف عبد المومن	83
1	المكتبة الوطنية بباريس – فرنسا	84
1	ابناء الحاج الصديق \\\\"	85

86	خزانة بن الشيخ الحاج محمد المسعود زاوية سيدي الحاج بلقاسم	1
87	خزانة الشرقي الحاج عبد العزيز بزواية سيدي الحاج بلقاسم	1
88	خزانة أن بن محمد الشيخ بن باريك	1
89	خزانة زاوية سيدي الحاج بلقاسم	1
90	خزانة أحمد بن محمد السالم بن عثمان ببني مهلال	1
91	خزانة البركة دلدول	1
92	مكتبة الكونغرس الامريكية بواشنطن	1
93	خزانة أهل ناجم	1
94	مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية تمبوكتو مالي	1
95	خزانة أهل شيخ نابوي حمدي	1
96	خزانة إبراهيم الشيخ	1
97	مكتبة غانا	1
98	خزانة دار الوثائق القومية كادونا نيجيريا	1
99	خزانة إقسطن	1
100	خزانة أهل اطفيل بن السبتي	1

- إحصائية البوابة حسب أوعية الحفظ:

إن المطّلع على الإحصائيات المتعلقة بأوعية حفظ المخطوط التي وقف عندها القائمون على الفهرسة يجد أنها تتنوع بين الحفظ الورقي والرقمي، والجلد، والحجارة، وأمور أخرى، ... احتل فيها الحفظ على الورق النسبة الأعلى، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى توفر عامل الورق في العهد القديم،

مقارنة مع توفر الإمكانيات الحديثة كالرقمنة في عصرنا الحالي، وهو ما نوضحه في الجدول الآتي⁽⁶⁾:

الرقم	وعاء الحفظ	عدد المخطوطات
1	ورق	11212
2	رقمي	8436
3	جلد	46
4	أخرى	15
5	حجارة	2

-إحصائيات المخطوطات في البوابة عبر الدول:

إنّ المتتبع لمستخرجات إحصائيات المخطوطات عبر الدول في البوابة سيجد أن الجزائر احتلت المرتبة الأولى مقارنة بالدول المدرجة بعدها في الترتيب كالمغرب وموريتانيا والنيجر، وذلك راجع إلى عدة عوامل، منها:

-أنّ الجزائر غنية بخزّان المخطوطات الموزع عبر ربوعها؛ شمالا وجنوبا، شرقا وغربا.

-نشاط حركية التأليف عند علماء الجزائر منذ القدم، في مختلف العلوم والمعارف.

-ازدهار حركية نسخ المخطوطات مخافة التأليف والضياع من طرف المهتمين في هذا المجال منذ القدم وإلى غاية عصرنا الحالي.

- حرص وعناية أرباب الخزائن بحفاظهم على المخطوطات منذ القدم وإلى غاية يومنا هذا.

⁽⁶⁾ ينظر موقع البوابة <https://pam.univ-adrar.edu.dz/manustats> بتاريخ 2022/11/15.

- تمكن القائمين على الفهرسة من زيارة خزائن مدن الجزائر بأريحية
وأسر، وحسب الإمكانيات المتاحة.

- تفهم أرباب الخزائن بأهمية الحفظ والرقمنة، وكذا فهرسة خزائنهم
على البوابة الجزائرية للمخطوطات، مما أعطى لهم ضمانا وارتياحا في
المشاركة في هذا المشروع الحضاري.

ومن تلك الدول التي نجدها على البوابة كالاتي⁽⁷⁾:

الرقم	الدولة	عدد المخطوطات
1	الجزائر	15491
2	المغرب	84
3	موريتانيا	28
4	النيجر	19
5	نيجيريا	7
6	السنغال	3
7	الولايات المتحدة الامريكية	1
9	الجزائر	1
10	فرنسا	1
11	مالي	1
12	غانا	1

-إحصائيات المخطوطات في البوابة عبر الولايات:

ما يمكننا ملاحظته في القراءة السريعة للجدول، أن خزّان ولاية أدرار
للمخطوط احتل المركز الأول مقارنة بخزّان مخطوط الولايات الأخرى، وأن

⁽⁷⁾ ينظر موقع البوابة <https://pam.univ-adrar.edu.dz/manustats> بتاريخ
2022/11/15.

تلك الصدارة الطبيعية ومنتوقعة في حد ذاتها، وذلك راجع إلى أن ولاية أدرار تزخر بكم هائل من المخطوطات وفي مختلف العلوم والمعارف، المتوزعة في العديد من الخزائن والرفوف حيث تشير بعض المعلومات أن خزان ولاية أدرار للمخطوطات وصل تقريبا إلى أزيد من 51 خزانة⁽⁸⁾، ضمت أزيد من 27000 مخطوط على الأقل، وهي نسبة مرشحة للزيادة والارتفاع نظرا لما نعرفه من مخلفات الإهمال والضياع والتلف التي مست العديد من مخطوطات الولاية وعلى عبر الأزمان. ومن تلك العوامل نجد العامل الخارجي؛ المتمثل في الجيش الفرنسي الذي غزا الناحية وأتلف الآلاف من المخطوطات والوثائق، واستولى -أيضا- على البعض الآخر ونقلها إلى زائن مخطوطات إلى ما وراء البحار، ومنه ما هو موجود بالمكتبات الفرنسية وكذا المكتبات الأوروبية الأخرى، إضافة إلى استيلاء بعض الأشخاص بعد الاستقلال مباشرة على المخطوطات⁽⁹⁾.

وهناك عامل آخر أسهم بشكل مباشر في التلف والضياع وهو متعلق بالطبيعة؛ باعتبار أن بقاء المخطوط دون عناية واهتمام يُعجل باندثاره، وتأتي الرطوبة والإصابات الجرثومية لتحوّله بعد مدة إلى هشيم، فأغلب المخطوطات التي أتلفت كانت محفوظة تحت أتربة والكثير منها مازال مدفونا ولا يعرف سبيله إلا الذين دفنوه. إضافة إلى العامل البشري؛ الذي يعد شريكا في وضعية المخطوط على الصورة السلبية المشار إليها، باعتبار أن البعض من أرباب الخزائن عدّوا ذلك ملكا لهم كالأرض الموروثة، ولا يحق لأحد التقرب منه..⁽¹⁰⁾.

⁽⁸⁾ ينظر قائمة خزائن مخطوطات ولاية أدرار https://ar.wikipedia.org/wiki/بتاريخ_2022/11/05.

⁽⁹⁾ ينظر د.بشار قويدر ود.حساني مختار، مخطوطات ولاية أدرار (الجزائر، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 1999)، ص12.

⁽¹⁰⁾ ينظر المرجع نفسه، ص12.

ونجد نسبة توزيع المخطوطات عبر الولايات (داخل الوطن وخارجه) والمفهرسة في بوابة الجزائرية للمخطوطات موضحة في الجدول أدناه وفق الآتي⁽¹¹⁾:

الرقم	الولاية	عدد المخطوطات
1	أدرار	14142
2	بشار	362
3	تمنراست	222
4	الجلفة	169
5	مستغانم	112
6	تلمسان	107
7	بسكرة	100
8	باتنة	88
9	فاس	84
10	البليدة	64
11	تيندوف	50
12	تيارت	42
13	نيامي	19
14	غرداية	18
15	تجانت	15
16	الحوض الشرقي	9
17	الجزائر	9

⁽¹¹⁾ ينظر موقع البوابة <https://pam.univ-adrar.edu.dz/manustats> بتاريخ 2022/11/15.

6	وهران	18
4	Sokoto	19
3	آدرار	20
3	داكار	21
2	أويو	22
1	تمبوكتو	23
1	أكرا	24
1	كادونا	25
1	ادرار	26
1	Washington DC	27
1	نواكشوط	28
1	باريس	29

-نوافذ البوابة:

إن المطلع على البوابة للمرة الأولى سيجد بها ثلاثة أبواب في الواجهة وبثلاث لغات، كل باب بلغة؛ العربية، والفرنسية، والإنجليزية. وهي دلالة واضحة على أن مشروع البوابة الجزائرية متاحة خدماته إلى كافة الباحثين والمهتمين ليس على المستوى الوطني أو الإفريقي فحسب، وإنما شمل مختلف دول العالم، وهذا ما يعد بادرة إيجابية تحسب لفائدة القائمين على هذا المشروع.

وبعد دخول الباحث أو المهتم من باب العربية مثلا، سيجد عدة أيقونات على الواجهة من جهة الأعلى، وهي حسب الترتيب متمثلة في: أيقونة الرئيسة، وأيقونة فهرس المخطوطات، ومواقع مهمة، ومواقع ذات صلة، وإحصائيات عامة، وفرق عمل البوابة، ومعلومات المخطوط. تُبينها في الآتي:

أ- الأيقونة الرئيسة:

وفي هذه الصفحة الافتتاحية نجد عدة خدمات معروضة للباحث أو المطلع على البوابة تُمهّد له البحث عن المخطوطات أو معلومات عنها؛ فهي تتضمن في وسط الصفحة بطاقة تعريفية أولية للبوابة متمثلة في الرسالة والأهداف؛ حيث يوضح القائمون على البوابة رسالة توضيحية من هذا المشروع الحضاري الرامي إلى إبراز أهمية المخطوط في حفظ المعارف الإنسانية، وكذا الأهداف المسطرة من هذا المشروع، التي أشرنا إليها سابقا.

وأما على الجهة اليمنى للصفحة نفسها فإننا نجد عدة خدمات منها: خارطة المخطوطات؛ والقصد منها وضع خارطة لأمكنة خزائن المخطوطات المستشهد بها أو المفهرسة على البوابة الجزائرية، وعند وضعنا لمؤشر الفأرة على خزانة ما نستقرأ بطاقة تعريفية موجزة عن الخزانة.

كما توجد أيقونة أخرى تُعنى بأخبار المخطوطات؛ والمتمثلة في إبراز أهم المقالات والأبحاث التي كتبت عن المخطوط في مجلة رفوف المعتمدة من طرف مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا. وكذا التعريف بالمجلة والاستحقاقات المكتسبة للمجلة من طرف الهيئات العلمية العربية التي يسند إليها تصنيف المجلات وتقييمها.

وأما صفحة نوادر المخطوط؛ وهي واضحة من عنوانها، تم التخصيص فيها ببعض الصور لمخطوطات نادرة، مثل صورة عن مخطوط نيل المراد في عقد ألوان المداد، وصورة عن مخطوط الزبور لسيدنا داوود عليه السلام، وصورة من رسالة الشيخ سيدي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي في نازلة يهود توات،

وهناك خدمة أخرى تُعنى بصور المخطوطات؛ وفي هذه الصفحة بالتحديد عمد القائمون عليها إلى الإشارة إلى الوضعية الكارثية لصور بعض المخطوطات في بعض الخزائن داخل الجزائر وخارجها، ليس إلى شهرتها أو

أنها متميزة، وإنما الإشارة إلى الإهمال الذي لحقها من طرف بعض أرباب الخزائن في عدم عنايتها بالطريقة الصحيحة والسليمة في حفظ المخطوط، مما أسهم - بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - في ضياع المخطوط نتيجة تعرضه للأرضة، والتمزق في مختلف أطرافه، ..

وأما آخر الخدمات المتاحة جهة اليمنى دائما فإننا نجد ما يُسمى بالمصادر والمراجع؛ وهي ما يمكننا أن نسميها مكتبة تتضمن كتباً محملة في صيغة pdf تهتم بمجال المخطوط؛ فهرسة ودراسة وتحقيقاً، حيث يسهل على الباحث الوصول وبأسر الطرق إلى مبتغاه بخصوص البحث في هذا المجال.

هذا عن الجهة اليمنى، وأما عن الجهة اليسرى للنافذة الرئيسية -دائماً- فإننا نجد خدمات أخرى للباحثين منها: نافذة ابحت عن مخطوط؛ وهي تفيد الباحث إمكانية البحث عن مخطوط ما ضمن البوابة، وذلك إما عن طريق ذكر كلمة من عنوان المخطوط، أو اسم مؤلف المخطوط، أو ذكر الدولة أو الولاية أو البلدية... ولما يختار الباحث طريقة معينة في البحث تحيله الصفحة مباشرة إلى مجموعة من عناوين المخطوطات تتضمن عنوان المخطوط وصاحبه، وكذا اسم الخزانة المتواجد بها...

وهناك نافذة آخر تُعنى بإمكانية طلب مخطوط من طرف المطلع على البوابة، الذي أجرى بحثاً من قبل ووجد مبتغاه؛ وذلك بذكره لعنوان المخطوط وصاحبه، واسم الخزانة المتواجد بها. إضافة إلى نافذة أخرى تتيح للباحثين والمهتمين إمكانية إضافة مخطوطات على البوابة وتُعى بـ "أضف مخطوطاً"؛ وتتضمن معلومات خاصة بالراغب في إضافة مخطوط من اسم ولقب، وبريد الكتروني، وعنوانه ورقم هاتفه، ثم المعلومات الكاملة للمخطوط، وذلك باتباعها الطريقة نفسها المعتمدة في ملء بطاقة فهرسة المخطوط المعتمدة من طرف القائمين على البوابة في فهرسة المخطوطات والمشار إليها سابقاً.

وآخر النوافذ في الجهة اليسرى نجد نافذة "اتصل بنا"، وهي نافذة مفتوحة للتواصل بين مسؤول البوابة وكذا الراغبين في الحصول على معلومات تخص البوابة؛ غير أن معلومات المتصل لابد من تضمينها للأمور الآتية: اسم ولقب المتصل، ورقم هاتفه، وبريده الإلكتروني، وعنوان رسالته، وكذا مضمون طلبه أو اتصاله في رسالة تصل مباشرة إلى مسؤول البوابة عبر بريده الإلكتروني، وهو الوحيد المخول له الرد على صاحب الاتصال.

ب-أيقونة فهرس المخطوطات:

وهي تفيد الباحث إمكانية البحث عن مخطوط ما ضمن البوابة، وذلك إما عن طريق ذكر كلمة من عنوان المخطوط، أو اسم مؤلف المخطوط، أو ذكر الدولة أو الولاية أو البلدية... ولما يختار الباحث طريقة معينة في البحث تحيله الصفحة مباشرة إلى مجموعة من عناوين المخطوطات تتضمن عنوان المخطوط وصاحبه، وكذا اسم الخزانة المتواجدها⁽¹²⁾.

ج-أيقونة مواقع مهمة: وهي أيقونة تعكس حقيقة الانتماء العلمي للبوابة الجزائرية للمخطوطات؛ حيث تحيل بروابط مباشرة إلى صفحات خاصة بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، واسم جامعة أحمد درايعية أدرار، والمديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، ومخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا.

د-أيقونة مواقع ذات صلة: وهي تعنى بربط البوابة الجزائرية بمواقع ذات صلة علمية بمكتبات وخزائن دولية تعنى بالمخطوط والمحافظة عليها ورقيا ورقميا وصلت إلى 27 بين مكتبة ومركز ومعهد، مما مكن الباحثين والمهتمين في التعرف على أهم المراكز والمكتبات المهمة بالمخطوط عبر مختلف دول العالم، والحصول على معلومات رابط التواصل بشكل أيسر وبسيط، التي منها: المكتبة الوطنية الجزائرية، ومركز الدراسات الإسلامية

⁽¹²⁾ ينظر <https://pam.univ-adrar.edu.dz/manucatalog> بتاريخ 2022/11/15.

والمخطوطات، ومركز المخطوطات والتراث والوثائق، إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية، ومركز ودود للمخطوطات، وقائمة المخطوطات بجامعة الملك فيصل، ومركز جمعة الماجد بديي، ومخطوطات مالي، وشبكة المخطوطات العربية، ومكتبة متحف المخطوطات، ومخطوطات جامعة النجاح، ومكتبة المسجد النبوي، والمخطوطات العربية على الخط.....⁽¹³⁾

هـ- أيقونة إحصائيات عامة: تتضمن معلومات من إحصائيات كاملة للمخطوطات المفهرسة عبر البوابة، ونسبتها بالتدقيق، وذلك وفق الآتي⁽¹⁴⁾:

- العدد الإجمالي للمخطوطات المفهرسة، العدد الإجمالي لخزائن المخطوطات، عدد طلبات المخطوطات من طرف الزوار، عدد المخطوطات المدرجة من طرف الزوار، العدد الإجمالي للمؤلفين، العدد الإجمالي للمواضيع.

- إحصائيات عدد المخطوطات بحسب المؤلف (10 الأكبر عدداً)؛

إحصائيات عدد المخطوطات حسب: الموضوع، أوعية الحفظ، الولايات، خزائن الحفظ، بحسب الدول.

و- أيقونة فريق عمل البوابة: وهي أيقونة تعريفية تفيد المطلع على البوابة بالفريق المشرف عليها، والمتكون من رئيس و09 تسعة أعضاء، مع الإشارة إلى صورههم الشخصية، ورتبهم العلمية، وبريدهم الإلكتروني الشخصي والمعتمد في المراسلات على البوابة، وكذلك إتاحة ملف يتضمن سيرة ذاتية مختصرة للعضو، مع وجود ميزة أو خاصية بجانب كل عضو تتضمن إمكانية إرسال رسالة إليه شخصياً من طرف المطلعين على البوابة لغرض طلب المساعدة في الحصول على معلومات معينة، أو إمكانية الحصول على مخطوط، وغير ذلك. وقد أشرنا سابقاً إلى ترجمة موجزة عن كل عضو.

⁽¹³⁾ ينظر <https://pam.univ-adrar.edu.dz/a> بتاريخ 2022/11/15.

⁽¹⁴⁾ ينظر إحصائيات عامة / <https://pam.univ-adrar.edu.dz/> بتاريخ 2022/11/15.

ز- الإحصائيات الخاصة بالموقع: وتوجد هذه الأيقونة في آخر الواجهة
جهة اليمين، تفيد المطلع على البوابة بأخر نسبة حول عدد الزيارات التي
قام بها زوار البوابة، والمتمثلة في الآتي:

زيارات اليوم، زوار اليوم، زيارات آخر 30 يوما، زيارات آخر 365 يوما،
مجموع الزيارات، مجموع الزوار، مجموع مشاهدات الصفحة؛

ح- أيقونة معلومات المخطوط: وهي آخر أيقونة متاحة على صفحة
البوابة، إلا أن هذه الأيقونة لا تظهر للزوار المطلعين على البوابة، وإنما
تظهر فقط عند الدخول باسم القائمين على البوابة كأعضاء فريق البوابة
مثلاً، وتتضمن عدة خدمات، منها: مكان إضافة المخطوط؛ الذي يهدف إلى
تقديم بطاقة تعريفية بالخزائن المعتمدة في البوابة، وكذا الإشارة إلى
موقعها الجغرافي من خلال إسقاطها على خرائط جوجل⁽¹⁵⁾.

وهناك خدمة أخرى في الأيقونة نفسها، والمتمثلة في إضافة مخطوط؛
وهي خاصة بفريق عمل البوابة الذي أوكلت له مهمة إدراج المخطوطات على
البوابة، وذلك باتباع طريقة الفهرسة حسب بطاقة فهرسة المخطوط التي
أشرنا إليها سابقاً⁽¹⁶⁾.

كما توجد أيضا ضمن هذه الأيقونة خدمة إحصائيات عامة؛ وهي
تحيلنا إلى أيقونة إحصائيات عامة التي أشرنا إليها سابقاً، والمتاحة للزوار
بشكل مباشر⁽¹⁷⁾.

وأما خدمة قائمة طلبات المخطوط المندرجة ضمن هذه الأيقونة،
نجدها تتضمن قائمة بأسماء الزوار الراغبين في الحصول على مخطوط ما،
وذلك بعد تقديم طلبهم بملء استمارة إلكترونية تتضمن المعلومات الآتية:
رقم المخطوط في البوابة، عنوانه، اسم ولقب صاحب الطلب، بريده

⁽¹⁵⁾ <https://pam.univ-adrar.edu.dz/manulocaladd> بتاريخ 2022/11/15.

⁽¹⁶⁾ <https://pam.univ-adrar.edu.dz/addmanu> بتاريخ 2022/11/15.

⁽¹⁷⁾ <https://pam.univ-adrar.edu.dz/manustats> بتاريخ 2022/11/15.

الإلكتروني، وهدفه من طلب المخطوط، وتاريخ تقديم طلبه. وبعد الانتهاء من الطلب توجد أيقونة صغيرة في آخر الطلب وهي خاصة بأعضاء فريق البوابة، تمكنهم من الإجابة عن الطلب من حيث قبوله وتلبية طلبه، أو أنه في حالة انتظار إلى حين⁽¹⁸⁾.

وآخر الخدمات المتاحة بهذه الأيقونة، وهي معنونة قائمة المخطوطات المضافة من الزوار، تتيح للقائمين على البوابة معرفة عناوين المخطوطات المدرجة أو المفهرسة على البوابة من طرف زوار الموقع، وذلك بالإشارة إلى عنوان المخطوط، واسم الخزانة الموجود بها، واسم ولقب الزائر المفهرس له على البوابة، وعنوان إقامته، ورقم هاتفه، وكذا بريده الإلكتروني⁽¹⁹⁾.

ثانياً: حول الإمام المغيلي⁽²⁰⁾:

-اسمه ونسبه: لم تختلف كتب التراجم والفهارس في اسمه، فهو: محمد بن عبد الكريم بن محمد، أبو عبدالله، محيي الدين، المغيلي، التلمساني، التواتي، الجزائري. فاسمه محمد، وأبوه عبد الكريم، وجده محمد.

⁽¹⁸⁾ [/https://pam.univ-adrar.edu.dz/requestedmanuscriptlist](https://pam.univ-adrar.edu.dz/requestedmanuscriptlist) بتاريخ 2022/11/15

⁽¹⁹⁾ [/https://pam.univ-adrar.edu.dz/listmanusbyguests](https://pam.univ-adrar.edu.dz/listmanusbyguests) بتاريخ 2022/11/15

⁽²⁰⁾ ينظر في ترجمته: عبد القادر باجي، الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، (الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011م) 127-103/1، ود.أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي-الإطار المعرفي والتعاون مع المكانية(الجزائر، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس، ط1، 1433هـ-2012م) ص19-22، ومبروك مقدم، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحية بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة(الجزائر، دار الغرب، وهران، 2002م) ص49-52، ود.أبو بكر إسماعيل ميقا، الحركة العلمية والثقافية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ(السعودية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1417هـ-1997م) ص101-103.

لكن هناك من كتب التراجم والفهارس من تحصر اسمه في: محمد بن عبدالكريم المغيلي فقط، دون إضافة اسم الجد. ومصنفات أخرى تذكر لنا نسبه مضافة إلى اسم الجد، وهي: محمد بن عبدالكريم بن محمد المغيلي.

فالنسب الكامل هو: « محمد بن عبد الكريم بن محمد بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحيى بن علي ابن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناذ بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر-مكررة- بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى السبط ابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت النبي الأكرم محمد عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم».

فيصل نسب المغيلي من جهة أبيه إلى الحسن المثنى ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المغيلي: بفتح الميم نسبة إلى مغيلة قبيلة من البربر استوطنت تلمسان ووهران والمغرب الأقصى، وهي فرع من قبيلة صنهاجة كبرى شعوب الأفاقة البيض. ومغيلة مدينة صغيرة، أسسها الرومان، ولهذه المدينة أرض طيبة في الجبل، وأرض جميلة في السهل.

التلمساني: نسبة إلى تلمسان، باعتبار ميلاد الشيخ ونشأته بها.

التواتي: نسبة إلى إقليم توات بولاية أدرار حالياً. والنسبة إلى توات باعتبار رحلة الشيخ المغيلي إليها، ووفاته بها. وأما الأشعري: فهو نسبة إلى مذهبه في العقيدة، وهو مذهب الإمام الأشعري رحمه الله.

-كنيته ولقبه: يكنى الإمام المغيلي بـ"أبي عبد الله"، وقد ذكرت هذه الكنية عند بعض المترجمين دون بعض. إذ إنه من بعض أهم مصادر التراجم لم تشر إليها ككفاية المحتاج ونيل الابتهاج وتعريف الخلف، وكذلك بعض المراجع كالأعلام. وأما تكنيته بـ"أبي عبد الله" فنسبة إلى ابنه عبد الله، ولم يجر على

عادة العرب في التكنية بالابن البكر، بل ابنه عبد الله هو الابن الأصغر من ضمن الأبناء الثلاثة. وربما تكنى به مبالغة في تدليله وزيادة في حبه.

أما عن لقبه فجاء في مخطوط "أحكام أهل الذمة" أنه يلقب بـ "شمس الدين"، ولم نقف على أحد ذكر هذا اللقب ما عدا الكتاب المذكور من قبل. ولا ندري هل هو لقب حقيقي له، أم أن ناسخ الكتاب اعتبر المغيلي كالشمس التي سطعت من وراء سحاب فبددته، باعتبار أن الشيخ المغيلي قهر اليهود بالجزائر، فبددهم وأجلاهم كمثال تبديد الشمس للسحب؛ فناسب أن يلقبه بـ «شمس الدين». كما ورد في كتاب أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي لقب «محيي الدين» وهي عبارة مدونة من الناسخ قبل البدء في كتابة نص المتن من الشيخ المغيلي. والقول في هذا اللقب مثل القول في اللقب السابق «شمس الدين».

ج- مولده ونشأته:

ولد الشيخ المغيلي في مدينة مغيلة بتلمسان سنة 831هـ الموافق لـ 1427م.

لقد نشأ الإمام المغيلي بين أحضان عائلته المشهورة بالعلم والتقوى والتصوف حيث ظهر العديد من العلماء ونبغ أعلام منهم على سبيل المثال: الشيخ موسى بن يحيى بن عيسى المغيلي المازوني.

كما ترعرع ونشأ بين أحضان شيخ مغيلة (محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي) الشهير بالجلاب، فحفظ عليه القرآن الكريم كما أخذ عنه مبادئ الفقه وأمّهات الكتب الفقهية للمذهب المالكي كالرسالة ومختصر خليل، وابن الحاجب وابن يونس.

كما أخذ الحديث عن الإمام (سعيد المقري) وعلوم العربية من الإمام (يحيى بن ايدر)، وتربى على يد (أبي العباس الوغليسي)، ثم رحل مترجمنا عليه

رحمة الله في طلب العلم فقصد مدينة بجاية وهي يومئذ بلاد علم، وأدرك بها علماء أجلاء ومشايخ فضلاء، فانتفع بمادة ثرية من العلوم كال تفسير والحديث والفقه والأصول وعلوم العربية، ومن بجاية التحق بسيدي عبد الرحمن الثعالبي فنهل منه علوم التصوف وأعطاه الطريقة القادرية لينشرها في قصور توات وإفريقيا الغربية.

- مؤلفاته: خلف لنا الشيخ المغيلي العديد من المؤلفات شملت علوما عديدة، منها التفسير والحديث، والفقه واللغة زادت عن عشرين مؤلفا، محققا وغير محقق، نوجز منها الآتي:

- البدر المنير في علوم التفسير. - الأربعون المغيلية، أو أربعون حديثا. - تفسير سورة الفاتحة. - عمل اليوم والليلة. - مفتاح النظر في الحديث. - إلهام الأنجال أحكام الآجال. - إكليل المغني. - إيضاح السبيل في بيوع الآجال خليل. - تأليف في المنهيات. - حاشية على المختصر. - شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب. - مصباح الأرواح في أصول الفلاح - مفتاح الكنوز. - أجوبة أسئلة الأمير أسكيا للإمام المغيلي - هدية المسترشدين ونصيحة المهتمدين - الرد على المعتزلة - مناظرة المغيلي للسنوسي - الوصية....

- وفاته:

لم يكن فيه اختلاف كبير في تاريخ وفاته، ولكن التاريخ الذي رجحه الكثير من الدارسين هو غرة شهر رمضان سنة 909هـ.

-مخطوطات الإمام المغيلي في البوابة:

عدد مخطوطات الإمام المغيلي حسب كل خزانة	اسم الخزانة أو المكتبة	عنوانه	رقم المخطوط
10	خزانة الشيخ الحاج عبد القادر بن سيدي سالم المغيلي	المفروض في علم الفروض	78
		أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي	79
		منح الوهاب في رد الفكر للصواب	80
		الرد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة	81
		فصل الخطاب في رد الفكر للصواب	82
		رسالة إلى كل مسلم ومسلمة	83
		مختصر في علم الفرائض	84
		فيما يجب على الأمير	85
		ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار	86
	كتاب في المنطق	5938	
01	خزانة إبراهيم الشيخ- موريتانيا	رسالة فيما يجب على الأمير	95
01	المكتبة الوطنية بباريس - فرنسا	شرح موجز لبيان العلم من رجز الملقب بمنح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب	250

01	خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي-كوسام	لب الباب في رد الفكر إلى الصواب وما يتذكر إلا أولو الألباب	488
08	خزانة الحاج محمد بن سالم بن الصافي بكرراوي-زاوية سيد البكري أدرار	قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم	407
		قصيدة بشراك يا قلبي	550
		ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار	574
		المفروض في علم الفروض	588
		كتاب فيما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة	606
		مصباح الأرواح في أصول الفلاح	609
		أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي	610
		مصباح الأرواح في أصول الفلاح (نسخة ثانية)	669
02	خزانة مخبر جامعة أنتا جوب داكار السنغال	رسالة الإمام المغيلي للأمير أسقيا	679
		رسالة الإمام المغيلي للأمير أسقيا (نسخة ثانية)	680
03	دار الوثائق للوزير جنيد	وصايا المغيلي لأسقيا/ واجبات الأمراء	3302
		أجوبة الإمام المغيلي لأسقيا محمد	3347
		أجوبة الامام المغيلي لأسقيا	3349

04	خزانة بن الوليد الوليد	رسال موجهة إلى الاسكية	1679
		فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب المنطق	1680
		المفروض في علم الفروض	1771
		قصيدة للشيخ بن عبد الكريم المغيلي	1765
03	معهد الأبحاث في العلوم الإنسانية IRSH	رسالة إلى الحاج أسكيا	2229
		أجوبة الشيخ الإمام محي الدين	2230
		منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب	2235
01	خزانة بلقاسم ضيف الجزائري للمخطوطات	الرد على المهود	3984
02	خزانة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عبد السلام	شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب	4295
		شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب	5528
02	خزانة الشيخ مولاي أحمد أمحمدي قصر المنصور شروين	المنطق	7677
		المنطق	7678
01	خزانة المرحوم مولاي علي بن مولاي مبارك قريشي	قصيدة بشراك يا قلب	12613
39		المجموع	

خاتمة:

- مجموع الخزائن الكلية في موقع البوابة وصل إلى غاية شهر نوفمبر 2022 إلى: 100 خزنة ومكتبة تقريبا؛ من داخل الوطن وخارجه.
- مجموع الخزائن التي ضمت مخطوطات الإمام المغيلي وصلت إلى: 13 خزنة؛ ثلاث منها خارج الجزائر، والبقية داخل الجزائر، وأغلبها بجنوب الجزائر ولاية أدرار.
- مجموع عدد مخطوطات الإمام المغيلي على البوابة وصلت إلى 39 مخطوطا؛ أكبر نسبة منها في علم المنطق، تليها مخطوطات الفقه والسياسة الشرعية. وهي نسبة ليست بالقليلة مقارنة بالعدد الإجمالي لمخطوطات البوابة الذي يصل إلى عدد 15643 مخطوطا.

المراجع:

الكتب:

1. أبوبكر إسماعيل ميقا، الحركة العلمية والثقافية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ (السعودية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1417هـ-1997م).
2. أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي-الإطار المعرفي والتعاون مع المكانية (الجزائر، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس، ط1، 1433هـ-2012م)
3. إدريس بن خويا، فهرسة خزانة الشيخ مولاي عبد القادر بن مولاي المهدي بن خويا، (الجزائر، دار الكتاب العربي، ط1، 2019).
4. بشار قويدر ود.حساني مختار، مخطوطات ولاية أدرار (الجزائر، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 1999).
5. عبد القادر باجي، الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، (الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011م) 127-103/1.
6. مبروك مقدم، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحية بإمارات ومماليك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة (الجزائر، دار الغرب، وهران، 2002م).

الدوريات:

1. عز الدين مبرك، الرقمنة من المنظور التقني (الجزائر، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية، السياسية والاقتصادية، مجلة دولية محكمة تصدر عن جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، المجلد 12، العدد5، 2022).
2. فراج عبد اللطيف، مفاهيم أساسية في المكتبات الرقمية، مجلة المعلوماتية، العدد 10 (السعودية وزارة التربية والتعليم، 2005).

المواقع الالكترونية:

1. موقع صفحة البوابة
<https://pam.univ-adrar.edu.dz/manustats> بتاريخ 2022/11/15
2. قائمة_خزائن_مخطوطات_ولاية_أدرار
<https://ar.wikipedia.org/wiki/> بتاريخ 2022/11/05.

أثار الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي المخطوطة والمطبوعة

إعداد/ أ.د. محمد الأمين بلغيث

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة

الملخص:

أرى حسب تجربتي المتواضعة في تتبع أخبار وأعمال محمد بن عبد الكريم المغيلي، أن ما هو منجز لحد الآن يحتاج إلى إعادة تقييم وتقييم حتى نسير على طريق البحث العلمي الذي يعتمد على المنهج الصحيح في مراقبة المقالات والمؤلفات الخاصة بشخصية كانت لها تأثير كبير في مسار وتطور حياة دول وشعوب وقبائل في تاريخ غرب إفريقيا.

الكلمات المفتاحية:

المغيلي محمد بن عبد الكريم، منجزات علمية حول المغيلي، التحقيق والنشر بين المنهج العلمي وعمل الهواة. تمنطيط، صحراء، الجزائر، غرب إفريقيا.

The Works of Imām Abū ‘Abdullah Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī

Abstract:

Based on my humble experience in following the news and works of Imām Abū ‘Abdullah Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī, I see that what has been accomplished so far needs to be reassessed and evaluated, so that we can move forward on the path of scientific research that relies on the correct methodology in monitoring articles and publications related to a personality that has had a great influence on the trajectory and development of the lives of countries, peoples, and tribes in the history of West Africa.

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Works on Imām al-Maghīlī, Editing and Publishing between Scientific Methodology and Amateur Work, Tamentit, Sahara, Algeria, West Africa

المدخل العام:

حتى نكون على بينة من أمرنا، هناك مجموعة من العوائق التي تحول بيننا وبين الإحاطة بشخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي رغم الأعمال المنجزة لحد الآن بالجزائر، وأستثني من هذه النقطة أن حصاد عشر سنوات كاملة من 2011 إلى 2022م أن هناك دراسات رصينة من خلال الاحتفاء بالإمام في أقسام وكليات العلوم الاجتماعية والإنسانية والدراسات الإسلامية في أكثر من قطر من أقطار العالم.

ومردّ هذه العوائق تعود أساسًا إلى اضطراب الدارسين وتناقض أعمالهم المنجزة إلى حد الساعة حول اللائحة الكاملة لأعماله، وتزداد الغرابة ويترسخ الغموض إذا كانت هذه الدراسات المنجزة لا تكاد تفرق بين مضامين رسائله وكتبه والأمثلة عديدة، فقد أشار بعض المحققين إلى هذه الغرابة والاضطراب في الإحاطة بمسار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي⁽¹⁾.

لقد عرف القرنان السابع والثامن تناقضات ورثت من أيام القرون السابقة وبالأخص القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي الذي يسميه الدارسون بعصر ابن خلدون⁽²⁾ قد ورث المغربان الأوسط والأقصى

(1) لا يكاد الباحث يبدأ العمل والبحث حول قضايا الإمام المغيلي وعصره. إلا وأحس بالاضطراب في سرد لائحة مضبوطة بمؤلفاته، حيث تتناقض من حيث العدد [الكم] إلى الاختلاف في تنوع الأعمال المنسوبة إليه، خاصة إذا علمنا أنه له أكثر من شرح وتلخيص لعمله الخاص بمصباح الأرواح في أصول الفلاح الذي يعتقد رابع بونار رحمه الله أنه يقوم بنشره دون العودة إلى كتابات من سبقه. راجع محمد بن عبد الكريم المغيلي، رسالة في اليهود، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، وعمر بنميرة، المغرب الأقصى، الرباط، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2005م. ص: 11.

الشيخ الإمام أبي غنيد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي [909هـ] شرح التبيان في علم البيان دراسة وتحقيق الدكتور أبو أزهر بلخير هانم بيروت، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، 2010م. ص: 11 وما بعدها. علي رحومة سحنون، الأيلي نابغة المغرب الكبير وأستاذ ابن خلدون [681/757] الرباط، دار أبي رقرق، 2009م، 11 وما بعدها. سيدي محمد نقادي، إسهامات العلامة الأيلي التلمساني في الحياة

تراجعات وانحلال على جميع المستويات، فقد أصاب المنطقة ضعف غار في حشايا السلطتين المركزيتين: فاس وتلمسان، تجلى ذلك في مضمار التسيير السياسي والاقتصادي كما اتضح في التدبير الإداري والاهتمام الاجتماعيين، ولعله نتج كما في المصادر التاريخية، لأسباب موضوعية، وهنا تكمن معرفة أوضاع ما آل إليه أمر الزيانيين [633هـ/ 1235م . 962هـ/ 1554م] في تلمسان وما لحق الميرانيين [668هـ/ 1269م/ 862هـ/ 1441م] ثم الوطاسيين [823هـ/ 961هـ] [1420 . 1554] ⁽³⁾، فخلال اشتغال الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بالتدريس في تلمسان لاحظ التعفن السياسي الذي يسود عرش بني زيان والتفسخ والانحلال اللذين يعمان مجتمع الحاضرة الزيانية وتكالب القوى الأوروبية ضد البلاد وموانئها ومدنها الساحلية وضد كل بلدان المغرب الأخرى شرقا وغربا ولاحظ كذلك خروج الأمراء وسلطين المغرب عن الجادة الإسلامية وانغماسهم في المذات واستسلامهم لأهواء الأجانب من اليهود والأسبان والبرتغاليين ⁽⁴⁾. يقول صاحب الاستقصا ⁽⁵⁾: «ولما دخلت المائة التاسعة ومضى صدرها وتداعت دول المغرب من بني حفص بإفريقية، وبني زيان بالمغرب الأوسط، وبني مرين بالمغرب الأقصى وبني الأحمر بالأندلس وأشرفت على الهرم وحدثت الفتن بين المسلمين ودامت فيهم واشتغلوا

الفكرية بحواضر المغرب، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011م [تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية] 295 صفحة.

⁽³⁾ أوغست كور، دولة بني وطاس [1420 . 1554]، ترجمة محمد فتحة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم: 12م. المغرب الأقصى 2010م. ص: 25

⁽⁴⁾ د. يحيى بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين [الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز] المجلد الثامن، الجزائر عالم المعرفة 2009م. ص: 64.

⁽⁵⁾ أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لتاريخ دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء الجزء الرابع، دار الكتاب، 1955م. ص: 109 نقلا عن رابح تركي، المغرب العربي تاريخه وثقافته، تصدير محمد الأمين بلغيث، الجزائر، دار الهدى الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة، 2000م. ص: 305.

بأنفسهم عن جهاد عدوهم ومطالبته في أرضه وبلاده، أخذ الأسبان يهاجمون سواحله ويشرعون في احتلالها».

واحاح منطقة توات... الثراء العلمي والرفاهية التجارية⁽⁶⁾

كانت الواحاح التواتية⁽⁷⁾ المركز الذي تتجمع فيه القوافل التجارية القادمة من مصر وتونس وطرابلس وورقلة بشرق الجزائر وتلمسان وفاس ومراكش والمنطقة تابعة للموك تلمسان الزيانيين الذين ربطوا علاقات وثيقة بينهم وبين تجار المنطقة⁽⁸⁾ إن الروابط التجارية التي جمعت بين العاصمة الزيانية والواحاح في توات حاضرة في الحوليات التاريخية فقد كانت توات محطة مركزية من خلال ما كان يجلب إليها من تبر الذهب وسبائكها، وريش النعام وبيضه، والعبيد وملح الطعام والسمن ومادة النيله للصباعة والجلود والجوز وبعض الأنسجة الملونة وتجارة الذهب والنحاس والرقيق المجلوب من غرب إفريقيا من بين أهم القضايا الأساسية المشكلة للتجارة

⁽⁶⁾ يمكن مراجعة الثراء العلمي في توات في كتاب ملتقى الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا وتديسا بحوث الملتقى الوطني بأدرار 23 . 24 جوان 2010م. منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر دار الحكمة.. 267 صفحة.

⁽⁷⁾ انظر: نازلة يهود توات من قصور صحراء المغرب الأوسط، البرزلي، الحاوي، الجزء الأول، رقم: 3272. ص: 207 وجه. الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، الجزء الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، تحقيق مجموعة من علماء المغرب بإشراف الدكتور محمد حجي، 1981م. ص: 215. محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تقديم وتحقيق رابح بونار، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1968م. ص: 65 وما بعدها.

استولى بوعلي بن أبي عثمان بن يعقوب بن عبد الحق على البلاد التواتية انطلاقاً من ولايته التي عينه عليها والده وهي سجلماسة ودرعة ودخل توات عام 714 حيث انتزعتها من عرب المعقل الذين شتتهم في الأمصار راجع: أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي، رائد الحركة الفكرية في توات، معهد الحضارة الإسلامية، جامعة وهران سنة 2000م. ص 50.

⁽⁸⁾ (Jacob oliel، les juifs au Sahara، le Touat au moyen âge ; préface de Théodore Monod ; paris CNRS ; histoire 1994p: 49

الصحراوية في هذا العصر. لهذا استرعت حتى بعض المغامرين الأوروبيين الذين حاولوا الوصول إليها ليطلعوا على حقيقة الأمور، ومن هؤلاء الرحالة الجنوبي مالفانت الذي غامر ووصل إلى قلب السودان الغربي عام 1447م.

كما أن التلمسانيين كانوا يتخذون لأنفسهم مندوبين عمالا تجاريين بأسواق واحات توات والصحراء يحددون لهم الأسعار الرائجة.

كان محمد بن عبد الكريم على علم واطلاع واسع بحقيقة هذه التجارة الصحراوية⁽⁹⁾ فقد كانت واحات توات في هذه الفترة عبارة عن ممالك وإمارات صحراوية يسيطر على أقدارها كبار التجار، والأثرياء وذوو الجاه والنفوذ الديني والاقتصادي.

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي [830 هـ . 1425 م . (909 هـ/1503)⁽¹⁰⁾.

بين الإصلاح الاجتماعي ومقاومة الاستبداد والطغيان اليهودي.

قبل هجرة الإمام المغيلي والانسحاب من الشمال إلى واحات توات وهذا قبل رحلته إلى المشرق [كانت رحلته إلى المشرق في حدود 866 هـ/1462م] للأخذ عن القاضي التواتي يحيى بن يدير [كان يحيى بن بدير قاضيا في توات سنة 845 هـ. 1441م] وإذا ثبت هذا الأمر فقد تكون رحلته وانسحابه إلى توات في حدود 845 هـ/1441م] وهذا في رحلته الأولى لطلب العلم على يد قاضي توات يحيى بن يدير ثم كانت له رحلة مشرقية ثم عاد إلى توات في حدود 877 هـ/1472م⁽¹¹⁾ وفي هذه الأثناء تتحدث الحوليات التاريخية عن نفوذ دولي للجاليات اليهودية في العالم الإسلامي

⁽⁹⁾ يحيى بوعزيز تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، ص: 65.

⁽¹⁰⁾ راجع الاختلاف الكبير حول ميلاد ووفاة الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح التبيان، ص/ 21. 69.

⁽¹¹⁾ يبدو أن الاضطراب في تحديد معالم شخصية الإمام المغيلي واضحة نظرا لصعوبة التحقيق وتتبع مساره التاريخي والعلمي راجع حدة عبد القادر نويجم، آثار الإمام

يهود المال والبلاط في دول الغرب الإسلامي⁽¹²⁾

يقول أحد الباحثين⁽¹³⁾ إنَّ قصور توات وتيكرارين تمنطيط وأسملال وأولف وزاوية كونتة وفتوغيل، كلّها أسماء تشهد لهذا الإمام زُهدَه ودعوته وعلمه وورعه، هذه المناطق التي زارها صال وجال فيها يقوم بمهمّة الدّعوة إلى الله والإصلاح، ونشر المبادئ الإسلاميّة الصّحيحة النّقيّة كما عرفها السّلف الصّالح من الصّحابة والتّابعين - رضوان الله عليهم أجمعين - وقد احتضنته القبيلة العربيّة الأصيلة (بني سعيد)، حيث عاش بينهم كواحد منهم يحترمونه ويجلونه، ويستمعون إلى دروسه ويتبعون دعوته، حتّى بدأ يكتشف دسائس اليهود الذين كانوا يعيشون في المنطقة منذ زمن بعيد، وكانوا يستخوذون على السلطة الاقتصاديّة والموارد الماليّة، وأفسدوا الأخلاق والذّمم - كما هي عادتهم دائماً - حيث إنهم كانوا يتحكّمون في أكبر كنزٍ في الصّحراء ألا وهو: الماء، كما أنّهم قاموا ببناء معبد لهم في واحة تمنطيط خارقين بذلك اليهود التي بينهم وبين المسلمين، وقد شنّ عليهم المغيلي حرباً شعواء لا هوادة فيها، لوضع حدّ نهائي لتجاوزاتهم واستهانتهم بالدين الإسلامي، لقد ضيق عليهم الخناق وبذلك ظهرت ما يسمّى "بنازلة توات." يقول شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله⁽¹⁴⁾ في معلمته [تاريخ الجزائر الثقافي] مؤرخاً لهذا الحادث التي تعتبر من المحطات الهامة في تاريخ الشيخ يقول: «ولما رأى المغيلي ذلك [أي تسلط اليهود وتعدّهم حدود غير المسلمين القانونية في دار الإسلام] استفتى علماء تلمسان وفاس وتونس على هدم بيع

المغيلي في علوم الشريعة وأماكن العثور عليها؛ مذكرة ماجستير إشراف مبروك المصري كلية أصول الدين، الموسم الجامعي 1422. 1423. 2001. 2002. م. ص 3.⁽¹²⁾ راجع صورة مرعبة، د. رضا بن رجب، يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية، بيروت، المدار الإسلامي، 2010م.

⁽¹³⁾ د. بن يحيى الطاهر ناعوس، سيرة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني،

مقالات متعلّقة تاريخ الإضافة: 2010/6/9 ميلادي - 1431/6/26 هجري
⁽¹⁴⁾ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي [موسوعة أعمال الدكتور أبو القاسم سعد الله]، الجزائر، الجزء الأول [1830/1500] عالم المعرفة، 2015م. ص: 54.

اليهود في تونان، فانقسموا، ولكن الأغلبية كانت مع الرأي القائل بوجود هدمها فهدمت وشار المغيلي نفسه في ذلك، ومن الذين انتصروا له محمد بن يوسف السينوسي، ومحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، وأحمد بن زكري [مفتي تلمسان] بالإضافة إلى مفتي فاس ومفتي تونس. فقد هنا السنوسي زميله المغيلي على شجاعته وقيامه بواجب الدين في وقت فسد فيه الزمان وضعفت فيه فريضة النهي عن المنكر وسادت فيه [مداهنة من يتقي شوكته] أما التنسي فقد كتب إلى المغيلي جوابا مطولا يستصوب رأيه ويبارك عمله. ذكر الحسن الوزان⁽¹⁵⁾ أن عددا من اليهود قد نزلوا، بعد طردهم من الأندلس وصقلية، في القورارة وتوات، وكانت القورارة في مفترق الطرق التجارية بين فاس وتلمسان والصحراء، وكان هؤلاء اليهود قد استغنوا جدا، وهذا ما أدى إلى تدخل المغيلي لأنه رأى نفوذهم قد تعظم.

هل يعرف الإمام المغيلي هذه السيطرة الدولية التي عبر عن حقيقتها المؤرخون اليهود، فهذا المؤرخ الاقتصادي فيشل يقول: «إن هذه السيطرة مردها إلى خبرة في جمع واستثمار المال عند اليهود، فهل هو نفس المخرج الذي نعرفه في عصرنا على الأقل من خلال كتاب جاك أطالي العالم والمال واليهود»⁽¹⁶⁾.

الإمام المغيلي المؤلف وناشر العلم.

أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي [909هـ / م1503]، شخصية محورية بين أعلام عصره، لهذا يتساءل الباحث الصحفي، لمن كان يكتب هذا

⁽¹⁵⁾ الفاسي، الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983 م. ص: 167 ب [الجزء الثاني]

⁽¹⁶⁾ ولتر. ج. فيشل يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية الإسلامية في العصور الوسطى، نقله إلى العربية وقدم له الدكتور سهيل زكار، بيروت، دار الفكر 1988 م. ص 25 وما بعدها. مارك ر. كوهين، بين الهلال والصليب، وضع اليهود في القرون الوسطى، ترجمة إسلام ديه، ومعز خلفاوي، قدم له صادق جلال العظم، بغداد [العراق]، كولونيا [ألمانيا]، منشورات الجمل، 2007 م. ط1. جورج ميني [Georges Meynié] تاريخ اليهود في الجزائر، ترجمة لبنى مسعودي، مراجعة جمال بن عمار الأحمر، الجزائر، مكتبة عراس، 2016 م.

الشيخ والولي الصالح الذي ملأ دنيا الناس في عصره، ولا يزال، وما مستوى المتلقي في عصره لهذه المصنفات؟

أعتقد أن الرجل يحمل همّ أمة تعيش مرحلة التراجع والارتكاس في مواجهة الظاهرة الغربية التي سادت منذ القرن 13م، وهي سيدة البر والبحر اليوم، كما ذهب إلى هذا جل من عالجا قضايا العمران والحضارة بين ارتكاس حضارة وعمران المسلمين، وبين صعود الغرب الصليبي بكل ما يحمل من أحقاد الماضي وتراكماته منذ ظهور الرسالة إلى أيام الصراع الفكري منذ فجر عصر يوحنا الدمشقي مروراً بكل المجادلين ضمن ما يعرف بالحرب الصليبية الفكرية، إلى غاية الحملات الصليبية مشرقاً ومغرباً والتي أنهكت قوى العالم الإسلامي في مواجهة همجية الغرب بجحافلهم ورهبانهم، ورغم أن أمة الإسلام لا تزال منتجة للعلم ومدافعة عن ذاتها وكيانها إلا أنها تعرضت إلى عمليات الهدم المنظم إلى غاية سقوط كبريات الحواضر في الغرب الإسلامي وإنهاء الوجود الإسلامي في أقصى الجنوب الغربي لأوروبا الغربية⁽¹⁷⁾.

عالج المفكر والمؤرخ الأمريكي هودجسون، معضلة قراءة التاريخ، لهذا نقول لماذا نقرأ تاريخنا وكيف نتجنب القراءات المتحيزة؟⁽¹⁸⁾، والأدهى والأمر أن تاريخنا يدخل في باب قصور الاستشراق ومنهج نقد العلم الحدائي بصورة مغايرة للحقائق والمناهج العلمية⁽¹⁹⁾

⁽¹⁷⁾ راجع موسوعة راقية منصفة لحضارة وتاريخ الإسلام، مارشال هودجسون، مغامرة الإسلام [الضمير والتاريخ في حضارة عالمية]، ترجمة أسامة غاوجي، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2021م. [3 مجلدات في 2250 صفحة]

⁽¹⁸⁾ محمد شعبان صوان، معضلة قراءة التاريخ، دار الروافد، ابن التديم للنشر والتوزيع، بيروت، الجزائر، 2020م. ص: 177 وما بعدها.

⁽¹⁹⁾ د.وائل حلاق، قصور الاستشراق [منهج في نقد العلم الحدائي، ترجمة عمرو عثمان، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2019م. ص: 29.

أين نضع أعمال المغيلي ضمن الذخيرة الثقافية العربية الإسلامية؟

حصاد ربع قرن من التحقيق والنشر.

تعود معرفتي بأثار الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى سنة 1982م تقريبا حين كلفتني جريدة الشعب الغراء، التعريف بأعلام الجزائر في العصر الوسيط المتأخر، فكان حظي أن قدت حلقات من بين أهم شخصيات ذلك العصر الإمام أحمد بن يحيى الونشريسي⁽²⁰⁾، والشيخ المصلح أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي شاركت بدراسة أولية ضمن أعمال ملتقى دولي بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية⁽²¹⁾.

وأرخت لربع قرن من الحصاد لأنني أتذكر أنني التقيت في شهر ديسمبر 1997م، الباحث مقدم مبروك بمدينة عين صالح في ملتقى نظمه اتحاد المؤرخين الجزائريين بالاشتراك مع وزارة المجاهدين ممثلة في المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م. وعرفت منه اهتمامه الشديد بجمع ونشر أثار الشيخ المغيلي رحمه الله.

أولا: الأعمال المفردة المنشورة.

نحن نفرق بين الأعمال أو الكتب المنشورة والمحقة ضمن الإحصاء الذي قمنا به في هذه الورقة، وهذه الأعمال التي تكون عادة في صدارة الدراسة هي التي تقترب من الأعمال التي تلتزم بشروط تحقيق المخطوط كما تعلمنا منهج تحقيقها من شيوخ التحقيق: عبد السلام هارون، صلاح الدين المنجد، الدكتور و داد القاضي وأستاذها إحسان عباس، وآخر المحققين من جيل الشباب الأستاذ عبد العزيز الساوري.

⁽²⁰⁾ نشرت رسالته الولايات في سنة 1985/ بدار لافوميك للنشر والتوزيع، وطبعة ثانية ضمن أعمال غير الكاملة سنة 2014م ضمن المجلد السابع، منشورات القافلة للنشر والتوزيع.

⁽²¹⁾ محمد الأمين بلغيث، الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي وفجر التغيرات في القرن التاسع الهجري، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، سنة 2011م. ص: 11-23.

/ مجهود مقدم مبروك واجتهاده.

حسب معرفتي بأثار الأستاذ العصامي مقدم مبروك وأعماله، فأنا أعرف أنه رجل إداري بالدرجة الأولى حمله حبه للعلم والعلماء جمع آثار الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ومخطوطاته، ونشر منها ما يلي:

أ/وصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لأبي عبد الله محمد بن يعقوب زنقا وهي في ورقات قليلة جدا، سبق أن قدم دراسة وافية مع تصدير لأحدى الرسائل، وهذا التقديم جاء في حدود 108 صفحة يبدأ نص الوصية من صفحة 109 وينتهي في صفحة 127، والنص الأصلي عبارة عن ورقات قليلة، والمعروف أن من شروط التحقيق العلمي دون حشو أو خلط بين معلومات من هنا وهناك هو الالتزام بما يلي.

الغاية من تحقيق النص التراثي ولو كان في أوراق قليلة جدا.

النسخ المتعددة للمخطوط وأماكن وجودها وأرقامها في فهرس وسجلات المكتبات إن كانت عمومية أو خاصة عائلية أو ملكية شخصية، وعادة يكتب المحقق أو المؤلف الثاني بالتدقيق في نشر النص كما كان يتمنى أن يراه مؤلفه.

أما دون ذلك فهو مضيعة لوقت القارئ وتغطية على النص الأصلي ولو كان المحقق [المؤلف الثاني عبقرى زمانه].

ب/جملة مختصرة فيما يجب على الأمير من حسن النية.

/يبدأ المخطوط الأصلي أو نص المخطوط من صفحة 275 وينتهي عند صفحة 348 مع العلم أن حواشي المحقق بين قوسين تتجاوز الأسطر القليلة للمتن بمعنى تفوق كلام المحقق على نص المؤلف المجتهد سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي.

الرسالة الأولى والثانية كلها في مجلد واحد على ورق صقيل رفيع المستوى. في 360 صفحة وللقارئ الكريم واسع النظر، وقرات قليلة من أعمال محمد بن عبد الكريم المغيلي لا تتجاوز العشرين ورقة، استهلكت من الورق الدمشقي كل هذه الصفحات مع تقديم لشخصيات سياسية وعلمية لا علاقة لها بالشيخ محمد بن الكريم المغيلي.

المجلد الثاني من مدونة الفقه التصوفي؟

ج/ الرسالة الأولى من المجلد الثاني/ مصباح الأرواح في أصول الفلاح يبدأ التحقيق من صفحة 134 وينتهي عند الصفحة 229، وقبلها عبارة عن مقدمات وممهّدات وأي كلام حول مولد ونشأة المغيلي في حوالي 35 صفحة وقبل ذلك مقدمة وتقديم واستهلال بالمختصر المفيد نص المؤلف الثاني يطغى على النص المطلوب مع حشو فاحش وتكرار ممل لأشياء ومعلومات متوفرة في عشرات الكتب الخاصة بفن التصوف [ولأول مرة في حياتي أقرأ عنوان الفقه التصوفي].

د.الرسالة الثانية جملة مختصرة في الرد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة. يبدأ النص من صفحة 345 وينتهي عند الصفحة 387، والغريب في الأمر أن المحقق أو المؤلف الثاني يختم المخطوط بخلاصة يقول فيها ما يشاء. [مطبوع طبعة دون محقق بدار إبراهيم بيضون عام 2020م]

المجلد الثالث من مدونة الفقه النوازي.

المجلد الرابع: الفقه الجدلي.

المجلد الرابع: نازلة يهود توات جمع فيه فتاوى العلماء حول نازلة توات. خلاصة القول إنّ مدونة الباحث مقدم مبروك، جهد كبير لكنه لا يقف عند المنهج العلمي لتحقيق تراثنا العربي المخطوط، يمكن للباحث أن يكتب ما يشاء، لكن لا يمكن أن نقتل نصا تراثيا في أي فن من الفنون بهوامش

طويلة لا معنى لها، ومقدمات تتجاوز النص التراثي بعشرات المرات، وهو ما أقسد على القارئ حسب علمي واجتهادي رسم صورة شاملة لهذا العالم والولي الرباني الذي عرفناها مجاهدا صارما في تنزيل أحكام الشريعة على الأمراء والرعية.

تبقى هذه الرسائل في أمس الحاجة إلى خبير في التحقيق وكل رسالة أونص مهما كان حجمه وعدد أوراقه أن يطبع كل على حدا حتى تتحقق الغاية من نشر مؤلفات الشيخ العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي.

د/ رسالة في الغلائف للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني/
الرسالة من منشورات ديوان المطبوعات الجامعية سنة 2016م. [أو رسالة في أهل الذمة].

بدأ عمله بتصدير للأستاذ عشراتي، ثم مقدمة حدد فيها مؤلفات المغيلي وأوصلها إلى سبع وستين مؤلفا ورسالة، ثم أعاد تكرار محفوظاته ومقروءاته حول التصوف الذي يسميه المشارب الصوفية الاستشراقية [الصحيح الاشرافي]

النص التراثي يبدأ من صفحة 205 وينتهي عند الصفحة 220 والبقية فهرس الآيات القرآنية، مع لائحة بالمخطوطات حتى من غير رسالة الغلائف، ولله في خلقه شؤون.

ثانيا التحقيق العلمي لأعمال محمد بن عبد الكريم المغيلي

أولا: أرى أن أحسن من حقق نصًا راقيا للشيخ المغيلي هو الباحث الدكتور أبو أزهر بلخير هانم، لمخطوط شرح التبيان في علم البيان، المطبوع ضمن منشورات محمد علي بيضون ببيروت سنة 2010م. وجاء النص في 543 صفحة من الحجم الكبير على ورق جميل بغلاف جلدي أسود وألوان خطوط المجلد راقية تلفت انتباه القارئ المتلقي لعلم البيان، والتعمق في معرفة شخصية العالم الرباني محمد بن عبد الكريم المغيلي وهذا الكتاب سفير مفوض فوق

العادة لتقديم سمو ونضح ومكانة عالم مدقق ومحقق نبيه، وأما المؤلف الثاني فيكفيه فخرا أنه تخرج على يد شيوخ وأساتذة أحسنوا توجيهه، وتعليمه أمانة أن تنقل نصًا في حكم الموات [مخطوط] إلى الحياة في حلة راقية وخطوط منسجمة وأوراق وخطوط وأسطر متساوية تدعوك للقراءة والتأمل حتى لو كان النص في غير اهتمامك وتخصصك، وهذا هو فن العرض والمقابلة والتحقيق كما أوصى بها رجال هذا العلم الشريف.

ثانيًا: لبُّ اللُّباب في رد الفكر إلى الصواب، تحقيق وتقديم أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، بيروت

دار ابن حزم، 2006م. نص ينشر لأول مرة من ناشر ومحقق عصامي لكنه لا يتعبك بكثرة كلامه ومقدماته وممهدهاته، ولا يخرج بك عن جادة النص ويبقى هذا النص الذي جاء في 78 صفحة، وحاول المؤلف الثاني الالتزام بأصول التحقيق من خلال عرضة لمكان ونسخ المخطوط مع أوراق توضيحية لخطوطه ونسخه المعتمدة.

ثالثًا: أعمال الأستاذ الدكتور عبد القادر زبادية، والشيخ رابح بونار ضمن سلسلة [ذخائر المغرب العربي]، هي فاتحة التحقيق ونشر المخطوطات ونوادير النصوص، وتبقى عامة مدرسة واجتهاد أساتذة وشيوخ أفنوا أعمارهم في نشر المعرفة والحفاظ على كنوزنا الخطية مهما اختلفنا معهم فهم جيل التأسيس الذي اقتحم هذا الباب الصعب وولج قصرًا متعدد الغرف، واسع الأرجاء به أسرار ومفاتيح ينوء حملها العصابة من الرجال والنساء.

تبقى ملاحظة/ أخيرة من نصدق:

خلاصة القول:

هل أعمال ورسائل الشيخ محمد بن عبد الكريم هي كل هذه الأرقام المجردة ما بين سبع وثلاثين رسالة وكتاب المحقق منها فقط هذه العناوين

التي ذكرنا أو التي هي بحوزتنا فلا يمكن للباحث مهما كان حريصًا وأمينًا أن يعرف ما يطبع في مدارات هذا الكون الفسيح.

كما لا يمكن الاستهانة بالأعمال العلمية التي تعالج قضايا الجاليات اليهودية ومخاطر الجاليات النصرانية ورجال الدين المسيحي الذين كانوا يمثلون الطرف الأقوى تأثيرًا في عملية الاحتلال الغربي لديار المسلمين في إفريقيا ما وراء الصحراء كما لا يمكن للنبيه دون أن ينسى الباحث الحصيف أدوار الجاليات الأجنبية التي عاشت بين أظهرنا وتسلمت إلى مقدراتنا الاقتصادية وتنفذت إلى حد التآمر على البلاد والعباد.

المصادر والمراجع:

أولا المصادر

1. الفاسي، الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983م.
2. 1 المغيلي، محمد بن عبد الكريم، رسالة في اليهود، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، وعمر بنميرة، المغرب الأقصى، الرباط، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2005م.
3. 12 الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي [909هـ] شرح التبيان في علم البيان دراسة وتحقيق الدكتور أبو أزهر بلخير هانم بيروت، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، 2010م.
4. 4. المغيلي، محمد لبن عبد الكريم، لبُّ اللُّباب في رد الفكر إلى الصواب، تحقيق وتقديم أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، بيروت، دار ابن حزم، 2006م.
5. 5. المغيلي، محمد بن عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تقديم وتحقيق رابع بونار، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1968م.
6. 6. الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، الجزء الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، تحقيق مجموعة من علماء المغرب بإشراف الدكتور محمد حجي، 1981م.

7. الونشريسي، أحمد بن يحيى، كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، دراسة وتعليق، محمد الأمين بلغيث، أعمال غير الكاملة، الجزائر، القافلة للنشر والتوزيع، 2014م. [المجلد السابع].

ثانيا المراجع

الكتب/

1. بوعزيز، يحيى، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين [الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز] المجلد الثامن، الجزائر عالم المعرفة 2009م.
2. تركي، رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، تصدير محمد الأمين بلغيث، الجزائر، دار الهدى الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة، 2000م.
3. حلاق، وائل، قصور الاستشراق [منهج في نقد العلم الحدائي، ترجمة عمرو عثمان، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2019م
4. الحمدي، أحمد، محمد بن عبد الكريم المغيلي، رائد الحركة الفكرية في توات، معهد الحضارة الإسلامية، جامعة وهران سنة 2000م.
5. بن رجب رضا، يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية، بيروت، المدار الإسلامي، 2010م.
6. سحنون، علي رحومة، الأبلي نابغة المغرب الكبير وأستاذ ابن خلدون [681/757] الرباط، دار أبي رقرق، 2009م،
7. سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي [موسوعة أعمال الدكتور أبو القاسم سعد الله]، الجزائر، الجزء الأول [1830/1500] عالم المعرفة، 2015م.
8. نقادي، سيدي محمد، إسهامات العلامة الأبلي التلمساني في الحياة الفكرية بحواضر المغرب، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011م [تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية]
9. كتاب ملتقى الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا وتدرسا بحوث الملتقى الوطني بأدرار 23 . 24 جوان 2010م. منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر دار الحكمة.

10. حدة عبد القادر نويجم، آثار الإمام المغيلي في علوم الشريعة وأماكن العثور عليها؛ مذكرة ماجستير إشراف مبروك المصري كلية أصول الدين، الموسم الجامعي 1422. 1423. 2001. 2002م.

المقالات

1. بلغيث، محمد الأمين، الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي وفجر التغيرات في القرن التاسع الهجري، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، سنة 2011م.

المراجع باللغة الأجنبية والمترجمة.

1. أوغست كور، دولة بني وطاس [1420 . 1554]، ترجمة محمد فتحة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم: 12م. المغرب الأقصى 2010م.

2. مارك ر. كوهين، بين الهلال والصليب، وضع اليهود في القرون الوسطى، ترجمة إسلام ديه، ومعز خلفاوي، قدم له صادق جلال العظم، بغداد [العراق]، كولونيا [ألمانيا]، منشورات الجمل، 2007م. ط1.

3. جورج مينيني [Georges Meynié] تاريخ اليهود في الجزائر، ترجمة لبي مسعودي، مراجعة جمال بن عمار الأحمر، الجزائر، مكتبة عراس، 2016م.

4. ولتر. ج. فيشل يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية الإسلامية في العصور الوسطى، نقله إلى العربية وقدم له الدكتور سهيل زكار، بيروت، دار الفكر 1988م.

5. هودجسون، مارشال، مغامرة الإسلام [الضمير والتاريخ في حضارة عالمية]، ترجمة أسامة غاوجي، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2021م. [3 مجلدات في 2250 صفحة]

المراجع باللغة الأجنبية

1. Jacob oliel, les juifs au Sahara, le Touat au moyen âge ; préface de Théodore Monod ; Paris CNRS ; histoire 1994

التراث العلمي وإلمعرفي للإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي: قراءة في بعض مؤلفاته الدينية والأدبية والفكرية

الدكتور أمين الله آدمو الغمبيري

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية والشريعة جامعة بايرو، كنو- نيجيريا

ملخص:

تمتاز الأمة الإسلامية بكونها أمة ذات ماض حضاري ثري، أغنت الفكر الإنساني بالعلوم والمعارف واختطت مناهج صحيحة للبحث العلمي فاتحة أمام العقل أبواب العلم والمعرفة مما جعل تراثها يملأ آفاق العالم. وتراثها من حيث هو تراث عقدي وفكري؛ ودراسات في شتى المجالات انطلاقاً من الاجتهاد المتعامل مع الأصول الإسلامية. وقد تبوأ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت: 909هـ) مكانة متميزة بإنتاجات علمية تأثرت بها مشاعر من عاصره، وتفاعلت معها عقول من جاء بعده من العلماء. وهذا البحث ملم بجملته من الموضوعات، تناولها الإمام من خلال مخطوطاته وأكد فيها كيانه العلمي والفكري الذي يشعر الباحث بأهميته بمكان، متخذاً لذلك المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي. ومبرزا من نتائجه أن تراث هذا الإمام ثروة علمية، وذخيرة معرفية لها قيمتها في التأليف نثراً ونظماً تتزايد بمرور الوقت والزمن.

الكلمات المفتاحية:

المغيلي، التراث، العلم، المعرفة: القراءة، المؤلفات: الدين: الأدب: الفكر.

The Scientific Legacy of Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī: Reflection in some of His Works

Abstract

The Muslim nation has been particularized with richable civilized past, that designed solid methodologies for intellectual research. Thus Imām al-Maghīlī (d.909A.H) acceded high status with his prolific intellectual writings, in which this paper intends to discuss in academic style, so that the reader will discover the horizon of his intellectual legacy in the scholarship arena.

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Legacy, Science, Knowledge, Reading, Works, Religion, Leterature, Thought.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه
أجمعين. وبعد:

فإن الإحساس بقيمة التراث العلمي والمعرفي الذي يعتبر الكنز الثمين
الذي خلفه الأجداد للأحفاد، والآباء للأبناء، والإيمان بوجود إحيائه الذي
يدعو إلى المثابرة لنفض الغبار عنه، ناشئ عن قناعة القائم بحمل تحقيق
هذا التراث ودراسته دراسة تحليلية والتعليق عليه بشكل يجعل القارئ
مدركاً أن عصارة فكر الآباء والأجداد، متمثلة في ذلك التراث كنتاج ثقافتهم
وعبق تاريخهم، وروائع حضارتهم. وذلك كله عامل أساسي على توثيق الصلة
به، والسعي إلى إبراز قيمته تحقيقاً ودراسة وتعليقاً ونشراً.

وإن كان هذا العمل الذي يقدمه الباحث لا يتمركز بالأساس على تحقيق
شيء من مخطوطات الإمام المغيلي لكنه جهد بسيط الغرض منه تقييم جوانب
مضيئة ذات قيمة علمية منها: تراثه العلمي والمعرفي، وقد تم تحقيق كثير من
ذلك على أيدي بعض الباحثين الدارسين المحققين. والغرض من هذا التقديم
إذاً، دراسة تحليلية للمعلومات النفيسة التي تستفاد من مؤلفات الإمام المغيلي
فقهياً وفكراً وسياسة لإصلاح الدين والحياة.

ومن الجوانب المهمة التي سيجعلها هذا البحث نصب عينيه بالتحليل
ما يأتي:

1. نماذج مختارة من تواليفه وموضوعاتها التي تتعلق بالفقه والدعوة
والسيرة النبوية والأدب والتفسير والمنطق والاجتماع، والتي بقيت تراثاً ثرياً
للأمة الحاضرة في العلم والمعرفة بقدر ما كان دلالة واضحة على عراقة
ثقافتنا وحضارتنا في ربوع القارة الأفريقية والعالم الإسلامي كله.

ومن مؤلفات الإمام المغيلي التي سيتطرق إليها البحث في هذه الورقة،
تفسير سورة الفاتحة، ومصباح الأرواح في أصول الفلاح. وقصيدته في جواز

تعلم المنطق وتعليمه، وقصيدته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بعنوان: "بشراك يا قلب".

وسينتظم هيكل هذا البحث في ثلاثة مباحث بعد هذه المقدمة وملخص قبلها حسب الترتيبات الآتية:

المبحث الأول: نبذة عن شخصية الإمام محمد عبد الكريم المغيلي العلمية. وذلك يكون في ثلاثة عناصر:

أ- اسمه ونسبه وكنيته وألقابه.

ب- مولده وشيوخه وتلاميذه.

ج- رحلاته في نشر العلم والدعوة الإسلامية في الجزائر وفي بلاد السودان الغربي.

المبحث الثاني: التراث العلمي والمعرفي لدى الإمام المغيلي.

يتفرّع هذا المبحث إلى ثلاثة عناصر كالآتي:

أ- التعريف بالتراث من حيث اللغة والاصطلاح.

ب- التعريف بالعلم والمعرفة لغة واصطلاحاً.

ج- التراث العلمي والمعرفي لدى الإمام المغيلي.

المبحث الثالث: نماذج من التراث العلمي والمعرفي من خلال بعض مؤلفات الإمام المغيلي دراسة وتحليلاً. وله ثلاثة عناصر كما يلي:

أ- نماذج من تراث الإمام المغيلي العلمي في خصوص الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله والتوعية الإسلامية.

ب- نماذج من تراث الإمام المغيلي العلمي في بعض الفنون العلمية والأدبية.

ج- نماذج تراث الإمام المغيلي المعرفي المتصل بالفكر.

الخاتمة.

المبحث الأول: نبذة عن حياة الإمام محمد عبد الكريم المغيلي وشخصيته وخلفيته العلمية

وهذا يكون في ثلاثة عناصر:

أ- اسمه ونسبته وكنيته ولقبه:

أما اسمه فهو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن مخلوف بن علي بن حسن بن يحيى بن علي بن الحسن بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس... بن عبد الله بن الكامل بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها وأبنائها⁽¹⁾

وبهذا يتبين لنا أن نسبه يصل وصولاً غير منقطع بالعترة الشريفة. وفي مدينة كنو مثلاً يطلق على أحفاده الذين يتوارثون اليوم خلافة بيته وشرافة نسبه بالشرفاء (SHARIFAI) وهؤلاء الأحفاد ما زالوا ذوي مكانة رسمية معترف بكيانها الروحي في القصر الملكي في هذه الإمارة، ويتمتعون كذلك بالاحترام اللائق بهذه الشرافة لدى الناس. وحارتهم التي يسكن أكثر أحفاده فيها بهذه المدينة تسمى حارة الشرفاء (UNGUWAR SHARIFAI). والإمام المغيلي كان أول من جاء بالطريقة القادرية إلى نيجيريا على أرجح الأقوال.

ونسبته لتلمسان لأنه كان من مواليد إحدى ضواحيها نشأة وترعرعا وتلقيا لمبادئ العلوم بهذه البلدة المباركة وتعود تسمية هذه البلدة إلى كلمة

⁽¹⁾ حسين زيفعي، تحقيق ودراسة وتعليق على: ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ت: 909هـ. رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 1433هـ - 1434هـ، ص 58. ويعلق كاتب هذه الرسالة الجامعية على توثيق هذا النسب بأن الشيخ محمد الكنتي ذكر في آخر ما كتبه عن الإمام المغيلي، "أنه أخبره الشيخ محمد الخليفة بن الشيخ محمد يسدي المختار الكنتي أنه اطلع على هذا النسب بنفسه في الكتاب المعروف بالكواكب الوقادة في أخبار مشائخ الرقادة لمؤلفه محمد مصطفى بن عبد المؤمن بن علي بن أحمد من أعلام الزاوية الكنتية التواتية، توفي 1232م.

بربرية الأصل وهي مركبة تركيبيا مزجيا من كلمتين أولاهما تِلْمُ بكسرتي التاء واللام وسكون الميم وسين مهملة وهي بمعنى تَجَمَّعُ، والثانية سان يعنى بها اثنتين. إشارة إلى موقعها الجغرافي الطبيعي الجامع لناحية الصحراء والتل. ومن قائل أن كلمتين تفيدان البر والبحر ومنهم من يسميها بتنمسان عوض اللام. وتلمسان قاعدة المغرب الأوسط وهي وما حولها إقليم وفيه بالخيرات ووسائل الرخاء.⁽²⁾

وكنيته أبو عبد الله كني بأكبر أولاده الذكور، وكان منعوتا بألقاب كثيرة وموصوفا بنعوت متعددة تحمل كلها معاني التقدير والإجلال وأشهر هذه الألقاب الإمام، العالم، العلامة، الفهامة، القدوة الصالح السني، ممن له بسطة في الفهم، متمكن المحبة في السنة، وبغض أعداء الدين، خاتمة المحققين، والعلماء العاملين، الحبر، النبيل، صاحب البراعة والتفنن في العلوم والصالح والدين، المتين محيي الدين سيف الإله،⁽³⁾ ولقَّبه السيوطي بالحبر والنبيل بمعنى هو الحبر النبيل حيث جعله موضع ثنائه في مستهل قصيدته التي رد على المغيلي بها في خصوص علم المنطق قائلا:

عجبت لنظم ما سمعت بمثله * أتاني عن حبر أقرُّ بنبله
وأخيرا قال معترفا له بفضلته وإمامته في الدين والعلم:

سلام على هذا الإمام فكم له * لديّ ثناء واعتراف بفضلته⁽⁴⁾

⁽²⁾ أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، (دار صادر، بدون تاريخ)، ج 2 ص 44. ومحمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، (مكتبة ابنان، ط 1، 1984م) ص 135-136.

⁽³⁾ نبذة عن حياة الإمام الثعالبي، تقديم الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد، تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث الإسلامي، ومؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م، ج 1، ص 30. والتنكي أبو العباس أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، (دار الكتب العربية، د.ت)، ص 331.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه ص 31.

ب- مولده وشيوخه وتلاميذه

ولد بقرية تسمى مغيلة ونسبته إليها للمكان ليست للقبيلة وذلك في عام 831هـ الموافق 1427م كما رجحه الأستاذ مبروك لأن الأقوال متضاربة في تحديد سنة ولادته.⁽⁵⁾ تتلمذ كثيرا على أيدي عباقره من علماء زمانه وأبرزهم الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الملقب بالجلاب ت 877هـ 1470م والشيخ العلامة أبو العباس أبو عيسى، وهو من أوائل شيوخه، والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت 875هـ 1470م وقد تزوج المغيلي بنته زينب فانتظم في سلك أصهاره كما انتظم ذلك في عروة تلامذته المشاهير ومنهم الشيخ يحيى بن بدر بن عتيق التدكسي التلمساني أبو زكريا وغيرهم.⁽⁶⁾

ومن تلاميذه عمر بن أحمد البكاري بن محمد الكنتي بن علي ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي والشيخ إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي والشيخ العاقب بن عبد الله الأخصمني المسوفي والشيخ محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذخي

ج- رحلاته في نشر العلم والدعوة الإسلامية في الجزائر وما جاورها في بلاد السودان الغربي:

ورحل إلى توات في آخر عصر الدولة المرينية بالمغرب التي صادفت وقت اختلال نظامها وهي مهملة اقتصر حكمها على أيدي شيوخها وعجائزها،

(5) حسين زيغمي، المرجع السابق، ص 58 وما بعدها.

(6) الحمدي أحمد، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات أثره وأثاره، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، الجزائر، عام دراسي 1999-2000م، ص 34. ونور الدين أحمد حاج، المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم أصول الدين، فرع دعوة وإعلان بجامع الحاج خضر، باتنة، العام الجامعي 1431-1432هـ – 2010-2011م، ص 30 وما بعدها.

الأمر الذي ساعد في فشو الفساد والمنكر على أرضها فقصدتها الإمام المغيلي لإصلاح أوضاعها إصلاحاً دينياً وسياسياً واقتصادياً.

وارتحل كذلك إلى أولاد سعيد ماكتا فيها وقتاً طويلاً، ومن آثاره فيها:

1. مسجد الجامع: الذي بناه كأول عمل قام به في المنطقة بالمكان الذي يقال له: قصر أولاد هارون على أنقاض معبد لليهود فيه، وكان هو بيعتهم التي بنوها فيه قبل هذا الوقت.

2. مصلى العيدين (الفطر والأضحى): بناه في مكان يسمى قصر أولاد موسى بأولاد سعيد، وكل من المسجدين ما زال قائماً في مكانه.

3. السوق الكبيرة: بناها الإمام ثورة على السيطرة اليهودية المهيمنة على نشاطات البيع والشراء وسائر شؤون التجارة في أولاد سعيد حينئذ، وكانت في هذا السوق تجارة المواشي والحلى والزروع والأقمشة والأواني والقدور والأسلحة والتوابل رائجة. وهذا السوق ما زال قائماً في مكانه الذي تم بناؤه عليه من أول يومه على يد الإمام المغيلي، بقصر سيدي يوسف المعروف باسمه الأمازيغي (أغام انهزوق) بأولاد سعيد.

4. كرسي القضاء والإفتاء: صنع له هذا الكرسي للجلوس عليه عند الخصومات وفض المنازعات والمشاكل التي تحدث بين الناس في داخله وخارجه، وكان بمثابة محكمتهم في ذلك الوقت يقصدها الخاصة والعامة.⁽⁷⁾

وفي أولاد سعيد توفيت زوجته بنت أستاذه الثعالبي زينب ودفنت بها، وفيها توفي بعض أولاده المسمى عليا (زيعلي)، وكان دخول المغيلي إلى هذه المدينة حوالي 852هـ\1452م. وإلى تمنطيط توجه الإمام المغيلي محدثاً فيها ما يمكنه أن يحدث فيها من إيقاظ هممهم نحو دين ربهم، ونفخ الروح

⁽⁷⁾ المرجع السابق، ص 36-37.

العلمية في المسلمين منهم مدرسا ومراسلا علماء الإسلام في مناطقها المجاورة من فاس، وتونس، وبجاية، وتلمسان.⁽⁸⁾

ورحلاته إلى غرب إفريقيا فتحت صفحة جديدة ناصعة من صفحات تاريخ جهاده في سبيل الله معلما ومجددا متعاوننا مستشارا في إقامة الدولة الإسلامية المثالية. وكان من أهم المناطق التي دخلها الإمام في إفريقيا جنوب الصحراء وأولها بلد آهير نزيبا على الشيخ أحمد بابا سالكا طريقه بين مناطق تكده وتوات يتجول هنا وهناك يدرس الناس ويعظهم ويرشدهم، وتمت أسلمة كثير من الناس على يده وتجديد الدين عند بعضهم مصلحا مقاوما لخرافات ضعاف الإيمان منهم. ولا أدل على الصعوبة الشديد التي عانى الإمام منها في هذه الرحلات المتواصلة من استغراقها ما يقرب من شهر ونصف قبل الوصول إلى مقصده، لأن هذه المناطق صعبة المسالك، قليلة النباتات وكثيرة الحجارات، والإمام تزود للرحلة إليها بطعام أربعين يوما. ومن "تكده" توجه صوب مدينتي كتشنا وكنو الواقعتين في دولة نيجيريا داعيا إلى الله، مدافعا عن الإسلام، وموجها سلاطينها إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من عباد الله الصالحين، وهنالك التقى بسلطان كنو محمد رمفا بن يعقوب الذي حكم هذه المدينة في الفترة الزمنية المحدد بـ 862-904هـ الموافقة 1464-1499م، وكان هذا الحدث التاريخي بخمس سنوات قبل وفاة الإمام المغيلي رحمة الله عليه في 909هـ، ولقد تعاون مع السلطان رمفا على تقوية دولته، وأسلمتها بشكل كلي، فكتب له بعض رسائل علمية شرعية سياسية ليسير السلطان على ضوء محتوياتها الشاملة لنصيحته وإرشاده فيما يخص حق الرعية عليه وحقه على الرعية. ومن تلك الرسائل: (تاج الدين في نصيحة الملوك) ورسالة أخرى

⁽⁸⁾ المرجع السابق.

كتيها له فيما يخص حق الراعي والرعية، ومن الآثار التي تركها في إمارة كنو ما يأتي:

1. السور الذي يحيط بمدينة كنو ولا يزال قائما فيها لحد يومنا هذا.
2. قطع الأشجار التي يتشاءم بعض الناس بها في هذه المدينة في ذلك الوقت، ويسألون عندها حاجاتهم في سرائهم وضرائهم.
3. حجاب المرأة المسلمة الذي يعرف ب(كلي) (KULLE) في عموم بلاد الهوسا.
4. تنظيم إمارة كنو إداريا وقضائيا وسياسيا.

وقد تم القيام بذلك كله على يد السلطان محمد رمفا بن يعقوب بإيحاء مباشر من الإمام المغيلي رحمة الله عليه.⁽⁹⁾ ثم انتقل منها إلى بلاد سنغي فالتقى بسلطانها أسكيا محمد، فجرى له معه مثل ما وقع له مع السلطان رمفا في كنو كاتباً له كذلك بنوداً شرعية محتوية على فتاويه الموافية التي أجاب بها على أسئلة أسكيا محمد.⁽¹⁰⁾

توفي إلى رحمة ربه بتوات سنة 909هـ/1503م. ويقال إن بعض ملاعين اليهود أو غيرهم مشى لقبره فبال عليه فعمي مكانه.⁽¹¹⁾

المبحث الثاني:

التراث العلمي والمعرفي لدى الإمام المغيلي (ت:909هـ).

⁽⁹⁾ عبد الله شيخ عمر، تحقيق وتخريج وتعليق على ضياء السياسات وفتاوي النوازل في فروع الدين من المسائل. للعلامة عبد الله بن فودوي، (مطبعة توفال التجارية، ط1، 1991)، ص11. والإلوري آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودوي، (ط2، 1381هـ-1971م)، ص88-89.

⁽¹⁰⁾ حسين زيغبي، المرجع السابق، ص51.

⁽¹¹⁾ التميكتي، المصدر السابق، ص577.

بما أن هذا البحث يقدّم في إطار كلمة التراث ونوعيته التي وصف بها وهي العلم والمعرفة لدى الإمام المغيلي، يستحسن الشروع أولاً في بيان العناصر التالية:

أ- التراث في اللغة:

يعرّف اللغويون كلمة التراث بقولهم: الوراثة والإرث: انتقال قنية إلى شخص عن غيره من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد.⁽¹²⁾ وأصل الكلمة (تراث) في اللغة العربية من مادة (ورث) يرث إرثاً. وهو ما يتركه الإنسان لمن بعده.⁽¹³⁾ وسمي بذلك المنتقل عن الميت فيقال للقنية الموروثة ميراث وإرث وتراث. وأصله وراث فقلبت الواو تاء.⁽¹⁴⁾ ومن ذلك قوله تعالى: "وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا" (الفجر: 19). وثمة آية أخرى من القرآن الكريم تعطي نفس المعنى لكلمة التراث في قوله تعالى: "وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا 5 يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا 6" (مريم: 5 - 6).

لهذه الكلمة (التراث) في مفهومها اللغوي في ضوء الآيتين الكريميتين معان، منها: الميراث أي المال الذي تركه الميت. وتراث العلم والدين والهداية. ووراثة الاعتقاد والإيمان بالكتب المنزلة قبل القرآن، وبالأنبياء والرسل المبعوثين إلى الأمم السابقة الأمة المحمدية المرحومة

وفي الحديث...قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم...⁽¹⁵⁾ أي أصله وبقيته.

⁽¹²⁾ نخبة من المؤلفين، حول منهج التعامل مع التراث، ط\1420 - 1999م، ص5-6.

⁽¹³⁾ الراغب الأصفهاني، معجم مفردات القرآن، تحقيق صفوان عدنان داودي، (دمشق: دار القلم، ط\2، 1442هـ - 2020م)، ص86.

⁽¹⁴⁾ المصدر السابق.

⁽¹⁵⁾ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، (بيروت دار الكتاب العربي)، ح1921.

فإطلاق كلمة الميراث على التراث العقائدي والثقافي دليل آخر على ذلك كما ورد في مخاطبته بعض الصحابة الذين اشتغلوا بالبيع والشراء في الأسواق، حيث ناداهم فقال: "يا أهل السوق ما أعجزكم قالوا وما ذاك يا أبا هريرة قال ذاك ميراث رسول الله يقسم وأنتم ها هنا... إلى أن قال لهم أبو هريرة ويحكم فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم.⁽¹⁶⁾ وقوله صلى الله عليه وسلم: " العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"⁽¹⁷⁾

التراث ومفهومه الاصطلاحي:

وردت في التعريف بهذه اللفظة من حيث مدلولها الاصطلاحي تعريفات عدة منها:

إن التراث: هو مجموع الماديات والروحيات التي تصاحب الأمة على مدار حياتها.⁽¹⁸⁾ وهو تلك الحصيلة من المعارف والعلوم والعادات والفنون والآداب والمنجزات المادية التي تراكمت عبر التاريخ. وهو كذلك نتاج جهد إنساني متواصل قامت به جموع الأمة عبر التاريخ.

وتلخيص هذه التعاريف أن التراث هو ما خلفه السلف لخلفه من دين وعقيدة وحضارة مادية ومعنوية.

ب- التعريف بالعلم والمعرفة لغة واصطلاحا.

⁽¹⁶⁾ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة، دار الحرمين، 1415)، ح1429.

⁽¹⁷⁾ معي الدين عطية، "نحو منهج للتعامل مع التراث الإسلامي"، مجلة الإجتهد، العدد 34، (بيروت، السنة:1994)، ص111.

⁽¹⁸⁾ رمضان عبد التواب، تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، (مكتبة الخانجي، ط2، 2002م)، ص42.

فالعلم : يعرف به لغة بأنه إدراك الشيء بحقيقته، ومادته الأصلية من علم يعلم وهو مفرد جمعه علوم. والعلم جسم للمعرفة وهو الأشياء المكتشفة بالعمل، وهو كذلك عملية اكتساب معرفة جديدة من خلال الملاحظة والتجريب والاختبار والافتراض.⁽¹⁹⁾

واصطلاحاً: كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء وتزول به غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان، سواء أكان موضوعه الإنسان، أم موضوعه الوجود والغيب، وسواء أكانت وسيلة معرفته الحسة والتجربة، أم وسيلته العقل والبرهان، أم وسيلته الوحي والنبوة.⁽²⁰⁾ فالعلم حياة من مفاهيم وقوانين متسلسلة ومتراصة مع بعضها البعض، وتنشأ هذه المفاهيم من التجارب أو الملاحظات.⁽²¹⁾

وفي معنى العلم اللغوي والاصطلاحي تقارب وتجانس شديد. والعلم علمان: فعلم في القلب وعلم على اللسان، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان هو حجة الله على عباده⁽²²⁾

والمعرفة في اللغة من مادة عرف، يعرف، معرفة وعرفانا، وعرف وعرفانة. وهي ما يضم مختلف العلوم والمجالات والمعلومات التي يتوسل إليها الفرد عبر تجاربه الحياتية.⁽²³⁾

واصطلاحاً: هي ما تقوم على الأدلة والبراهين والتصورات التي يكونها الفرد من محاولته فهم شيء.

⁽¹⁹⁾ عطية عبد الرحمن، مع المكتبة العربية، (د.ت)، ص 77-79.

⁽²⁰⁾ القرضاوي يوسف، مفهوم العلم وتكوين العقلية العلمية في القرآن الكريم، (د.ت) ص 1.

⁽²¹⁾ ظهراوي محمد الأحمد، العلم والعلماء ونظام التعليم، (مكان النشر غير مذكور، ط\1995)،

⁽²²⁾ ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم، كتاب الإيمان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1403هـ - 1483م) ص 23.

⁽²³⁾ عطية، عبد الرحمن، المرجع السابق.

والمعرفة أشمل من العلم؛ إذ هي تضم أنواع العلوم والمجالات والفنون المختلفة التي يتوصل به الفرد عن طريق خبراته الفكرية وتجاربه الحياتية.⁽²⁴⁾ والمعرفة نوعان: أولها ما يتوصل به الفرد بنفسه إلى المعلومة. والأخير: هو مكان بحثه عن المعلومة التي يريدتها ويريد الوصول إليها.⁽²⁵⁾

ج- التراث العلمي لدى الإمام المغيلي

ثبتت الحقائق المتعلقة بتراث الإمام المغيلي من البذرة إلى الثمرة أنه كان مهتما بتأليف الكتب وتصنيفها في شتى فنون العلم وفروع المعرفة على نحو أدى إلى إثراء تراثه وإكسابه صفة التنوع والتفنن والتضلع والتميز. وكان ثمة من مؤلفاته رسائل تجمع عدة موضوعات علمية في مؤلف واحد، كبعض رسائله إلى علماء بلده بتوات وسلطين إفريقيا التي تنص على قضايا إسلامية فقهية، وينص بعض فقراتها بل وصحفتها على مسائل مهمة في شؤون الدين والدولة.

وكان له ذخائر وكنوز في دنيا المؤلفات التي تتناول موضوعات الشعر في المدح النبوي الشريف والمجادلة والتي هي أحسن، وخاصة الشعر التعليمي بمعناه الواسع. ومؤلفاته اللغوية والدينية التي عالج القضايا الشرعية الإسلامية من تفسير وفقه وحديث ونحو وصرف وبلاغة ومنطق وغيرها.

ولقد عبر مترجمو الإمام المغيلي عن التراث العلمي والمعرفي لديه بأنه كامن في تصانيفه العديدة وتأليفه المفيدة وسموه بصاحبها⁽²⁶⁾. في ميادين

⁽²⁴⁾ نفس المرجع.

⁽²⁵⁾ المرجع نفسه.

⁽²⁶⁾ كمؤلفي هذه الكتب الآتية: 1- شجرة النور الزكية في طبقات الماكنية لمحمد بن قاسم مخلوف. 2- البستان في ذكر علماء تلمسان لابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني. 3- الإعلام بمن حل مراكش، وأغمات من الأعلام للشيخ الفقيه القاضي عباس بن محمد بن محمود إبراهيم بن الحسن بن محمد السلماني المراكشي المالكي. 4- الرحلة العياشية لعبد الله أبي سالم بن محمد العياشي. 5- نشر المتاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب الحسن القادري. وموسوعة أعلام المغرب لعبد

العلوم الفقهية واللغوية والأدبية كمصباح الأرواح في أصول الفلاح. كتاب عجيب في كراسين أرسله إلى السنوسي وابن غازي فقرضاه تقریظاً رائعاً يليق به، وهو المسعى بتأليف فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار. والبدر المنير في علوم التفسير، وتفسير سورة الفاتحة، وشرح البيان في علم التبيان، وشرح مختصر خليل الذي سماه مغني النبيل وهو المختصر الذي وصل فيه للقسم بين الزوجات، وله عليه أيضاً قطع آخر من البيوعات، وله في السياسات كتاب عنوانه: رسالة في الخلافة ورسائله العديدة وفتاواه الدينية ووصاياه السياسية كتاج الدين في نصيحة الملوك، ووصية أخري فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام.

ومن ذلك مقدمة له في العربية وقصائد كثيرة في أغراض مختلفة ومقطوعات شعرية ونحوها، وله في علوم الحديث مفتاح النظر في علم الحديث، وأبحاث له مع تقريب النووي والفتح المبين وفهرسة مروياته. وفي الفنون البلاغية له كتابان أولهما: مختصر تلخيص المفتاح، والثاني شرحه عليه.⁽²⁷⁾ وكتب في التصوف السني كتاباً بعنوان: تنبيه الغافلين عن مكر

الكبير المجذوب الفاسي. 7- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مسايح القرن العاشر لابن عسكر المغربي. 8- نيل الابتهاج بتطريز الابتهاج لأحمد بابا التمبكتي. 9- درة الحجال لابن القاضي المكناشي. 10- فهارس علماء المغرب للدكتور عبد الله المرابط الترغي. 11- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي للشيخ آدم الألوري. 12- الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرن الوسطى في نيجيريا له أيضاً. ورسائل جامعية كثيرة في الجامعات الداخلية والخارجية.

⁽²⁷⁾ تلخيص المفتاح كتاب في المعاني والبيان، صنفه الشيخ الإمام المغيلي جلال الدين محمد عبد الرحمن القزويني الشافعي الدمشقي المعروف بخطيب دمشق وهو متن مشهور وتلخيص للقسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم مؤلف الإمام السكاكي وهو كما قيل أعظم ما صنف في هذا الفن علم البلاغة نفعاً غير أنه لم يك مصوناً عن الحشو والتطويل فجاء القزويني بهذا التلخيص متضمناً ما فيه من الفوائد والقواعد ومرتباً لها ترتيباً أقرب تداولاً من ترتيبه الأصلي، ومضيفاً إلى الكتاب فوائد أخرى جمّة من عنده، ثم جاء الإمام المغيلي مختصراً لذلك كله.

الملبسين بدعوى ومقامات العارفين، وهدية المؤمنين، ونصيحة المهتدين في الدعوة والإرشاد. وفي المنطق شرح الجمل في المنطق ومقدمة له فيه، وثلاثة شروح آخر على هذه المنظومة المسماة منح الوهاب وغير ذلك من مؤلفاته القيمة في الفقه والسياسة والفكر والمنطق والتاريخ ونحو ذلك.

المبحث الثالث:

نماذج من التراث العلمي والمعرفي من خلال بعض مؤلفات الإمام المغيلي المخطوطة دراسة وتحليلاً:

ويضم هذا المبحث ثلاثة عناصر كما يلي:

أما العنصر الأول فيختص ببعض كتبه المؤلفة في الموضوع ككتابه المعروف بـ"مصباح الأرواح في أصول الفلاح" وهو مؤلف أساسي ورسالة مشهورة في مجال التوعية الإسلامية وبيان وضع الأمة الإسلامية ببلدته التي كان يسكن فيها وهي توات والجهاد في سبيل تحرير أهلها المسلمين من ربة عدو الإسلام وعدوهم من اليهود والنصارى ومن يتهود أو يتنصر من منافقي هذه الأمة. ويعرف هذا الكتاب بعنوان آخر في بعض نسخه المخطوطة بتأليف "ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار".

قد وجد من فقهاء عصر المغيلي من خالفه في موقفه الذي ذكره في هذه الرسالة ضد اليهود⁽²⁸⁾ كالشيخ ابن زكي والفقيه عبد الله العصنوي قاضي توات من الذين اعتبروا موقفه عنصرية شديدة ونوعاً من الجاهلية قد منع عن ممارستها الإسلام داعياً إلى التسامح وتبادل الاحترام بين ذوي الأديان المختلفة، ومن بين علماء عصره كذلك وجد من أيده على هذا الموقف معضداً له بمن فهم الإمام عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي

(28) للوقوف التام على هذه القصة انظر: عبد المجيد خيالي: تحقيق وتقديم "رسالتان في أهل الذمة"، (المغرب الأقصى، دار الحديث، بدون تاريخ)، ص 17.

الذي وضع من أجل ذلك تأليفاً وجيزاً، يبيّن فيه مكر اليهود الخطير وصهيونيتهم الجائرة ضد المسلمين وآرائهم الخبيثة ضد الإسلام ليضع حداً فاصلاً للعمل اليهودي المقيت داخل بلدته توات الإسلام التي أرادوا السيطرة عليها وهم ذميون والذمي يعيش في دار الإسلام تحت حماية الدولة الإسلامية وسلطانهم مقابل جزية يدفعها لبيت مال الدولة احتقاراً له وصغاراً لكفره حتى يدخل في الإسلام وترفع عنه الجزية.

يشن المغيلي في الفصل الأول من هذه الرسالة غارة على بعض العلماء الذين كانوا يقربون اليهود إلى جنابهم أو يرون فيهم خيراً خلاف نصوص آيات قرآنية، وسرد قصة عن أحباب الله ورسوله وفعلهم في أعدائه وكل من كان من جهتهم هذا يقول: بأنهم كانوا يحاربون أعداء الله من اليهود والنصرى ولو كان من آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم كما نصت على ذلك تلك الآية السابقة ثم قال "فما أكذب قومًا يزعمون أنهم يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويحبونه، وهم على ذلك يقربون من أنفسهم وأهلهم أعداءه، بل يتولّون أشد الناس عداوة لهم، ويقطعون لأجلهم أحبابهم حتى إنه يأتون إلى اليهود إليهم ويحاربون العلماء عليهم،

ولقد وصف الإمام المغيلي هؤلاء العلماء بأنهم منافقون في دينهم، على ضوء آية أخرى

ويخلصُ حكم الإمام المغيلي إلى أن المسلم المقربَ كافرًا من نفسه المؤمنة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن عياله، المستعمل له في أعماله، وجاعل شيئاً بيده من ماله إنه فاقد للدين والعقل والمروءة معاً، وعلى هذا كلّهُ أخذ يدشن وجهته هذه بما لديه من حُجَج واضحة بدءاً بأدلة عقلية، ونصوص شرعية وأخيراً بحوادث حيوية وقعت في عصره أو عصر من قبله بقليلٍ كما يعبر عن ذلك قائلًا:

والحاصل أنه لا يقرب كافرًا من نفسه أو عياله، أو يستعمله في أعماله، أو يجعل بيده شيئًا من ماله، إلا من لا دين له، ولا عقل له، ولا مروءة له،⁽²⁹⁾ أما بيان قوله (لا دين له) فبأدلة عقلية ونصوص شرعية، وذلك أن الله تعالى ركب في طبع كل إنسان أنه لا يرضى لأحد من عبیده أن يقرب عدو من أعدائه، ولا أن يقاتل حبيبا من أحبابه، لأن كل ما تراه حقًا لك على عبدك من مقاطعة أعدائك، ومواصلة أحبابك وغير ذلك فله عليك أعظم من ذلك، لأنه جل وعلا هو الذي خلقك ورزقك وبه ما ينفعك ويضرك الله أكبر، فكيف يرضي لك أن يضرك عدوا من أعدائه أو تقطع حبيبًا من أحبابه، لأجل شهوة من شهواتك، وأنت لا ترضى ذلك لعبد من عبيدك، وهم بنو آدم مثلك...

ثم قال: قلت:

"حبيبي من يُعادي من أعادي * ويشهي ما بقلبي في الأعادي.
ويملي رأسه بين البرايا * ويفنى عن هواه في المراد".⁽³⁰⁾

ويستشهد بعد ذلك ببعض الوقائع والأحداث كما يقول:

لقد أخبرني بسنده بعض الإخوان عن سيدي إبراهيم المصمودي أنه كان يدرس عند رجل من العطارين في حانوته، وقصده يومًا على عادته وإذا به رأى يهوديا واقفا عليه فولى الشيخ إلى بيته، فبلغ الرجل ذلك فجاء إليه وطلب أن يدخل عليه فغلق في وجهه الباب ولم يفتح له فقال له: وجه أقبلت به على عدو الله ورسوله لا تقبل به على حبيب الله ورسوله...

وجاء ببعض أبيات شعرية من مقطوعاته الأدبية التي أنشدها قائلاً:

"حب النبي يقتضي ضد اليهود * فابك على ما قد مضى ولا تعود

⁽²⁹⁾ المصدر نفسه.

⁽³⁰⁾ المصدر نفسه،

وموقف الإمام من بناء اليهود والنصارى البيعة وصوامع أو كنائسهم على أرض الإسلام الغالب على دينهم مضاد كل التضاد وهو على أساس من عليية المسلمين عليهم في دينهم، وذلكيوجب حملهم على إخفاء شعائرهم وإن ملكوا قناتير مقنطرة من الذهب والفضة، ولا يجوز السماح لهم بإحداث كنيسة في شيء من بلاد المسلمين، وإن أعطوا على ذلك ملئ الأرض ذهباً، وفي الآثار: لا ترفع فيكم يهودية ولا نصرانية⁽³¹⁾. وقول سيدنا عمر بن الخطاب: "لا كنيسة في دار الإسلام"، ومما روي عن النبي ﷺ مرفوعاً: "لا تصلح قبلتان في أرض، وليس على مسلم جزية"⁽³²⁾. وإن حدث ذلك فواجب هدم ما بنوه من كنيسة أو بيعة بناء على الإجماع الذي لا خلاف فيه بين علماء الأمة وأئمتهم أجمعين. ولا يجوز كذلك إعادة بناء ما خرب من الكنيسة والبيعة إلا ما كانت قديمة قبل الإسلام⁽³³⁾.

نماذج من تراث الإمام المغيلي العلمي في بعض الفنون العلمية والأدبية.

1. قصيدة بشراك يا قلب!!

ميمية جادت بأبياتها قريحة الإمام المغيلي أمام الحضرة النبوية الشريفة فيداخل مسجده الشريف ﷺ بالمدينة المنورة عندما زارها، وهي معارضة لميمية الإمام البوصيري المشهورة ببردة المديح التي مطلعها:

أمن تذكر جيران بندي سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

والميمية المغيلية هذه مخطوطة في نسخها الخطية تتراوح بين ثلاثة وعشرين بيتا كحد أدنى وبين تسعة وعشرين كحد أقصى مختارا لها مدح

⁽³¹⁾ لم أعثر على هذا الأثر في الكتب الحديثية، وقد أورده ابن القيم في «أحكام أهل

الذمة» (3/1209)

⁽³²⁾ أخرجه أبو داود (3.32) و(3.053)، والترمذي (633) و(634)

⁽³³⁾ المغيلي، المصدر السابق، ص28.

الرسول صلى الله عليه وسلم الغرض الأساس من نظمها وقرضها، وبسيط
البحور الخليلية الستة عشر بحرا لها⁽³⁴⁾ ومطلعها:

بشراك يا قلب هذا سيد الأمم * وهذه حضرة المختار في الحرم

ج- تراث الإمام المغيلي المعرفي المتصل بالفكر.

ثمة قصيدة فيما وقع له من مراسلة بينه وبين الإمام جلال الدين
السيوطي في تحليل علم المنطق أو تحريمه. ومن الثابت أن الإمام المغيلي كان
مفكرا إسلاميا كبيرا، وعالما جسورا، جريئ القلب، فصيح اللسان ومحبا
للسنة النبوية واتباعها والدعوة إليها بالقول والعمل. وإلى جانب ذلك كان
هذا الإمام عالما جدليا نظارا محققا، له نصيب وفير في التمنطق والتفلسف
بشكل مجد. حيث يمكننا اعتبار بعض كتبه في موضوع المنطق نثرا ونظما،
شرحا وتأليفا، نموذجا للتنظير في استعمال الفكر السديد والأساليب
العقلية السليمة وآليات المنطق لتحقيق الحق وإثباته في بعض الأحوال
وهذا النموذج يتمثل في "مقدمة" له في المنطق، وكتابه "منح الوهاب"
منظومة في الفن وفي كتاب "شرح الجمل في علم المنطق". وفي ثلاثة أجزاء من
كتاب له شرح فيه منظومته المذكورة "منح الوهاب".

والجانب الآخر الذي يمكن اعتباره نموذجا تطبيقيا للمعرفة والفكر
متمثل هو فيما وقع له من المراسلة بينه وبين الإمام جلال الدين السيوطي
في خصوص علم المنطق الذي ناظره فيه بتحريمه البتة لأنه فن فكري
ابتكره فلاسفة اليونان الكفرة الفجرة، والذي يحلله الإمام المغيلي تحليلا
مطلقا من جانبه لتحقيق الحق واحتضان الحكمة من أجله أينما وجدت،
وفي ذلك يقول:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله * وكل حديث حكمه حكم أصله

⁽³⁴⁾ إن البسيط لديه يبسط الأمل * مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن.

* أيمن أن المرء في العلم حجة
 * هل المنطق المعني إلابارة
 * أرني هداك الله منه قضية
 * خذ الحق حتى من كفورولا تقم
 إلى قوله:....

* لأن صح عنهم ما ذكرت فكم هم
 * وكم عالم بالشرع باح بفضله⁽³⁵⁾
 وعارضه في ذلك الإمام جلال الدين السيوطي معارضة أدبية وفكرية
 بأبيات منها:

* أعجت لنظم ما سمعت بمثله
 * أتاني من حبر أقر بنبله
 * تعجب مني حين ألفت مبدعا
 * كتابا جموعا فيه جم نقله
 * أقر فيه النهي عن علم منطق
 * وما قاله من قال من ذم شكله
 * وسماه بالفرقان يا ليت لم يقل
 * فذا وصف قرآن كريم لفضله
 إلى قوله:....

* سلام هلى هذا الإمام فكم له
 * لديّ ثناء واعتراف بفضله.

قد يسوغ للباحث من خلال ما صدر به كل من الإمامين المغيلي والسيوطي أبيات قصيدتهما إبداء ملاحظات مهمة تجاه حاصل هذه المناظرة العلمية بينهما ومكانها الذي انهمك في محاولة تحديده وإثباته كثير من الكتاب والباحثين في كتبهم ورسائلهم بين من يرى أن الإمامين وقع لهما اللقاء في مدينة كشنه الواقعة في دولة نيجيريا أو غيرها ومن ينفي وقوع ذلك، ذاهبا إلى أنه مجرد مراسلة بينهما وأن الناس يعلمون أن كثيرا من مؤلفات الإمام السيوطي قد سارت بها الركبان حتى إلى مناطق إفريقيا جنوب الصحراء.

⁽³⁵⁾ المرجع السابق.

ومن المعاصرين من حسم القول في ذلك بأن الإمام المغيلي إنما تعارف مع الإمام السيوطي عندما عزم على التوجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان في رفقه مع جملة من تلاميذه وكانت مدينة أسيوط حينئذ إحدى محطات الطرق الموصلة إلى مكة المكرمة من تمبكتو، فهناك التقى بالجلال الأسيوطي.⁽³⁶⁾ والإمام المغيلي نفسه قد صرح في مقدمة كتابه "شرح التبيان في علم البيان" بدخوله الإسكندرية، وجاء في ذلك قوله: "أما بعد: فيقول عبد الله الغني به عن سواه، محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن يخلف الأشعري معتقدا، المالكي مذهبا، المغربي إقليميا، المغيلي نسبا، التلمساني منشأ، الإسكندري منزلا..."⁽³⁷⁾.

والباحث لا يرى للإمام المغيلي مسلكا في طريقه إلى الإسكندرية غير مسلك القلصادي في رحلته.

وذلك: تلمسان، وهران، تونس، طرابلس، الإسكندرية، القاهرة، ثم البقاع المقدسة. ويعني أرض الحجاز وخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة. والعودة منها لمصر القاهرة، برقة، طرابلس، تونس، وهران، وأخيرا تلمسان. ولا شك في لقائه بأعلام المعرفة في هذه الجولة من أمثال الإمام السيوطي ومهما يكن من شيء، فحاصل هذه المراسلة لا يرجع إلى لقاء الإمامين أصلا في رأي الباحث، لأن مطلع القصيدة السيوطية المعارضة المغيلية قد حسم القضية بوضوح حيث صرح السيوطي فيه قائلا:

"تعجب متي حين ألفت مبدعا * كتابا جموعا فيه جم بنقله
أقرر فيه النهي عن علم منطلق * وما قاله من قال من ذم شكله"

⁽³⁶⁾ يحيى بو عزيز، أعلام إفريقيا الغربية الإسلامية، (الجزائر: دار هرمه للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ)، وحسين زيغني، المرجع السابق، ص 84-85.
⁽³⁷⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح البيان في علم البيان، (الخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموع رقم 470، ق 309)، ص 124-127.

فالإمام المغيلي بعد أن وقعت على يده نسخة من هذا الكتاب الذي أشار إليه السيوطي في البيت الأول، وهو «القول المشرق في تحريم الإشتغال بالمنطق»، وقد حققه محمد سيد عبد الوهاب مطبوعا في دار الحديث بالقاهرة. تبني السيوطي في هذا الكتاب رأي الإمامين ابن الصلاح وابن تيمية الشائع والمنتشر في أفاق الناس في عصرهم من تكفير المشتغلين بالمنطق والرد عليهم بطريقة غير علمية. وشن شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «نقض المنطق» هجوما سافرا على هذا الفن بعينه، حيث حكم عليه بأنه فن لا يستفيد منه الغبي ولا يحتاجه الذكي...، ومثل هذا أصبح المنطق فنا علميا عندهم مرادفا للزندقة، والمشتغل به مذموم الجانب، مطعون في علمه وصحة عقيدته.

والجلال الأسيوطي تبني نفس هذا الموقف في ذلك الكتاب، والإمام المغيلي حاول في الرد على ما كتبه السيوطي في خصوص هذا التحريم تحررا لعقله من تقليد ابن تيمية وابن الصلاح ومن على أدرابهما في هذا الصدد. ويظهر في رده عليهم بعد نظره وعمق فكره في عصر سيطرت فيه آراؤهم المتداولة في منع الإشتغال بالمنطق، والكتاب الذي رد به الإمام المغيلي على السيوطي سماه: «اللبابي رد الفكر إلى الصواب، وما يتذكر إلا أولوا الألباب»، جامعا فيه بين تسمية وتعريض.

ويلخص من ذلك أن المغيلي لم يكن ليميل إلى رأي غيره فيما اقتنع به من المعرفة حيث رأى ضرورة الأخذ بحذافير هذا الفن الإيجابية لإحقاق الحق إذا جهل دون اعتبار مصدره فلا اعتبار عنده بابتكاره من قيل أهل الكفر ولا يسوغ هذا عنده لتحريمه ما دامت معرفة الناس بالحق بالثبوت هي الاعتماد وليست معرفة الحق بالناس. والإمام المغيلي وصف المنطق معبرا عنه بالفرقان من باب المجازلا لأنه أراد خلع وصف القرآن عليه أو وضع فضله موضع فضل القرآن كما يرى السيوطي أن القرآن سمي فرقانا لفضله والأمر خلاف ذلك، والقرآن وصف بالفرقان لأنه هو المفرق بين الحق والباطق والله أعلم.

الخاتمة.

على قمة صرح موروثنا العلمي والمعرفي الذي بناه الإسلام بتعاليمه التي لا مثيل لها والتي قد ارتقى إليها الإمام المغيلي بعلمه وأدبه وإخلاصه وجهده وجهاده الذي قد تناوله هذا البحث بتفاصيله، منسيرته الذاتية من البذرة إلى الثمرة طالبا ومعلما، ورحلاته العلمية داعيا ومجاهدا، وحركاته الأدبية والفكرية شاعرا ومفكرا، فكان من نتائج هذا البحث مايلي:

● إنّ الإمام المغيلي التلمساني عالم كبير يضعه ما قرأه الناس من خلال مؤلفاته ورسائله وقصائده موضع جهابذة العلماء والفقهاء والمجاهدين الذين يرجع لهم الفضل في تجديد الدين وإحياء العلم والفكر والسير على التدريس الناجح وتطبيق وهو عالم متفنن شد أطرافا واسعة في اللغة والفقه والأدب والشعر والمنطق والتفسير والحديث وعلومهما والعروض والقوافي.

● وإنّ الإمام المغيلي زيادة على تمسكه الشديد بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أتباعهما في كل الأحوال والحركات، كان رائد فكر إسلامي صحيح وصاحب رؤية إصلاحية ثاقبة يميل دائما إلى الأخذ بمبدأ العدل والحق وحب الحكمة أينما وجدها بعيدا عن التقليد الأعشى والتمذهب المقيت.

● وإنّ النماذج المختارة للقراءة والدراسة من آثاره العلمية والفكرية والأدبية تراث علمي ومعرفي يمكن الاستفادة من تعاليمها وبخبراته التي سجلها لنا في بعض صفحاتها لإصلاح شئون حياتنا الدينية والسياسية في عصرنا هذا الراهن. ويكفي ذلك أمتنا الإسلامية الحاضرة مجدا تفتخر به وخصوصا إذا وفّقت لإحسان توظيفها لتبقى للأجيال القادمة تراثا حيويا يصدق إلى حد بعيد عراقة هذه الأمة في أرجاء المعمورة.

وبناء على هذه النتائج يوصي هذا البحث بالآتي:

- يستوجب أن يدفعنا إحساسنا الصادق بقيمة مؤلفات الإمام المغيلي المخطوطة في شتى فنونها العلمية والمعرفية إلى القيام بإعادة تحقيقاتها ودراستها دراسة تحليلية بطريقة أكاديمية مبسطة تتسم بتخريج أحاديثها تخريجا علميا واعيا، وضبط الآيات القرآنية الواردة فيها، وتوثيق مصادرها، وفهرسة آياتها القرآنية وأحاديثها النبوية، وفهرسة أعلامها وأماكنها وما إلى ذلك من الترتيبات والتخطيطات التي ستجعل منها تراثا عربيا إسلاميا عالميا يرى نور الطبع والنشر، وهو منشور في الآفاق.
- زيادة الإهتمام بهذا التراث وتقديمه أجزاء ومجلدات في شكل مجموعة كاملة لمؤلفاته الحافلة بعطاءات علمية غريزة. والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، كتاب الإيمان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ - 1483م).
2. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة بن خلدون، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت لبنان، والمكتبة التجارية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط\3، 1417هـ-1997.
3. ابن مخلوف، أحمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، د.ت.
4. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة، دار الحرمين، 1415).
5. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، (بيروت دار الكتاب العربي).
6. أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، (دار صادر، بدون تاريخ).
7. الإلوري آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودوي، (ط2، 1381هـ-1971م).
8. البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع الصحيح، المعروف بصحيح البخاري، القاهرة، دار الفجر للتراث، 1426هـ = 2005م.
9. البكري، أبو عبد الله، المسالك والممالك، دار العربية للكتاب، بيروت لبنان، وبيت الحكمة - تونس طبعة 1995م، بتحقيق أدريان، ط\2، .
10. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، القاهرة، دار الفجر للتراث، 1430 = 2009.
11. التنبكي أبو العباس أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، (دار الكتب العربية، د.ت).
12. حسين زيفي، تحقيق ودراسة وتعليق على: ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، للشيخ محمد بن عبد الكريم

- المغيلي، ت: 909هـ رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 1433هـ - 1434هـ.
13. الحمدي أحمد، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات أثره وآثاره، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، الجزائر، عام دراسي 1999-2000م.
14. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات القرآن، تحقيق صفوان عدنان داودي، (دمشق: دار القلم، ط2، 1442هـ - 2020م).
15. رمضان عبد التواب، تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، (مكتبة الخانجي، ط2، 2002م).
16. الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد، تفسير الثعالبي المسعى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، (دار إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م).
17. ظهراوي محمد الأحمد، العلم والعلماء ونظام التعليم، (مكان النشر غير مذكور، 1995).
18. عبد الكريم حمو، "منهجية التفسير القرآني في سورة الفاتحة لمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني"، مجلة اشكالات في اللغة، عدد3 (دار الأدب السنة: 2019).
19. عبد الله شيخ عمر، تحقيق وتخريج وتعليق على ضياء السياسات وفتاوي النوازل في فروع الدين من المسائل. للعلامة عبد الله بن فودوي، (مطبعة تواف التجارية، ط1، 1991).
20. عبد المجيد خيالي: تحقيق وتقديم "رسالتان في أهل الذمة"، (المغرب الأقصى، دار الحديث، بدون تاريخ).
21. عطية، عبد الرحمن، مع المكتبة العربية، (د.ت).
22. القرضاوي يوسف، مفهوم العلم وتكوين العقلية العلمية في القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ت).
23. الكنتي، محمد مصطفى بن عبد المؤمن، الكواكب الوقادة في أخبار مشائخ الرقادة،
24. محي الدين عطية، "نحو منهج للتعامل مع التراث الإسلامي"، مجلة الإجتهد، العدد 34، (بيروت، السنة: 1994).

25. المغيلي، محمد بن عبد الكريم، مخطوط سورة الفاتحة.
26. نخبة من المؤلفين، حول منهج التعامل مع التراث، (مؤسسة البلاغ، ط\1420 – 1999م).
27. نور الدين، أحمد حاج، المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء. رسالة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية، فسم أصول الدين، فرع دعوة وإعلان بجامع الحاج خضر – باتنة، العام الجامعي: 1431-1432هـ – 2010-2011م.
28. ومحمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، (مكتبة ابنان، ط1، 1984م).
29. يحيى بو عزيز، أعلام إفريقيا الغربية الإسلامية، (الجزائر: دار هرمه للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ).

الأطروحة السياسية ومشروع الدولة في الفكر السياسي للإمام المغيلي

سليمان ولد خصال

رئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر 01

الملخص:

تحاول هذه المداخلة تتبع معالم الأطروحة السياسية ومشروع الدولة في الفكر السياسي للإمام المغيلي خاصة في فترة مملكة سنغهاي بالسودان الغربي بإفريقيا، بحيث استطاع هذا العالم الجزائري العبقري أن يطرح مشروعاً سياسياً على المستويين النظري والتطبيقي، ويبدو أنّ الرجل استفاد من المحن والتجارب في بدايات حياته فضلاً عن علمه الغزير ونجاحه في علم السياسة الشرعية، إنّ كتابات الشيخ الإمام المغيلي كانت موجزة ومقتضبة تنسجم وطبيعة الدساتير المعاصرة؛ لأنّه سعى من خلالها إلى بناء مؤسسات الدولة وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً.

The Political Thesis and the State Project in the Political Thought of Imām al-Maghīlī

Abstract

This paper attempts to follow the features of the political thesis and the state project in the political thought of Imām al-Maghīlī, especially during the period of the Kingdom of Songhay in Western Sudan, Africa, so that this genius Algerian scientist was able to put forward a political project on the theoretical and practical levels, and it seems that the man benefited from the trials and tribulations in the beginning of his life as well as his knowledge and his success in the science of legal policy, the writings of Imām al-Maghīlī were brief and concise, consistent with the nature of contemporary constitutions, because he sought through them to build state institutions, and he succeeded in that with great success.

Keywords:

Imām al-Maghīlī , West Africa , Legal Policy , State Project

مقدمة:

لعلّ من أبرز الشخصيات العلمية الجزائرية التي تركت بصمات واضحة في بناء الدولة وإرساء دواليب الحكم شخصية الشيخ العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي الجزائري.

وإذا كان هذا الرجل عاش في القرن العاشر الهجري ما بين الجزائر والغرب السوداني فإنه استطاع أن يطرح مشروعاً سياسياً على المستويين النظري والتطبيقي بحيث برزت مملكة سنغهاي كقوة سياسية واقتصادية في إفريقيا في تلك الحقبة، والفضل كل الفضل بعد الله تعالى لهذا العبقري الجزائري.

ويبدو أن الرجل استفاد من المحن والتجارب التي وقعت له في بدايات حياته، فضلاً عن علمه الغزير ونجاحه في علم السياسة الشرعية، كما أنه تمكن من الهيمنة على عدد من المعطيات في شتى المجالات، واستطاع أيضاً استثمار المقدرات التي أنجزت في ذلك الزمن كالطرق والموانئ والتجارة... إلخ.

إن مشروع الدولة الذي تحقق في الفكر السياسي للإمام المغيلي إنما هو مؤشر على أسبقية هذا العالم في تفسير وجود السلطة وأنها من الواقع والتاريخ، وتبقى طروحات أصحاب نظريات العقد الاجتماعي الغربية مجرد نظريات خيالية لم يصدقها الواقع والتاريخ.

وتأسيساً على كل ما مر بنا يمكن طرح هذا الإشكال المعرفي:

هل استطاع الإمام المغيلي أن يجسّد مشروع الدولة في الفكر السياسي الإسلامي؟ وما الذي يمكن أن نستفيد منه على ضوء المعطيات والتحديات المعاصرة؟

وللإجابة عن هذا الإشكال كان لا بد من تتبع العناصر التالية:

المطلب الأول : نبذة موجزة عن شخصية محمد بن عبد الكريم المغيلي
وأهم المحطات التي مرّ بها

المطلب الثاني: ملامح مشروع الدولة لدى الشيخ الإمام.

المطلب الثالث : مساحات الاستفادة من فكر الشيخ الإمام على ضوء
سلم المعطيات والتحديات المعاصرة.

المطلب الأول: نبذة موجزة عن شخصية محمد ابن عبد الكريم المغيلي
وأهم المحطات التي مرّ بها

الفرع الأول: نبذة موجزة عن شخصية محمد بن عبد الكريم المغيلي.
أولاً: نسبه، مولده ونشأته:

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن
مخلف بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن
مناد بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن عبد الله بن إدريس بن عبد
الله الكامل بن الحسن السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم⁽¹⁾.

وهو نسب بحاجة -كما يقول الأستاذ عبد القادر باجي- إلى تحقيق
ونظر⁽²⁾.

(1) أحمد أبا الصافي، من تاريخ توات، أبحاث في التراث، أدرار، الجزائر، 2008م،
الهامش رقم 01، ص20، وانظر أيضا عبد القادر باجي، الإمام المغيلي عصره وحياته،
منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011م، ج01، ص107. وانظر أيضا حاج
أحمد نور الدين، المنهج الدعوي للإمام المغيلي، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية،
جامعة باتنة، 2011/2010، ص26.
(2) عبد القادر باجي، المرجع نفسه والصفحة.

ولد بقبيلة المغيلة بالغرب الجزائري بالقرب من تلمسان⁽³⁾ وهي تابعة حالياً لبلدية مغيلة ودائرتها بولاية تيارت⁽⁴⁾ سنة 831هـ/1427م كما رجّح ذلك الكثير من الباحثين⁽⁵⁾.

وأما عن نشأته فقد حفظ القرآن على يد والده، وتعلم عليه أيضاً قواعد اللغة العربية، وقرأ عليه موطأ الإمام مالك وكتاب ابن الحاجب الأصلي، كما تلقى عن الوغليسي الأخلاق وأبجديات العلوم⁽⁶⁾.

ثم أخذ عن بقية شيوخ تلمسان⁽⁷⁾، ثم هاجر إلى بجاية فأخذ الكثير من علمائها⁽⁸⁾، وتوجه بعدها إلى الجزائر فأخذ العلم عن الشيخ العالم عبد الرحمن الثعالبي⁽⁹⁾، وتزوج هناك من ابنته⁽¹⁰⁾.

رجع الشيخ إلى مسقط رأسه، لكنه سرعان ما غادر بسبب الفساد والظلم فانتقل إلى توات فدخل مدينة تمنطيط وأخذ العلم من مشايخها⁽¹¹⁾

ثانياً: شيوخه وتلامذته:

من شيوخ الشيخ المغيلي وهم كثيرون وفي أماكن متعددة: والده الشيخ عبد الكريم وأبو العباس الوغليسي، وأحمد بن ابراهيم البجائي ومحمد

⁽³⁾ ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1999م، ص266. وانظر أيضاً عبد القادر باجي، المرجع نفسه، ج01، ص108 وما بعدها.

⁽⁴⁾ عبد القادر باجي، المرجع نفسه، ج01، ص109.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ج01، ص113.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ج01، ص115 وما بعدها.

⁽⁷⁾ عبد القادر باجي، المرجع السابق، ج01، ص116.

⁽⁸⁾ المرجع نفسه والصفحة.

⁽⁹⁾ المرجع نفسه، ج01، ص117.

⁽¹⁰⁾ المرجع نفسه والصفحة.

⁽¹¹⁾ المرجع نفسه، ج01، ص117 وما بعدها.

التلمساني ابن الإمام ومنصور الزواوي والحسن أركان وعبد الرحمان
الثعالبي ومحمد بن أحمد المغيلي، ويعي التدلسي ومحمد السنوسي⁽¹²⁾.

وأما تلامذته فنذكر منهم: محمد أيد أحمد والعاقب الأنصمني ومحمد
بن عبد الجبار الفجيحي وعمر الشيخ الكنتي ومحمد الأدرعي السوقي⁽¹³⁾.

ثالثاً: آثاره ووفاته:

ترك الشيخ ما لا يقل عن أربعة وعشرين مصنفاً أغلبها شروح لغوية
وتعليقات على مسائل فقهية وتقاييد تتصل بالحديث والتفسير والمنطق⁽¹⁴⁾،
وسنكتفي بأهم الكتب التي تخصصت في علم السياسة الشرعية، وهي:

1- مصباح الأرواح في أصول الفلاح، وجاء هذا الكتاب بعناوين
مختلفة، حسب المخطوطات، وتقدير المحققين، لكنها كلها متعلقة بتأليف
واحد وهي:

أ- أحكام أهل الذمة.

ب- تأليف فيما يجب على المسمين من اجتناب الكفار وعما يلزم أهل
الذمة من الجزية والصغار.

ج- تقبيد نفيس فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم
أهل الذمة من الجزية والصغار.

د- رسالة إلى كل مسلم ومسلمة.

هـ- رسالة في اجتناب الكفار وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار.

و- رسالة في معاملة أهل الذمة، أو رسالة في اليهود.

⁽¹²⁾ لمن أراد التفصيل، عبد القادر باجي، المرجع السابق، ج01، ص120 إلى 124.

⁽¹³⁾ المرجع نفسه، ج01، ص127 إلى 129.

⁽¹⁴⁾ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص270.

ز- رسالة موجهة إلى علماء المغرب العربي⁽¹⁵⁾ .

وقد رجّح الأستاذ عبد القادر باجي عنوان الرسالة وهو: أحكام أهل الذمة⁽¹⁶⁾ .

2- فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام (وصية للسلطان محمد رنفا)⁽¹⁷⁾ .

3- رسالة فيما يجب على الأمير، ومن أسماء هذا الكتاب التي أثبتها الباحثون:

أ- تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين

ب- التعريف فيما يجب على الملوك والسلطين

ج- فيما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة⁽¹⁸⁾ ، وقد رجّح الباحث الأستاذ عبد القادر باجي هذا العنوان الأخير⁽¹⁹⁾ .

وأما وفاته فكانت في غرة شهر رمضان سنة 909هـ الموافق . 1503-1504م بتوات، ودفن في زاويته بواحة بوعلي التي تقع ببلدية زاوية كنته بولاية أدرار⁽²⁰⁾ .

الفرع الثاني: أهم المحطات التي مرّ بها الشيخ المغيلي

يبدو أنّ الشيخ قد مرّ بمحطات عديدة أنضجت فكره وطورت معارفه وإنجازاته، نذكر منها:

⁽¹⁵⁾ انظر تفصيل ذلك في عبد القادر باجي، الإمام المغيلي، عصره وحياته، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م ج02، ص231 وما بعدها.

⁽¹⁶⁾ المرجع نفسه، ج02، ص236.

⁽¹⁷⁾ المرجع نفسه، ج02، ص247 وما بعدها.

⁽¹⁸⁾ عبد القادر باجي، المرجع السابق، ج02، ص255.

⁽¹⁹⁾ المرجع نفسه، ج02، ص256.

⁽²⁰⁾ المرجع نفسه، ج02، ص148 وص152.

أولاً: مرحلة النشأة والتحصيل العلمي: فتحصيله العلمي، وتفوقه في شتى مجالات المعرفة مكنه من أن يتبوأ المكانة الكبيرة التي أهلته لأن يكون خاتمة المحققين، حتى قال عنه ابن أبي مريم: «خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة المحقق الفهامة القدوة الصالح السني الحبر أحد أذكى العالم وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم»⁽²¹⁾، وأمّا صاحب الدوحة فوصفه بكونه: «من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»⁽²²⁾.

ثانياً: مرحلة المحن والمواجهة: يبدو أنّ أول رحلة خرج فيها الشيخ المغيلي لأسباب سياسية كانت من تلمسان إلى توات بحيث خرج ساخطاً على ساستها وحكامها⁽²³⁾، وفي توات واجه ما يعرف بمسألة يهود توات ودخل معهم، ومع القاضي العصنوني في سجال⁽²⁴⁾، وأرسل القضية إلى علماء الأمصار كما فصل في ذلك الإمام الونشريسي⁽²⁵⁾.

بعدها انتقل إلى فاس ليعرض قضية يهود توات على علماء فاس لكنّه قوبل بالرفض وتلفيق الاتهامات⁽²⁶⁾.

ثالثاً: مرحلة النضج السياسي وتحقيق الإنجازات: وكان ذلك عندما انتقل من مدينة توات إلى إفريقية فيما يعرف بالسودان الغربي⁽²⁷⁾، فمكث

(21) ابن أبي مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، ص 259.

(22) محمد الشبشاوني، دوحة الناشر، تحقيق محمد حجي، ص 02، 1977م، ص 130.

(23) عبد القادر باجي، المرجع السابق، ج 02، ص 139.

(24) المرجع نفسه، ج 02، ص 140.

(25) انظر تفصيل ذلك في الونشريسي، المعيار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج 02، ص 214 وما بعدها.

(26) عبد القادر باجي، المرجع السابق، ج 02، ص 141.

(27) يشتمل على حوض السنغال وغامبيا وفولتا العليا (بوركينافاسو) والنيجر وبحيرة التشاد، انظر مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقية الغربية، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 37.

في شمال نيجيريا وبوركينا فاسو وغيرهما⁽²⁸⁾، فضلا عن رحلته إلى برقة ومصر ومكة لأداء مناسك الحج⁽²⁹⁾.

المطلب الثاني: ملامح مشروع الدولة لدى الشيخ الإمام.

إنّ ما يلفت النظر في فكر الشيخ المغيلي أنه استطاع أن يشير إلى الكثير من دعائم الدولة المعاصرة ومقوماتها وكأنّه بذلك قد سبق عصره واستشرف المستقبل، فضلا عن أنّ الرجل لم يكن يُنظر - وحسب كما يفعل فقهاء السياسة الشرعية أو رجال القانون الدستوري - بل ترجم أفكاره بنفسه، ونجح في تحقيق الكثير من الإنجازات، لعل أبرزها ما تحقق فيما يعرف بالسودان الغربي، وعليه ومن خلال المحطات التي مرّ بها الشيخ المغيلي يمكن رصد أهم ملامح مشروع الدولة وأبرزها.

الفرع الأول: كتاباته في السياسة الشرعية

والتي كانت أقرب إلى الدساتير أو إلى المراسيم والقوانين بحيث جاءت مختصرة واضحة المعاني كأنّها دليل عملي؛ لأنّ الهدف الذي توخاه الشيخ هو العمل والتأسيس لبناء إمارات قوية وفاعلة، فهذه الرسائل على المستوى المنهجي الشكلي تميزت بحسن الصياغة، وقوة العبارة، وإيجاز في اللفظ وقلة التفرّيعات⁽³⁰⁾، وهذه الصياغة هي التي تتناسب مع الدساتير العصرية المكتوبة.

فضلا عن هذا العمل فإنّه جاء نتيجة تبني الشيخ لأسلوب المناظرة والحوار والإقناع الذي يعتبر مفتاح نجاح الإصلاح السياسي خاصة في بلاد السودان الغربي⁽³¹⁾.

⁽²⁸⁾ عبد القادر باجي، المرجع نفسه، ج 02، ص 142 وما بعدها.

⁽²⁹⁾ المرجع نفسه، ج 02، ص 144 وما بعدها.

⁽³⁰⁾ نور الدين بوكردين، جهود العلامة محمد بن عبد الكريم في مجال الكتابة في فقه السياسة الشرعية بين التجديد والتأثير، مجلة الشريعة والقانون، قسنطينة، العدد 07، 2015م، ص 118.

⁽³¹⁾ المرجع نفسه، ص 119.

ولعلّ من المبادئ الدستورية التي قررها الشيخ المغيلي في هذه الكتب ما يلي:

أولاً: فكرة قيام الإمارة أو الخلافة أو الدولة: وتحقق هذا من خلال تعريف الشيخ المغيلي للإمارة. ففي عنده: «خلافة من الله ونيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أعظم فضلها، وما أثقل حملها»⁽³²⁾.

ويعرفها أيضاً بأسلوب آخر فيقول: «الإمارة سياسة في ثوب رئاسة»⁽³³⁾، ثم يذكر عدداً من موظفيها فيقول: «فعلى كل أمير أن يرتب نظام مملكته لسكونه وحركته، على ما يتمكن به من صلاح رعيته فمن ذلك خدام بالحضرة يتصرفون، وعقلاء يشيرون - إشارة إلى المجلس الشوري أو البرلمان-، وأمناء يقبضون ويصرفون، وكتاب وحساب يحفظون، ورسول وجساس وحفظة وعساس»⁽³⁴⁾.

وهكذا استطاع أن يبين الأسس التي تقوم عليها الدولة وإعادة تنظيمها بإنشاء المجالس والدواوين وتحديد المواصفات لمن يتولى المناصب العليا وكيفية اختيارهم⁽³⁵⁾.

ثانياً: إشارات كثيرة للسلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية: وهي من السلطات الأساسية في الدساتير الحديثة، منها قوله: «ومن ذلك أيضاً: علماء ثقات يرشدون، وأئمة فضل يجمعون وعدول يشهدون ومحتسبون يكشفون ويصلحون، وأرباب شرطة يزجرون وشفعاء يشفعون، وقضاة ثقات يفصلون، ورجال معظمون لوجه الله وعمال يحيون حق الله، ووزراء لا يخشون إلا الله»⁽³⁶⁾.

⁽³²⁾ محمد ابن عبد الكريم المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ص 15.

⁽³³⁾ محمد ابن عبد الكريم المغيلي، المرجع نفسه، ص 25.

⁽³⁴⁾ المرجع نفسه والصفحة.

⁽³⁵⁾ حاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، ص 52.

⁽³⁶⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع نفسه، ص 26.

وهذا ما يؤكده الأستاذ مبروك مقدم فيقول: «فهناك الملك والسلطان والأمير والحاكم والوزير والوالي والقاضي والإمام ومجلس الشورى وصاحب بيت المال والبلاط الأميري والسلطاني»⁽³⁷⁾.

والشيخ المغيلي ذاته مارس القضاء في أكثر من مرة في توات، وفي السودان الغربي، فكان رئيسا للقضاء والإفتاء بكانو⁽³⁸⁾.

وكان الشيخ المغيلي يحرص دائما على إصلاح جهاز العدالة فقد كان يقول: «السلطة رجلان العدل والإحسان فالعدل أن يوفي كل ذي حق حقه من نفسه وغيره، والإحسان أن يتفضل من نفسه لا من غيره، فمن العدل أن يسوي بين الخصمين في دخولهما وجلوسهما والنظر إليهما والكلام معهما وذلك من شأنهما، وليكن في جميع شأنه بمعزل عن ظهور الميل لأحدهما أو غيرهما»⁽³⁹⁾.

الفرع الثاني: مؤسسة الجيش، والإصلاحات الاقتصادية.

أولا: مؤسسة الجيش: يبدو أنّ فكرة بناء جيش قوي بدأت عند المغيلي عندما بدأ يدخل في صراع مع اليهود الذين تمركزوا في منطقة توات، ولهذا قام بتأسيس جهاز شرطة بقيادة عبد الجبار بن المغيلي لحماية النظام بإقليم توات، والذي يعد من الأولويات التي سعى إلى إقامتها، وكان يضم في صفوفه أفراد من خيرة أنصاره، والموالين لحملته الأولى على اليهود⁽⁴⁰⁾.

وقام الشيخ أيضا بإنشاء مخزن مخصص للذخيرة في المكان المسمى (أكري)⁽⁴¹⁾، بناه استعدادا للحروب المتوقعة.

⁽³⁷⁾ مبروك مقدم، المرجع السابق، ص 56.

⁽³⁸⁾ منال قادري وبسمة رحموني، محمد بن عبد الكريم المغيلي، مذكرة ماستر في تاريخ الغرب الإسلامي، جامعة المسيلة، الجزائر، 2020/2019، ص 15. وحاج أحمد نور الدين، المرجع نفسه، ص 52.

⁽³⁹⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص 41 وما بعدها.

⁽⁴⁰⁾ الحاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، ص 49.

⁽⁴¹⁾ المرجع نفسه، ص 43.

ولما كان بصدد تقديم نصائح إلى أمراء إفريقيا، قال: « ومن ذلك أيضاً: حصن حصين مكفى بالخزائن، وخيل خديدة -أي قوية وسريعة-، وظهور جديدة -أي الدابة التي تتحمل الأثقال-، ورجال شجعان حاضرة في كل أوان وعُدَد كثيرة متينة -أي عُدَّة الحرب والجهاد- وأطباء عارفة أمينة»⁽⁴²⁾.

وفي الحروب لا بد من: «وزراء يجمعون الرجال ويخففون الأثقال ويحملون على الحذر وحمل السلاح، ويرتبون الجيش للكفاح، بصدر ثابت من الأبطال، وجناحين من سائر الخيل والرجال، وبلغاء ينتظرون القلوب ويقبحون الهروب وعرفاء بالحروب، برأيهم تنكشف الكروب فإن «الحرب خدعة، وليس بالكثرة ولا بالسرعة»⁽⁴³⁾.

وكان الشيخ المغيلي يحذر السلطان من عنصر المفاجئة سواء في السلم أم في الحرب، فقال: «ولا تفارق الدرع والسلاح ولا تتم بغير مكان أمين، وغير مرقدك في كل حين، وأترك زيَّ المعروف في كل مكان مخوف، وادنو بحماك في كل حين وأن عصابة أمناء شجعان، عساس، ورمات ورجال وفرسان، وليس وقت الخوف، وأزل كل حصن لا تقدر عليه لئلا يستند أعداؤك إليك فتقسم الرعية، وتعظم البلية»⁽⁴⁴⁾.

ثانياً: الإصلاحات الاقتصادية: يبدو أن الشيخ المغيلي تفتن إلى أن الحركة الاقتصادية تعتمد على قانون العرض والطلب، وأن كثيراً من المشاكل الاقتصادية لا يعود إلى الإنتاج وإنما إلى سوء التوزيع والاحتكار وكسر مبدأ العرض والطلب حتى يكون التحكم والهيمنة في مصير الناس بيد واحدة، وربما يدخل هذا فيما يعرف اليوم بالجماعات الضاغطة، أو الفساد المالي والإداري وأصحابه قد يكونون من الداخل أو الخارج.

⁽⁴²⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع نفسه، ص 26 وما بعدها.

⁽⁴³⁾ المرجع نفسه، ص 27 وما بعدها.

⁽⁴⁴⁾ المرجع نفسه والصفحة.

وإنّ وقوف الشيخ المغيلي في وجه اليهود إنما كان لهذه الأسباب بالدرجة الأولى، ولهذا وجدنا الشيخ المغيلي يبني سوقاً كبيرة ومشورة بمنطقة أولاد سعيد بقصر سيدي يوسف، فشكّل بهذا قطباً اقتصادياً كبيراً أفضى إلى ربط منطقة توات بكثير من الأقاليم والبلدان مثل واد الريغ، الساورة والمغرب وبجاية والسودان... إلخ، وكان هذا رداً على اليهود، وبذلك يكون قد فتح جبهة المنافسة التجارية ضد اليهود وأذناهم⁽⁴⁵⁾.

وهي النصيحة التي أسداها إلى أمراء إفريقيا في السودان الغربي الذين تفتنوا إلى مكائد اليهود الاقتصادية حتى قال محمد الوزان عن بعض ملوك إفريقيا: هذا الملك عدو لليهود ولا يريد أن يقطن أحد منهم في المدينة، وإذا علم أنّ تاجراً من بلاد البربر يخالطهم أو يتجر معهم صادر أمواله.

فاليهود استغلوا الثروة للسيطرة والنفوذ الاقتصادي مما سهل عليهم الحياة بالمنطقة، وكان لموقف بغض الرؤساء في تمنطيط أثره في تشجيع اليهود على بناء بيعة كبيرة لهم تجاوزت تلك الحدود⁽⁴⁶⁾.

لقد استوطن اليهود بالخصوص في المراكز التجارية التي تمر منها أو تنتهي إليها قوافل الذهب الرابطة بين شمال إفريقيا والسودان واشتغلوا بالتجارة وصياغة الحلي وضرب النقود، كما تولوا الإشراف على شؤون أملاك الأمراء ووجهاء الناس، وأصبحوا من الأثرياء يشار إليهم بالبنان، وكانوا منتشرين في القرى الريفية، ومواطني الخصب والرفاهية⁽⁴⁷⁾.

ويلاحظ أنّ الشيخ المغيلي أبدع في إيجاد ما يعرف بالكرسي الذي كان يجلس فيه في السوق، وهو استحداث فريد وضعه لحل المشاكل والمنازعات التي تحدث في السوق⁽⁴⁸⁾.

⁽⁴⁵⁾ حاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، ص 39

⁽⁴⁶⁾ المرجع نفسه، ص 46.

⁽⁴⁷⁾ المرجع نفسه والصفحة.

⁽⁴⁸⁾ المرجع نفسه، ص 39.

ولقد قدم الشيخ المغيلي بعض الإجراءات المتعلقة بالإصلاح الاقتصادي، فقال: «يجب على كل أمير أن لا يجبي الأموال إلا من حيث أباح الله له...، الكرم روح السلطنة، وعدمه نفس الشيطنة، وأول الكرم وأساسه: الإمساك عما في أيدي الناس والكف عن أموال الناس بقاء المملكة وجمالها، والطمع في أموالهم خراب المملكة وزلزالها»⁽⁴⁹⁾.

وفصّل بعدها الشيخ عن الأموال المباحة⁽⁵⁰⁾، وفي الأموال المحرمة قال هي: كل ظلم، ومن الظلم ما يأخذه الأمير على ولاية القضاء أو غيره، وهو حرام بإجماع المسلمين وذريعة لإفساد الدين، وفتح لأبواب الرشوة وقهر المساكين⁽⁵¹⁾ وزاد في تفصيل الظلم فقال: «الرشوة وهي حرام بإجماع المسلمين فلا يجوز للسلطان ولا غيره من القضاة والعمال أن يأخذ من أحد الخصمين ولا من كليهما شيئاً لا قبل الحكم ولا بعده⁽⁵²⁾ ومن هذا القبيل الهدايا (لا أن يقبل الهدية من الرعية فإنها باب كل بلية، فإذا دخلت الهدية على ذي سلطان خرج عن العدل والإحسان»⁽⁵³⁾.

ويضع لنا الشيخ المغيلي معياراً في صرف الأموال العامة فيقول: «وهو إما بخيل أو مبذر في أرزاق بيت المال، وكل منهما خراب للمملكة على كل حال»⁽⁵⁴⁾.

الفرع الثالث: الحقوق والواجبات:

وهي كثيرة تعبر عن مشروع الدولة زمن المغيلي، ولعلّ من صورها:

⁽⁴⁹⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص 48.

⁽⁵⁰⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص 48 وما بعدها.

⁽⁵¹⁾ المرجع نفسه، ص 50 وما بعدها.

⁽⁵²⁾ المرجع نفسه، ص 51.

⁽⁵³⁾ المرجع نفسه والصفحة.

⁽⁵⁴⁾ المرجع نفسه، ص 54.

أولاً: أخلاقيات العمل السياسي: ظهر ذلك في الإخلاص وتغليب مصلحة الأمة⁽⁵⁵⁾، نص المغيلي أنّ الإمارة بلوة بين الهوى والتقوى فعلى كل ذي عقل وأمانة أن يبتعد عنها، إلا إذا لم يكن له بد منها، فتوكل على الله واستعن في أمرك كله بالله وليكن عملك كله لوجه الله، وذكر نفسك أنك واحد من خلق الله، كثير أقوى منك لولا نصر الله، فليكن طمعك كله في الله، وخوفك كله من الله، وهمك كله في مصالح خلق الله ما ولاك الله عليهم لتكون سيدهم ومولاهم، وإنما ولاك عليهم لتصلح لهم دينهم ودنياهم واشكر نعمة الله عليك، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تقنط من رحمة الله فكم من كرب فرجه الله⁽⁵⁶⁾.

كذلك لا بد من الابتعاد عن أساليب الخديعة والكذب والتزام الأمانة في جميع الأنشطة السياسية⁽⁵⁷⁾، فقال: «فإذا تحدثت فاصدق، وإذا وعدت فأوف، وإذا أمرت بشيء أو نهيت عن شيء فلا تغفل عنه حتى تبلغ القصد منه، وإياك أن تقصر خطواتك عن مقالك فتذهب هيبتك من قلوب رعيته وعمالك»⁽⁵⁸⁾.

وبالمقابل لا بد من الحفاظ على هيبة الدولة بحسن تطبيق القانون والإلتزام عليها المفسدون، وطمع فيها الفاشلون، فصن مقامات الخلافة النبوية عن الإهانة بردع العامة عن سوء الأدب بالأقوال والأفعال وسائر الأحوال ولا تصبر على من تعمد ذلك ولم ينته لأن ردع ذلك ومثله حق الله تعالى ورسوله⁽⁵⁹⁾.

ثانياً: الفهم الدقيق للأمور: والتركيز على الجانب الإعلامي وفرض رقابة على مؤسسات الدولة بمختلف أنواعها الرقابة القبلية وأثناء التنفيذ

⁽⁵⁵⁾ نور الدين كرديد، المرجع السابق، ص 123.

⁽⁵⁶⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص 17 وما بعدها.

⁽⁵⁷⁾ نور الدين كرديد، المرجع نفسه، ص 124.

⁽⁵⁸⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع نفسه، ص 22.

⁽⁵⁹⁾ نور الدين كرديد، المرجع السابق، ص 123.

والبعدية، مع متابعة سبل تنفيذ خططها وبرامجها عن كثب، وذلك لتحسين الجهاز الإداري والخدمة العمومية لأفراد الرعية، والقبول بمبدأ المحاسبة لكل عامل أخطأ في حق الدولة والرعية مهما كانت رتبته⁽⁶⁰⁾، فقال رحمه الله تعالى: «فعلى كل أمير أن يكشف عن بعض الأمور بحسب المقدور وذلك كل أمر ولو أعفي عنه لخشي ضرورة منه، فمن ذلك أن يسأل عن كل ما جهل من العدول والأمناء والمتقين قبله أي حرسه والأوصياء، ويحجر على كل مهمل من يتيم أو سفيه، ويأمر برفعه إليه ليولي عليه ويكشف عن عدد ورثة كل من مات، وعن شأن كل من ترك من ضعفاء البنين والبنات، وعن بيت المال وأرزاق العمل وعن كل ما هو موكل للنقص، من مال وغير مال، لكن على الاستبصار والورع، لا على جهة الإضرار والطمع»⁽⁶¹⁾.

ثالثاً: الالتزام بمبدأ الشورى : واعتبارها ملزمة في جميع القضايا المتعلقة بحياة الرعية خاصة تلك التي تعنى باتخاذ القرارات المصيرية للأمة⁽⁶²⁾، يقول: «أن تسأل أهل الذكر عن كل ما لا تعلم حكمه من تصرفاتك كلها لتحكم بما أنزل الله في كل «ما حملك منها»⁽⁶³⁾.

كذلك لا بد من الإشارة إلى ضرورة الالتزام بما يعرف في هذا الزمن بمبدأ الشفافية والحكم الراشد⁽⁶⁴⁾ فكان يقول: «ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية»⁽⁶⁵⁾ و«على كل أمير أن يكشف عن بعض الأمور بحسب المقدور»⁽⁶⁶⁾.

⁽⁶⁰⁾ نور الدين كرديد، المرجع نفسه، ص 125.

⁽⁶¹⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع السابق، تاج الدين، ص 34 وما بعدها.

⁽⁶²⁾ نور الدين كرديد، المرجع نفسه والصفحة.

⁽⁶³⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقية وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق عبد

القادر زباييدة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 25.

⁽⁶⁴⁾ نور الدين كرديد، ممرجع سابق، ص 124.

⁽⁶⁵⁾ محمد بن عبد الكريم المغيلي، تاج الدين، المرجع السابق، ص 18.

⁽⁶⁶⁾ المرجع نفسه، ص 34.

وينبغي كذلك الحرص على اختيار البطانة الصالحة واستبعاد الفاسدين وعلماء السوء من أجل استقامة الحكم، وكذا مكافحة الفساد بجميع أبعاده الإدارية والاقتصادية والسياسية⁽⁶⁷⁾، قال رحمه الله تعالى: "فإذا علمت ذلك أيها الأمير فعليك أن تبعد عنك أهل الشر وأن تقرب منك أهل الخير؛ لأنّ من الغالب على الإنسان التأنس بقريته والميل إلى طبعه وتزيينه، فمن قريته من نفسك فقد مكنته من أذنبك، ومن مكنته من أذنبك فقد مكنته من قلبك لأنّ الأذن زمام القلب"⁽⁶⁸⁾.

وأته لا بد من ردع المفسد الدينية والدينيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية ولا يجوز أن يترك مفسد على فساد مع إمكان رده⁽⁶⁹⁾.

المطلب الثالث: مساحات الاستفادة من فكر الشيخ الإمام على ضوء سلم المعطيات والتحديات

إنّ المتتبع للفكر السياسي للشيخ المغيلي الجزائري الذي عاش ما بين القرن التاسع والعاشر الهجريين، زمن الدولة الزيانية، يلاحظ أنّ مساحات الاستفادة من فكره خاصة من خلال المعطيات القديمة والحديثة، وكذا من خلال التحديات المعاصرة، يمكن استثمار العناصر التالية:

الفرع الأول: إنّ قوة الدولة إنما يبدأ من خلالها تنظيمها المحكم للأجهزة الحكم ومؤسسات الدولة، والتنظيم يقتضي العمل والتطبيق، إذ إن النصوص القانونية المعاصرة قد تكون متنوعة وكثيرة، لكن هذه الترسانة قد لا تغني إذا لم تحوّل إلى تطبيقات عملية، ومراقبة مستمرة من الأجهزة، وهذا الأمر يتطلب وجود مستشارين أقوياء كالشيخ المغيلي، وحكام يبحثون عن الرقي والتطور.

⁽⁶⁷⁾ نور الدين كرديد، المرجع السابق، ص 126.

⁽⁶⁸⁾ محمد المغيلي، أسئلة الأسقية، المرجع السابق، ص 24.

⁽⁶⁹⁾ نور الدين كرديد، المرجع نفسه والصفحة.

الفرع الثاني : إنّ الاستثمار الحقيقي بالنسبة إلى الجزائر لابدّ أن يكون في إفريقيا كما فكر في ذلك الشيخ المغيلي وجسده، فالجزائر بإمكانها تفعيل محور جنوب جنوب، والبدء إنما يكون من البعد العربي الإفريقي، وهذا يقتضي اعتماد أسلوبيين :

أوّلاً : تفعيل السياحة الدينية من خلال الطرق الصوفية التي لها امتداداتها من الجزائر إلى عمق إفريقيا، وهذه السياحة الدينية ستؤثر ليس فقط على المستوى السياحي والإيماني وإنما أيضا سيكون لها تفعيل البعد التجاري والاقتصادي.

ثانيا : تفعيل البعد التجاري والاقتصادي، وهذا باعتماد المواصلات البرية والمجالات الجوية، بحيث تستفيد كل الدول الإفريقية، ولا تبقى عرضة لاستغلال الدول الغربية التي عششت في إفريقيا قرونا، واستنزفت خيراتها ومقدّراتها. وإذا كان ارتباط سلاطين بني زيان بعلاقات ودية مع سلاطين كاتم وبوتو وسنغاي ومالي بحيث كانوا يتبادلون معهم الهدايا والرسائل، فإن عوامل ذلك الزمن التي عززت هذه العلاقات إنما كانت بسبب مرور حجيج بلاد السودان الغربي بتلمسان حيث كان يلقي كل المساعدة والتعاون⁽⁷⁰⁾.

وفضلا عن هذا فإنّ بعض زعماء تلمسان كان يستغل وجوده بالبقاع المقدسة ليعزز علاقات دولته بدول أخرى، ومن ذلك أنّ الحاج هلال القطلوني عندما سافر إلى الحج لقي في طريقه سلطان السودان من آل مسنى موسى واستحكمت بينهما المودة⁽⁷¹⁾.

وفي هذا الزمن فإنّ سبل تعزيز العلاقات كثيرة جدا، والضرورة بادية للجميع، والظروف مواتية جدا لبعث اقتصاد يستفيد منه الجميع، ويكون للجزائر شرف القيادة بما تملك من وزن ثقيل على كل هذه الأصعدة.

⁽⁷⁰⁾ سليمان ولدخسال، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2015م، ص371.
⁽⁷¹⁾ سليمان ولدخسال، المرجع السابق، ص371.

خاتمة:

يبدو كخاتمة لهذا البحث أنّ أبرز أهم النتائج التي يمكن التوصل إليها تظهر في العناصر التالية:

أولاً: إنّ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، شخصية يندر أن تجد أمثالها، فقد كان يملك نفساً طويلاً وعزيمة فولاذية، وذكاء حاداً بحيث شخّص واقعه، وعلم دواءه، فجاهد بما يملك من أجل تحقيق مراده.

ثانياً: إنّ شخصية الإمام تخصصت في مجال السياسة الشرعية وهو علم شرعي أقرب إلى القانون الدستوري والنظم السياسية لكنه تميز عن باقي أساطين الفقه السياسي الإسلامي، أنه جمع بين التنظير والتطبيق.

ثالثاً: إنّ كتابات الشيخ الإمام كانت موجزة ومقتضبة، تنسجم وطبيعة الدساتير المعاصرة، لأنه سعى من خلالها إلى بناء مشروع الدولة وتنظيم مؤسساتها وأجهزتها، وقد نجح نجاحاً باهراً خاصة في منطقة السودان الغربي.

رابعاً: إنّ الرجل بالنظر إلى قوة شخصيته كان أمة، بحيث لم تغب عليه الكثير من التفاصيل، فكان يبني ما يجب بناؤه، ويحدّر ويحارب معوقات بناء الدولة بذكاء واقتدار، فكان له ذلك.

خامساً: إنّ فكر الرجل أثر في كثير من زعماء إفريقيا فأسسوا إمارات ودول وفق منهجه، لكن فكره أيضاً يمكن استثماره في الجزائر المعاصرة، وذلك بتفعيل السفارات الرسمية وتنشيط السياحة الدينية وإثراء المواصلات والنقل والاستثمار في قطاعات الاقتصاد المختلفة وترقية مبدأ جنوب جنوب ومبادئ حقوق الإنسان.

ويمكن أن يتحقق ذلك بفضل قيادة دولة الجزائر التي لها تاريخها وامتداداتها ومقدراتها المتنوعة.

قائمة المراجع:

1. أحمد أبا الصافي، من تاريخ توات، أبحاث في التراث، أدرار، الجزائر، 2008م.
2. ابن أبي مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر.
3. حاج أحمد نور الدين، المنهج الدعوي للإمام المغيلي، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، 2010/2011.
4. سليمان ولدخسال، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2015م.
5. عبد القادر باجي، الإمام المغيلي عصره وحياته، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011م، ج01.
6. مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، دار الغرب للنشر والتوزيع.
7. محمد ابن عبد الكريم المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم.
8. محمد الشبشاووني، دوحة الناشر، تحقيق محمد حجي، ص02، 1977م.
9. محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقية وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق عبد القادر زبايدية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
10. منال قادري وبسمة رحموني، محمد بن عبد الكريم المغيلي، مذكرة ماستر في تاريخ الغرب الإسلامي، جامعة المسيلة، الجزائر، 2019/2020.
11. ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1999م.
12. نور الدين بوكردين، جهود العلامة محمد بن عبد الكريم في مجال الكتابة في فقه السياسة الشرعية بين التجديد والتأثير، مجلة الشريعة والقانون، قسنطينة، العدد 07، 2015م.
13. الوندريسي، المعيار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج02.
14. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

الرسائل المغيلية في السياسة التقوى والعدل من أجل «الاستقرار» و«وحدة الجماعة»

أ.د/ بومدين بوزيد

الأمين العام للمجلس الإسلامي الأعلى (الجزائر)

الملخص:

تتناول الدراسة الظروف السياسية والاجتماعية في تلمسان وشمال إفريقيا التي كانت عامل تكوين في الرؤية المغيلية السياسية ومواقفه من الأقليات الدينية مثل اليهود الذين سيطروا على طريق التجارة وتجاوزوا العهود والمواثيق التي تربطهم بالمجتمعات الإسلامية، ومن الإمارات القائمة في زمنه التي غادر أرضها الإمارة الزبانية (تلمسان) وعاش إمارات إفريقية كان ضدها وناصر بعضها بل أصبح مستشارها الديني والسياسي (إمارة الصنغاي).

مع نصوص الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وحركته السياسية والجهادية في توات وإفريقيا الغربية نحن أمام تفسير ل«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» كخطاب فقهي وأخلاقي وسياسي ضمن سياق تاريخي يستدعي فيه أزمنة سابقة عند الأسلاف رجّحوا فيه تأويل «المعروف» و«المنكر» سياسياً واجتماعياً بحيث تكون فيه السلطة القهرية الفاعلة «لعلماء أتقياء» أو «حكّام عادلين»، وسنام «المعروف» إقامة «حُكم الله»، و«النهي عن المنكر» جهاد «الذّمين» (من المسيحيين واليهود)، وقد قال عنه ابن عسكر: «بن عبدالكريم المغيلي من أكابر العلماء وأبطل الأتقياء، وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

كما أنّ المجتمعات الإفريقية اختلطت فيها الإسلام بالديانات الطبيعية «الوثنية» وهنا يكون «النهي» بالاستتابة" والتخلي عن العادات السابقة التي تتعارض مع العقيدة والقيم الإسلامية أو عن طريق القوة (الجهاد).

المغيلي أمام مشهد عقدي واقتصادي واجتماعي يتطلب إصلاحاً أو ثورة حسب الملابس والظروف في توات أو في البلدان الإفريقية التي دخلها، والمبدأ القرآني الذي سيفعله ويحتاج إلى «شوكة» السلطان العادل هو «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (سورة التوبة 71)، ويعني الاهتمام بالمصلحة العامة، والانتصار للمبادئ خصوصاً الأخلاقية منها، وهو مبدأ عربي تجسّد في الجلف التاريخي السلمي بين القبائل العربية وأشاد به الرسول عليه السلام بعد نزول الوحي وهو «جلف الفضول» بعد حرب الفجار.

Al-Maghīlī's Treaties in Politics: Piety and Justice for the Stability and the Unity of the Community

Abstract

The study deals with the political and social conditions in Tlemcen and North Africa, which were a formative factor in the Imām al-Maghīlī's political vision and his positions on religious minorities such as the Jews who controlled the trade routes and violated the covenants that link them to Islamic societies, and from the existing emirates in his time, which left its land, the Zayanid Emirate (Tlemcen) and lived with African emirates.

With the texts of Imām Abū 'Abdullah Muḥammad b. 'Abdul Karīm al-Maghīlī and his political and jihadist movement in Tuat and West Africa, we are facing an interpretation of "the promotion of virtue and the prevention of vice" as a jurisprudential, moral and political discourse within a historical context in which it invokes previous times when the ancestors preferred the interpretation of the "good" and "vice" politically and socially, so that the effective coercive power of "pious scholars" or "just rulers", and the hump of the "good" established the "rule of God", and the "prohibition of vice" is the jihad of the "dhimmis" (Christians and Jews). In the context, Ibn Askar said: "Imām Muḥammad b. 'Abdul Karīm al-Maghīlī is one of the greatest scholars and the falsehoods of the pious, and he was keen in enjoining good and forbidding vice." Also, African societies have mixed Islam with natural religions "pagan" and here the "prohibition" is "by "recital" and the

abandonment of previous customs that contradict the Islamic faith and values or by force (*jihad*).

Imām al-Maghīlī in front of a doctrinal, economic and social scene that requires reforms or revolution according to the circumstances in Tuat or in the African Emirates and kingdoms, he entered, and the Quranic principle that he will do, needed to be backed by the Sultan is "enjoining good and forbidding vice", the Almighty said: "The believers and the believing men and women are each other's guardians, they command good and forbid evil" (Surat Al-Tawbah 71), and it means attention to the public interest, and the victory of principles, especially moral ones, an Arab principle embodied in the peaceful historical alliance between Arab tribes and praised the Prophet (Peace Be Upon Him) after the revelation and is the "oath of curiosity" after the war of ungodliness.

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Good and Vice, Sub-Saharan Kingdoms, *jihad*

قضى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1504م) مرحلة تكوينه ونبوغه في تلمسان الزيانية وعاش فيها ما عانى منه بعض زملائه من العلماء مثل أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914هـ/1509م) من حيث أصابهم من السلطة القائمة خصوصاً زمن تولّي أبي عبدالله محمد الثالث المتوكل (من 1462-1472)، كما عايش الاضطراب والفن التي عرفتها المنطقة، منها صراع العائلة الزيانية في تلمسان وحروبها مع المرينيين والحفصيين.

إن رحلته واختياره بلاد توات كونها ذات شبه استقلال سياسي، والسلطة الفعلية فيها للقاضي والفقير، وجدها «حاضرة» القول الفصل في المنازعات والحروب والخلاف بين القبائل والسكان للنخبة العلمية ولشيوخ الدين، ومن أبرز القصور التواتية التي اختارها في هجرته "أولاد سعيد"⁽¹⁾ التي تتميز بالاحتكاك بالسلطة المركزية في ذلك الوقت "تلمسان الزيانية"، وبكونها ملجأ لبعض السلاطين الذين ينقلب عليهم الوضع في عواصمهم، وللعلماء الذين يبحثون عن حريتهم والقيام بواجب نشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد نزل الإمام بهذا القصر وبها مدفّن زوجته⁽²⁾ وابنه، كما هاجر إلى توات قبله خصمه في قضية «نازلة يهود توات» من تلمسان عبدالله بن بكر العصنوني سنة (875هـ/1470م) الذي تولّى القضاء بها، وكانت هجرته بسبب الفوضى السياسية وانتقام بعض سلاطينها من

(1) في التقسيم الإداري الجديد هي الآن بلدية تابعة لولاية تيميمون وتبعد عنها 18 كلم.
(2) زوجه اسمها زينب، وفي الذاكرة الشعبية وبعض ما دونه بعض الذين نقلوا من الشفاهي أنها «ابنة عبدالرحمن الثعالبي» ولم نعثر على ذلك في كتب التراجم التي عاصره مؤلفوها أو الذين جاؤوا بعده، وحسب ما أورده عبدالرحمان الجيلالي في حديثه الثعالبي أنه «خلف ثلاث بنات فاطمة ورقية ومحجوبة، فإنهن توفين صغار 841 هـ، إلا عائشة فإنها كانت موجودة سنة وفاة أخيها بن الصالحيت 851 هـ وقبورهم جميعاً حيث مدفّن أبيهم بأوسط المحل المعروف قديماً باسم "جبانة الطلبة" بعاصمة الجزائر» انظر: عبدالرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة (الجزائر)، ط 2014، ج 2، ص 366.

بعض العلماء وقد عاصر هو كذلك مثل المغيلي وشيخهما يحيى بن يدير بن عتيق التدلسي أبو زكريا (ت 877هـ/1472م) نكبة الونشريسي الذي نهبت داره وهاجر إلى فاس المرينية.

كما اختار قصر «أولاد سعيد» وتوات السلطان أبي حمّو موسى الزيّاني (ت 791هـ/1389) بأهله وحاشيته أثناء فراره من المرينيين وكان في صُحبته مستشاره الخاص أخ ابن خلدون صاحب كتاب "بُغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد"، وهو القصر الذي زاره في مرحلة لاحقة مؤسس الطّريقة الشّيخية عبدالقادر بن محمد سليمان البوبكري (سيدي الشيخ) وابن أبي محليّ السلجماسي صِهْره، وسعيد قدورة⁽³⁾.

واقع السّلطة السياسية في الغرب الإسلامي وضعف مركزيتها وهيبتهما بعد سقوط دولة الموحدين نهاية 1269م، وكان وراء محاولات الإحياء لهذه الدّولة والوحدة والاستقرار والأمن، كانت «الدّولة الموحّدية» الحلم الذي يسعى بعض الفقهاء كالمغيلي وبعض الانتفاضات. إضافة إلى الوضع السياسي والاضطرابات وهجرة المغيلي من فضاء الصّراع السياسي والحروب وتكوينه الفقهي والكلامي الذي يتميّز به في قضايا "الإمامة"، كلها عوامل جعلته يبحث عن «الإمارة العادلة» في رحلاته وهجراته الإفريقية، بعد أن افتقدها في «توات»، وفي مدينته الأصلية «تلمسان».

كما أنّ تأثير أدبيات «مرايا الأمراء» أو «الفقه السياسي» حاضر من خلال اطلاع على «الأحكام السّلطانية» لأبي الحسن الماوري (ت 450هـ/1058م)، وكتاب «السّياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة» لأبي بكر المرادي الحضرمي (مات بالقيروان سنة 489هـ) وكتاب «الولايات» لأحمد بن

⁽³⁾ مولاي التهامي بن سيدي محمد غيتاوي، الفتح الميمون في تاريخ جواررة وعلماء تميمون إقليم توات أدرار، منشورات العالمية للطباعة والخدمات (الجزائر) ط 2013، ص 5.

يحي النونشريسي، و«واسطة السلوك في سياسة الملوك» لأبي حمو موسى الزباني (790هـ/1389م)، وهو تلخيص كتاب «سلوان المطاع في عدوان الأتباع» لابن ظفر الصقلي، ويتجلى هذا التأثير العلمي من خلال رسائله وفتاويه وحواراته مع أمراء وحكام في بلاد التكرور ونيجريا.

أساس الإمارة العادلة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مع نصوص الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وحركته السياسية والجهادية في توات وإفريقيا الغربية نحن أمام تفسير لـ«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ضمن سياق تاريخي يستدعي فيه أزمنة سابقة عند الأسلاف رجّحوا فيه تأويل «المعروف» و«المنكر» سياسياً واجتماعياً بحيث تكون فيه السلطة القهرية الفاعلة « لعلماء أتقياء» أو «حكام عادلين»، وسنام «المعروف» إقامة «حُكم الله»، و«النهي عن المنكر» جهاد «الذميين» وخصوصاً «اليهود» إذا تجاوز وضعهم الاجتماعي والسياسي في النفاذ إلى سلطة القرار السياسي والاقتصادي، كما هيمنوا على طريق التجارة بين الشمال والجنوب وهذا الانقلاب في الوضع التاريخي والاجتماعي في تاريخ المجتمعات الإسلامية هو الذي انتفض ضده الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي وقد قال عنه ابن عسكر: «ابن عبد الكريم المغيلي من أكابر العلماء وأفضل الأتقياء، وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»⁽⁴⁾

كما أنّ المجتمعات الإفريقية اختلط فيها الإسلام بالديانات الطبيعية «الوثنية» وهنا يكون «النهي» بالاستتابة والتخلي عن العادات السابقة التي تتعارض مع العقيدة والقيم الإسلامية أو عن طريق القوة "الجهاد".

المغيلي هنا أمام مشهد عقدي واقتصادي واجتماعي يتطلب إصلاحاً أو ثورة حسب الملبسات والظروف في توات أو في البلدان الإفريقية التي دخلها،

⁽⁴⁾ ابن عسكر، دوحة الناشر، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، (المغرب)، ط 1976، ص 130

والمبدأ القرآني الذي سيفعّله ويحتاج إلى «شوكة» السلطان العادل هو «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (سورة التوبة 71)، ويعني الاهتمام بالمصلحة العامة، والانتصار للمبادئ خصوصاً الأخلاقية منها، وهو مبدأ عربي تجسّد في الحلف التاريخي السلمي بين القبائل العربية وأشاد به الرسول عليه السلام بعد نزول الوحي وهو «حلف الفضول» بعد حرب الفجار.

هذا الركن «المبدأ» لم تتركه السّلطة الزمنية في العهد الأموي والعباسي على حرية ممارسة ذلك للأفراد بل نظّمته ومأسّسته من خلال "المحتسب" أو "الحسبة" وهو فرض كفاية وليس فرض عين، واعتمد «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فرقاً إسلامية بمضمون اختلفت فيه عن أهل السنّة مثل الخوارج والمعتزلة بالخصوص عند أبي الهذيل العلاف، ويوسف بن إبراهيم البرم الذي خرج على المهدي الخليفة العباسي وثار ضده باسم النهي عن المنكر، وأتباع النفس الزكية، وأحمد بن نصر الذي اعترض على فكرة «خلق القرآن»⁽⁵⁾.

إذا مفهوم «الخيرية» في مضمون «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» هو «حركة سياسية جهادية» من أجل العودة إلى «زمن المدينة المنورة» وهي اليوتوبيا التي نقرأها أيضاً في مشروع "دولة الموحّدين" في الغرب الإسلامي، فالمهدي بن تومرت (ت 524هـ/1130م) يرى التّغيير الجذري ويؤوّل «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» كمبدأ من أجل انتصار العقيدة، ويروي عنه المؤرّخون طريقة نهيه عن المنكر الشّديدة والتي تصادمت مع المجالات الاجتماعية التي عاش فيها، وقال عنه ابن خلدون واصفاً قوّة دعوته: «رجع

⁽⁵⁾ جوزف فان أس، علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، تر: محي الدين جمال بدر ورضا حامد قطب، منشورات الجمل (بيروت/بغداد) ط 1، 2016، ج2، ص 574.

من الشّرق بحراً متفجّراً من العِلْم وشهاباً واريّاً في الدّين»، وبقي تأثير «المرشدة» و«أعزّ ما يطلب» في الوعي التّخبيوي الفقهي والسّياسي والشعبي في بلدان المغرب العربي، وكانت الدُّول الثلاث القائمة (الزيانية والمرينية والحفصية) تدّعي الانتساب للموحدين وللمهدي بن تومرت، وحاول بعض السّلاطين استرجاع الإمبراطورية الموحّديّة مثل أبي الحسن الميريني (حكم من 1331م-1348م) لكن للتاريخ سنّنه.

مبدأ «الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر» كثورة سياسية و«عقد سياسي» بالنسبة للمغربي يستمدّه من الإمام أبي حامد الغزالي قبل ميراث الموحّدين، فصاحب «إحياء علوم الدين» جعل من «المعروفية-اللامنكريّة»⁽⁶⁾ أساس الدّين، وهو ما اعتمده كما رأينا المهدي بن تومرت في كتابه: «أعزّ ما يُطلب»، ومن الأندلسيين أبو الوليد الباجي (ت 471هـ/1082م) الأشعري الذي اشترط ثلاثة أمور في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: اثنان منها للجواز: 1 - أن يكون التّاهي عالماً بالمعروف والمنكر. 2- وأن يأمن أن يؤدي إنكاره إلى منكرٍ أعظم من الذي ينهي عليه، مثال: أن ينهي عن شرب الخمر فيؤدّي إلى قتل نفسٍ، فإذا انعدم الشّرطان فعليه أن يُنكر بقلبه، والشّرط الأخير أن يعلم أو يغلب على ظنّه أن يُقبل⁽⁷⁾.

ليس بالضرورة أن يكون الإمام ابن عبد الكريم المغيلي اطّلع على هذه الأدبيات في «المعروفية-اللامنكريّة»، لكن من خلال نصوصه يعود إلى ما تعلّمه من المدونات الفقهيّة المالكية والعقدية الأشعرية، وما تدارسه في تلمسان وبجاية، وكان للغزالي الحضُور القويّ في الدّائرة الفقهيّة والدّينية للمغاربة وبالخصوص في بجاية (الجزائر) التي أنقذ أهلها نسخة من

⁽⁶⁾ حتى لا نكرر عبارة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ركبنا بين المعروف والمنكر "المعروفية-اللامنكريّة"

⁽⁷⁾ أبو الوليد الباجي، سنن الصالحين وسنن العابدين، تحقيق: إبراهيم باحسن عبدالمجيد، دار ابن حزم (بيروت) ط 1، 2003، ص 286.

«إحيائه» بعد أن أمرت السّلطة المرابطيّة حرقه في السّاحات العمومية، كما نقرأ هذا المبدأ عند من عاصره كأحمد بن يحيى عبدالواحد الونشريسي وأبي سعيد العقباني وابن زكري أو من أخذ عنه مباشرة كعبد الرحمان الثّعالبي الذي عُرف عنه نصحه للحكام ومقاومته للظّلم، أو غير مباشر مثل أبي القاسم البرزلي صاحب النوازل، هذا فضلا عن علماء المالكية مثل ابن الحاجب وابن القاسم وابن رشد الجدّ.

إنّ باب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" في المؤلّفات التي وصلتنا «أصل الدّين» عند الإمام أبي حامد الغزالي، أما في نصوص أخرى فهو في خاتمة الفُصُول، والماوردي وضع هذا الأصل تحت عنوان «الجسبة»، ويقول في نهاية الفصل والكتاب: «والجسبة من قواعد الأمور الدّينيّة... وإنّ أكثر كتابنا هذا يشتمل على ما قد أغفله الفقهاء أو قصّروا فيه، فذكرنا ما أغفلوه واستوفينا ما قصّروا فيه»⁽⁸⁾.

"تاج السّياسة" والحاجة الشّرعية لـ"تاج الدّين" عند المغيلي.

أبرز النّصوص التي يتناولها المؤرّخون والمحقّقون نصّان: في «كاغو» أو «جاو»(مالي) لازم الأسكيا الحاج محمد الأول توري (1493-1528) وكتب له إجابة عن أسئلته النازلية رسالة: «أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي»، والنصّ الثاني رسالته إلى سلطان كانو (شمال نيجيريا) محمد بن يعقوب برّمفت، وعنوانها: «تاج الدّين فيما يجبُ على الملوك والسلاطين»، كما أوصاه برسالة أخرى «ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام».

في النصّ الأوّل الأشبه بدستور لنظام الأسكيا تضمّن سبْع نوازل فقهية نجدها عند من سبقه، لكن أهميتها هنا هي أنّها ضمن سياق عن "الشّرعية الدّينية والسّياسية" لنظام جديد قام على أنقاض نظام سابق

⁽⁸⁾ أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة (الكويت)، ط1، 1989، ص 399.

بثورة قادها الأسكيا وناصره بعض العلماء والقبائل، وكان أبرز المؤيدين لهذا النظام الجديد الأسكيا للمغيلي، باعتبار النظام الجديد والحاكم الجديد قطيعة مع نظام تميّز بالظلم والتخلي عن الدين، وليس هذا فحسب بل ديانتته مختلطة بتراث ديني وثني سابقن سواء على مستوى الحاكم السابق سني بارو علي (1464-1492).

البحث عن «دولة جديدة» في الغرب الإفريقي هو الحلم الذي عاشه بعد خروجه كارهاً من مجالين جغرافيين واجتماعيين لم يكن فيه متبّع الرأي، وتمييز هذان المجالان بالاضطراب وغياب سلطة سياسية دينية قويّة، غادر مكرهاً وخائفاً من بطش السلطة الزبانية بتلمسان التي يتصارع فيها أبناء العائلة الأميريّة الواحدة وتحققها المخاطر من الشرق الحفصي والغرب المريبي، ومن "توات" التي سيطر فيها قضاءً مثل زميله- خصمه عائلة العصنوصي سواء القاضي الأكبر عبدالله بن أبي بكر العصنوني وهو مهاجر تلمساني كذلك أو ابن أخيه سالم العصنوني الذي عارضه في قضية إجلاء يهود توات وهدم بيعتهم واعتبر معارضوه ذلك تشغيياً على أهل توات وحالة التعايش التاريخية بين اليهود والمسلمين في هذه المناطق، وكان لهذه العائلة العصنونية النُفوذ بحكم انتمائها للشرف الحسيني ولكون شيخهم وشيخ المغيلي هو القاضي يحيى بن يدير التدلسي التلمساني.

سند شرعيّة «إمارة الغلّبة».

نحن هنا أمام «إمامة بدون اختيار أو عقد»، إنه الأمر الواقع تمّ بقوة القبيلة أو بغياب حكم في بعض بلدان السببة التي عرفت في الصحراء وإفريقيا الغربية، عند الماوردي يجوز ذلك بقول بعض فقهاء العراق عكس جمهور الفقهاء والمتكلمين⁽⁹⁾، وهي مسألة خلافية سياسية بين الفقهاء وبين الشيعة والسنة، والمغيلي هو استمرار في البحث عن «شرعية الإمارة»

⁽⁹⁾ أبو الحسن الماوردي، ص 9

للتقاليد السُّنيّة من خلال خارج العوامل الوراثية، ولكن شرط «القرشيّة» سيتمّ طبعاً التخلي عنه أو شرط «الشّريفية» في مجال سوسولوجي مركّب عرقي من أصول محلّيّة بعضها تصاهر واندمج مع العرب والمهاجرين من بلدان إسلامية.

المغيلي في رسائله لم يشترط القرشيّة أو النّسب أو قوّة القبيلة (العصبيّة)، ولكن الشّرعية يكتسبها من تقوى الله وخدمة الأُمَّة وتحقيق وحدتها وأمنها بفضل إحلال العدل وتطبيق الشّريعة الإسلامية، كما أنّ في حالة "إمارة صنغاي" يفتي له فقهيّاً وقضائياً في تمديد المساحة الحدودية لهذه الإمارة، حيث إنّ حكامها ضموا أراض أخرى احتلالاً أو وضعها سيبي (بدون تبعية لسلطة سياسية)، ويستتبع هذه الوضع الجديد وضعاً مالياً آخر، وهو رأي الإسلام من خلال اجتهاد المغيلي من كتلة الأموال الموروثة من النظام السابق التي كانت نتيجة الغصب، وعلى المستوى الاجتماعي: كيف تتعامل الدّولة مع مجتمع غير واضح المعالم في جانبه الديني فهو مجموع عادات يمتاز فيها الإسلام بالديانات الوثنية السّابقة.

في رسالة إلى الأمير الحاج أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الملقب بـ«أسكيا»⁽¹⁰⁾ إجابة عن سؤال وجّهه حاكم صنغاي إلى المغيلي ومضمونه: «أصابتنا مصيبةٌ في هذه البلاد لعدم الأمانة فيما ينسب إليه العلم من قراء بلادنا، ومن صفتهم أنّهم عجم لا يفهمون من العربيّة إلا قليلاً من كلام عرب بلادهم...ولذا أطلب منك أن تفتي لي بما علّمك الله في هؤلاء القراء: هل يجوز لي أن نعمل بقولهم في دين الله ويخلّصني تقليدهم عند الله أو لا يحلّ لي ذلك؟ وهل يجب عليّ البحث عن نوليّه الحُكم (أي القضاء)؟»

(10) الحاج محمد بن أبي بكر أسكيا (1538-1443)، أمير إمبراطورية السنغاي (الصنغاي) (السينغال ومالي) التي تأسّست عام 1464 انتهى شمسها عام 1591. وكانت عاصمتها (جاو)، وامتدّت إلى مناطق قبائل الفولاني وحوض السينغال وأغادس (النيجر اليوم) وحدود إمارات الهوسا في الشّرق، ثار أسكيا ضدّ الحاكم سوني بارو الذي تخلى عن تطبيق الشريعة.

وكان جواب المغيلي: «اعلم أغاننا الله وإياك أن الملك كله لله وما التصر إلا من عند الله، فكن لله عبداً بطاعته يكن الله لك رباً بحفظه وإعانتة، أما أنت فعبداً مملوك رفعت مولك على كثير من عباده لتصلح لهم دينهم ودنياهم»⁽¹¹⁾، وهنا يأمره المغيلي بالعدل، كما وعظه بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «الإمارة أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل وكيف يعدل مع أقاربه؟»⁽¹²⁾، ويوصيه أن يقرب إليه بطانة الأئمة بالمعروف ويستشهد بقول مالك بن أنس: «لا تمكّن زائف القلب من أذنك فإنك لا تدري ما يعلقك من ذلك» ويقول له: «الأذن زمام القلوب»، ويستمر في الموعظة فيذكره بقول النبي عليه السلام: «إذا أراد الله بالأمر خيراً جعل له وزير صدق، وإن نسي ذكراً، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه»⁽¹³⁾، والذكر هنا هو القرآن وأهله، ويقتضي في المستشار حسب المغيلي أن يكون عالماً وتقياً.

ويواصل حديثه المغيلي في رسالته متحدثاً عن كثير من علماء هذه الأمة وعبادها: "فهم يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، وبسبب هؤلاء العلماء والعباد شاع الفساد في جميع البلاد، فالجهاد فيهم وفي أنصارهم أفضل من كل جهاد، قال الرسول: «هالك أمي عالم فاجر»

(11) محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر)، 1974، ص 24.

(12) نص الحديث: قَالَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ ابْنُ أَخِي حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ افْتَتَحَ إِبِلِيَاءَ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يُرَاجِعُ مُعَاوِيَةَ بِذِكْرِ الْإِمَارَةِ فَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الْإِمَارَةَ فَقَالَ: "أَوَّلُ الْإِمَارَةِ مَلَامَةٌ، وَثَانِيهَا نَدَامَةٌ، وَثَالِثُهَا عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَعَدَلَ" وَقَالَ: هَكَذَا وَهَكَذَا بِيَدِهِ فَمَا يَرَى بِالْمَالِ، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: "كَيْفَ بِالْعَدْلِ مَعَ ذَوِي الْقُرْبَى؟"، صحيح البخاري (6729)، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري

شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، 1986، ج 13، ص 134.

(13) عن عائشة، رواه أبو داود.

وعابِدُ جاهلٍ»⁽¹⁴⁾ وقال الرسول: «لغير الدجال أخوفني على أمّتي، قيل من؟ قال: أئمة مضلين»⁽¹⁵⁾.

إنّ المغيلي هنا يُحمّل "علماء السوء" ويسمّهم في بعض نصوصه الأخرى «لصُوص الدّين» وهو استعمال نجده سابقاً عند الإمام أبي حامد الغزالي (450هـ-505هـ) حين نكبت السّلطة المرابطية في زمن الحاكم علي بن يوسف بن تاشفين بمؤلفاته وأحرقتها في ساحة عامّة، ومنها كتابه الشّهير «إحياء علماء الدين»، ويُقسّم العلماء (القُرّاء) إلى ثلاثة أنواع: العالم التقيّ، الثاني إما أنه تقيّ وليس بعالم أو العكس، والثالث مشكوك فيه، وهنا يضع قاعدة للحاكم وهو أن يختبر هؤلاء الفقهاء والمفتين في توفّر خاصيتين جوهريتين (العلم والتقوى) وهما صفتا أهل الذكر التي سبق الحديث عنها، وبالتالي حفظ المتون وإتقان اللغة العربية ليست صفة كافية للثقة فشرط التقوى في نصوص المغيلي حاضر دوماً، ويبدو أنه كان يتعجّل إصلاحات سياسية والقيام بتوسيع مملكة صنغاي فيطلب من الأمير "ثمّ اعلم أنّ تأخيرك النظر في الأمور حتى تستفتي من عندك من أهل الذكر تضييع لكثير من الأمور التي تعين عليك إصلاحها عاجلاً فبادر للنظر في جميع الأمور"⁽¹⁶⁾.

إذن الأمير أو السّلطان أو الخليفة قد يكون ظالماً أو لا ينهى عن منكر لأنّ الذين يحيطون به أو يستشرونهم من «علماء السوء»، أي التّخبة الانتهازية التي تسعى لخدمة مصالحها أو جماعتها، وهنا المغيلي يستحضر تجربته في تلمسان وما عايشه في زمن الزيانيين (تلمسان) والمرينين (فاس)

⁽¹⁴⁾ نصّ الحديث: "هلاكَ أمّتي عالمٌ فاجِرٌ وعابِدٌ جاهِلٌ، وشَرُّ الشّرِّ أشرارُ العُلَماءِ، وخَيْرُ الخَيْرِ خيَارُ العُلَماءِ، يرى بعضهم أن لا أصل له، وأورده صاحب "جامع بيان العلم وفضله".

⁽¹⁵⁾ أثبتنا النص كما هو في الأصل وليس بتعبير المغيلي الذي يستعمل جملة "علماء السوء"، طبعاً معنى "الأئمة" هنا يحيل على نفس اللفظ، رواه الإمام أحمد من طريق ابن لهيعة عن أبي ذر الغفاري.
⁽¹⁶⁾ المصدر نفسه، ص 28.

والحفصيين (تونس) حيث نجد الأزمة السياسية في صراع الأمراء على السلطة وتحالف بعضهم مع فقهاء دعوا إلى بيعة من لا حق له، وقد كانت هذه الأزمات السياسية في هذا العهد وراء هجرة بعض العلماء الأوفياء لعلمهم ومبادئهم نحو المشرق العربي أو الصحراء ومنهم محمد بن عبد الكريم المغيلي.

يورد المغيلي في رسالته هذه مرويات وأمثال حكيمية من التراث في الصفات التي يراها تتوقّر في «الحاكم الصّالح»، ومنها:

1- الورع: فهي صفة تجعل الأمير يحكم بالعدل وينهى عن المنكر ويحافظ على المال العام، ويروي هنا ما قام به علي بن ابي طالب - رضي الله عنه- من حملة ضدّ القصاصين حتى جاء للحسن البصري فقال له: ما مَلَاك الدّين؟ فقال له الورع، وما فساد الدين؟ قال له: الطّمع، قال له أجلس مثلك يتكلّم على الناس.

2- اتباع الحقّ: فيقول له: "وإن تعارض أمران مستويان في نظرك فاعرضهما على نفسك، ثم اعمل أثقلهما عليك، فإنّ الغالب على النفس في حال الحياة والصّحة أن لا تكره إلا الحقّ، وإن عرضتهما على نفسك فاستويا عندها فانظر أيهما أحبُّ إليها أن تموت عليه ثم افعله، لأنّ الغالب على النّفس في حال الانتقال عن الدنيا إلى الآخرة ألاّ تحبّ إلا الحقّ، فعليك بهذه القاعدة في كل ما يعرض لك من الأمور فإنها نافعةٌ لكلّ من ليس بعالم ولم يجد عالماً تقيّاً حاضراً"⁽¹⁷⁾.

وبعد سؤال تفصيلي عن طبيعة إسلام من ثار ضده أسكيا وتاريخ السلالة الحاكمة، وهو نص ينقل لنا طبيعة استمرار العادات القديمة من عبادة الظواهر الطبيعية، كما يصف لنا طبيعة صلاتهم التي قد يكتفون فيها بكلمات ولا يقرؤون الفاتحة، ويسمي تلك البلاد انها أخذت غنوة،

⁽¹⁷⁾ المصدر نفسه، ص 28.

والبحث في تاريخ الأرض التي تقوم عليه الدولة كان من المداخل الأساسية في «الفقه السياسي»؛ لأن الفرق بين «أرض العنوة» و«أرض المصالحة» يترتب عنه نتائج في الأحكام الفقهية الاقتصادية والاجتماعية وفي العلاقات مع غير المسلمين، واستدلّ بقتال اليهود في توات وهدم بيعهم لأن أصل الأرض لم تكن مصالحة ولكنها عن طريق "العنوة"، وفي البلدان الإفريقية ومنها الوضع الذي عليه «إمارة سنغاي» فإنه يصل إلى الأحكام التالية:

- النظام السابق ومن شابهه ظلّمة وفسادون ويجوز جهادهم وافتكاك السّلطة منهم.

- والحكم بظلمهم وفسقهم لا يوجب تكفيرهم، قال: "وأما قولك هل هم كفار أم لا؟ فلا يُكفّر أحد بذنب من أهل القبلة⁽¹⁸⁾، إنما يكون التّكفير بأحد أمور ثلاثة:

1 - أن يكون نفس اعتقاده كُفراً كإنكار الصّانع أو صفة من صفاته التي لا يكون صانعاً إلا بها، أو جحد النّبوة

2 - صُدور ما لا يَقعُ إلاّ من كافر، وإن لم يكن كُفراً في نفسه، مثل استحلال شرب الخمر، وغصب الأموال وترك فرائض الدين، والقتل والزنا وعبادة الأوثان والاستخفاف بالرّسل، وجحد شيءٍ من القرآن، "فهذان الإجماع على من ثبت عليه واحدٌ منهما حكمنا بكفره".

3 - وأن يقول قولاً يعلم أنه لا يصدر إلاّ ممن لا يعلم الله تعالى، وإنّ قائله يزعم أنه يعرف الله، وهنا يستدرك المغيلي ويقول: "وهذا مختلف فيه بين العلماء هل يكفّر به أو لا؟ وعليه اختلفوا في تكفير المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

⁽¹⁸⁾ الأشعرية

بعد هذا الشرح والتقسيم يصل المغيلي في حكمه إلى "تكفير" الحاكم السابق لصنغاي سني علي، لأنه كان على علم وتعمد ذلك، ولكنه استثنى هنا ما يتبع ذلك مثل "منع استرقاق أولادهم" عكس الكفار بالأصالة فيجوز ذلك، ويعود هنا في حكمه إلى ابن القاسم وابن رشد في حكم المرتدين وقتالهم، وهنا القصد من السؤال قضيتان «الأرض والمال» الذي بيد السلطة السابقة، فيرى استرداد الأموال باعتبارها فيئاً، وأما الأرض التي فتحت عنوة فليس للحاكم أن يمنع الآخرين من الانتفاع بمراعيمها وزراعتها، قال: «فليس للإمام ولا غيره أن يحجر على المسلمين مياهها ولا طرقها ولا مراعيها ونحوها من مصالح المسلمين» ويستشهد بحديث (النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْكَلَاءِ، وَالْمَاءِ، وَالنَّارِ).⁽¹⁹⁾

وسؤال النَّازلة: هو كيف التعامل مع المسلم الذي يخلط عقيدة التوحيد بمظاهر شركية أو استمرار العادات الدينية السابقة اجتماعياً على قصد التّعبد؟ يقول مجيباً بعبارة ردها سابقاً: "التكفير في ظاهر الحكم يكون بأقلّ من ذلك"⁽²⁰⁾، فالجهاد فيهم أولى وأفضل من الكفار واعتبرهم مرتدين لكن هنا يقول بسبي ذراريهم وهذا غريب؟

وعن سؤاله له في بلدان ترغب في أن تنضمّ إلى مملكة الأسقيا فيرى المغيلي ﴿إِنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا لِلَّهِ يُوْرَثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. والتقوى مخالفة الهوى والبلاد عنده ثلاثة أقسام: - بلاد سائبة ليس لها أمير بل مهملون، فهؤلاء أجيم إلى مبايعتك والدخول إلى طاعتك، فإن أبوا ذلك فأجبرهم عليه بما استطعت لأنه لا يحلّ لطائفة من المسلمين أن تكون هملاً.

إذا مما سبق يتبيّن أن المغيلي يرى الجهاد للأسباب التالية:

⁽¹⁹⁾ المصدر نفسه، ص 42

⁽²⁰⁾ المصدر نفسه، ص 45.

- من أجل إزالة المنكر "فالجهد في المحاربين والظالمين من الأمراء وغيرهم لأجل تغيير المنكر".

- بلاد يرهاها أمير وهو صالح، لا يجوز منازعته في أرضه ورعيته.

- أمير ظالم ويأخذ المكس فحاربه من أجل أن يكون عادلاً (ولكن لا يجوز تغيير منكر بمنكرٍ مثله) ولكن ارتكاب أخف الضّرين

أما عن الذين يخالطون الكفار ويرعون ويتكسبون معهم فيرى أنهم في حالة القبول بذلك فلا مانع من مقاتلتهم مع الكفار ويعود هنا إلى ابن عرفة من خلال نوازل البرزلي⁽²¹⁾، ثم يعود إلى تكفير من يمارس السّحر إن لم يتب ولا يُغسّل ولا يكفّن ولا يصلّى عليه،⁽²²⁾ أما الظواهر الأخرى مثل الغشّ في الميزان والعري فيطالب بتسليط العقوبة وإحداث «أمين» يراقب أخلاق الناس لئلاً أي «شرطة أخلاقيّة» في نظام الحسبة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وتتكفل الحسبة بمراقبة الأسواق كذلك⁽²³⁾.

وفي رسالته إلى سلطان كانو (شمال نيجيريا) «تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين»، والتي كتب بطلب من الحاكم محمد بن يعقوب المعروف بمرفت (حكم من 1463 إلى 1499م)، فهي تختلف عن الأولى في كونها لا تبحث عن شرعية الحاكم والنظام الجديد ولكنها تتعلق بشروط الإمارة وأخلاق السياسة ورأس هذه الأخلاق أن يكون الحاكم في علاقة مباشرة مع الشعب (الرعية)، بأن يستمع إليهم وهنا يكرّر العبارة بعد كل فقرة أو مبدأ «رأس البليّة احتجاب السلطان عن الرعية»، وفي هذا الجانب تلتقي مع رسالة الأسقيا، أي في قضيتي «التنظيم الإداري وأخلاق السياسة»، ويبدأ خطابه ب «ما يجب على الأمير؟»، فبعد أن يصف الإمارة

⁽²¹⁾ المصدر نفسه، ص 61.

⁽²²⁾ المصدر نفسه، ص 64.

⁽²³⁾ المصدر نفسه، ص 68.

بالبلوى والابتلاء والغرر يضع الشرط الأول وهو «شرط التعبد» في الإسلام ويتعلق ب«حسن النية»، هنا يعرف الإمارة كابتلاء، أي فتنة مثل الصحة والأولاد والرزق، والابتعاد عنها أفضل إلا من اضطر إليها، وهي بين التقوى والهوى، والقصد هنا أن «النية» أي «القصدية في حفظ وحدة الجماعة» هي التقوى وليس وسيلة للتكسب والهيمنة بالمعنى الذي نجده قائماً عند ميكافيلي، ويواصل وضع شروط تحقيق «إمارة العدل» في العناصر التالية:

- هيبة السلطان، بحسن الهيئة وعمل الخير، وهنا يشرح تفاصيل برتوكولية تتعلق بطريقة الجلوس والكلام والأكل والصدق في القول ومن يجالس.

- توزيع مهام المستشارين والحراسة والعلماء والقضاة والوزراء والخطباء.

- الزهد في الحياة والشجاعة وتقريب أهل الثقة وكتمان السر والحذر من بطانة السوء مثل النمامين، وهدم الحصون (بالمعنى السياسي والأخلاقي) التي تكون منفذاً للأعداء في الإخلال بالأمن الاجتماعي.

- يسأل عن العدول والأمناء والأوصياء ويحجر على السفه والبيتم، ويهتم بالورثة والميراث قصد توزيع التركة بالعدل، ويختبر عماله ويراقب مداخلهم وعزل الظلمة ومحاربة الفساد والمفسدين، ويتابع أخبار الأعداء.

- للسلطنة رجالان: العدل والإحسان، فالعدل أن يوفي كل ذي حق حقه من نفسه وغيره، والإحسان أن يتفضل من نفسه لا من غيره، واعتماد العدل، وأن لا يكتفي بما ينقل إليه من القضاة وغيرهم بل يستمع للناس وشكاويهم.

- أن تكون جباية المال بالقانون وخوف الله، والكرم روح السلطنة والبخل نفس الشيطنة، وأول الكرم الإمساك عما في أيدي الناس والكف

عن أموال الناس، والابتعاد عن الرشوة والهدية للسلطان من الرعية فهي باب البليّة.⁽²⁴⁾

يمكن اعتبار نصّ «تاج الدين» أنه يجمع بين «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» و«التنظيم الإداري والسياسي» والقصد من ذلك «أخلاق السياسة» وتطهير الإمارة من «الوسيلة» التي تبرّر الغاية وتحقيق «الأمن الاجتماعي» و«الاستقرار» بالعدل وبشرط أساسي يكرره عبر التحذير من «التحجّب البيروقراطي»، وهو أن يكون الحاكم مستمعاً ومتواصلاً مع شعبه.

إنّ الرسائل السياسية للمغيلي نعتبرها من باب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وهي تضع الإمارة أو ممارسة الحكم مثل «التعبّد»، تقتضي فيها «النية الحسنة» و«التقوى» و«الإخلاص»، والقصد هنا طاعة الله بتنفيذ عدله في الحكم بين الناس وتحقيق شريعته، كما يربط الممارسة السياسية بالتخلص من «الاحتجاب»، أي البيروقراطية وانفصال السلطة عن الشعب، وذلك من أجل تحقيق «الأمن الاجتماعي» و«الاستقرار» و«فضّ النزاعات».

⁽²⁴⁾ اعتمدنا هنا تحقيق محمد خير رمضان: المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، دار ابن حزم (بيروت) ن ط 1، 1994.

المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.
- 1. ابن عسكر، دوحه التآشر، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، (المغرب)، ط 1976.
- 2. أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة (الكويت)، ط 1، 1989.
- 3. أبو الوليد الباجي، سُنن الصالحين وسنن العابدين، تحقيق: إبراهيم باحسن عبدالمجيد، دار ابن حزم (بيروت) ط 1، 2003.
- 4. جوزف فان أس، علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، تر: محي الدين جمال بدر ورضا حامد قطب، منشورات الجمل (بيروت/بغداد) ط 1، 2016، ج 2.
- 5. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة (الجزائر)، ط 2014، ج 2.
- 6. محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر)، 1974.
- 7. تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد خير رمضان، دار ابن حزم (بيروت) ن ط 1، 1994.
- 8. -مولاي التهامي بن سيدي محمد غيتاوي، الفتح الميمون في تاريخ جواررة وعلماء تميمون إقليم توات أدرار، منشورات العالمية للطباعة والخدمات (الجزائر) ط 2013.

الحكم الرشيد ومكافحة الفساد في الفكر السياسي عند الإمام المغيلي

د. عبد الله كروم آل المغيلي
جامعة أحمد درايعية- أدرار- الجزائر

الملخص:

يتناول هذا البحث قواعد الحكم الرشيد والآليات التي وضعها الإمام المغيلي لمكافحة الفساد في زمانه، القائمة على حماية مصالح الناس والوحدة الإسلامية وحفظ مقاصد الدين والمستمدة أساسا من مشروعه الإصلاحية الرامي إلى إيجاد حكومة قوية وعادلة وأمينة. كما تبرز الورقة الفكر السياسي للإمام المغيلي الذي يتأسس على قوة مؤسسات الدولة وحسن خدمتها ومتانة رسالتها لتحقيق العدل والاستقرار والوحدة، وضرورة أن تبقى مرافقها حيادية ومرتبطة بالأمة وحاجاتها، وأن تسعى جاهدة لترسخ قيم المواطنة وترسي دعائم الرشاد ومكافحة الفساد وأساليبه.

وضع الإمام المغيلي في كتابه: (تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين) جملة من قواعد الحكم الرشيد وطرق مكافحة الفساد ومعالجة التسيب والتبذير والترغيب، ورسم للحاكم المسلم مسار تقعيد المملكة وبناء الدولة على أسس، وتمثلت تلك القواعد والأسس فيما يلي: تحرير نية القصد للولاية العامة، والاتصاف بالمسؤولية في الظاهر والباطن، والشفافية في تسيير أموال الدولة وتشديد الرقابة عليهما، وإرادة قوية ودولة منظمة، وفضح أساليب الفساد والمفسدين، والتواصلية والتشاركية مع المواطنين والتكفل بانشغالهم، تحقيق العدالة وحسن التقاضي.

Good Governance and Fighting Corruption in the Political Thought of Imām al-Maghīlī

Abstract

This research deals with the principles of good governance and the mechanisms established by Imām al-Maghīlī to combat corruption in his time. These principles were based on protecting the interests of people, promoting Islamic unity, and preserving the objectives of religion. They were primarily derived from his reformative project aimed at establishing a strong, just, and trustworthy government. The paper highlights the political ideology of Imām al-Maghīlī, which emphasizes the strength of state institutions, their effective service, and the steadfastness of their mission in achieving justice, stability, and unity. It emphasizes the importance of maintaining their neutrality, being connected to the nation and its needs, and actively working to promote citizenship values, establish righteous foundations, combat corruption, and its methods.

In his book titled "*Taj al-Dīn fī ma Yajibu 'ala al-Muluk wa al-Sālātīn*" (Crown of Religion in the Obligations of Kings and Rulers), Imām al-Maghīlī laid down a set of principles for good governance and methods to combat corruption, address negligence, wastefulness, and extravagance. He outlined a path for Muslim rulers to establish and build their states on solid foundations. These principles and foundations include: having sincere intentions for public governance, being responsible both outwardly and inwardly, ensuring transparency in managing state funds and strengthening oversight, possessing strong willpower and maintaining an organized state, exposing corrupt practices and individuals, engaging and collaborating with citizens, addressing their concerns, and achieving justice and fair judicature.

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Good Governance, Legal Policy, Justice

1-مقدمة:

لا يعدم العظماء بفناء أجسادهم أبدا. إنما تبقى أعمالهم وآثارهم حية، شاهدة، على بصماتهم التي خلدوها لتكون منارة هادية للأجيال من بعدهم، يستلهمون من قباستها ما يضمن لهم سبل البقاء في الحياة أحرارا، ويعزز لهم ما يكفل استقرارهم في أوطانهم بعزة وكرامة.

الإمام المغيلي (ت 909هـ) واحد من أولئك العظماء الذين قضوا حياتهم في مجالات مختلفة، وانفتح على محيطه الداخلي والخارجي، ليسجل تاريخا حافلا في وطنه الجزائر، بالنظر إلى ثراء التجربة، وقوة الجسارة، ومركزية العطاء، ليعمق حضورا ثقيلًا في الجوار الإفريقي بوصفه فاتحا ومعلما ومصالحا من جهة، وليُسهِم في استقرار الممالك والأوطان، ويرسِّخ معالم النسيج الموحد فيها على المستويين الاجتماعي والثقافي من جهة أخرى.

تشهد المكتبة العربية للإمام المغيلي بغزارة إنتاجه في تأليف العشرات من الكتب والتصانيف في حقول معرفية متنوعة كالتفسير والفقه واللغة والأدب والتصوف والسياسة الشرعية. ومؤلفاته المحققة وغير المحققة لازالت تزخر بها خزائن المخطوطات والمكتبات الخاصة والعامة داخل الوطن وخارجه.

إنّ إفريقيا لتسجل بأحرف من نور تلك الإسهامات الجليلة للإمام المغيلي في تشكل مشهدها الثقافي والفكري والإصلاحي، بما أبلى فيه من أثر طيب؛ إذ ربط بلده بدول غرب إفريقيا، ليؤسس مرجعية علمية واجتماعية وثقافية على مستويات متعددة تؤسس لمرجعية مشتركة تحقق الاستقرار الاجتماعي والأمن الفكري في إفريقيا.

لقد قاد الإمام المغيلي حركة إصلاحية تستهدف تحرير الإنسان أينما كان من كل اللوائيات التي تشكل تهديدا على وجود النفس البشرية أولا، ومقومات الدولة ثانيا، ومستقبل الأمم والشعوب ثالثا، وربط ذلك كله

بأواصر الإيمان، وعرى الوطنية، لحماية الأمة من التذويب والانمحاء. وإرساء دعائم الدولة وفق أسس ومبادئ توفر بيئة الحكم الراشد المفضي إلى تحقيق الأمن والاستقرار والعدالة الاجتماعية.

اقترب الإمام المغيلي من دوائر الملوك والحكم في بلاد التكرور من بوابة الاستشارة والنصح والإرشاد، فقدم آراء وأفكارا تؤسس لدولة أساسها العدل والحرية ومكافحة الفساد، من خلال المثاقفة مع أسكيا محمد حاكم مملكة سنغاي، ومن خلال القواعد والأسس التي وضعها لحاكم مملكة كانو محمد رانفا ليقيم دولة ترسي دعائم الحوكمة وحماية المال العام من النهب والتسيب، فما هي القواعد والأسس التي وضعها الإمام المغيلي في بناء دولة الحكم الراشد ومكافحة الفساد؟ وهل نجح في ذلك؟ وما مكانتها بالمقارنة مع ما وصلت إليه الدولة الحديثة والفكر السياسي في ترسيخ قيم الحكم الرشيد المبني على الشفافية والمساءلة والتشاركية والاستراتيجية؟

2- الإمام المغيلي حياة مكافح:

تميزت حياة الإمام المغيلي بالدعوة، والإصلاح، والجهاد، حيث صال وجال مدافعاً عن الإسلام بقلمه، ولسانه، وسيفه، فألّف العديد من الكتب في شتى الفنون، وصاح في أفريقيا، والسودان الغربي تحديداً، معلماً ومربياً، وداعياً الناس إلى الخير، والصالح، وجاهد في الله حق جهاده، وكان له الفضل في إصلاح وإرساء دعائم الدولة في السودانو الديار التواتية⁽¹⁾.

عاش الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي حياته مكافحاً ومجاهداً، حيث نشأ، وترعرع بتلمسان، وبها درس مبادئ العقيدة، والفقه، وعلوم القرآن، ثم ارتحل إلى بجاية طالباً للعلم، والمعرفة، ومجالسة العلماء، ومنها ارتحل إلى الجزائر العاصمة حيث التقى بالشيخ سيدي عبد الرحمن

⁽¹⁾ نازلة اليهود بتوات مبسوطة في كتاب المعيار لأحمد الونشريسي.

الثعالبي، وزوجه ابنته لآلة زينب، دفينة أولاد سعيد (نواحي تميمون)، ورفع من عنده لواء الدعوة إلى الله باسم الطريقة القادرية⁽²⁾، ولسان حاله يردد:

تَلْمَسَانُ أَرْضُ لَأَتَلِيقُ بِحَالِنَا
وَلَكِنْ لُطْفَ اللَّهِ نَسْأَلُ فِي الْقَضَا
وَكَيْفَ يُحِبُّ الْمَرْءُ أَرْضاً يَسُوسُهَا
يَهُودٌ وَفَجَارٌ وَمَنْ لَيْسَ يُرْتَضَى

ثم اتجه إلى توات، ومنها إلى مملكة سنغاي(مالي)، واصطلح مع أميرها الحاج محمد أسكيا على ترتيب أمور السلطنة، وألف الإمام المغيلي رسالة في الإمارة لمحمد رانفا، ومارس الدعوة، والإصلاح هناك، ثم عاد إلى توات ثانية، فوجد اليهود قد بسطوا سلطانهم، وقويت شوكتهم، فهدم كنائسهم، وأجلاهم من الإقليم، ثم رجع إلى التكرور⁽³⁾.

ليحج بصحبه سيد عمر الشيخ الكنتي⁽⁴⁾. حجته المشهورة، والتي تعتبر من الإرهاصات الأولى لأدب الرحلة بالإقليم، وقد سجلها سيدي محمد بن سيد الختار الكنتي في كتابه (الطرائف والتلائد في معرفة مناقب الوالدة والوالد)، وفيها جادت قريحته بميميته الرائعة أمام قبر الرسول- صلى الله عليه وسلم-.

3- آثاره: خُلف الإمام المغيلي⁽⁵⁾ آثاراً كبيرة، منها المخطوط، ومنها المحقق، منها الموجود في الخزائن، ومنها ما هو في حكم الضائع، ومن مؤلفاته:

⁽²⁾ طريقة صوفية: تتصل بالشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني البغدادي.

⁽³⁾ التكرور ومملكة سنغاي مايعرف اليوم بدولتي مالي والنيجر.

⁽⁴⁾ الشيخ سيد عمر الشيخ من آل الرقاد وتلميذ الشيخ المغيلي، ووارث علمه وأسراره ومنه تنتقل سلسلة أورااد الطريقة القادرية لقبيلة كنته.

⁽⁵⁾ ينظر: درة الأقلام، جوهرة المعاني، لمحمد بن عبدالكريم بن عبدالحق التمنطيبي، مخطوط، لمزيد من الاطلاع على سيرته.

-البدر المنير في علم التفسير.

- مقدمة في العربية.

- قصائد في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم -

- مصباح الأرواح في أصول الفلاح.

- الرد على المعتزلة.

- تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين.

- رسالة لكل مسلم ومسلمة.

4-الإمام المغيلي بين حس الأمة ورجل الدولة:

تعتبر ثورة الإمام المغيلي على يهود توات أول معركة بين الأنا بمفهومه المسلم والمؤمن والعربي والآخر بمفهومه «الكافر» غير المسلم، وقد تشكلت في هذه الثورة جذور المقاومة والثورية لأن الإمام المغيلي بدأ ينظم صفوف المعارضة ويذكي حماسة الشباب، وهياً جيشاً منظماً، بمعنى أنه أرسى دعائم الدولة ومقوماتها، وحرص على وجودها حتى في فترات التسيب وانعدام الراعي من أجل تجسيد مشروعه الإصلاحية.

نظم في هذه النازلة العديد من القصائد المدحية للنبي عليه الصلاة والسلام وذم اليهود ومن شايعهم، وبدأت الاستجابة العكسية تتجلى في الحماسة الجياشة التي أبداها طلبة وأتباع مدرسة المغيلي وتبلور معهم خطابات المقاومة والثورة، فهذا تلميذه الشيخ إبراهيم الفيحجي يتناغم معه، وينتصر لرأيه في هذه النازلة، وينتفض منشداً على بحر الطويل⁽⁶⁾:

أيا قاطني توات اصغوا إلى قولي * فقد أن أن أبوح بالبعض والكل

⁽⁶⁾ الفقيه المصلح، احمد الحمديص 118.

أنتم على دين النبي محمد * أم القوم واليهود شكل على شكل
فما بالكم شرفتموهم عليكم * والإسلام أولى أن يشرف في الأصل
فإن كان هذا الرأي رأي فقهكم * فما الظن بالسفيه والناقص العقل

لقد كان الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909) شيخاً ثائراً على
الظلم والظالمين وبرز ذلك في آثاره الشعرية والنثرية، بقول في رسالته لكل
مسلم ومسلمة موضعاً أسباب ثورته على اليهود من موقع الحريص على الأمة
وبقاءها وعدم ضياع المزيد من أراضها وهو يستصحب حال الفردوس
المفقود وما وقع في الأندلس: (فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلاد
والأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان بتولى
أرباب الشوكة وخدمة الوطن).

فكلمات : البلاد، الأوطان، التمرد على الأحكام، أرباب الشوكة، خدمة
الوطن، كلها كلمات تنضح بحضور الدولة وحس رجل الأمة في فكر الإمام
المغيلي.

ويقول في رسالة الاستخلاف (ابنه عبد الجبار)، وهي الوثيقة التي تدل
أن الإمام المغيلي أنشأ إمارة لها جيشها ومؤسساتها : (وقد علمتم ما كنت فيه
من الجهاد في الكفرة وأهل الفساد، حتى توليت بالولاية الشرعية على جميع
ناحية توات، وغيرت فيها من المنكرات). الولاية الشرعية على جميع ناحية
توات، وقام بتغيير القوانين التي كانت قبله، وفق منظوره الإصلاحية
والثوري، وهنا تتجلى لنا صورة أخرى من صور حس الأمة ورجل الدولة في
فكر الإمام المغيلي.

وفي رسالته مصباح الأرواح نجد نصاً صارخاً بحس رجل الدولة والأمة،
لأنه لم يرض أن تبقى قطعة من بلاد المسلمين بلا أمير أو إمارة، ولذلك بادر
برفع الراية وإحلال محل السلطة الغائبة بتأسيس إمارة شرعية، بمقومات

الدولة يقول : (رعية سائبة في آخر القرن التاسع، في أطراف الأرض بلد لا يخرج نباته إلا نكدا فعموا وضموا بالجهل والهوى وتقاطعوا وتدابروا كبرا وحسدا، حتى لا يكاد أن تجد منهم والدا ينصح ولدا ولا أحدا يوافق على مصلحة أحد، وكيف لا ولا أمير يردعهم ولا شيخ يجمعهم، ولا حاكم يفصل بينهم إلا محكما عاجزا وسيقا عاجزا).

من شعر الإمام المغيلي الذي يؤهله لرجل يملك مشروع يحيي الأمة وينهض بالأوطان:

حبيبي من يعادي مننعادي * ويشفي ما بقلبي من الأعادي
ويعلي رايتي بين البرايا * ويفنى عن هواه في مراديب
وله قصيدة في حب النبي وبغض اليهود يعلن فيها البراءة من قرب اليهود الذين هددوا بمشروعهم كيان الدولة:

برئت للرب الودود * من قرب أنصار اليهود

ويقول الشيخ محذرا من الجبن والضعف ناشرا لثقافة التحرر والشجاعة لتبقى الأمة يقظة لها سمعة وهيبة:

ألا قبح الله الجبان من الورى * وأكساه ثوب الخزي في طبق الثرى
أيا الجبن كان الملك يملك قبلنا * وما الملك إلا بالشجاعة تترى

ومن الصور التي تحضر فيها الدولة وحماية حياض الأمة في فكر الإمام صورة الأمير الثائر والأمير القاعد عن الجهاد، حيث يشبه الأمير الذي يقوم ويدافع عن أرضه بالعقاب وبالذي لا ينهض للمعركة والثورة بالديك، فيقول:

مجال عقاب الطير والفلا * وأنشط ديك في البيوت تجول
وما الملك إلا لعقاب بحزم * والديك صوت في الدجاج يصول

تعتبر رحلة الشيخ المغيلي للحج من الإرهاصات الأولى لأدب الرحلة في إقليم توات، وتنم على شخصية الإمام الدعوية والإصلاحية، وظهرت فيها ملامح عناية الإمام بحس رجل الأمة والدولة بوصف الأخيرة- كيان شرعي يصلح الرعية ويحمي حقوقها وفق منظور الشريعة الإسلامية- على الرغم مما حوته من الطرائف والغرائب والسرد العجائبي، ولما فيها من الحكايات التي تشبه الأساطير واللامعقول من الحكيم والسرديات.

وهذه الرحلة مبسوطة في كتاب (الطرائف والتلائد).⁽⁷⁾ لمحمد بن سيد المختار الكنتي، حيث ذكر أن نقطة الانطلاق كانت من التكرور اتجاه مدينة برقة بليبيا بصحبة سيد عمر الشيخ⁽⁸⁾، وهناك وجدا رئيس عرب برقة قد تزوج بربيبته، مخالفا أحكام الشريعة الإسلامية، فنصحه الإمام المغيلي، فلم يقبل النصيحة، وهم بقتل الإمام، لكن الإمام بقدرة الله أشار عليه فقتله، هكذا مذكورة في الرحلة⁽⁹⁾ -والله أعلم-، وفي طريقهما مرا على أسيوط، والتقيا بالشيخ جلال الدين السيوطي، وتناظر مع المغيلي في المنطق، والحديث، واعترف كل واحد منهما يفضل الآخر، ثم واصلا طريقهما للبقاع المقدسة، فحجا ثم اتجها إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول الكريم، وفي هذه الرحلة الحجازية، وأمام قبر المصطفى، وأمام الوكلاء الذين يبعدون كل من يطيل الوقوف أمام ذلكم القبر المعظم، جاشت شاعرية المغيلي، وتحركت عواطفه، وجادت قريحته بميمية مرتجلة مخلدة يقول فيها:

بشارك يا قلب هذا سيد الأمم * وهذه حضرة المختار في الحرم
وهذه الروضة الغراء ظاهرة * وهذه القبة الخضراء كالعلم

⁽⁷⁾ مخطوط، موجود بخزانة كوسام، وتوجد عند الشيخ أمحمد الكنتي بزواية كنته.
⁽⁸⁾ أحد أعلام قبيلة زاوية كنته، تلميذ الإمام المغيلي، فقيه، ورحالة، ولد بالمغرب الأقصى.

⁽⁹⁾ الطرائف التلائد، مخطوط، ص126.

ومنبر المصطفى الهادي وحجرتبه * وصحبه وبقية دائرهم
فطلب وغب عن هموم كنت تحملها * وسل تنال كل ما ترحوه من كرم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي * فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم
يا سيدي يا حبيب الله خذ بيدي * فبحرجودك مورد لكل ظم
ياسيد الرسل يا من ضيف ساحته * يبيت في الأمن في خير وفي نعم
إلى أن يقول رحمه الله تعالى :

ثم الصلاة وتسليم الإله على هذا النبي رفيع القادر والشيم

في هذه الرحلة الحجازية نجد الإمام المغيلي يواصل مشروعه الإصلاحية، ويقوم بالنصح والإرشاد حتى لأرباب الشوكة، ويتحاور مع العلماء وزيارته لهم ويتبادل معهم الآراء حول المستجدات مثل مسألة المنطق الوافدة على الأمة، حدث ذلك مع الإمام السيوطي في بلده أسيوط، يتضح لنا أن الإمام لم يكن متفوقا في زاوية، بل كان رجلا مهموما بقضايا أمته.

5- قواعد الحوكمة ومكافحة الفساد عند الإمام المغيلي:

تسمت الدولة في العصور القديمة بمصطلحات مختلفة مثل: الإمبراطورية، السلطنة، الممالك، الإمارة.. وفي القرون الوسطى تحكمت الكنيسة في الدولة وحكمت باسمها، وفرضت منطقتها الثيوقراطية، وسادت في أوروبا لقرون حتى القرن السابع عشر، وانتهت باتفاقية وستفاليا سنة 1648م، التي وضعت حدا للدولة الدينية، وعرفت ميلاد الدولة الحديثة.

يعرف ماكس فيبر الدولة بوصفها « منظمة سياسية إلزامية مع حكومة مركزية تحافظ على الاستخدام الشرعي للقوة في إطار معين»⁽¹⁰⁾ وفي

⁽¹⁰⁾ <https://political-encyclopedia.org/dictionary/>

موسوعة لاروس تعرف الدولة على أنها «مجموعة من الأفراد الذين يعيشون على أرض محددة ويخضعون لسلطة معينة»⁽¹¹⁾.

يتضح من خلال التعريفين أن مفهوم الدولة كان راسخا في ذهن الإمام المغيلي، ولم يعط مبررا لإقامة دولة في غياب الأرض والشعب والسلطة المتحكمة التي رضي أن يتعاون معها على إقامة حكم راشد يحقق العدل والأمن والاستقرار.

أ/ الحكم الراشد: عرفت الرابطة الدولية للضمان الاجتماعي (ISSA) الحكم بوصفه: « الطريقة التي تستخدم بها السلطة المخولة صلاحياتها لتحقيق أهداف المؤسسة»⁽¹²⁾، يعني أن ممارسة السلطة المخولة لصلاحيتها يكون خاضعا للمساءلة والشفافية ويمكن التنبؤ بها ويحقق التشاركية والدينامكية.

ب/ أركان الحكم الراشد: لا يمكن الحديث عن الحكم الراشد دون أن تتحقق أركانه الأربعة وهي: المساءلة، الشفافية، إمكانية التنبؤ، والمشاركة.⁽¹³⁾

ج/ خصائصه: يتسم الحكم الراشد الذي ظهر في الثقافة الفرنسية في القرن الثالث عشر بجملة من الخصائص أهمها: - المشاركة - القانون- الشفافية- الاستجابة- - العدالة- فعالية الكفاءة- المساءلة- الاستراتيجية- اللامركزية⁽¹⁴⁾.

ولبناء دولة الحكم الراشد ومكافحة الفساد وضع الإمام المغيلي جملة من الأسس والقواعد تتجلى فيما يلي:

⁽¹¹⁾ المرجع نفسه.

⁽¹²⁾ <https://ww1.issa.int/ar/guidelines/ccc/174404>

⁽¹³⁾ كمال شريط، مفهوم الحكم الراشد وعلاقته بالتنمية المستدامة، مجلة دراسات في الاقتصاد وإدارة الأعمال ص 268-296⁽¹³⁾

⁽¹⁴⁾ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أولاً: تحرير نية القصد في تولي المسؤولية:

في فكر الإمام المغيلي السياسي تتجلى فكرة أن المسؤولية اختبار وابتلاء؛ لأن منزلتها تقع بين ما سماه (التقوى / الهوى)، والأحرى الاحتراز والتبصر والابتعاد عن مزالقها، ولاسيما العقلاء من الناس.

يقول الإمام المغيلي في رسالته (تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين) ما نصه: «وذكَرَ نفسك أنك واحد من خلق الله، كثير أقوى منك لولا نصر الله، فليكن طمعك كله من الله، وخوفك كله من الله، وهمك كله في مصالح خلق الله، فما ولاك عليهم لتكون سيدهم ومولاهم، وإنما ولاك عليهم لتصلح لهم دينهم ودنياهم»⁽¹⁵⁾.

يؤكد الإمام المغيلي على حسن النية والقصد من تولي الإمارة وعدم الانجرار وراء شهوات النفس، فالحاكم ليس سيداً وأفضل من الرعية، إنما هو مصلح وموجه لرعيته من الوقوع في الفساد. وعليه أن يكون على قدر كبير من سلطة الضمير والأخلاق والمسؤولية.

ثانياً- ممارسة الحكم انضباط ومسؤولية في المخبر والمظهر:

تحدّث الإمام المغيلي في رسالة الإمارة عن تحلي الأمير بالانضباط العالي والسلوك القويم، وأن يكون على نفس ظاهر من الصلاح والخلق الرفيع وعدم النزول إلى سفاسف الأمور ؛ لأن الحكم وممارسته حسب رؤيته: « مقمعة للنفس الأمارة، فعلى كل أمير أن يتردى برداء الهيبة في الحضور والغيبة»⁽¹⁶⁾.

ولذلك طلب من الأمير التحلي بالصدق والمصداقية والابتعاد عن الكذب، وحثه على الوفاء بالعهد؛ لأن الوفاء بالعهد التزام ومسؤولية وهيبة

⁽¹⁵⁾ الإمام المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، تح: د. أمبارك جعفري، الجزائر: دار الكتاب العربي، ط1، 2019. ص72.

⁽¹⁶⁾ المرجع نفسه، ص 72

ويمنح الأمير مصداقية، يقول: «أيّاك أن تقصر خطوتك عن مقالك، فتذهب هيبتك من قلوب رعيّتك وعمالك»⁽¹⁷⁾.

وعليه التوسط في مظهره كحال رعيّته وعدم الإسراف في اللباس والمأكّل والمشرب والسكن حتى تتضح صورة الملك الراشد غير الفاسد، فيقول: «ولا تجعل نفسك عبد ثوب، ولا حصان، ولا عبد بساط، ولا مكان، وبالجملة فحال الرعيّة وحال السلطنة كفتان فتصرف في حالك بالزيادة والنقصان حتى يعتدل الميزان»⁽¹⁸⁾، نجد الإمام المغيلي هنا يطالب المسؤول بالإنصاف والعدل بينه وبين الرعيّة فلا إفراط ولا تفريط حتى تتحقق العدالة وعدم الجور من رب الشوكة.

ثالثاً: إدارة قوية ودولة منظمة:

يقول الإمام المغيلي في الباب الثالث من رسالة (تاج الدين) ما نصه: «الإمارة سياسة في ثوب رئاسة، فعلى كل أمير أن يرتب نظام مملكته لسكونه وحركته، على ما يتمكن به من صلاح رعيّته، ومن ذلك خدام بالحضرة يتصرفون، وعقلاء يشيرون، وأمناء يقبضون ويصرفون، وكتاب وحساب يحفظون، ورسل وجساس وحفظة وعساس»⁽¹⁹⁾، وما بعدها، يحاول الإمام المغيلي تقديم القواعد والأسس التي تبنى عليها الدول وتنهض بها الأوطان، تجعل من إدارتها الأرضية الصلبة لترتيب مفاصل الإمارة، وقد فصل في هذا ليجعل الدولة تقوم على الركائز الآتية:

1- إدارة قوية عمالها ووزراؤها على أهبة الجهوزية للعمل والتنفيذ.

2- هيئات استشارية تتصف بالعلم والحلم.

3- جباية حريصة على المداخل.

⁽¹⁷⁾ المرجع السابق، ص 76.

⁽¹⁸⁾ المرجع نفسه، ص 77.

⁽¹⁹⁾ المرجع نفسه، ص 78.

4- أهمية المعلومة وجمعها وفحصها.

5- الأمن واستتبابه في ربوع السلطنة.

6- علماء ثقات يرشدون ويوجهون.

7- جيش قوي ومدرب على كل سلاح.

8- منظومة صحية عارفة وأمينة أو كما وصفها (وأطباء عارفة وأمينة).

9- قضاء ثقة لا فساد فيه ولا رشوة ولا محسوبية، بل يجسد قيم الاستقلالية، والعدل، ومحاربة الظلم..

تنبه الإمام المغيلي في وقت مبكر إلى إصلاح الإدارة وأعوانها، وقدم الأسس التي تقوم عليها الأوطان لتحمي مصالحها، وتخدم مواطنيها، وتحافظ على وحدتها ونسيجها الاجتماعي والثقافي والسياسي.

رابعاً: الشفافية ومكافحة الفساد:

في توجيهه للحاكم ركز المغيلي على التفتن للمال العام ومتابعته متابعة شديدة وضرورة تحصيله بطرق مشروعة، والتحذير من تحويل المصلحة العامة إلى مصلحة شخصية، أي التريح من خلال وظيفة يتقاضى عليها أجراً، ولذلك طالب بمتابعة الجباة والسعاة ومعرفة مصادر ومصاريق أموال مملكته بضرب من الشفافية والوضوح، يقول في هذا المجال: «فعلى كل أمير أن يكشف عن بعض الأمور، بحسب المقدور» تاج الدين ص84 وأن يتابع حركة المال بدقة متناهية وحماية الأمة من الضياع والسفه شريطة أن يكون ذلك على جهة « الاستبصار والورع لا على جهة الإضرار والطمع»⁽²⁰⁾.

معلوم أن كل دولة لها أعوانها وإطاراتها السامية وهم في الحقيقة الوجه الذي من خلاله تبرز القيم والمبادئ التي تتبناها، بمعنى أن أعوان الإدارة هم

⁽²⁰⁾ الإمام المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، المرجع السابق، ص 85

واجهتها التي تعكس سمعتها ومكانتها سلباً أو إيجاباً، ولعل الإمام المغيلي من الأوائل الذين نادوا بضرورة التصريح بالملك بشكل أو بآخر، وطالب الأمير الوقوف بحزم لترسيخ الشفافية وقيمتها والحكم الراشد وأركانه التي منها الشفافية والتشاركية والمساءلة، يقول: «ومن ذلك أن يحتفظ على عماله في جميع أعماله ويتدبر أقوالهم، ويختبر أحوالهم، ويحصي قبل الولاية أموالهم، ويتفقد في كل حين أعمالهم، فكل من ظهر منه تقصير زجره، وكل من خشي منه ظلماً عزله، وكل من تكررت فيه الشكوى من غير بهتان أبدله، إن وجد بدله، وإلا كان لهم كسلم الدار لربها، وكماسك قرون الشاة لحالها، وكل ما زاد عن أموالهم أخذه، وإن شك فيه قسمه، وليكن عليهم كراع المشاية بين الملوك الضارية، فمن عمال السوء جميع الفساد في كل البلاد»⁽²¹⁾.

خامساً: فضح أساليب الفساد والمفسدين:

يشير الإمام المغيلي في رسائله السياسية إلى ضرورة تفتن الأمير المسلم إلى كشف الأساليب التي يلجأ لها أرباب الفساد من الأعوان والعيون والعسس وغيرهم، وحثه على اليقظة من استئثار الفساد في مؤسسات الدولة، وأن تكون للإمارة آليات لكشف الفساد وفضحه للناس: "ومن ذلك أيضاً أن يكشف عن قويت فيه تهمة الفساد إن شهد بوجود علاماتها الأشهاد"⁽²²⁾.

وحذّر المغيلي من ألسنة السوء التي تعيش على صناعة الرأي القائم على الدعاية المغرضة، ولذلك طالب بكشف وفضح المنتفعين بنشر النميمة وتلميع صور المديح الخادع، وعلى الأمير الحذر من «ذم النمامين ومدح المداحين»⁽²³⁾.

⁽²¹⁾ المرجع نفسه، ص 86.

⁽²²⁾ المرجع نفسه، ص 88.

⁽²³⁾ المرجع نفسه، ص 90.

ولحماية الدولة من الفساد ونشر ثقافة الحكم الراشد طالب الحاكم بضرورة منع الهدايا منعا لانتشار الرشوة في صفوف الأعيان، « فاكشف عن كل قضية، واحذر من أعوانك بالكلية، فكم حولت الهدية من ناسك لليهودية أو النصرانية»⁽²⁴⁾.

سادسا: تحقيق العدالة وحسن التقاضي:

لا يمكن الحديث عن حكم راشد إلا في ظل قضاء نزيه وعدالة مستقلة توفر مبدأ المساواة والتكافؤ بين المتقاضين، ولذلك شدد الإمام المغيلي على أمر العدل، واعتبره من أساسيات الحكم التي تبني عليها الدولة: « للسلطنة: رجلان العدل والإحسان، العدل إعطاء كل ذي حق حقه، والإحسان أن يتفضل من نفسه لا من غيره»⁽²⁵⁾.

وعلى خليفة المسلمين إزالة الحواجز لمعرفة المفسدين، وتحقيقا للعدالة التي لا ميل فيها ولا محسوبية طالبه بتخصيص يوم لسماع الشكاوى والمظالم مباشرة: «ولابد للأمير الأعظم من أن يجلس في كل يوم للناس من حيث يصله النساء والأطفال، ولا يكفيه ما نصبه من القضاة وغيرهم من العمال؛ لأن الشكوى قد تكون منهم»⁽²⁶⁾، وأعاب الإمام المغيلي على الحاكم الذي يعين على انتشار الفساد ويكون سلما لتحقيق مآرب الفاسدين، ويسكت على تفشي ظاهرتة في مملكته دون زجر منه أو محاربة له، ولذلك حذر من الاستسهال في السكوت عن الفساد بقوله: «وواجب عليه أن يزجرهم، وإلا فهو كسلم الدار لأربابها، أو ماسك قرون البقرة لجلابها»⁽²⁷⁾.

⁽²⁴⁾ المرجع نفسه، ص 91

⁽²⁵⁾ المرجع نفسه، ص 92

⁽²⁶⁾ الإمام المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، المرجع السابق، ص

97

⁽²⁷⁾ المرجع نفسه، ص 97

سابعاً: التواصلية والتشاركية مع المواطنين والتكفل بانشغالاتهم:

في رسالة (تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين) التي وضعها على ثمانية أبواب، تدعو في مجملها إلى إقامة حكم راشد يصلح ولا يفسد، يبني ولا يهدم، ينمي ولا يدمر، ينشر قيم العدلويتعد عن المظالم ونشر الفساد، ومما يعطي قيمة كبيرة للرسالة التوجه إلى الحاكم وتذكيره بواجباته ودوره وما عليه من التزامات لتحقيق دولة العدل والقانون، وقسم الرسالة إلى ثمانية أبواب (قياساً على أبواب جهنم)، وتضمنت المباحث التالية:

- ❖ فيما يجب على الأمير من حسن النية.
- ❖ فيما يجب على الأمير من حسن الهيئة.
- ❖ فيما يجب على الأمير من ترتيب المملكة.
- ❖ فيما يجب على الأمير من الحذر في الحضر والسفر.
- ❖ فيما يجب على الأمير من الكشف على الأمور.
- ❖ فيما يجب على الأمير من العدل في الأحكام.
- ❖ فيما يجب على الأمير من تجني أموال من وجوه الحلال.
- ❖ مصاريف أموال الله.

وفي نهاية كل باب من هذه الرسالة اختار لازمة مهمة تحت المسؤول على التواصل مع الرعية وعدم الاحتجاج عنهم: «ورأس كل بلية احتجاب الراعي عن الرعية».

المسؤول في الحوكمة وسياساتها وفي فكر الإمام المغيلي هو الذي يتطلع إلى التشاركية والتواصل مع مرؤوسيه، ويستمتع لانشغالاتهم وهمومهم ومشكلاتهم، وعدم العيش في برج عاجي لا يعرف من خلاله مطالب الرعية وحاجاتهم وواقعهم المعيش، وفي ظل الانفصام بين مستويات الحاكمين

والمحكومين تقع الكوارث ويعيش الفساد ويسود حكم الظلم والاستبداد والبيروقراطية والمحسوبية والرشوة، ولذلك واستجابة لحكمة المغيلي ندعو كل دول العالم الثالث إلى ردم الهوة الموجودة بين المسؤولين وعمامة الشعب بطرق تفاعلية وتشاركية واستراتيجية.

6-خاتمة:

نستخلص في نهاية هذه المداخلة إلى أن الفكر السياسي عند الإمام المغيلي قائم على أسس ومرجعية إسلامية تحقق دولة قوية ومشروعاً قويمًا يصلح البلاد والعباد، ومن خلال هذا المشروع تتجلى لنا النقاط التالية:

- حرص الإمام المغيلي على إلزامية وجود حكومة شرعية للامة تحفظ لها وجودها وتصلح لها أحوالها، وقدم لذلك مخرجات للحاكم قصد ترتيب سلطته وبناء مملكته.

- الحكم في نظر الإمام المغيلي مسؤولية وأمانة عظيمة لا يتاح لكل الناس، بل على العقلاء تحاشي ممارسته إلا في إطار من الضوابط والواجبات بدءاً من النية الحسنة ووصولاً إلى القدرة على أداء واجباته.

- أسهم الإمام المغيلي بجملة من الكتب والبحوث في بلورة الفكر السياسي ومفرداته في المكتبة العربية وإيجاد أرضية صلبة للنقاش حول جدلية الإمامة والرئاسة وحقوقها وواجباتها.

- يقوم الحكم الراشد في نظر الإمام المغيلي على إدارة قوية تخدم المواطن ولا تهيئه، وتكرمه ولا تستغله، وعلى راع قوي وأمين، وعلى رعاية منضبطة بالقوانين والتنظيمات، وعلى أعوان أمناء وأكفاء.

- يسعى الفكر السياسي للإمام المغيلي في تعزيز قيم العدالة الاجتماعية والتواصلية والتشاركية والشفافية ومكافحة الفساد بكل صوره وأشكاله بضابطين اثنين العدل والإحسان.

- ركز الإمام المغيلي على قوة مؤسسات الدولة وحسن خدمتها ومتانة رسالتها وضرورة أن تبقى حيادية ومرتبطة بالأمة وحاجاتها ترسخ قيم المواطنة وترسي دعائم مكافحة الفساد وأساليبه.

- من خلال الواجبات التي وضعها الإمام المغيلي لتسيير شؤون الدولة يتضح وضع المسؤولية الكبرى على الحاكم ودوره في بناء الحكم الراشد ومكافحة الفساد وتحقيق قيم العدل والرحمة والحرية والانضباط.

7-مراجع البحث:

● الكتب:

1. أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبدالكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، الجزائر: مكتبة الرشاد، ط1، 2012.
2. محمد بن عبد الكريم بن عبدالحق التمنطيبي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
3. محمد بن عبدالكريم بن عبدالحق التمنطيبي، جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني مخطوط، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
4. المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، تح: د. أمبارك جعفري، الجزائر: دار الكتاب العربي، ط1، 2019.
5. سيدي محمد بن سيد المختار الكنتي، الطرائف والتلائد في معرفة مناقب الوالدة والوالد، مخطوط، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

● المقالات:

1. شريط كمال+ ط د. خلوفي سفيان، مفهوم الحكم الراشد وعلاقته بالتنمية المستدامة، د. مجلة دراسات في الاقتصاد وإدارة الأعمال- العدد 2، ديسمبر 2018، ص: 268-296.

● مواقع الويب:

1. الموسوعة السياسية، موقع على النت:
<https://political-encyclopedia.org/dictionary> بتاريخ :
2022/10/13 التوقيت: 15:15
2. موقع الرابطة الدولية للضمان الاجتماعي
<https://ww1.issa.int/ar/guidelines/cc/174404> تاريخ الزيارة:
2022/10/13 التوقيت: 15.30

الإمام المغيلي... فيوضات السلام والوحدة على الإنسانية

الشيخ الدكتور بدري المداني / تونس

إمام جامع بالارمو بايطاليا

ملخص:

من تلمسان في غرب الجزائر العامرة.. تلمسان العباد والعلماء تيزغ شمس وتفيض أشعتها ولا تزال من ربوع جميلة إلى إفريقيا ومنها إلى العالم شمس رجل عالم فقيه ورع صوفيّ مصلح تشعّ سنة 790 هـ / 1425 م اسمه أبو عبد الله، محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني ولقبوه بـ "شمس الدين" لتفيض على موطنه ووطنه في بجاية وتوات وأدرار ثمّ يحمل اللغة العربية والمعارف لأدغال إفريقيا في السودان ومالي والنيجر ونيجيريا ثمّ الإتجاه نحو الشرق من تونس والقاهرة والبقاع المقدّسة ودمشق وصولاً إلى القدس... من هنا بدأت رحلة الوحدة ورحلة السلام تفيض معانها وقيمها عبر تحركه المستمرّ في فضاء الدعوة إلى الله عند عامة النّاس وعند العلماء وعند الملوك والسلاطين وعبر التصاقه بمشاغل المسلمين وعبر مؤلفاته التي ناهزت الثلاثين.

للإمام المغيلي نور- الله ضريحه -تأثير قويّ وملموس جدّاً، ظلّ صداه يتردّد بعده قرونًا طويلة، كان له خطّ سير واضح المعالم في ثنايا فكره فالدور الذي قام به ترسيخاً للوحدة بين المسلمين والتأليف بين القلوب ونشراً لبوارق السلام وفيوضات المحبّة لا يكاد يُدانيه أي دور قام به عالم جزائري فقد ترك أثرًا إسلاميًا كبيرًا، وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة..

Imām al-Maghīlī Peace and Unity Overflows Upon Humanity

Abstract:

From Tlemcen, in the west of prosperous Algeria. Imām Abū ‘Abdullah Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī al-Tlemsani, called “Shams Al-Din” to flow over his homeland, Bejaia, and Tuat. Then he carried the Arabic language and knowledge to Western Sudan, Mali, Niger, and Nigeria, then he headed east to Tunisia, Cairo, the Holy Land, and Damascus, all the way to Jerusalem. From here, the journey of unity and peace overflows with its meanings and values through its continuous movement in the space of calling to God among the general public, scholars, kings and sultans. Through his adherence to the concerns of Muslims and through his nearly thirty works, Imām al-Maghīlī had a very strong and tangible influence. His echo continued to reverberate after him for many centuries. He had a well-defined path in the folds of his thought. The role he played in consolidating unity among Muslims and bringing together hearts and spreading the lights of peace and the floods of love could hardly be compared to any role played by any other Algerian scholar. He left a great Islamic impact, and corrected many misconceptions.

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Western Sudan, Tlemcen, Bejaia, Tuat, Peace.

المقدمة:

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شراباً لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أيِّ الدواوين كتب ولا في أيِّ الفريقين يساق، فإن سامح بفضله، وإن عاقب فبعده، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قدير، إلهٌ عزَّ من اعتز به فلا يضام، وذلك من تكبر عن أمره ولقي الآثام. وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحببيه، خاتم أنبيائه، وسيد أصفیائه، المخصوص بالمقام المحمود، في اليوم المشهود، الذي جُمع فيه الأنبياء تحت لوائه.

آياتُ أحمدَ لا تحُدُّ لواصف * ولوأنه أُملي وعاش دهوراً
بشراكمُ يا أمة المختارفي * يوم القيامة جنة وحريراً
فُضِّلتمُ حقاً بأشرف مرسل * خير البرية باديًا وحضوراً
صلى عليه الله ربي دائماً * ما دامت الدنيا وزاد كثيرًا
وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، وتمسك بسنته، واقتدى بهديه، واتَّبِعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

بُشْرَاكَ يَا قَلْبُ هَذَا سَيِّدُ الْأُمَم * وَهَذِهِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ
وَهَذِهِ الرُّوضَةُ الْغَرَاءُ ظَاهِرَةٌ * وَهَذِهِ الْقَبَّةُ الْخَضْرَاءُ كَالْعَلَمِ
وَمَنْبَرُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي وَحَجْرَتُهُ * وَصُحْبُهُ وَبَقِيْعُ دَائِرَتِهِمْ
فَطِيبٌ وَعِيبٌ عَنْ هُمُومٍ كُنْتَ تَحْمِلُهَا * وَسَلَّ تَنَالُ كُلِّ مَا يَرْجُوهُ مِنْ كَرَمِ
يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ خُذْ بِيَدِي * فَالْعَبْدُ ضَيْفٌ وَضَيْفُ اللَّهِ لَمْ يُضْمِ
يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ خُذْ بِيَدِي * يَا مَنْ لِقَاصِدِيهِ أَمْنٌ مِنَ النَّقَمِ

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ خُذْ بِيَدِي * فَبَحْرُ جُودِكَ مَوْرِدٌ لِكُلِّ ضَمِّ
 يَا سَيِّدَ الرُّسُلِ يَا مَنْ ضَيْفُ سَاحَتِهِ * يَبِيْتُ فِي الأَمْنِ فِي خَيْرٍ وَفِي نَعَمِ
 يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلٍ * يَا أَفْضَلَ النَّاسِ فِي ذَاتِ وَفِي شِيمِ
 يَا أَشْرَفَ الأنْبِيَاءِ يَا مَنْ شَفَاعَتُهُ * عَمَّتْ عَلَى الخَلْقِ فِي الوُجْدَانِ وَالْعَدَمِ
 يَا صَفْوَتَ اللَّهِ ! يَا مَوْلَى ! مَكَارِمُهُ * عَمَّتْ عَلَى الخَلْقِ مِنْ طِفْلِ إِلَى هَرَمِ
 يَا صَاحِبَ الحَوْضِ ! يَا بَحْرًا ! فَضَائِلُهُ * عَمَّتْ عَلَى الخَلْقِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمِ
 إِنِّي فَقِيرٌ إِلَى عَفْوٍ وَمَرْحَمَةٍ * وَأَنْتَ أَذْرَى بِمَا فِي القَلْبِ مِنَ أَلَمِ
 وَقَدْ أَتَيْتُكَ أَرْجُو مِنْكَ مَكْرَمَةً * وَأَنْتَ أَهْلُ الرِّضَا وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ
 وَالحَالُ يُغْنِي عَنِ الشُّكْوَى إِلَيْكَ وَقَدْ * عَرَفْتَ حَالِي وَإِنْ لَمْ أَحْكِهِ بِفَمِ
 فَاشْفَعْ لِعَبْدِكَ وَاجْبِرْ كَسْرَهُ فَلَقَدْ * أَوْدَى بِهِ الكَسْرُ مِمَّا نَالَ مِنْ جَرَمِ
 يَا أَحْمَدُ ! يَا أَبَا بَكْرٍ ! وَيَا عُمَرُ * نَزِيلُكُمْ فِي أَمَانٍ غَيْرِ مُنْزَمِ
 لَقَدْ سَعَيْتُ إِلَى أَبْوَابِ حُجْرَتِكُمْ * سَعْيًا عَلَى الرَّأْسِ لِأَسْعِيًا عَلَى القَدَمِ
 أَتَى مِنْ أُمَّ القُرَى يَرْجُو القُرَى كَرَمًا * مِنْ سَيَادَتِكُمْ بِحَارِ الجُودِ وَالْكَرَمِ
 فَإِنْ قَبِلْتُمْ فَإِنِّي مُفْلِحٌ بِكُمْ * فِي زُورَةٍ وَاعْتِرَافٍ وَافِرِ القَسَمِ
 يَا مَنْ أَجَلَ مَلُوكِ الأَرْضِ قَاطِبَةً * فِي بَابِ أَفْضَلِيهِمْ مِنْ أَصْغَرَ الخِدَمِ
 فَهَلْ عَسَى نَظْرَةٌ مِنْكُمْ لَزَائِرِكُمْ * يُغْنِي بِهَا عَنْ جَمِيعِ الخَلْقِ كَلِمِ
 مُحَمَّدٌ وَضَجِيعَاهُ الذِّينَ بِهِمْ * طِبْنَا وَغَبْنَا عَنِ الخُسْرَانِ وَالتَّدَمِ
 يَا رَبُّ ! يَا رَبُّ ! يَا مَوْلَى ! عَبْدُكَ فِي * بَابِ الرَّجَى يَرْتَجِي أُمَّتًا مِنَ التَّقَمِ
 فَجُدْ عَلَيْهِ بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ كَرَمِ * لَقَدْ تَوَسَّلَ فِي الدُّنْيَا بِحَقِّهِمْ
 ثُمَّ الصَّلَاةَ وَتَسْلِيمَ الإِلَهِ عَلَى * هَذَا النَّبِيِّ رَافِعِ القَدْرِ وَ الشِّيمِ (1)

(1) القصيدة الميمية التي نظمها سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم حين أدى فريضة الحج.

أيها الأحباب..

سلام معطر من الله عليكم بأرج الصلاة على المفضل شفيح الخلق يوم
القيامة.

تحية من القلب من تونسي عاشق للجزائر وأهلها. من تونسي كان جدّه
الشيخ محمّد المداني رحمه الله أحد أبرز تلاميذ الأستاذ الشيخ أحمد
العلوي المستغاني الجزائري -ت 1934م- عاشقا للجزائر وأهلها.

تحية من الفؤاد لجيران هم إخوة وهم أهل مودة وكرم..

شكرا وامتنانا لكم أحبابنا في الجزائر الأبية رئيسا وحكومة وشعبا ولكلّ
من كان سبب خير في جمعنا هذا ونحن بينكم على بساط الإنشراح الصدري
والتناغم الفكري والتجاوب التاريخي والحبّ الأخوي..

من تلمسان في غرب الجزائر العامرة.. تلمسان العبّاد والعلماء تبرز
شمس وتفيض أشعتها ولا تزال من ربوع جميلة إلى إفريقيا ومنها إلى العالم
شمس رجل عالم فقيه ورع صوفيّ مصلح تشعّ سنة 790 هـ / 1425 م اسمه
أبو عبد الله، محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني ولقبوه بـ
شمس الدين « لتفيض على موطنه ووطنه في بجاية وتوات وأدرار ثمّ يحمل
اللغة العربية والمعارف لأدغال إفريقيا في السودان ومالي والنيجر ونيجيريا ثمّ
الإتجاه نحو الشرق من تونس والقاهرة والباق المقدّسة ودمشق وصولا إلى
القدس... من هنا بدأت رحلة الوحدة ورحلة السلام تفيض معانيها وقيمها
عبر تحرّكه المستمرّ في فضاء الدعوة إلى الله عند عامة النّاس وعند العلماء
وعند الملوك والسلاطين وعبر التصاقه بمشاغل المسلمين وعبر مؤلّفاته التي
ناهزت الثلاثين.

للإمام المغيلي - نور الله ضريحه- تأثير قويّ وملموس جدّا، ظلّ صداه
يتردّد بعده قرونا طويلة، كان له خطّ سير واضح المعالم في ثنايا فكره فالدور

الذي قام به ترسيخا للوحدة بين المسلمين والتأليف بين القلوب ونشرا لبوارق السلام وفيوضات المحبة لا يكاد يُدانيه أي دور قام به عالم جزائري فقد ترك أثراً إسلامياً كبيراً، وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة..

وبصماته في تأطير الحركات الإصلاحية الدعوية جلية لا تزال نفعاتها تشتت إلى اليوم..

سأجتهد قدر الاستطاعة في هذه المداخلة للغوص في حياة الرجل وبعض مواقفه لإستخراج ما يعطرها بطيب الدفق المبعوث فيها من وحدة وسلام وقيم إنسانية خالدة.

لن أتطرق إلى حياته الثرية وتفاصيلها فتلك المسيرة الجبلى بالعبء يعجز قلبي عن حصر فيضها وفقد أفاض فيها السادة الفضلاء لكثي سأتصر على ملمحين إثنين متميزين فيها:

*الأول: أنّ الإمام المغيلي موسوعي التكوين لغة وفقها وتفسيرا وحديثا وطبّا وإصلاحا ودعوة وفتيا وتديسا ومنطقا وتصوّفا فقد ساح بين العلوم والمعارف سياحة الشغف النهم ونال كبير الحظّ منها. ذكره صاحب "البستان" بقوله " خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة المحقق الفهامة القدوة المصلح السنّي الحبر، أحد أذكى العالم وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدّم والحسبة في الدين " وذكره صاحب "الدوحة" بقوله " الشيخ الفقيه الصدر الأوحّد أبو عبد الله بن عبد الكريم المغيلي، كان من أكابر العلماء وأفضل الأتقياء، وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " وذكره صاحب "نيل الابتهاج" بقوله " محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة القدوة الصالح السنّي، أحد الأذكى، ممن له بسطة في الفهم والتقدّم. متمكّن المحبة في السنّة وبغض أعداء الدين "

*الثاني: أنّ الإمام المغيلي كان رحّالة أنضح السفر فكره وفتح فهمه فساح في البلدان سياحة الإطلاع والفهم وقال عنه السخاوي في "الضوء اللامع": "ارتحل في سنة عشر وثمانمائة فأقام بتونس شهرين، ثمّ قدم القاهرة فحجّ منها وعاد إليها، ثمّ سافر إلى الشام فزار القدس، وتزاحم عليه النّاس بدمشق حين علموا فضله وأجلّوه".
وكلّ ذلك كان سببا في سطوع نجم استزاد من رحيق المعرفة فأضحى علما وأحد دعاة الوحدة والسلام والقيم الإنسانيّة الخالدة.

وستتضمّن مداخلتي ثلاثة عناصر في شكل ومضات مختصرة من مسيرة الإمام المغيلي وهي :

1- الإمام المغيلي رجل وحدة :

ما اجتمع النّاس بمختلف لغاتهم وبلدانهم ورؤاهم حول رجل كما اجتمعوا حول الإمام المغيلي ولن نحسب إجتماعا كهذا كان حول رجل دعا إلى الفرقة بل الثابت أنّه دعا أساسا إلى الوحدة والتمسك بها لذلك اجتمعوا حوله وأجمعوا عليه وأساس الوحدة في فكره وحدة دينيّة تقام على عقيدة أشعريّة - لصاحبها أبي الحسن الأشعري ولد بالبصرة سنة 270هـ وتوفي رحمه الله سنة 324هـ - أسهمت رفقة المذهب المالكي والتصوّف السيّ في خلق انسجام مذهبي وعقدي في شمال إفريقيا وجنّبه كثيرا من القلاقل والفتن التي كانت تقع في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي بسبب الخلافات العقديّة.

وقد نجح المغيلي في ترسيخ هذه الوحدة في أدغال إفريقيا على عسر وضعها وهي حديثة العهد بدخول مجتمعاتها في الإسلام مع العجمة اللغوية، والرواسب الدينيّة السابقة على الإسلام، وتفشّي الجدل الحاد مع النصارى واليهود وغيرهم من الديانات والنحل.. وبقي محافظا على :

في عقد الأشعري وفقه مالك * وفي طريقة الجنيد السالك

ونكتفي بالإشارة إلى مؤلفاته في سياق هذه الوحدة العقدية منها كتابه "الردّ على المعتزلة" وكتابه « منح الوهّاب في ردّ الفكر إلى الصّواب » وهو منظومة في المنطق، له شرحٌ عليها سمّاه: "إمناح الأحباب من منح الوهّاب". ومخطوط تضمّن "مناظرة بينه وبين الشّيخ السنوسي محمد بن يوسف، في التّوحيد، مخطوط رقم: 22 ضمن مجموع بخرانة القرويين..وفي سياق الوحدة الفقهيّة ألف كتابا منها " شرح مختصر خليل سمّاه "مغني النبيل". وكتاب فقه آخر "حاشية على خليل" وفي سياق الوحدة الصوفيّة ألف كتاب " تنبيه الغافلين عن مكر الملايسين بدعاوي مقامات العارفين" حيث اتّجه فكره للعلم الصوفي فأصبح منظّرا لهذا العلم محاولا تنقيته من الشوائب وتنبيه أدياء التصدّف من الفرقة والانحرافات.

كما انتبه الإمام المغيلي بشكل ذكيّ وجليّ ومتجدّد في الهويّة إلى ضرورة الوحدة اللغويّة وبما أنّ لغة الدين الإسلامي هي اللغة العربيّة، قال الله تعالى: ﴿ نَا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » يوسف -2- وهذا ما أدركه حول أهميّة اللغة العربيّة -وبما تعلق بها من العلوم منها علم النحو، وعلم الصرف، وعلم البيان، وعلم المعاني، والبديع، وغيرها..- في فهم الإسلام، وفهم القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف ولذلك سخّر حياته لتعليم اللغة العربيّة ونشرها كعامل رئيسي للوحدة ونجح في ذلك ففي هذه المرحلة ظهرت موهبته وعبقريته في تدريس اللّغة العربيّة وتحبيبها إلى النّاس، فقد استطاع أن يدرّسها وينشرها في جُملةٍ من البلدان الإفريقيّة بطريقة بديعة وجميلة، يشهد له بذلك كلّ علماء إفريقيا الذين تتلمذوا على يديه.

والدليل الآخر أنّ الشيخ آدم الإلوري -أزهري نيجيري ت 1992- لمّا أرخ لحركة الأدب واللّغة العربيّين في نيجيريا في كتابه الذي سمّاه "مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية"، أشاد بدور الإمام المغيلي الفعّال في ترقية العلوم العربيّة والثقافيّة الإسلاميّة، واعترف بتأثيره الكبير في هذه

الناحية، ممّا جعله يسمّى قسمًا بعصر المغيلي، من الخمسة أدوار التي عرفتها عصور الأدب العربي في نيجيريا منذ قيام هذا الأدب فيها إلى العصر الحاضر، وهي كالتّالي:

- 1- العصر البرناوي - عصر ظهور الإسلام في نيجيريا، "من القرن الخامس إلى السابع الهجري".
- 2- العصر الونغري "من القرن السّابع إلى القرن التاسع".
- 3- عصر المغيلي "من القرن التّاسع إلى القرن الحادي عشر الهجري".
- 4- العصر الفلاني "يبدأ بظهور ابن فودي وقيام دولته إلى سقوطها في بداية القرن الحالي".
- 5- العصر الإنقليزي "في القرن العشرين".

وما يميّز الإمام المغيلي في سياق فكره المقام على الوحدة تلك التّصوّرات السياسية والحوكمة الرشيدة التي نظّر لها ليعرف بالدّاعية المصلح، والعالم والفقيه، والقارئ محمد بن عبدالكريم بن محمد المغيلي، الذي وصل إلى مملكة صنغاي بالنيجر، مرورًا ببلاد التكرور وكانو، بعد أن انتقل من تلمسان إلى واحات أدرار تمنطيط توات، وغيرها من القصور بالصحراء الإفريقية الشّاسعة مجاهدًا في سبيل نشر الدّعوة، وتنقية الإسلام ممّا علق به من شوائب البدع والانحرافات.

إذ كان فكره السياسي ذا بعد اتّحادي من خلال ما كتبه من مؤلّفات تعدّ دساتيرا جامعة لأمر الدين والدنيا. خاصة مؤلّفاته الثلاثة الشهيرة «تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين» و«ما يجوز للحكّام في ردع الناس عن الحرام» و«أسئلة أسكيا وأجوبة المغيلي». وقد سلك فيها مسلك أسلافه من علماء المسلمين الذين ألفوا كتبًا في نصح الملوك وإرشاد السلاطين؛ مثل: أبي بكر الطرطوشي في "سراج الملوك"، والماوردي في الكتاب المنسوب إليه باسم: "نصيحة الملوك"، وكتابه المشهور "الأحكام السلطانية"، والغزالي في كتابه "التبر المسبوك في نصيحة الملوك".

2- الإمام المغيلي رجل سلام :

يعدّ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي صاحب منزلة عالية، ومكانة سامقة في مضممار التجديد الفكري في الغرب الإسلامي، إذ كان خطابه مشبعاً بالسلام في كافة معالم رؤيته السياسيّة والدينيّة والإجتماعية، وقد يلمع البعض متهما إياه بالتعصّب أو التشدّد إلى صراعه مع اليهود فيما يسمّى "بنازلة توات". وهذه ملحمة تحتاج إلى إيضاح ودفاع.

فقد ارتبط موقع «توات» بطرق القوافل التجارية، وعدّت مستقرّ للعديد من العناصر البشريّة النشطة، كالبربر والعرب والزنوج وبعض الأقليات الإثنية كاليهود الذين سيّطروا على الواقع الاقتصادي بتوات بداية من القرن 08 للهجرة، حيث احتكروا النشاطات التجارية والحرفية كصناعة الصابون والحلي الذهبية وغيرها، وكانوا يتحكّمون في أكبر كنزٍ في الصّحراء ألا وهو: الماء، كما أنّهم قاموا ببناء معبد لهم في واحة "تمنطيط" خارقين بذلك العهود التي بينهم وبين المسلمين فحمل المغيلي وأنصاره السلاح، وانقضّوا على كنائس اليهود، فهدموها دون تأخير وبذلك يكون قد حاربهم وهدم بيعهم بعد أن استفق علماء تلمسان وفاس وتونس في الأمر وأشار إلى ذلك في كتابه « مصباح الأرواح في أصول الفلاح » الذي ضمّنه فتاواه، ومنها فتواه في نازلة توات وكذلك في كتابه " أحكام أهل الذمّة". وبذلك يكون المغيلي قد أعرب عن تبنّيه موقف السلام ذلك الموقف القرآني في قوله تعالى "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" الأنفال:61. أي: إنّ مالوا إلى المسالمة والمصالحة والمهادنة؛ فمِلْ إلى ذلك، واقْبَلْهُ منهم وهذا لم يحصل من يهود توات وفي موقف الإمام المغيلي ما يمتلئ بالشخصيّة الدفاعيّة لا الهجوميّة والمحافظة على الهويّة لأنّ السلام ليس معناه الاستسلام والضعف، وإنّما هو سلام قوة... لا استسلام ضعف؛ لقول الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: 139. خلافاً للبعض من الذين يفسّرون السلام تبعاً لأهوائهم وعنصريتهم ولا يرضخون للحقّ إذا كان صاحبه ضعيفاً، ويرفضون مبدأ السلام العادل.

3- الإمام المغيلي رجل القيم الإنسانية :

مما لا يختلف فيه اثنان أنّ القيم الأساسية في الإسلام ثابتة لا تتغيّر لأنّها صالحة لكلّ زمان ومكان وأنّ الأخلاق والعقيدة والشريعة ليست من صنع الإنسان ولذلك فهي قائمة على الزمان ما بقي الزمان على اختلاف البيئات والعصور وإنّ الحقّ سيظلّ هو الحقّ لا يتغيّر. ولذلك فإنّ أبرز قواعد الإسلام هو (ثبات القيم) وبالتالي (ثبات الأخلاق) وهذه القواعد تراها ماثوثة في الفكر القيمي للشيخ المغيلي.

بداية من نظرتة للتصوّف كمدرسة أخلاقيّة قيمة فقد كان إلى جانب ثقافته الدينيّة الواسعة وقيامه بأمور الوعظ والإرشاد، ومعرفته بأمور السياسة الشّرعيّة، يحترم رجال الطرق الصوفيّة، خاصّة منهم أولئك الذين يتعدون عن الدروشة والأباطيل لذلك كان له دور كبير في التّعريف بالطريقة القادرية التي كان يحترم شيوخها، ومنهم أستاذه وصهره المفسّر الثعالبي المنتمي إليها لأنّها بنيت أساساً على الأخلاق. ونظرتة للسياسة فهو ينطلق من ثقافته الإسلاميّة التي لها قواعد في السياسة الشرعية ومسألة الحكم إذ طرح مفهومين شديدي الأهمية والاتّساق عند حديثه عن أبعاد مفهوم السلطة، وهما مفهوم التقوى وهوى النفس. حيث ربط المغيلي في بداية حديثه بين تقوى الله والاعتصام بالله من هوى النفس، كما يعتبر العدل نقطة هامّة جدّاً لنيل الحاكم لشرعية سلطته، فله تصوّر دقيق عن مفهوم العدل، حيث تنبع دقّة مفهوم العدل لديه من استعارته التعريف النبوي للعدل، فينبغي أن يؤتى كلّ ذي حقّ حقّه من نفسه وغيره. لذلك يطالب المغيلي الحكّام ليس فقط بالتواصل مع المستضعفين من الناس، مثل النساء والأطفال الأيتام وسماع شكواهم، ولكن أيضاً فإنّ الحاكم يمكن أن يعزل القضاة والعاملين في الدولة، ليس بسبب مفاسد ارتكبوها وإنما تأليفاً لقلوب الرعية وكسباً لوّدهم.

كما عرّف القيم السياسيّة بأنّها إنسانيّة بدءاً وختاماً وهي تشمل رعاية شؤون الأُمّة وتدبير شؤونها الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتعليميّة وإدارة الدولة والإشراف على القضاء والجيوش والسياسة الخارجيّة والدفاع عن الوطن وحماية العقيدة وتحقيق الأمن الداخلي، بإشراف الحاكم الذي يرتضيه الناس، وبمساعدة الأُمّناء ممّن يسدون النصح ويبدون المشورة ويحاسبون الحاكم إن زاع عن تأديّة دوره وخرج أو انحرف عن مبادئ الأُمّة المحدّدة في الدين الإسلامي، وذلك كلّه لتحقيق أمن ورفاهية الأُمّة من خلال العدل والمساواة والحزم وغيرها من الأهداف التي يفترض في الحاكم العمل على تحقيقها، والتي على أساسها بايعه عموم المسلمين وأهل الحلّ والعقد فيهم.

وتعتبر نظريات المغيلي جادة وثرية لكونها نابعة من شخصية قويّة لها نظريتها وخبرتها فالمغيلي كما وصفه التنبكتي -فقيه مالكي من علماء تنبكتو ولد 1627- هو: "... مفسّر وفقيه وأحد أعلام الفكر السياسي الإسلامي في زمانه، حيث عاش في القرن التاسع وأوائل العاشر الهجري، وقد عاصر المفكر الإسلامي جلال الدين السيوطي، وكانت بينهما مراسلات، وتنقلّ لعدّة أقطار إسلامية مثل اليمن والسودان، كما عايش أحداثاً كبرى مثل سقوط غرناطة في يد ملكي قشتالة وأراغون إيزابيلا وفرناندو، وبالتالي نهاية الحكم الإسلامي بالأندلس، وما تبع ذلك من ظهور سطوة الممالك النصرانية وخصوصاً البرتغال، وبداية توسّعها في شمال إفريقيا وغربها... وبالتالي جاء كتابه المذكور "تاج الدين" في سياق الدعوة إلى الإصلاح السياسي بوصفه "أداة إنقاذ" لدولة الإسلام من حالة الضعف والوهن التي حلّت بها خصوصاً في شمال إفريقيا"

ولذلك لا نكاد نجد مؤلّفًا من مؤلّفات علماء السّودان والنيجر ونيجيريا والقائمين بالدّعوة والإرشاد في هذه البلدان، والمؤرّخين للحركات الإسلاميّة فيها يخلو من الإشارة للإمام المغيلي والنقل عنه والرّجوع إلى وصاياه وفتاواه

ورسائله، والاحتجاج بأقواله وآرائه في تدعيم دعوتهم وإسناد الأفكار التي تضمّنتها حركتهم الجهادية والإصلاحية والدعوية، حيث كانوا يواجهون خصومهم وما يقيمونه في وجههم من حملات التشكيك والتشويش في العديد من القضايا الدينية والدنيوية بفتاوى الإمام المغيلي وكتاباته، بما لها في نفوس الجميع من الإجلال والإكبار.

ومن القيم الإنسانية المتجلية بفيضها الكبير في تركيبة الإمام المغيلي الوطنية والمواطنة وهذا ما نراه عيانا خاصة بعد عودته إلى توات من رحلته الإفريقية فقد قصده طلاب العلم والعلماء فلم يبخل عليهم بعلمه وفقهه رغم كبر سنّه، وبقي وفيًا لرسالته في الدعوة والإصلاح إلى وفاته - رحمه الله - سنة 909 هـ - ودفن في بلدية زاوية كونتة في أدرار الجزائرية ليظلّ عطره وألقه إلى اليوم وما بعد اليوم ملهما للجزائر ومفخرة لها.

4- الخاتمة :

الجزائر اليوم تعيش مرحلة التفتنّ والذكاء.. تستحضر رجالها وماضيها المعرفي وتستجلب مياه الإصلاح وتسقي به أراضيها سهولا كانت وحتى الصحراء منها لتخضّر بحوكمتها ولتبنى حاضر الجزائر الرصين ومستقبلها المتوازن اعتبارا وأتعاظا من أحداث ماضية ومن أحداث عالم اليوم وما هذا الملتقى الذي يحمل في طياته تلك المآثر الكبرى للإمام المغيلي - غرة شهر رمضان سنة 909 هـ - ومناقبه وأعماله العظيمة، والتي تبقى فخرا لكلّ جزائري وجزائرية ولكلّ مسلم ومسلمة وعليه فلا يجب أن تظلّ حبيسة الكتب على كثرتها ولا المراجع على كثرة عددها فهي سيرة جديرة بأن تكون في مواقع التواصل الإجتماعي تصل شباب اليوم عبر الوسائل الحديثة كما تصلح كسيرة أن تكون شريطا سنمائيا ناجحا أو مسلسلا كثير الحلقات بعنوان "المغيلي.. إمام الإصلاح" حتى يظلّ صدى هذا العلم يتردّد وينساب

عظما وقودة وحتّى تبرز الجزائر تلك النماذج من الصالحين والعلماء
الربّانيين من مخزونها الثريّ.

وفذللكة القول. نعم مات الإمام المغيلي رحمه الله تاركا وراءه عبير رجل
أمين على كلّ ما للإسلام عنده من ذمّة، وعهد وميثاق... حتّى يظلّ مكانه في
ذاكرة التاريخ وفي ضمير الحياة بطلا..

عَجِبْتُ لِنَظْمِ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ * أَتَانِي عَنْ حَبْرٍ أَقْرُبُنْبُلِهِ
سَلَامٌ عَلَيَّ هَذَا الْإِمَامِ فَكَمْ لَهُ * لَدَيَّ ثَنَاءٌ وَاعْتِرَافٌ بِفَضْلِهِ⁽²⁾

5- المراجع:

1. المغيلي التلمساني محمد بن عبد الكريم، تاج الدين فيما يجب على الملوك
والسلطين، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم للطباعة والنشر
والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.
2. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد
عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1988، ص 576-579.
3. الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، عبد القادر
باجي، 103/1-127، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر،
2011م،
4. الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي-الإطار المعرفي والتعاون مع
المكانية، د.أحمد الحمدي، ص19-22، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس،
الجزائر، ط1، 1433هـ-2012م،
5. الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحية بإمارات ومماليك إفريقيا
الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة، مبروك المقدم، ص49-
52، دار الغرب، وهران، الجزائر، 2002م،

⁽²⁾ الإمام السيوطي

استراتيجية التواصل الفكري والثقافي بين شمال إفريقيا وجنوبها.

رؤية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي نموذجا

الدكتور آدم يوسف

مركز البحوث والدراسات الإفريقية - الخرطوم- السودان

ملخص:

تتناول الدراسة الأبعاد الفكرية والثقافية في العلاقات العربية الإفريقية ودور الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في التواصل الفكري والثقافي وأثره في الإنتاج المعرفي وتأثيرها على منطقة غرب إفريقيا.

وأسس رؤيته الاستراتيجية على منهج التواصل الفكري ومواجهة الواقع بالعمل والانطلاق إلى حيث الأمم والشعوب من البادية والأرياف إلى الأقاليم والمدن وأثبت عملياً وفعالياً أن ذلك أنفع وأفضل، وقد تضمنت الدراسة القيمة العلمية والمعرفية، وجهوده البارزة التي أدت إلى التبادل الثقافي المشترك والتواصل الفكري بين العلماء، وشعوب القارة.

الكلمات المفتاحية :

الشيخ محمد المغيلي، التواصل، الفكري، الثقافي، إفريقيا.

**Intellectual and Cultural Communication Strategy
between North and South Africa
(The vision of Imām al-Maghīlī as a model)**

Abstract

This paper demonstrates the impact of Arab-African intellectual and cultural relations, it also undertakes the role of Imām Abū 'Abdullah Muḥammad b. 'Abdul Karīm al-Maghīlī in intellectual and cultural communication, and its impact on knowledge and the effect of that on Central and West Africa. The study included the scientific and cognitive value of Imām al-Maghīlī and his effort in cultural communication between African peoples.

Keywords:

Imām al-Maghīlī, Intellectual Communication, Cultural Communication, Africa

إنّ العلاقات العربية الإفريقية ازدهرت وتطورت لعوامل متعددة، منها الثقافة الإسلامية التي مهدت لبناء ممالك وسلطنات كان لها تأثيرها في ثقافة الشعوب وعلاقاتهم كما أنها مهدت للتبادل الثقافي المشترك.

لقد ازدهرت هذه العلاقات وتطورت، ومن ثم عادت مرة أخرى وتضررت وتقلصت، وأصبحت هذه العلاقات تتمدد حيناً وتراجع أحياناً أخرى، وفق المعطيات السياسية، وكثيراً ما كانت السياسة الخارجية لها دورها وتأثيرها الكبير.

إن ظهور وسائل التواصل الاجتماعي بجميع ملحقاته من تويتر، وفيس بوك، ووتساب، وأنستغرام وما إلى ذلك كان لها تأثيرها على التواصل بين شمال أفريقيا وجنوبها إلا أن هذا التأثير لم يكن عميقاً، وظل التواصل الفكري الثقافي بين شمال إفريقيا وجنوبها يكاد لا يذكر، وذلك في جميع المجالات والمستويات.

إن العلاقات الإفريقية العربية ازدهرت من خلال التواصل الفكري الثقافي في عدة محاور، منها:

أولاً: المحور الديني الإسلامي وتأثيره على المجتمعات في القارة.

ثانياً: العلماء ودورهم في نهضة الشعوب والسلطنات والممالك.

ثالثاً: المحور التعليمي بمجالاته المتعددة.

رابعاً: محور الهجرات من خلال الأسفار والترحال وانفتاح الحدود.

خامساً: الاستقرار والتعايش السلمي.

عرفت قارة إفريقيا الإسلام منذ وقت مبكر، وبدأ التلاحق بين الجزيرة العربية والمجتمعات الإفريقية منذ القرن الأول الهجري وتوسعت من خلال ذلك الثقافة الإسلامية وامتد جذورها إلى معظم أرجاء القارة وبذلك نشأت

ممالك عظيمة في افريقيا واستطاع هذا الدين استيعاب كل ملامح الشعوب الافريقية ذلك انه استطاع بعد فترة أن يكسر خاجز الصحراء الكبرى ثم يكوّن جنوبها الممالك والتجمعات الآتية :

- 1- مملكة غانا 2- مملكة مالي 3- مملكة صنغاي في جوا 4- مملكة كانم
- 5- مملكة برنو 6- امارات موسى-دا جمبا 7- مملكة البمبارا- في سيجو وكارتا
- 8- مملكة صوصو-في كايناجا⁽¹⁾

وإنّ الإسلام في افريقيا تمكّن من الانتشار بطريقة سريعة، واحاطها من الشرق والشمال والغرب ثم تناثر فيها، وهذه الإحاطة يشهها (هوبيرديشان) في كتابه (الديانات في افريقيا السوداء) بالهلال، «فالإسلام يحيط اذاً بالقارة من غربها وشمالها وشرقها من مدينة داكار غرباً على ساحل السنغال حتى مدينة كليمان في موزمبيق البرتغالية، ويسع عرضه تارة ويضيق تارة في شكل أشبه ما يكون بهلال يذكّر الناظر اليه برمز الإسلام»⁽²⁾.

وهذا ما دفع بكتاب من امثال توماس هوديكن أن يقول عن الأدب الإسلامي في غانا المالية (ساحل الذهب سابقاً) : «هو أدب تناسبه صفة الإسلامي على اعتبار أن كتابه مسلمون وينطلقون من الثقافة الإسلامية وعلومها ويحسون بماض علاقتهم بهذا الدين وينظرون إلى الأدب كوسيلة لغاية هي الإسلام»⁽³⁾.

لقد دخل الإسلام في وقت مبكر بعد فترة وجيزة من الهجرة، ويعود تاريخ مسجد «القبلتين» في مدينة زيلع الى زهاء القرن السابع الميلادي، وهو أقدم

¹ بدوي، عبدو، السود والحضارة العربية، (جمهورية مصر العربية : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م)، صفحة 230.

² المصدر نفسه، صفحة 230

³ يوسف، آدم، القصة الافريقية المعاصرة بين المورثين الشعبي والإسلامي، (القاهرة : الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2017م)، صفحة 75.

مسجد في المدينة. وفي أواخر القرن التاسع كان المسلمون يعيشون على طول السواحل.⁽⁴⁾

إنّ الصوفية والأسر الدينية أديا دوراً في انتشار الإسلام، وكان دورها نموذجاً لنشاطها في المنطقة، ويرى الاستاذ محمد سعيد ناود بأن الطرق الصوفية تتمتع بالمريدين والأتباع في كل من السودان، وإريتريا، والحبشة (إثيوبيا)، والصومال⁽⁵⁾.

لقد ارتبط دخول الإسلام في إفريقيا بالهجرات والتفاعل الثقافي بين المهاجرين والمقيمين، وكذلك بمجهودات الدعاة الذين نذروا حياتهم لتعلم القرآن والفقهاء حيث تتحدث الروايات عن منجزهم⁽⁶⁾ (7).

وإنّ للعلماء دوراً مهماً في العالم أجمع، وفي إفريقيا بصفة خاصة، فإفريقيا في حاجة إلى كل المجالات والتخصصات، لأسباب متعلقة بتأخرها عن القارات الأخرى، كما أن التخلف والتدهور أثر بشكل كبير في دول القارة، فقد كانت شعوب القارة تواجه تحديات جمة، وفي ظل هذه التحديات هناك من لم يستسلم وواجه ذلك بالعزيمة والاصرار وظلت حياتهم حافلة بالعطاء والنجاز ومحل اهتمام لدى العديد من الناس، فمشوراهم، وتجاربهم تعدّ مهمة لاستلهم العبر فقد كان اخلاقهم وقيمهم

⁴ جمبا، هارون، الامام أحمد بن ابراهيم الغازي (أحمد جري) القائد الصومالي الكبير (1506/912هـ/1543م/949هـ)، مجلة قراءات افريقية، العدد 36، السنة الرابعة عشر (لندن : المنتدى الإسلامي، ابريل 2018م)، صفحة 134

⁵ سعيد ناود، محمد، العزوبة والإسلام في القرن الإفريقي، (ليبيا: 2004)، صفحة 147
⁶ مكي، حسن، السياسات الثقافية في الصومال الكبير (قرن إفريقيا) 1887م- 1986
شعبة البحوث والنشر، (الخرطوم-السودان : المركز الإسلامي الإفريقي، سونو للطباعة والنشر، بدون سنة نشر)، ص 39.

⁷ للمزيد أنظر في ذلك : كتاب معلم نور محمد زياد "قراءة في تجربة رواد التصوف والتعليم الاسلامي"، دار الأجنحة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (2022م) الخرطوم – السودان، ص 30.

واتصالهم بشؤون المجتمع ومساهماتهم في الحياة أضحيت باقية حتى بعد رحيلهم

فإفريقيا تشهد للرواد الأوائل في مجال التعلم الاسلامي الذين قاموا بأدوار في الدعوة الاسلامية وانتشارها.

إن المرتكزات التي تنطلق منها الدول الإفريقية صارت تقليدية، وغدت أكثر رجعية من الماضي مقارنة بمنجز التواصل الفكري بين شمال إفريقيا وجنوبها، وذلك على الرغم من وجود القواسم المشتركة، ويمكن أن نرى ذلك بوضوح في دولتي شمال إفريقيا (الجزائر)، ووسط إفريقيا (تشاد) مثلاً:

أولاً: الدين الإسلامي، فغالبية سكان البلدين يدينون بالإسلام.

ثانياً: التصوف، فقد نجد أن منهج التصوف هو السائد فيها بالإضافة إلى الطريقة التجانية التي تجمعهما.

ثالثاً: اللغة والثقافة العربية - وهما تكاد تكون فيهما ركيزة أساسية.

رابعاً: الفرنكوفونية،⁽⁸⁾ نجد أن الدولتين تشاد والجزائر من الدول الفرنكوفونية، وطبيعة الاستعمار الفرنسي يركز على لم شمل الدول الفرنكوفونية في اللغة والهوية الفرنسية من خلال النخبة الفرنكوفونية.

⁸ يعود مصطلح الفرنكوفونية Francophonie في نشأته إلى العالم الجغرافي الفرنسي «أونزيم ريكلوس Onesime Recluse» (1837م - 1916م) الذي وضع هذا المصطلح منذ عام 1880م، وذلك في دراسته للغات العالم، وأشار بهذا المصطلح إلى ظاهرة التوزيع الجغرافي للغة الفرنسية في شتى أجزاء القارات الخمس، ونظراً للمحيط العلمي البحث الذي وُضع مصطلح الفرنكوفونية في إطاره؛ فإن هذا المصطلح لم يُكتب له السريان والشبوع لا في المحيط العلمي والثقافي اللذين نشأ فيهما، ولا في مجالات علمية أو معرفية أخرى.

إنَّ الفرنكوفونية سرعان ما تحوّلت إلى حركة فكرية ذات بُعد أيديولوجي، تهدف إلى تخليد قيم (فرنسا الأمّ) في كلّ مستعمراتها التي خرجت منها عسكرياً، وذلك من خلال اعتماد اللغة الفرنسية بوصفها ثقافة مشتركة بين الدول الناطقة بها كلياً أو جزئياً (1)، وكان المنبر الفكري الذي صرح عليه أولئك السياسيون وأمثالهم، ورؤجوا للفكر

ولهذا نجد أن التحديات متشابهة، في قضية اللغة، (الفرنسية والعربية)، وفي قضية (الصوفية، والوهابية)، وفي قضية (العروبة، والإفريقية)، وفي قضية (الجماعات المسلحة) الإرهاب، والأحزاب السياسية)، وفي قضية الديمقراطية (العسكر، والمدنية) ... الخ.

ولهذا نجد التباعد بين هذه الدول واضحاً، خلاف ما كان في الماضي، وهذا التواصل تجسد في دور العلماء وأثرهم ويتضح لنا في صورة أعمق عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، من خلال ترحاله، وأسفاره.

رؤية الشيخ المغيلي ومنجزه في غرب إفريقيا.

أولاً: التعريف ببلاد السودان.

كان العرب أول من استخدم مصطلح السودان على الأقوام التي تقطن في جنوبي الصحراء الكبرى، والكلمة أحياناً تطلق على كل السود الإفريقيين (الأفارقة) وقد أطلقها الجاحظ في كتاب فخر السودان على البيضان⁽⁹⁾.

واشتهر لفظ السودان على منطقة إفريقيا الغربية، على ذلك الجزء الواقع في غربي إفريقيا⁽¹⁰⁾.

الفرنكوفوني من خلاله، مجلة «روح (Esprit)»، خصوصاً في عددها الخاص المعنون «اللغة الفرنسيّة لغة حيّة Le Francais langue vivante»، للمزيد راجع الموقع التالي: (<http://africanscomplex.com/2014>)

⁹ انظر في ذلك: الرسائل السياسية للمؤلف عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الرسالة الرابعة: فخر السودان على البيضان، تحتوي أيضاً على الموضوعات: نجباء السودان، خصال السودان، كثرة عدد السودان واتساع بلدانهم، أثر البيئة في لون السودان والبيضان.

¹⁰ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، الإمام أبي الحسن، فتوح البلدان، (بيروت: لبنان، 1988)، ص 232.

وحدد القلقشندي بلاد السودان من غرب البحر المحيط، ومن الجنوب مما يلي خط الاستواء، ومن الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن وفي الشمال تمتد ما بين برقة بلاد البربر من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط⁽¹¹⁾.

يقول أبو الحسن على السماني :

«والسودان في تعريف الكتاب العرب يشمل منطقة حزام السافنا السودانية والشعوب التي تسكنها من المحيط الأطلسي غرباً وفي منطقة بحيرة تشاد وبلاد البرنو شرقاً»⁽¹²⁾.

وقد حدد الشيخ محمد بلو بلاد التكرور بأنها من بلد فور إلى فوت وما وراءها وما والاها بحسب الأمكنة⁽¹³⁾.

يبين داو سيال في مقال له بعنوان: توطئة جغرافية وتاريخية عن السودان الغربي، ورد كثيراً مصطلح (السودان الغربي) في كتب التاريخ وأدب الرحلات الإفريقية، ويعني به الشريط الإقليمي المستطيل من بحيرة تشاد وما جاورها شرقاً إلى السنغال أقصى غرب إفريقيا⁽¹⁴⁾.

ثانياً: استراتيجية الشيخ المغيلي في التواصل الفكري والثقافي

المناطق التي وصلها المغيلي في السودان الغربي.

¹¹ القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، (مصر-القاهرة : دار الكتب المصرية، 1340هـ-1922م)، مج 12، ص 274.

¹² السماني، أبو الحسن، تطبيق نصوص الفكر السياسي الإسلامي في دولة صكتو الإسلامية، (الخرطوم السودان : دار هائل، الطبعة الأولى 1991م)، ص 22.

¹³ عثمان فودي، محمد بيلو، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، (المملكة المغربية – الرباط : جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1996م) ص 3.

⁽¹⁴⁾ رسالة إفريقيا، العدد الثاني عشر، 18 نوفمبر 1995، الخرطوم – السودان، ص 24.

يتفق المؤرخون بأن أول أرض نزل بها في السودان هي بالذ أهير كما يذكرها أحمد بابا التنبكتي أو أصير عند ابن مريم.

المغيلي في بلاد الهوسا..

انتقل المغيلي من أهير إلى تكدة وهناك استقر بعض الوقت واشتغل بها في التدريس والوعظ والإرشاد، وفيها اشتهر كعالم ومصلح ومقاوم للبدع والخرافات، وممن استفادوا من المغيلي بتكدة الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي والعاقب الألنصمني، ومن تكدة اتجه المغيلي إلى كانو، وكان داعياً فيها ومرشداً ومصلحاً، وكانوا بنى مدرسته المعروفة باسمه وتصدر بها للتدريس وانتشر صيته وقصده الطلبة من الجهات المختلفة كما حظي المغيلي بمكانة خاصة لدى سلطان كانو أبي عبد الله محمد رنفة بن يعقوب حيث أنه كان لا يقوم بعمل دون استشارته، وولاه القضاء والإفتاء التي كان قضاها ببلادها، ويظهر أن المغيلي لم يقتصر على الدور الديني بل وحتى السياسة من خلال النصائح التي قدمها للسلطان حول الحكم.⁽¹⁵⁾

بعدما اطمأن لحال أهل كانو اتجه إلى كاتسينا وتولى بها الإمامة والقضاء والتقى بحاكمها ماحي إبراهيم وانتفع بنصائح المغيلي.

المغيلي في بلاد التكرور.

بعد رحلته الطويلة في بلاد الهوسا، قرر مواصلة سيره حتى وقعت أقدامه على أرض إمبراطورية سنغاي.

¹⁵ أحمد يحيى، أمينة، مسعود، أمينة أحمد، إشراف إبراهيم بتقة، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في ظهور الحركات الجهادية في غرب إفريقيا، جامعة الجبلاي بو نعامة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلم الإنسانية، شعبة التاريخ- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ إفريقيا، السنة الجامعية 2014 م، ص 32

فوصل إلى العاصمة غاو سنة 1497م ومهمته لم تكن تختلف عما قام به في بلاد الهوسا، فقد ساهم المغيلي في إصلاح المفاصد والانحرافات ومحاربة البدع والخرافات ونشر تعاليم الدين الإسلامي على مذهب أهل السنة والجماعة وخلف وراءه تلاميذ ومدارس على نهجه وتتبع مذهبه.

كما التقى بأmirها الأسقيا محمد الكبير الذي اعتمد عليه كمستشار له، ووجه له أسئلة عديدة أثار فيها المشاكل الإجتماعية والسياسية والدينية التي كانت تواجهه في بلاد السودان ما كان للمغيلي إلا أن استقبل الأسئلة بالرد عليه في رسالة أوضح له فيها الفتاوي الإسلامية كما أن المغيلي عمل أيضا ببلاد الكبي التي زارها ونشر فيها الإسلام.⁽¹⁶⁾

إن إسهامات الشيخ المغيلي كان لها تأثيرها على منطقة وسط وغرب إفريقيا، من خلال رسائله، وتعاليمه، ورؤيته في الترحال، والأسفار التي أكدت على تجربة ثرة.

ويتضح لنا من خلال هذا الأثر، أن أهم الآليات التي أصّلت في التواصل الفكري الثقافي، كانت الأدوات التي أستخدمها وهي تمثل أدوات حديثة مقارنة بعصره، من تأليف، ورسائل، وتعليم، وتفسير، واهتمام بالشعوب المسلمة التي شدّ إليها الرحال، ولم ينتظرها لتأتي إليه.

وقد عُرف عن المغيلي غيرته على الإسلام، ولقائه مع الإمام السيوطي ونص (رسالته) ومناظرته معه، وتأثر الأخضرى به، مقارنة بين المنظومتين وتأثر ابن فودي باتجاهه، ومدينة (كانو) ووصية المغيلي فيما يجوز للحكام في درء الناس عن الحرام، ومجموعة في شؤون الإمارة.

وأهمية مملكة (سنغاي) وأسئلة سلطانها وأجوبة المغيلي علمها.

¹⁶ المرجع نفسه، ص 33

إنّ شمال إفريقيا مرتبط بغيرها منذ عهد قديم على صلات ثقافية أو اقتصادية، وهو قول لا يختلف فيه اثنان من علماء التاريخ، إذ لا يفصل شمال إفريقيا عن غربها حاجز طبيعي غير الصحراء الكبرى، وليست هذه الصحراء خالية من قوافل المجتازين من الشمال إلى الغرب، أو العكس، ذهاباً وإياباً.

ولقد ظلّ المغاربة ينقلون البضائع من تونس وطرابلس لبيعها في عواصم السودان الغربي مثل «غانا» و«مالي» و«كاشنة» و«كانو» و«برنو» وغيرها من بلاد غرب إفريقيا، كما كانوا يعودون منها إلى بلادهم، وإلى جانبهم دعاة ومرشدون ومعلمون وأئمة ينتشرون في أرجاء غرب إفريقيا لنشر الثقافة العربية الإسلامية في سائر تلك الأرجاء، فانطبعت غرب إفريقيا بما في شمالها من العقيدة والمذهب والطريقة والمشرب. ومن أولئك الرجال «الإمام المغيلي»⁽¹⁷⁾.

إن هذا الواقع يدفع بالنظر إلى حجم الهوة بين شمال إفريقيا وجنوبها، بل أيضاً بين المغرب العربي والمشرق؟

والتواصل الفكري والثقافي كان في الستينات والسبعينات من القرن الماضي أمتن مقارنة باليوم.

ثالثاً: مواجهة الفلسفات السياسية للحكام

إنّ العلاقات الإفريقية الجزائرية ظلت محور اهتمام لدى الأفارقة خاصة وأنّ الجزائر وضعت (حدود) من أهمها: عدم التدخل في سياسات الدول الإفريقية كما أنها عكست ثلاث نقاط أساسية عززت مكانتها في نفوس الافارقة:

1- ظلت أحد أهم روافد التحرر في القارة.

⁽¹⁷⁾ <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/5037>

2- لم تتحالف مع أي قوة خارجية من أجل مصالحها على حساب القارة.

3- الوقوف بمسافة بين جميع الدول الإفريقية.

هذا بالإضافة إلى مرتكزات أخرى، كما أن قبول الجزائر للشخصية الإفريقية بكل أبعادها أدى بأن تكسب إنسان القارة، ويلاحظ ذلك حتي من خلال مباريات كرة القدم، فإن لعب فريق الجزائر مع أي فريق آخر حتي وإن كان من إفريقيا جنوب الصحراء (أفريقيا السوداء) نجد الأفارقة يشجعون الجزائر.

إنّ هذه المعطيات لم تستفد منه الجزائر لإعتبارات، منها :

1- بعد الجزائر عن قضايا الدول الإفريقية بسبب الحيادية في تناول الموضوعات.

2- ضعف التواجد في الاتحاد الإفريقي مما أدى إلى تأثيرها على قرارات الاتحاد.

3- التواصل الروحي (الديني) التقليدي.

إنّ التصوف الإسلامي ظل يعطي القارة ثمراته على مدار قرون، يمنحها الوعي الذاتي، والفكري ويغذي بعدها الروحي، مما أدى إلى التعايش السلمي والاستقرار، وساهم في نشر العلم والمعرفة والتوازن مع روح الفلسفة الإفريقية.

إنّ هذا الأثر المعرفي الكوني تمدد وتوسع لكنه ظل ثابتاً بسبب غياب العلماء من أمثال الشيخ المغيلي الذي قدم إنتاجه الفكري والمعرفي رؤية استراتيجية للتواصل بين شمال إفريقيا وأجزاءها المختلفة.

وقد كانت رسائله ذات توصيات في مواجهة الفلسفات السياسية للحكام، وسعيه الدؤوب للوصول فكره ورؤاه إلى أرجاء القارة كانت داعمة أساسية للتواصل بين الشعوب والحكام.

وعن (مجموعته في شؤون الإمارة) التي كتبها إلى السلطان محمد رنفا فيما يجوز للحكام فيقول عنها: (ويمتاز المغيلي في مجموعته هذه بإيجاز من غير خلل، وتفصيل من غير ملل، بأسلوب أدبي جذاب يغلب عليه السجع المطاوع المنسجم، وطابع النثر الفني من غير تكلف ولا تعسف، وذلك مما يترجم عن شخصية المغيلي الأدبية، ورسوخ قدمه ونضج علمه وبلورة فهمه لأصول الشريعة الإسلامية، وتمكنه من أصول المذهب المالكي الذي امتاز به على سائر المذاهب بالمصالح المرسله، وسد الذرائع، وبالإضافة إلى نصوص الكتاب والسنة والإجماع والقياس).

إنّ غياب هذا التواصل وبقاء التصوف في الزوايا، والمشايخات أدى إلى جمودها في أروقة المساجد والخلوي.

التواصل بين الثقافات.

إنّ التواصل بين الثقافات هو شكل من أشكال الاتصال الذي يهدف إلى مشاركة المعلومات والمعرفة بين الثقافات والمجموعات الثقافية المختلفة. ويستخدم مصطلح التواصل بين الثقافات لوصف طائفة واسعة من عمليات الاتصال والمشكلات التي تظهر بشكل طبيعي في التنظيمات التي تتكون من أفراد ينتمون إلى ديانات مختلفة ومجتمعات مختلفة وأعراق مختلفة وخلفيات تعليمية مختلفة. ويهدف التواصل بين الثقافات إلى فهم كيفية تصرف الأشخاص المنتمون لدول وثقافات مختلفة مع العالم المحيط بهم وكيفية تواصلهم معه وإدراكهم له.

وإنّ "التواصل بين الثقافات" تركز على الخصائص الاجتماعية وأنماط التفكير وثقافات المجتمعات البشرية. كما أنها تنطوي على فهم مختلف الثقافات واللغات وعادات الشعوب الاجتماعية من دول مختلفة. يؤدي

ذلك دوراً مهماً بين الثقافات في العلوم الاجتماعية كعلم الإنسان والدراسات الثقافية وعلم النفس واللغويات ودراسات الاتصالات. كما أنه الأساس في عالم الأعمال الدولية.

أثر الإسلام في منطقة السودان.

إنّ تاريخ إفريقيا حافل بالتراث والحضارة الإنسانية من الحضارة الفرعونية، ومملكة اكسوم، ومروي، وممالك داهومي، وغانا، الى الحضارة الاسلامية، وقد شكلت من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها حضارات إسلامية قوية يشهها في ذلك هوبر ديشان بالهلال : «الإسلام يحيط بالقارة من غربها وشمالها وشرقها من مدينة داكار (غرباً) على ساحل السنغال حتى يبلغ مدينة (كليمان) في موزنبيق البرتغالية، ويتسع عرضه تارة ويضيق تارة في شكل أشبه ما يكون بهلال يذكر الناظر إليه على الخريطة برمز الإسلام»⁽¹⁸⁾.

والعلاقة العربية – الإفريقية في التاريخ- واقعة قديمة، اتخذت أشكالاً تقليدية، كالتجارة والتنازع في السلطة على عدوتي البحر الأحمر ولكن الإتصال الفكري مع إفريقيا بدأ حين أصبح للعرب رسالة، وأصبح لثقافتهم مضمون روحي عالمي⁽¹⁹⁾.

فالمتبع للتاريخ يلاحظ أن منطقة السودان استطاعت بعد أن أصبح عندها رسالة أن تقيم كبرى الممالك الإسلامية مثل مملكة كانم - برنو، مملكة مالي، مملكة غانا، ومملكة سنغاي وسكتو، وقد عمرت بعضها لسنوات طويلة مثل كانم – برنو زهاء تسعة قرون.

لقد كانت المملكة السياسية هي الفضاء الذي بني عليه الأوروبيون مقولاتهم في العصر الحديث وهذه الممالك والإمارات التي حملت عصر

⁽¹⁸⁾ ديشان، هوبر، الديانات في إفريقيا السوداء، (القاهر- مصر : المركز القومي للترجمة، 2006م)،. صفحة (141).

⁽¹⁹⁾ صابر، محي الدين، " العرب وإفريقيا، (مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، الطبعة 1987م)،. صفحة (497)

النهضة وانتقلت بأوروبا من «عصر الظلمات» الكنسي إلى عصر التنوير، لم تتبلور في أحسن الحالات «بين الغالين» أو السكسون إلا خلال الالفية الثانية، مجترة تراث المدن اليونانية والرومانية القديمة، وبهذه القدسية للدولة أو الإمارة الحاملة للحضارة، انكروا على غيرهم «مجتمعات لا تاريخية ولا دولتية» وحينما أجبروا على الاعتراف بدول كبرى، مصرية قديمة، أو آسيوية حنطوها بغلاف من الإنقطاع التاريخي عن التاريخ الحديث⁽²⁰⁾.

وعرفت عن هذه الممالك في السودان بتنظيم الإدارة والتعلم والقضاء والمدن والجيش، ونظام السلطة.

وكانت مملكة كانم برقعته الممتدة وقوتها تعدُّ أقدم الممالك الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، واشتهرت كونها مملكة وعرفت لدى المؤرخين الذين كانوا على إتصال وثيق بالقارة.

وقد خلف كل ذلك ملامح واضحة المعالم في الحياة الإفريقية لدى المجتمعات بمختلف أطيافها، وانعكس ذلك على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتأثرت بها اللغات المحلية التي تحول الكثير من مفرداتها إلى العربية، وظهر أثر الإسلام ليشكل حلقة وصل بين الافارقة انفسهم في الملابس - الذي نجده أقرب إلى الزي الإسلامي بين سكان تشاد ونيجيريا ومالي والنيجر والسودان، وغانا في موريتانيا ؛ فالرابط أصبح هو الإسلام وذلك من خلال الخواص أو القواسم المشترك بين هذه الشعوب حتى في العادات والتقاليد والمسكن والحرف والمهن فالعوامل المشتركة بين هذه الشعوب هي إسلامية، لذا تقوّت الصلة بينها والعرب، بل أن بعضها وفدت من الجزيرة العربية، فاختلطت وامتزجت، وكونت النسيج الاجتماعي لهذه الأمة.

⁽²⁰⁾ شعراوي، حلمي، الفكر السياسي والاجتماعي في إفريقيا -والإفريقية - (القاهرة : مركز البحوث العربية، 2009)، صفحة (14)

رؤية العلماء في التأصيل والتأثير الثقافي.

إنّ الأثر العقدي ما زال له دوره في بناء الوعي المعرفي، وتأثيره على المحيط الإنساني وكذلك السياسي، وهذه الدلالة تبينت في دولة مالي عند تحرك رجال الدين في العام 2020م.

إن الزوايا الكثيرة، والمهمة، وتأثيرها العميق يجب أن تسخر لخدمة شعوب المنطقة، لأنها خلقت لهذا الغرض، وإن مواجهة الشيوخ والعلماء القضايا بصدق وأمانه كفيلة بتغيير الكثير من القضايا، وحلّ الأزمات، وإن هذه المواجهات وهذا التصوف يجب أن ينطلق بتقنيات حديثة ليكون أثر التواصل فاعلاً، وقوياً.

فماذا إن جاء السؤال على النحو التالي :

- هل إذا اختفت هذه الزوايا والمشيوخ الدينية ستتأثر القارة ؟
- هل إن خرجت الصين من إفريقيا سيكون تأثيرها مثلما هو عند اختفاء الزوايا؟
- قد تكون المقاربة غريبة، ولكن في الماضي القريب كان تأثير الزوايا كبيراً، وقد لا يستطيع الراعي والرعية تخيل غيابها بسبب أهميتها في نفوس الناس، ومكانتها في حلّ القضايا.
- كيف نستطيع بناء تواصل فكري، وثقافي بين شمال إفريقيا وجنوبها كما كان سابقاً؟
- والسؤال الأكثر أهمية :
- ما الذي دفع الشيخ المغيلي للهجرة إلى منطقة غرب إفريقيا ؟

إن التواصل الفكري الثقافي كان يمثل عنصراً جوهرياً، وجسراً للتلاحم بين الشعوب المسلمة في القارة، والمعنى المقصود بالتواصل الفكري الثقافي يمثل القدرات العلمية، والإنتاج المعرفي والتعاليم الشرعية التي تمكن المجتمع من التبادل المشترك لحل القضايا والأزمات وبناء تحالفات تمثل جمعيات مجتمع مدني وثقافي واحدة.

لم يكن الشيخ المغيلي وحده من أقام الهجرة والارتحال، فقد كانت الفكرة هي دأب الأئمة والعلماء من مختلف أرجاء العالم، وهذا ما نجده معمولاً به في أرض السودان الكبير، بين العلماء في شرق ووسط وغرب إفريقيا.

لقد كان التأثير الثقافي الإسلامي بين علماء السودان وعلماء حوض بحيرة تشاد وشمال إفريقيا كبيراً⁽²¹⁾.

وفي السودان الكبير نلاحظ هذا التأثير أيضا في شرق إفريقيا، والمعنى المقصود بالسودان الكبير، جمهورية السودان بحدودها السياسية القائمة أو السلطنات التي كانت قائمة مثل سلطنة سنار وسلطنة الفور، ودولة تشاد بحدودها السياسية القائمة أو السلطنات التي قامت قبل تأسيس الدولة الحديثة، الممتدة مع سلطنة كانم برنو في حوض بحيرة تشاد، ودولة النيجر ومالي والسنغال وأجزاء من نيجيريا.

وقد احتوت هذه المنطقة أثر العلماء ودورهم في وحدة السودان الكبير.

إن العلاقات بين أجزاء السودان الكبير كانت أكثر سعة ونشاطا إلا أن ضعف التأليف أضع كثيرا من مظاهر تلك العلاقات، وملاحظة ظاهرة انتشار النص الواحد، مما دفعه بتسمية ذلك (بشيوع النص الأدبي) في السودان من غرب إلى السودان وادي النيل، فهناك أبيات في كتاب الفواكه

⁽²¹⁾ أنظر في ذلك أيضا : الخرطوم، الشعب الدعاة، لعبدالله صادق عبد الماجد، منشورات الدار السودانية، بدون تاريخ.

الساقطة للشيخ عبدالله الألوري منسوبة إلى الشيخ عبدالله دان فوديو
يقول فيها:

الله عدة لي في كل نائبة * في كل حال أقول حسبي الله
يا فارحاً بالمعاصي عند خلوفه * إن كنت ناسمها لم ينسها الله
والأبيات نفسها موجودة في طبقات ود ضيف الله.

وعبدالله دان فديو وود ضيف الله معاصران، مما يعني شيوع الأبيات
في منطقة السودان ينسبها إلى الشيخ محمد عيسى سوار الذهب يعزي فيها
الشيخ ادريس بن الأرباب حين ظهرته عليه علامات الفتح.

نجد أنّ جميع من في هذه المنطقة على المذهب المالكي في الفقه،
ومذهب الأشاعرة في العقيدة والكتب المتداولة في الفقه المالكي والفروع
الأخرى من العلوم الإسلامية تكاد تكون واحدة، شيوع التصوف والاحتفاء
بالمتصوفة خاصةً بعد ظهور الطريقة التجانية التي وحدت بين اتباعها من
أقصي غرب إفريقيا إلى كردفان ثم يبتديء أثرها يضعف فيما بعد
كردفان⁽²²⁾.

إنّ من أهم أسباب تبادل التأثير الثقافي، الهجرة لطلب العلم ونشره
لعدم وجود عوائق طبيعية وحواجز سياسية، والتنقل والارتحال والسفر
بين الأقطار كان مفتوحاً.

ونلاحظ من مظاهر الهجرة مثل: هجرة عالمين من مكان واحد إلى بلد واحد
وقد يطيب لهما المقام في دار الهجرة أو يعودان وقد يعود أحدهما دون الآخر.

ومن مظاهر الهجرة المناظرات العلمية مثل ما قام به الشيخ محمد
المهدي السنغالي القادم من تشاد حيث مكث سنة كاملة في السودان كتب في
الجرائد وافتي وأفاد بردود للعلماء أو الشيوخ.

⁽²²⁾ المرجع السابق ص 255

وكذلك من مظاهرها الرباط الروحي الصوفي. ومن هنا نشأت أهم
المراكز العلمية.

إن تبادل التأثير الثقافي أسست الوحدة الروحية والفكرية التي ربطت
بين أجزاء الإقليم، ونتج عنها علاقات اجتماعية جديدة كما أنها حافظت
على الإرث الفكري الروحي⁽²³⁾.

ويجيب الأستاذ الألوري عن أسباب رحلته إلى إفريقية، وما قام به، وما
خلفه من آثار، فيقول عنه:

«ولما سمع المغيلي بقوة الإسلام في السودان، وشدة تمسك أهلها
بالقرآن، ومحبة سلطانها للعلم والعلماء، اتجه إليها، ليتمكن من التأثير على
تلك الناحية ولينشر فيها الدين والعلم والثقافة والأدب».

فلما وصل إليها استقبله الملوك والعلماء استقبالا باهرا، ويقول بعض
المؤرخين الأجانب أن «أسكيا محمد» سلطان (سنغاي) هو الذي استقدمه إلى
بلاده، والصحيح أن المغيلي نفسه هو الذي اتجه إلى السودان باختياره، وإلما
تيسر له أن ينتقل من بلاده إلى بلاد مثل (كانو) و(كاشنة) و(اقدس) و(تكدة)
لينشر بها أفكاره وعلومه وآثاره، ولما تسنى له أن يمكث في مدينة (كانو)
و(كاشنة) أكثر من مكوثه في مدينة (غاو) عاصمة (سنغاي) ولقد تأثر بالمغيلي
جميع العلماء الذين اجتمعوا به، أو الذين أخذوا عنه العلوم حتى امتازوا عند
علمائها بمعاصري المغيلي، وامتاز عصرهم بعصر المغيلي.

ولقد احتفظوا برسائله ومؤلفاته، وحفظوها في صدورهم، وخبزوها في
مكتباتهم حتى توارثها خلفهم عن أسلافهم.

ومن المشاهير الذين تأثروا بفتاواه وسيرته وغيرته الشيخ البكري
(البرناوي) الذي أخذ عن تلاميذ المغيلي، وكان يحتج بفتاواه في تكفير من
صدر منه ما لا يصدر من الكافر ولو لم يعتقد الكفر.

⁽²³⁾ المرجع نفسه، ص 262

ويرى الألوري بأنه : لم يخلد التاريخ أثرا لعالم عربي، غربي أو شرقي مثل ما خلد للإمام المغيلي في غرب أفريقيا عموما وفي نيجيريا خصوصا.⁽²⁴⁾

إنّ معظم من كتب من المؤرخين يذهبون إلى أن أسباب رحيل المغيلي إلى السودان كان سببا دعويا إصلاحيا، ، وقد قال الزركلي : «ورحل المغيلي إلى السودان وبلاد التكرور لنشر أحكام الشرع وقواعده»، أما مقدم مبروك فيوضح الأسباب في النقاط التالية : نشر الإسلام وتبليغ الطريقة القادرية ومنهجه المغيلي، ضف إلى ذلك التعليم والتدريس وتصحيح المسارات والقواعد الفقهية وتنقيتها من الشوائب التي علق بها.⁽²⁵⁾

إنّ الهجرة من بلد إلى بلد، والارتحال من مكان إلى مكان، كانت مسألة شاقة، فيها مفارقة الأهل، وقطع مسافات بعيدة لشهور في مواجهة اللصوص وقطاع الطرق، والمشي والسير على الأقدام، أو الدواب في طرق وعرة كل ذلك لم يكن يثنهم عن أرادتهم في التواصل، وقد كانت ضرورية بين العلماء وطلاب العلم لنقل الأفكار، فالمغيلي لم يكن يحمل فكره ورؤيته وتجربته فقط بل كان حاملاً لفكرة المغرب العربي كله.

وهذا ساهم في التبادل الثقافي المشترك، والتعريف بشعوب المنطقة، ولهذا فقد كانت بلاد المغرب معروفة لدى لشعوب الإفريقية المسلمة.

وإنّ تجربة الأسفار بين العلماء، والشيوخ بمثابة شبكة تواصل مشترك أنتجت مجتمعه فكرة التعايش السلمي والاستقرار، ونقلت ثقافات الشعوب وأسست لفكرة قبول الآخر وأهميته.

إنّ آثار الشيخ المغيلي هي عبارة عن رسائل تتخللها محاورته وكتابات عدة مع الملوك والأمراء في غرب إفريقيا، منها :

⁽²⁴⁾ <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/5037>

⁽²⁵⁾ المرجع السابق، ص 30

- تاج الدين فيما يجب على الملوك والسالطين، هي حزمة الأسئلة التي دارت بينه وبين وأمير كانوا محمد بن يعقوب رنفة، قم من خلالها عن طريق ثمانية أبواب بعض من الأسس السياسية العام، الخمسة الأولى فيما يجب على الأمير أن يقوم به في أحواله، وفيما يجب كشفه من الأمور الخاصة برعيته أما السادس والسابع والثامن فجاء كالتالي :

بما يجب عليه من العدل والإحسان، فيما يجب عليه من جني الأموال من وجوه الحلال، والباب الأخير خصه : لوجوه مصارف أموال الله.

فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام : هي عبارة عن وصية من الإمام المغيلي إلى أمير كانوا يوصيه من خلالها بضرورة ردع المفاسد الدينية والدينيوي.

- أسئلة السقيا وأجوبة المغيلي، تدور أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي في مجملها حول لة تضمنت سبعة مسائل مطولة عن أحوال البلاد من الداخل وعالقتها مع بقية الإمارات والقبائل المجاورة، فنجد الإمام المغيلي لم عن الأسقيا محمد بتقديم بعض النصائح والتوجهات.

- مصباح الأرواح في أصول الفلاح، وهي عبارة عن رسالة أرسلها لبعض علماء وفقهاء عصره، وكان موضوع الرسالة حول الكنائس التي أحدثها اليهود، بحيث أصبح لهم نفوذ سياسي وديني.

- لب الألباب في رد الفكر إلى الصواب، وهو كتاب في علم المنطق

- منح الوهاب في في رد الفكر إلى الصواب، وهو عبارة عن منظومة في علم المنطق، كما له مؤلفة أخرى، وهي شرح الجمل للخونجي في المنطق.

- مجاوبة لا تحمل عنوانا : هي بين المغيلي ومحمد بن يوسف السنوسي حول علم التوحيد، بحيث قام الإمام المغيلي بنقد منهج السنوسي الذي إتبعه حول علم التوحيد.

كما له مؤلفات في الأدب والتصوف والفقهاء.

التحديات.

تواجه الدول الإفريقية تحديات كبيرة من أجل إثراء التواصل الفكري والثقافي والتفاعل بين شعوب القارة، منها :

أولاً : إن الدول الإفريقية ما تزال تعاني الاستعمار، استعمار بوجه جديدة، يقوم على دعم الدكتاتوريات والنخب والأقليات من أجل الموارد والثروات.

ثانياً : تأثير اللغات العديدة على المنظومة الثقافية في القارة.

ثالثاً : ضعف المؤسسات التعليمية والدينية وغياب دور العلماء.

الأدوات التي يمكن أن تعزز الدور الفكري والتواصل الثقافي

1- إنشاء رابطة للناطقين باللغة العربية (هذا مقترح من كتاب اللغات في إفريقيا "دراسة مقارنة بين اللغات في شرق إفريقيا وغربها وأثر اللغة العربية والفرنسية في القارة"، منشورات دار موازيك للنشر والدراسات، القاهرة-مصر، دار الأجنحة للنشر والتوزيع، الخرطوم-السودان، 2022م)

2- إنشاء قناة إعلامية جامعة، لطرح القضايا العربية الإفريقية.

3- دعم المؤسسات التعليمية والثقافية.

الخلاصات

إنّ التاريخ الإسلامي بات يحتاج إلى إهتمام وقراءات جديدة، لاستلهم العبرة وربطه بتقنيات الحاضر، فالتاريخ يحتاج أولاً إلى تحقيق، وثانياً إلى تنقيب.

حتى تتكشف دلالاته العميقة وتجارب العلماء المهمة.

ويختصّ في ذلك سير الأعلام من أمثال محمد بن عبدالكريم المغيلي، فإن أثره كبير في حركة التاريخ الإسلامي في منطقة غرب إفريقيا، ويتطلب ذلك إعداد لجنة للنظر في مآثره العلمية في مجالاتها المختلفة.

ودراسة سيرته ومناهجه، لأنه يشكّل الآتي :

1- إن إسهامات الشيخ المغيلي كان لها تأثيرها على منطقة وسط وغرب إفريقيا، من خلال رسائله، وتعاليمه، ورؤيته في الترحال، والأسفار التي أكدت على تجربة ثرة.

2- أصل في ديمومة التواصل الفكري الثقافي، وكانت الأدوات التي أستخدمها وهي تمثل أدوات حديثة مقارنة بعصره، من تأليف، ورسائل، وتعليم، وتفسير، واهتمام بالشعوب المسلمة التي شدّ إليها الرحال، ولم ينتظرها لتأتي إليه.

3- عُرف عن المغيلي غيرته على الإسلام، ولقائه مع الإمام السيوطي ونص (رسالته) ومناظرته معه، وتأثر الأخصري به، مقارنة بين المنظومتين وتأثر ابن فودي باتجاهه، ومدينة (كانو) ووصيته فيما يجوز للحكام في درء الناس عن الحرام، ومجموعة في شؤون الإمارة.

4- إن المغيلي لم يكن يحمل فكره ورؤيته وتجربته فقط، بل كان حاملاً لفكرة المغرب العربي كله. وهذا ساهم في التبادل الثقافي المشترك، والتعريف بشعوب المنطقة.

5- كان من دعاة الفكر والإصلاح والتجديد في عصره.

6- تتلمذ على يديه العديد من طلاب العلم الذين غدوا أعلاماً من المغاربة والسودان منهم الفقيه قاضي «كاشنة» وابن أحمد الشاذلي، والشيخ العاقب الأنعمي المسوفي الأقدمي، والشيخ محمد بن عبد الجبار الفجيجي، والشيخ يد أحمد، والشيخ عمر بن أحمد البكاي، وغيرهم.

7- تأثر بمنهجه الكثير من العلماء والسلطين وأصبح يشكّل رافداً للعلم والمعرفة.

8- إن أفكاره الملهمة عالمية في تكوينها وما تزال تأسس منهاج للتعايش والاستقرار، ومنفتحة بعيدة عن الجمود، فهي ترتقي إلى العلو وتدعو إلى العالمية.

9- أسس رؤيته الاستراتيجية على منهج التواصل الفكري ومواجهة الواقع بالعمل والانطلاق إلى حيث الأمم والشعوب من البادية والأرياف إلى الأقاليم والمدن وأثبت عملياً وفعالياً أن ذلك أنفع وأفضل.

10- أقام منهاجه في الدعوة على مرتكزات تقوم على الحقيقة والتفاعل مع الناس.

المصادر والمراجع

1. طرخان، إبراهيم، إمبراطورية البرنو الإسلامية، (جمهورية مصر العربية : الهيئة العامة للكتاب، طبعة أولى 1975م).
2. السمانى، أبو الحسن، تطبيق نصوص الفكر السياسي الإسلامي في دولة صكتو الإسلامية، (الخرطوم السودان : دار هایل، الطبعة الأولى 1991م).
3. العدوي العمري، أحمد، شهاب الدين (المتوفى: 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (أبو ظبي : المجمع الثقافي، 1423 هـ).
4. يوسف، آدم، القصة الإفريقية المعاصرة بين المورثين الشعبي والإسلامي، (القاهرة : الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2017م)
5. يوسف، آدم، معلم نور محمد زياد "قراءة في تجربة رواد التصوف والتعليم الاسلامي"، (الخرطوم – السودان : دار الأجنحة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2022م)
6. مكي، حسن، السياسات الثقافية في الصومال الكبير (قرن إفريقيا) 1887م- 1986 شعبة البحوث والنشر، (الخرطوم-السودان : المركز الإسلامي الإفريقي، سونو للطباعة والنشر، بدون سنة نشر).
7. شعراوي، حلمي، الفكر السياسي والاجتماعي في إفريقيا –والإفريقية – (القاهرة : مركز البحوث العربية، 2009).

8. خير الدين شترة، محمد بن عبدالكريم المغيلي "المصلح الثائر وفكره الاصلاحى في توات والسودان الغربى"، الجزء الأول، (تلمسان -الجزائر : منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، الطبعة الأولى 2011م).
9. الزركلى، خير الدين، الإعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، (بيروت -لبنان : دار العلم للملايين).
10. ديرك لانجى، المشرف على المجلد : ج.ت.نيانى، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، إفريقيا من القرن الثانى عشر إلى القرن السادس عشر، (بيروت - لبنان: اليونسكو، الطبعة الأولى 1989م).
11. خلدون، عبدالرحمن، ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، الجزء السادس(بيروت -لبنان : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ-2000م).
12. عبدالماجد، عبدالله، الخرطوم الشعب الدعاة، (مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ).
13. بدوى، عبود، السود والحضارة العربية، (جمهورية مصر العربية : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م).
14. حمدنا الله، عبدالله، تبادل التأثير الثقافى الإسلامى بين علماء السودان وعلماء حوض بحيرة تشاد، الكتاب الخامس، (الخرطوم-السودان : المؤتمر الدولى الإسلام فى إفريقيا 26-27 نوفمبر 2006م - 6-6 ذو القعدة 1427هـ).
15. حمدنا الله، عبدالله، الفرنسىون والمتفرنسون فى القصة التشادية، قصص ادم يوسف موسى نموذجاً، (الخرطوم-السودان : فعاليات جائزة الطيب صالح للابداع الكتابى، الدورة الرابعة، 2017م).
16. ك. مادهو بانىكار، تاريخ الإمبراطورية الزنجية فى غرب إفريقيا، ترجمة أحمد فؤاد دبلبع، (جمهورية مصر العربية : المجلس الأعلى للثقافة، 1998م).
17. المغيلى، محمد بن عبدالكريم (المتوفى 909هـ)، فيما يجب على الملوك والسلطين، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، (بيروت -لبنان : دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1415هـ/1994م).
18. صابر، محى الدين، " العرب وإفريقيا، (مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربى، الطبعة 1987م).

19. عثمان فودي، محمد بيلو، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، (المملكة المغربية - الرباط : جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الافريقية، 1996م).
20. النقيرة، محمد عبدالله، التأثير الاسلامي في السودان الغربي (غربي افريقية)، (المملكة العربية السعودية- الرياض : مطابع الفرزدق التجارية، طبعة أولى 1408هـ-1988م).
21. ناديا كراكي -هنري كودري، مملكة وداى كما رآها الرحلة الألماني غوستاف ناختينغال، نقلها من الانجليزية ناديا كركى وهنري كودري، (انجمينا -تشاد : مركز المنى، 2005م).
22. عليوا، وهيبة، غيتاوى، شريفة، أثر اصلاحات المغيلي على الدويلات الناشئة في غرب إفريقيا خلال القرن 19 سوكتو وماسينا نموذجاً (ماجستير)، إشراف أحمد دراية، (الجزائر -ادرار : 2019-2020م).
23. فضل، يوسف، تاريخ ملوك سنار والحكم التركي المصري في السودان، تأليف أحمد الحاج أبو على (كاتب الشونة)، حققه وقد له وعلق عليه يوسف فضل حسن، (الخرطوم -السودان : دار مدارك للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2018م).
24. ديشان، هوبير، الديانات في إفريقيا السوداء، (القاهر- مصر : المركز القومي للترجمة، 2006م).

المغيلي.. محدثًا على خطى الحافظ السيوطي

عبد الرحمن حمادو الكُتبيجي*

الملخص:

الهدف من هذه الورقة البحثية هو بيان اشتغال الإمام سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي بعلم الحديث والرواية، وتلقيه عن الإمام حافظ العصر جلال الدين السيوطي، إذ حصلت بينهما لقاءات في مصر والساحل الإفريقي، مع كشف تفاصيل وحقائق في ذلك، حيث أنكر عددٌ من الباحثين الكبار خروج السيوطي من مصر إلى إفريقيا، وفيها التطرق إلى ذكر مصنفات المغيلي الحديثية، ومقارنتها بمصنفات جلال السيوطي. وفيها تعريف بالمصنّف الذي ألفه السيوطي والذي سماه: (مَرُّ النسيم إلى ابن عبد الكريم)، وهو الذي كان محور المساجلة العلمية الشهيرة في الاشتغال بالمنطق.

وفيها سياق نصوص للمغيلي في الحثّ على السنة، وبيان قيامه بِنُصرتها، مع الإشارة إلى مناظراته لعلماء عصره، ومراجعاته للسنوسي في الاشتغال بعلوم الأوائل.

وفيها في الأخير الأثر الذي تركه ظاهرا في تلامذته والأجيال التي تلت إلى عصر قريب.

الكلمات المفتاحية:

الفجيجي، غنيمة الوافد، مر النسيم، البرد الموشى، الكنتي، المغيلي.

*- خَرَّج المعهد الوطني العالي لأصول الدين-الجزائر العاصمة، باحث في المخطوطات العربية الإسلامية، مدير فرعي للمطبوعات وحياء التراث الإسلامي بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف. مدير مجلة "العصر" الصادرة عن المؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية، عضو لجنة تقييم المخطوطات والمؤلفات النادرة بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

له مؤلفات عديدة صدرت عن وزارة الثقافة والفنون، منها: "مع ابن يوسف السنوسي الإمام" في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011. كما ساهم وأشرف على جمع آثار: المغيلي (في 6 مجلدات) في إطار الاحتفال بخمسينية الاستقلال 2012، وآثار ابن قنذ القسنطيني (3 أجزاء) في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015.

Imām al-Maghīlī... a Narrator Following in the Footsteps of Hafiz al-Suyuti

Abstract

The aim of this research paper is to highlight the involvement of Imām Muḥammad b. ‘Abdul Karīm al-Maghīlī in the field of Hadith (Prophetic traditions) and narration, as well as his learning from Imam Hafiz al-Asr Jalal al-Dīn al-Suyuti. Meetings between them took place in Egypt and along the African coast, with details and facts about these encounters being revealed. It should be noted that some prominent researchers have denied al-Suyuti's departure from Egypt to Africa, and this paper will also compare the works of Imām al-Maghīlī and al-Suyuti in the field of Hadith literature.

The paper introduces al-Suyuti's work titled "*Mar al-Nasim ila b. ‘Abdul Karīm,*" which was the focal point of a famous scholarly debate on the study of logic. It includes excerpts from Imām al-Maghīlī's texts emphasizing the adherence to the *Sunnah* (Prophetic tradition) and his efforts in its defense. It also mentions his debates with scholars of his time and his reviews of al-Sanusi's works on early Islamic sciences. Lastly, the paper discusses the visible impact left by Imām al-Maghīlī on his students and subsequent generations up to a recent era.

Keywords:

Al-Figuigui, *Ghaneemat al-Wafid*, *Mar al-Nasim*, *Al-Bard al-Mawshi*, Al-Kunti, Imām al-Maghīlī

لم تكن أرض الجزائر -وهذا منذ أن دخلها الفاتحون بالإسلام- قفراً من العلماء والصالحين كما يتصوّره أو يُصوِّره بعض من لا عِلْم له بعِلْم آثار الرجال؛ بل حَفَل تاريخُها بالأمجاد، فكان بها الجهادان: جهادُ السيف وجهادُ القَلَم، والشرفان: شَرَفُ العِلْم، وشَرَفُ النَّسَب.

لقد كان من مشاهير أولئك الرُّموز المشار إليهم تاج الدِّين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم التلمساني⁽¹⁾، وأبو عبد الله في جلِّ المصادر. محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن يَخلف الأشعري معتقدا المالكي مذهبا المغربي إقليميا المغيلي نسبا التلمساني منشأ الإسكندري منزلاً⁽²⁾. المتوفى رحمه الله بتوات في غرّة رمضان عام 909هـ/ الموافق 17 فيفري 1504م.

هو الشريف الإمامُ العلامَةُ أحدُ أذكِياء العالم، وأحد أساطين العلم والسياسة، قاهر اليهود؛ بقضائه على أول محاولةٍ لهم في إقامة دولةٍ في توات (أدرار) بجنوب الجزائر بعد سقوط الأندلس⁽³⁾.

عائلته إحدى أبرز العائلات العلمية التلمسانية التي اهتمت بالفقه، وكان لها تردد بين تلمسان وفاس⁽⁴⁾، وكان منها صاحب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"⁽⁵⁾.

(1) ورد هكذا في ديباجة "مرّ النسيم إلى ابن عبد الكريم" للسيوطي كما سيأتي.

(2) طليعة "شرح التبيان في علم البيان" للمغيلي، (ص123 وص127)، ومثله في طليعة "إفهام الأنجال أحكام الأجل" خ بالخرانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم: 470ك (ق309) وقد نسبه صاحب "إيضاح المكنون" (127/1) فقال: محمد ابن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن خلف الأشعري المغيلي التلمساني المالكي.

(3) المغيلي نسبة قديمة، ومن الطبيعي مشاركة كثير من الأعلام له فيها، لذا يقال له للتمييز: صاحبُ القضية المشهورة مع يهود توات.

(4) أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، الجزائر: دار البصائر طبعة خاصة 2007م. (2/ص67)

(5) هو الفقيه القاضي المالكي أبو زكريا يحيى بن القاضي أبي عمران موسى ابن عيسى بن يحيى المغيلي المازوني مولدا، التلمساني وفاة 883هـ-1478م.

أما نسبه الشريف: فيدل عليه مخاطبة العلماء له بلفظ (السيد)، كما جاء في مراسلة الإمام السنوسي الشهيرة في شأن يهود توات.

وقد أفادني شيخنا محمد بن حاج عابدين الكنتي حفظه الله في حديث معه، أن أهل الصحراء كالمُجمعين على شرف نسب المغيلي.

لكن لم يكن يكفي ذلك، بل قلت: لا بد من وثيقة يُرجع إليها في مثل هذه الحال. حتى ظفرتُ بتقييدٍ مخطوطٍ -تحتفظُ به خزائنُ أحفادِ المغيلي- حول نسب الشيخ، وهو بخط الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الحبيب⁽⁶⁾، ورد فيه:

محمد بن عبد الكريم بن محمد بن المغيلي بن عمر بن يخلف بن علي بن الحسين بن يحيى بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر (كذا مكررا) بن عبد ابن إدريس ابن إدريس بن عبد الكامل بن الحسن المثنى السبط بن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وسنشير من خلال هذه الورقة البحثية إلى الجانب الحديثي لدى المغيلي. وهو جانب يجدر أن نبحث فيه، خصوصاً مع غياب الدراسات في هذا المجال، نتناول من خلالها:

1- ذكر مصنفاته الحديثية.

2- حثه على الالتزام بالسنة، وبيان قيامه بنصرتها، ومناظراته لعلماء عصره (حافظ العصر السيوطي والعلامة السنوسي في موضوع الاشتغال بعلوم الأوائل).

⁽⁶⁾ تمّ مخطوطة أخرى ورد فيها هذا النسب بمكتبة كوسام نقلت بخط الطيب بن عبد الله البلبالي الشاري.

المناخ الفكري لعصر المغيلي

لقد عاش المغيلي عصرًا⁽⁷⁾ برز فيه أعلامٌ مشاركة حقاظٌ كالسيوطي الذي أعلن بلوغه رتبة الاجتهاد المطلق في مذهب الإمام الشافعي (ت911هـ)، وكذا السخاوي (ت902هـ) أحد أبرز تلامذة أمير المؤمنين في الحديث إمام الحفاظ ابن حجر العسقلاني، والبرهان الناجي (ت900هـ) وغيرهم من المشتغلين بالحديث النبوي رواية ودراية. وكانوا أصحاب فتاوى ومصنفاتٍ حديثية فحلة وأصيلة كثيرة الفوائد والنفع.

أما المغاربة فكان حظ تلمسان منهم وافرا: فلما خرج الفقيه أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن داود البلوي الوادي آشي الغرناطي الأندلسي (ت938هـ)⁽⁸⁾ من تلمسان -فيما حكاه أصحابُ التراجم- سُئِلَ عن علمائها فقال:

"العلمُ مع التنسي، والصَّلاخُ مع السنوسي، والرياسة مع ابن زُكري."

ففي عصرٍ كان فيه مثل هؤلاء العلماء الموسوعيين، وكان فيه الرُّحلة⁽⁹⁾ سيدي عبد الرحمن الثعالبي الجامع لفنون الرواية والدراية، الذي قدم من المشرق بإجازةٍ عظيمة، عنوانها: "غنية الواقد وبغية الطالب الماجد" تلقاها من عند الحافظ ولي الدين أبي زرعة ابن الحافظ العراقي (ت826هـ)، وهي التي أخذها السنوسي وغيره من أعلام الجزائر في ذلك العصر.

وكان منهم الشيخ العلامة زروق (ت899هـ) صاحب المصنفات الكثيرة المختصرة مع التحرير والتي لا يخلو شيء منها عن فوائد عديدة وتحقيقات

(7) طالع: مقالة د.بوعياض محمود بعنوان: "العلم والثقافة بالمغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م" العلوم والكتب الأكثر تداولاً، "مجلة الثقافة التاريخية" المجلس الإسلامي الأعلى-الجزائر. العدد1 ربيع الأول1423هـ/2002م.

(8) صاحب "الثبت" المطبوع بدار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى عام 1403هـ. بعنوان: "ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي"، تحقيق عبد الله العمراني.

(9) الرُّحلة: أي الذي يُرحل إليه.

مفيدة، لا سيما في التصوف فقد انفرد بمعرفته وبجودة التأليف فيه، ..
منها نيف وعشرون شرحا على حكم ابن عطاء الله⁽¹⁰⁾.

وكان منهم العلامة صاحب الفنون ابن مرزوق الحفيد(ت842هـ).. وغيرهم.

لقد دار هؤلاء في فلك فقه مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي
الله عنه، في الفتوى. وفي فلك مذهب أبي الحسن الأشعري في الاعتقاد.

على العموم كان اشتغال العلماء بنشاط تقريب علوم الدين في مؤلفات
وكراريس ومتون ومختصرات صارت مطولات، نظما ونثرا، مع شروح وحواش،
وهي مؤلفات دراسية، تمثل أغلب الكتب المتداولة، وكان القصد في ذلك
تصميم كتاب الطالب، في مختلف أطواره، المبتدئ والمتقدم والمنتهي. وكان هذا
من الكثرة حتى عدّ من أسباب الإخلال بالتحصيل على رأي العلامة ابن خلدون
في فساد التعليم الناتج من كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات وتعدد الطرق.

ومن الملاحظ أن اهتمام المغاربة كان أساسا بتراث وآثار علماء المغرب
والأندلس. حيث ضعفت روح التجديد والابتكار لغلبة التقليد إلا في القليل
النادر، مع ندرة مصنفات في العلوم غير الشرعية ومن ذلك:

■ مؤلفات السنوسي التوحيدية، التي وإن كانت متأثرة بقالب علم
الكلام إلا أن أثرها في حفظ العقائد بين لا ينكره أحد عدا ما وجهه إليها
المغيلي من نقد في أسلوب عرض العقائد.

■ التدوين الموسوعي لرصد النوازل الفقهية لعلماء إفريقيا والمغرب
والأندلس، كما هو صنيع المازوني، والونشريسي.

■ مؤلفات المغيلي، التي تعدّ مؤلفات عملية بالدرجة الأولى، ليس
القصد منها العلم للعلم، بل لتحقيق العمل، وهذا واضح جلي لمن يطالع
ببليوغرافيا مؤلفاته وأثرها في الأجيال التي جاءت بعده.

(10) انظر: "البستان" لابن مريم (ص46)

صفة رحلته ومن لقيه من الأعلام

إنّ استفادة المغيلي من أعلام تلمسان، ظاهرة جلية خصوصا في الاستفتاء الخاص بهدم كنائس يهود توات، والذي أدلى فيه كلٌّ من:

-العلامة محمد بن يوسف السنوسي،

-والفقيه الأديب الحافظ المَحَقِّق أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ).

قال التنبكتي في "النيل" (573): له.. جواب مطوّل عن مسألة يهود توات أبان فيه عن سعة الدائرة في الحفظ والتحقيق. قلت: وقد ساقه مطوّلًا الونشريسي في "المعيار".

وللمغيلي رحلات علمية كثيرة وطويلة، ولنقف وقفة مع رحلته إلى مدينة الجزائر:

لقد حلّ المغيليُّ بالجزائر العاصمة للقي كعبة الطائفين، بركة الجزائر وعالمها، الرُّحلة سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وذلك لأخذ الإجازة عنه في علم الحديث، شأنه في ذلك شأن كثير من علماء عصره كالسنوسي الذي وفد عليه صحبة أخيه علي التالوتي، فقد ورد الثعالبي من المشرق بفهرسة مهمّة للكتب والمرويات أخذها عن الحافظ أبي زرعة ابن العراقي، تسمى بـ"غنية الوافد وبغية الطالب الماجد"، فيها أسانيد وفوائد.

أمّا ما حكاه بعضُ الكتّاب أن المغيلي صاهر الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، نظرا لما رآه الثعالبي من قدر المغيلي، فهذا إن لم يكن من الوهم، لا أعلم له مصدرا يعتد به في البحث العلمي⁽¹¹⁾.

قدومه لولّاتة⁽¹²⁾:

⁽¹¹⁾ ثم أكد لي أعيان المنطقة صحة ذلك، ومنهم آل المغيلي، وأن اسم ابنة الثعالبي زينب، وأنها توفيت بقصر أولاد عيسى، وقبرها معروف هناك. رحم الله الجميع.

قال نابغة المغرب العربي العلامة الحافظ محمد بن الحسن ولد الددو الشنقيطي في تسجيل صوتي⁽¹³⁾: "كذلك اشتهر عددٌ من كبار العلماء في القرن العاشر الهجري، ومنهم أبو بكر اللمتوني الذي كتب إلى السيوطي يكاثبه في القدوم على هذه البلاد"⁽¹⁴⁾، وقد انتقل السيوطي من مصر حتى قدم (ولاته)، وتحدّث عن ذلك في كتابه "الحاوي للفتاوي"⁽¹⁵⁾، وسعى (ولاته) إذ ذاك بولاتم، ولعله اسمٌ دريس من البربرية يطلق على هذه المدينة".

ومن المعلوم أنّ السيوطي توفي سنة تسعمائة وإحدى عشرة من الهجرة، وإنما وصل إلى هذه البلاد في أخريات عمره، وقد رجع بعد أن ترك بها علماً جماً كما قال هو، فقد روى الناس عنه الحديث والفقه واللغة وغير ذلك، وكان يعقد مجالس للإملاء بإملاء الحديث من حفظه دون الرجوع إلى الكتب، وقد لامه على ذلك بعض معاصريه من العلماء فرد عليهم بقوله:

لام إملائي الحديث رجالاً قد سعوا في الضلال سعياً حثيثاً
إنما ينكر الأمالي قومٌ لا يكادون يفقهون حديثاً

كذلك جاء بعده الشيخ سيدي محمد⁽¹⁶⁾ المغيلي قادماً من الجزائر، بعد أن أفتى فتواه المشهورة في وجوب تحطيم كنائس اليهود والنصارى التي بنوها في الجزائر وهي دار إسلام لا يحل بناء كنيسة فيها..⁽¹⁷⁾

⁽¹²⁾ عن ولاتة، انظر: "وصف إفريقيا" (161/2، 162)
⁽¹³⁾ التسجيل الصوتي على الرابط الآتي، وتم الاطلاع عليه بتاريخ 2022-05-27 على الساعة 23:00:

<https://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=audioinfo&audioid=463010>

⁽¹⁴⁾ كل ما في الرسالة بهذا الخصوص، ما نصه: (وَأَنَا أُجِبُّكَ فِي اللَّهِ، وَإِنِّي لَمُشْتَأِقٌ إِلَى لِقَائِكَ غَايَةً. وَأَسْجِي مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ اللَّمْتُونِيَّ فَلَا تَنْسِنِي فِي دُعَائِكَ. وَالسَّلَامُ.)
⁽¹⁵⁾ أجوبة عن أسئلة وأردّة من التكرور في سؤال سنة ثمان وتسعين وثمانمائة بعنوان: مَطْلَبُ الْجَوَابِ بِفَصْلِ الْخُطَابِ، وعنوان أجوبتها "فَتَحُّ الْمَطْلَبِ الْمُبْرُورِ وَبَرَدِ الْكَبِيدِ الْمُخْرُورِ فِي الْجَوَابِ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْوَارِدَةِ مِنَ التَّكْرُورِ".
⁽¹⁶⁾ في الأصل (أحمد)

وصوله إلى الاسكندرية والقاهرة:

جاء التصريح بدخول المغيلي مدينة الاسكندرية وذلك في مقدمة المغيلي لـ "شرح التبيان في علم البيان"⁽¹⁸⁾ جاء فيها: (أما بعد: فيقول عبید الله الغني به عمّن سواه، محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن يخلف الأشعري معتقدا المالكي مذهبا المغربي إقليما المغيلي نسبا التلمساني منشأ الإسكندري منزلاً).

فهل سَلَكَ في طريقه إليها الطريق المعهودة التي سلكها القلصادي في رحلته؟ أي: تلمسان، وهران، تونس، طرابلس، الاسكندرية، القاهرة، البقاع المقدسة، ثم العودة لمصر القاهرة، برقة، طرابلس، تونس، وهران، تلمسان. فلا شك في لقائه بأعلام الحديث في جولته هذه، وهذا لا يمكن معرفته إلا بعد الوقوف على فهرسة شيوخ المغيلي، وهي الآن في عداد المفقود.

الحافظ الجلال السيوطي من شيوخ المغيلي في علم الحديث.

ذكر صاحب « تاريخ الفتاش » أن إسكيا الحاج حين عودته من الحجّ لقي السيوطي واستفتاه في أمر متعلق بالقبائل، ثم سأل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي عن أمر هؤلاء القبائل، فأخبره كما أخبره الشيخ عبد الرحمن السيوطي، واتفق أقوالهما كما يقع الحافر على الحافر.

ومن اتفاق السيوطي مع المغيلي في الفتوى، ما في «تنبية الإخوان في أخبار بلاد السودان» للشيخ ابن فودي⁽¹⁹⁾ حيث أورد نصّ رسالة السيوطي

(17) التفرغ النصي على نفس الرابط الآتي، وتم الاطلاع عليه بتاريخ 2022-05-27 على الساعة: 23:00

<https://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=463010>

(18) هانم، أبو أزهري بلخير، "شرح التبيان في علم البيان" للمغيلي، دراسة وتحقيق، طبع دار الكتب العلمية-بيروت 2010م (ص123، 127)

(19) آدم الألوري، "الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا"، مصر، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 2012م. (ص 17 وما بعدها)

لأمير كاشنة ورد فيها: «من الفقير عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي إلى الملوك والسلاطين في بلاد التكرور عموماً، وإلى الملك الزاهد (محمد بن صطفو) صاحب (أكدز) وإخوته محمد وعمر، وابن أختهم محمد بن عبد الرحمن، والملك إبراهيم صاحب (كاشنة) خصوصاً:..... ومما ينص عليكم بالخصوص قضية الحاج (محمد الترجمان) مع عبده الذي حاد عن الحق، وحكّم عليه القاضي محمد بن عبد الكريم بأنه باقٍ في رقبته، وأمر بأن يسلم إلى مستحقه، فأعنتم بعد على الباطل، وجعلتم حكم الشرع الشريف كالعاطل، فتوبوا إلى الله من هذه الموبقة، ولا يحول بين السيد وعبده إلا أن يكتبه أو يعتقه، وقد بلغني أن (محمد ابن مريم) أفلح عما كان عليه وتاب، ورجع إلى الله وأتاب، هذا الذي يعتقه في المآب». إلخ نص الرسالة.

مكانة المغيلي العلمية، وثناء العلماء عليه.

حلّاه حافظ عصره المجتهد جلال الدين السيوطي بتحليله حسنة فقال فيه: «الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر».

وقال معقياً على النظم الذي كتبه المغيلي يرد فيه عليه حين ذم المنطق والاشتغال به:

عجبتُ لنظمٍ ما سمعتُ بمثله * أتاني عن حبرٍ أقرُّ بنبيله

وقال في ختامه:

سلامٌ على هذا الإمام فكم له * لديّ ثناءً واعترافٌ بفضله

وقد ذكر الكنتي في كتاب «التوحيد» له⁽²⁰⁾، أن المغيلي جال في بلاد التكرور والمغرب الأقصى، وحلّاه ب: (الشيخ القطب الكامل).

⁽²⁰⁾ نقله صاحب "الإعلام بمن حلّ مراكز وأغمت من الأعلام" (5/رقم: 628)

وقال في «دوحة الناشر...»⁽²¹⁾: «الشيخ الفقيه الصدر الأوحى أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، كان من أكابر العلماء، وأفاضل الأتقياء، وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وقال الحافظ أبو راس الناصري في «عجائب الأسفار ولطائف الأخبار»⁽²²⁾:

توات التي بها قبرُ الفقيه العالم سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي معاصر السيوطي معارضه في تحريم علم المنطق.

قال: هو العلامة ذو الورع والدين، شيخ الطلبة المغاربة (كذا) ابن عبد الكريم المغيلي. لقد كان موصوفاً بالنجدة والبأس، رفيع القدر، عظيم الشأن عند الناس... وكان كثير الجهاد بثغور المغرب لما ضعف الإسلام بسواحل.

قال أحمد بابا التنبكي في «نيل الابتهاج»⁽²³⁾: «خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين».

وقال قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني (ت 990هـ) في زياداته على «دستور الأعلام بمعارف الأعلام» لابن عزم⁽²⁴⁾: «المغيلي، المفتن، مؤلف

والعنوان الكامل للكتاب المنقول عنه هو: "نزهة الراوي وبغية الحاوي" في التوحيد. ولم أظفر بعد محاولة بحث إلى هذه الساعة بتوثيق هذا النقل من المخطوط الذي تيسر لدي. فعسى أن ييسر الله ذلك.

⁽²¹⁾ "دوحة الناشر" لابن عسكر (رقم: 132)

⁽²²⁾ المعسكري، أبو راس، "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" تقديم وتحقيق: محمد غالم، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، 2008. (2/ص 49 و 87)

⁽²³⁾ "نيل الابتهاج" للتنبكي (رقم: 701)

⁽²⁴⁾ ابن عزم، "دستور الأعلام بمعارف الأعلام" (رقم: 3180)، تقديم وتحقيق: هشام صمايري، دار الكتب العلمية 2021.

(الفرقان في المنطق)»، وله في فقه المالكية تقايد حسنة، محمد بن عبد الكريم، كان بينه وبين السيوطي مراسلات، كتب له السيوطي، رسالة سماها (مرّ النسيم إلى ابن عبد الكريم) سنة 910.

ببليوغرافيا بالأثار العلمية التي صنّفها المغيلي في علم الحديث النبوي

فيما يلي محاولة لحصر مؤلفاته في علم الحديث خاصة:

[1] «الأربعون المغيلية». وهذا جريا على صنيع أهل الحديث، في التأليف في الأربعينيات.

مخطوط بمركز أحمد بابا بتمبكتو تحت رقم: 30، 2036 ورقة
23 سطرا، كتبت بخط سوداني⁽²⁵⁾.

نسخ عديدة بالمكتبة الوطنية بباريس⁽²⁶⁾ باسم: "أربعون حديثا"، تحت
رقم: 782 (ق-26-ق64).

ورقم: 2254 (ق100-131).

ورقم: 5629 (1-36). ورقم: 6903 (100ق). وفي نسبته للمغيلي نظر.

[2] «البدر المنير في علوم التفسير».

موضوعه علوم القرآن فكان المغيلي أراد أن يؤلف على نمط الإتيقان
للسيوطي أو ربما أراد أن ينافس مكانة الإتيقان، وربما اكتفى بشرح متن
الإتيقان. وكلّ هذا وذاك لا يمكن معرفة حقيقته، ولا كشف صحة الاحتمال
أو ضعفه، إلا بالوقوف على الكتاب. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

⁽²⁵⁾ "فهرسة مركز أحمد بابا" (67/1)، (202-201/2) طبع مؤسسة الفرقان للتراث
الإسلامي.

⁽²⁶⁾ أفاده د. أبو أزهري بلخير هانم في أطروحته "شرح التبيان في علم البيان" للمغيلي-
دراسة وتحقيق (ص35)

[3] «تأليف في المنسياتص (أو المنهيات)، (تحزّف عند بعض الباحثين إلى المنهيات)». مفقود. ولعله شبيه بكتاب الكبائر للحافظ الذهبي أو «الزواجر عن اقتراف الكبائر» للفيقيه ابن حجر الهيتمي.

[4] كراسة سمّاها: «تنبيه الغافلين عن مكرّ المُلبّسين بدعوى مقامات العارفين». مفقود.

ويرى د.سعد الله في "تاريخه" (1/119و450، 451و519) أنّ عنوانه سابق ويجرى مجراه كتاب عبد الكريم الفكون فهو قريب من "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية". أي في نقد انحراف أدياء التصوف والدعوة إلى ما يمكن تسميته بالتصوف السلفي.

[5] "تفسير الفاتحة" ذكره صاحبُ "البستان" (27) وقال: في ورقة (28).

وللسيوطي "الأزهار الفائحة على الفاتحة"، وقد نشر في موقع الألوكة بتحقيق ودراسة شيخنا د.عبد الحكيم الأنيس (29).

[6] «عمل اليوم والليلة». مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم: 5673، من ص 257 إلى 259. طبع بدار ثالثة-الجزائر عام 2008م ضمن سلسلة «ميراث الجزائر» إعداد وتحقيق: محمد بن أحمد باغلي. وجاء اسمها في المخطوط «جملة مباركة في عمل اليوم والليلة».

من كتب حقّاز الحديث المتقدمين المطوّلة والمسندة المؤلفة في «عمل اليوم والليلة» كتاب أبي عبد الرحمن النسائي (ت303هـ) وهو أحسنها، وألف تلميذه أبو بكر ابن السني (ت364هـ) أجمع منه في هذا الفن. وأبو نعيم

(27) "البستان" لابن مريم: (ص255)

(28) حققه الدكتور علال بوربيق، ونشر ضمن أعمال المغيلي. وأعاد نشره أحد أحفاد المغيلي.

(29) (<https://www.alukah.net/library/0/108126>)

الأصبهاني وغيرهم. وألف فيه أيضا من المتأخرين الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت656هـ).

وللحافظ السيوطي «جزءٌ لطيفٌ» في عمل اليوم والليلة"، منتخب من الأحاديث والآثار محرر معتبر لخصه من كتابه "منهاج السنة والكلم الطيب". فرغ من تأليفه في رجب عام 892هـ.

[7] «فتاوى له»،

قال الفقيه السوقي إسماعيل محمد بن محمد الصالح نجل الولي أحمد ميدي في "قصيدة سرد فيها نسب أبي الهدى"، تلميذ المغيلي قال ما نصُّه⁽³⁰⁾:

وأبو الهدى هذا الذي هو جدُّنا	يمني نشأ عند قوم نُقِّد
حتى إذا شاع التشيُّع في الوري	هنا وغرَّد فيه كل معرِّد
ألقى عصا التسيار وهو مهاجر	بمدائن التكرورأيَّ مسوِّد
قد حج وهو مع السيوطي مرافقًا	لهما المغيليَّ أبو الهدى بن محمد

نصُّ هام من الأسئلة والأجوبة للمغيلي

قال الشيخ محمد بن عبد الكريم في المسألة رقم [91]: إذا رأيتم فقيها لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، ولا يراعي أمر السنة، فلا تعبتوا بشيء من علمه ولو حفظ العلم كلُّه وقام الليل كلُّه وصام الدهر كلُّه. ومن جمَع الكُتُب كلها وحفظ ما فيها ولم يتبع السنة فلا تقلدوه في دينكم ولا تسألوه عن شيء، إن الصبي يحمل الكتب ويدرسها ويحفظها ولا يعرف مسألة واحدة، ويدرس القرآن ويحفظه ولا يدري تفسير آية.

⁽³⁰⁾ الأنصاري، عبد الأول بن حماد، "المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري" (644/2) قال: "قصيدة ذكر فيها نسب الدغوغيين" وغيرهم من الأشراف في تنبكتو، والقصيدة موجودة عندي بخط الناظم.

ألا ترى أن اليهود والنصارى لهم كتب يدرسونها ولا يعملون بما فيها، ومثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارا، إذا رأيتم فقيها ما يشغله إلا أن يتوضأ ويصلي ويدخل بيته ويقرأ كتبه ويترك الناس في المناكر والمهالك، وهو ناظر ساكت، فهو شيطان خادع لأن الفقهاء رُعاة، وهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وليس طريقهم أن يشتغلوا بأنفسهم، ويتركوا الرعية في المهالك اهـ.

يقول محدثُ المدينة الشيخُ الفقيه حمّاد بن محمد بن محمد الأنصاري الإفريقي المالبي التادائي، المناقي (المتوفى سنة 1419هـ) رحمه الله يحكي لقاء أحد أجداد شيخه الأعلى وهو محمد بن يوسف الأنصاري بالجلال السيوطي:

(كان من الفارّين بدينهم -الذين نالهم أذى الغزو التكروري- أحد أجداد شيخنا (محمد بن يوسف الأنصاري)، وكان من العلماء الكبار آنذاك، ومعه تلميذه الشريف محمد إسحاق أبو الهدى الدغوي -نسبة إلى بلدة في المغرب، تسمّى (دغوغ): قريبة من مراكش- وقد هربا إلى (النيجر) إلى بلدة اسمها (آير Air) شرق (النيجر) على حدود ليبيا، وهناك اجتمعا مع الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وعبد الكريم المغيلي التواتي⁽³¹⁾، وكان قد قدما من القاهرة إلى (النيجر) للدعوة والتعليم، بدعوة من قاضي (آير) محمود البغدادي؛ وهناك اجتمع الثلاثة من غير مواعدة بينهم، ففتحوا دروسًا في المنطقة تحت إشراف القاضي البغدادي والحافظ السيوطي رحمهم الله.

ولما انتهت الدّورة الدراسية، وعزم كلُّ واحد من الثلاثة (السيوطي والمغيلي، وجدُّ شيخنا) على الرّحيل ذهب السيوطي إلى عاصمة نيجيريا

⁽³¹⁾ طالع: "الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا" (ص16) حيث يرجح مؤلفه آدم عبد الله الألوري وقوع اللقاء في بلاد نيجيريا.

(كانوا Kanol) بدعوة من رئيسها للتدريس هناك، وذهب معه تلميذه جُدُّ شيخنا، وأبو الهدى الشريف، ورَجَّع عبد الكريم المغيلي إلى مسقط رأسه...⁽³²⁾.

[8] «فهرسة مرويات». لقد كان المغيلي من جيلٍ مشغولٍ بالحديث النبوي وإجازاته، وكان له حظ من حفظه وأدائه سندا ومتنا⁽³³⁾، وقد ذكر له التنبكتي في «النيل» (578)، و«كفاية المحتاج» (214)، وعنه «ابن مريم» (256) و«الحفناوي» (169) وغيرهما: «فهرسة للمرويات».

وهي التي ذكرها عبد الحي الكتاني⁽³⁴⁾ فقال: «هو الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المتوفى سنة 909 يروي عن الثعالبي ويحيى بن بدير وغيرهما، له فهرسة نروها من طريق الفجيجي عن أبيه عنه».

فهرسة مروياته هذه نوّه فيها بمشايقه والعلوم التي درسها عليهم. ولا نعلم شيئا عنها سوى ما أخذه عن سيدي عبد الرحمن الثعالبي من علوم السنة رواية ودراية في فهرسته المشتملة على إجازة الحافظ ولي الدين أبي زرعة ابن الحافظ العراقي، شأنه في السعي وراء هذه الإجازة شأن معاصريه كالسنوسي وغيره رحم الله الجميع.

وهناك ما يفيد أن أحمد بابا التنبكتي⁽³⁵⁾ وقف على هذه الفهرسة؛ فعند تقييد وفاة الشيخ أبي زكريا يحيى بن بدير بن عتيق التدلسي (ت 877 هـ) قال:

«توفي بقسنطينة يوم الجمعة قبل الزوال عاشر صفر عام سبعة وسبعين وثمانمائة، كذا وجدته بخط تلميذه ابن عبد الكريم المغيلي».

⁽³²⁾ الأنصاري، عبد الأول بن حماد، "المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري"، (1/ص204 وما بعدها) وهو من إجاباته على أسئلة له في رمضان المبارك قبيل مرضه بأيام عام 1417 هـ.

⁽³³⁾ "تاريخ الجزائر الثقافي" (1/121) و(2/33)

⁽³⁴⁾ "فهرس الفهارس والأثبات" (2/ص573)

⁽³⁵⁾ "نيل الابتهاج" (ص637- طبعة كلية الدعوة)

قلت: يُشكّل عليه ما في «كفاية المحتاج»⁽³⁶⁾ من أنه توفي بتوات.

ولا يقوِّي هذا النقل أملُ العثور عليه إذا علم أن صاحب كتاب "بذل المناصحة" نقل عن صاحب «الاستقصاء» قال: سمعتُ الشيخَ أبا العباس أحمد بابا التمبكتي يقول أنا أقلّ عشيرتي كُتُبًا، وقد نُهبَ لي ستُّ عشر مائة مجلد.

[9] «مراجعات مع الجلال السيوطي في شأن المنطق نظماً ونثرًا».

تميز المغيلي بردوده على علماء عصره، فقد كان بينه وبين شيخه السنوسي التوحيدى مراجعات مشهورة، كما جرى بينه وبين مجدد الدين حافظ العصر السيوطي مناظرة أدبية علمية، لتصنع هاته وتلك أنموذجا من رسائل أئمة الجزائر وأدبهم العلمي.

ومما ينبغي أن لا نغفله حتى لا نهدر النصوص، ربطا بين المواضيع هو القول: إن المغيلي أعلن رجوعه عن أساليب الفلاسفة اليونان إلى أساليب القرآن، وهذا بيّن واضح للعيان لمن يطالع مراجعاته للسنوسي، وكذا «مختصره في الردّ على المعتزلة».

التعريف بكتاب مَرّ النسيم إلى ابن عبد الكريم للجلال السيوطي

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم⁽³⁷⁾

الحمدُ لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

⁽³⁶⁾ "كفاية المحتاج" (2/ص276)

⁽³⁷⁾ قال تلميذ السيوطي شمس الدين الداودي المالكي (ت945هـ) في كتابه "ترجمة العلامة السيوطي" (ص294): (وكتب إلى صاحب الترجمة عالمُ المملكة التكرورية تاج الدين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم التلمساني أبياتا يتعجّب فيها منه حيث ألف كتابا في ذمّ المنطق والنهي عن الاشتغال به، وهي هذه... إلخ) وهو من المصنفات الواردة في فهرست مؤلفات السيوطي التي استقر رأيه على إبقائها وإظهارها ونشرها، والتي رواها تلميذ السيوطي أيضا عبد القادر الشاذلي في كتابه "بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين" (ص164 و181 و208)

من الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر السيوطي -عفا الله عنه- أمين، إلى الشيخ الإمام العالم العلامة، المحقق المدقق، الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر، تاج الدين أبي الفضل محمد بن عبد الكريم التلمساني -أدام الله لي وله التوفيق، وأذاقني وإياه حلاوة التحقيق-.

سلامٌ عليك.

[أما بعد]:

فإني أحمّدُ إليك اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو/ وأصليّ على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، وأقول:

قد وقفتُ على الأبيات التي نظمتها، وتعجبتُ فيها منّي حيثُ ألّفتُ كتابًا في ذمّ المنطق ونهيتُ عن الاشتغال به⁽³⁸⁾، وهي هذه:

سمعتُ بأمرٍ ما سمعتُ بمثله * وكلُّ حديثٍ حكمه حكمُ أصله
وددتُ وربّ البيت أني حاضر * وإن لم بودي أن أجي لأهله

... والجواب: إنّ العُمدة في ذلك الحديث النبوي، وهو ما رواه... إلخ نص الرسالة.

وقد نشرنا لأول مرّة هذه الرسالة⁽³⁹⁾ على أصلين خطيين، ولله الحمد والمنة، ومنه نستمد التوفيق.

⁽³⁸⁾ قال في "التحدث بنعمة الله": وأما المنطق وعلوم الفلسفة، فلم أشتغل بها لأنها حرام

كما ذكره النووي وغيره. ولو كانت مباحة لم أوترها على علوم الدين.

⁽³⁹⁾ ضمن الأعمال الكاملة للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي: المجلد الأول/ "مع المغيلي ابن عبد الكريم الإمام"، طبع مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث-

[10] «مفتاح النظر في علم الحديث»، أي علم مصطلح الحديث، فيه أبحاث مع النووي في تقريبه وهو شبيه بصنيع السيوطي في «تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي». ذكره التنبكتي⁽⁴⁰⁾، في «النيل» و«كفاية المحتاج»⁽⁴¹⁾، وعنه ابن مريم⁽⁴²⁾ والحفناوي⁽⁴³⁾ وغيرهما. وهو كتاب مفقود⁽⁴⁴⁾.

ذكر موارده الحديثية في مؤلفاته

بعث الشيخ العالم الصالح شمس الدين محمد بن محمد بن علي اللمتوني أسئلة من التكرور للحافظ السيوطي، مؤرخة في شوال سنة ثمان وتسعين وتمائم (898هـ) عنواها: مَطْلَبُ الْجَوَابِ بِفَصْلِ الْخُطَابِ، وكان من ضمنها: (في بلادنا كُتِبَ يَذْكُرُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَاوِيلَ لَيْسَتْ فِي الْمُوطَأِ وَلَا فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ فَمَا يُفْعَلُ فِيهَا؟).

فأجابه السيوطي فيما سماه «فَتَحِ الْمَطْلَبِ الْمُبْرُورِ وَبَرَدِ الْكَبِدِ الْمُخْرُورِ فِي الْجَوَابِ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْوَارِدَةِ مِنَ التَّكْرُورِ» (ضمن الحاوي للفتاوي): «سَأَلْتِ عَنْ كُتُبٍ فِيهَا أَحَادِيثٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَتْ فِي الْمُوطَأِ وَلَا فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ فَمَا تَفْعَلُونَ؟

وَالْجَوَابُ: لَا تَزُورُوا مِنْهَا إِلَّا مَا تَبَتَ وُرُودُهُ، وَإِلَّا فَاقْفُوا عَنْ رِوَايَتِهَا حَتَّى تَكْتُبُوا بِهَا إِلَيَّ وَأُنَبِّئَكُمْ بِأَمْرِهَا، وَإِذَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الْحَدِيثَ فِي سَائِرِ الْكُتُبِ السَّيِّئَةِ أَوْ مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فَارْزُوهُ مُطْمَئِنِّينَ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مَذْكُورًا فِي تَصَانِيفِ

الجزائر 2013م. بدعم من وزارة الثقافة والفنون بمناسبة الاحتفال بخمسينية الاستقلال.

⁽⁴⁰⁾ "نيل الابهتاج" (578)

⁽⁴¹⁾ "كفاية المحتاج" (214/2)

⁽⁴²⁾ "البستان" لابن مريم (255)

⁽⁴³⁾ "تعريف الخلف" (169)

⁽⁴⁴⁾ انظر: التليدي، محمد عبد الله "تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه"، (ص 271)، ود. عبد العزيز بن عبد الله، "معلمة القرآن والحديث" (110)

الشَّيْخُ مَحْيِي الدِّينِ النَّوَوِي، أَوْ المَنْدَرِي صَاحِبِ التَّرْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ، فَارْزُؤُهُ مُطْمَئِنِّينَ».

إنَّ المَغْيَلِي يَعْتَمِدُ عَلَى الكُتُبِ الْأَصُولِ الحَدِيثِيَّةِ، مَحْيَلًا عَلَيْهَا، كصَحِيحِ البَخَارِيِّ، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ وَسَنَنِ أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِي، وَغَيْرِهَا مِنَ المَصْنُفَاتِ الَّتِي يَعْزُو إِلَيْهَا المَحْدَثُونَ وَالعُلَمَاءُ. وَقَدْ أَرَاكَ السِّيَوطِي العُلَمَاءَ بِالْعَزْوِ إِلَى جَوَامِعِ الحَدِيثِيَّةِ، كَالْجَامِعِ الكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالدَّرِ المَنْثُورِ وَالخِصَائِصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمَا يَنْصَحُ عَلَى طَلِيْعَةِ التَّأْسِيسِ لِمُعَلِّمَةِ الحَدِيثِ الَّتِي جَمَعَهَا السِّيَوطِي مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ "الطَّرَائِفِ وَالتَّلَائِدِ مِنْ كِرَامَاتِ الشَّيْخِينَ وَالْوَالِدَةِ وَالْوَالِدِ" تَأَلِيفِ: الفقيه المالكي أبي عبد الله محمد بن المختار بن أحمد، بن أبي بكر الكنتي الشنقيطي (..- 1270 هـ ؟ ..- 1854 م). ففيه ذكر حَجَّةِ المَغْيَلِي بِرِفْقَةِ سَيِّدِي عَمْرِ الشَّيْخِ -جَدِّ صَاحِبِ "الطَّرَائِفِ وَالتَّلَائِدِ"-، وَتَرَافِقَهُمَا لِلقَاءِ الحَافِظِ السِّيَوطِي...

نصَّ مَا جَاءَ فِي الرِّحْلَةِ إِلَى لِقَاءِ السِّيَوطِي.

أَلْفَ السِّيَوطِي رَحِمَهُ اللهُ رِحْلَةَ الحَجِّ، قَالَ ⁽⁴⁵⁾: «فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ 869 هـ (عِنْدَ ابْنِ الشَّمَاعِ: سَنَةُ سَبْعِ وَسِتِّينَ) ⁽⁴⁶⁾ تَوَجَّهْتُ إِلَى الحِجَازِ الشَّرِيفِ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ، وَقَدْ جَمَعْتُ فَوَائِدَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ وَمَا وَقَعَ لِي بِهَا وَمَا أَلْفَتَهُ أَوْ طَالَعْتَهُ أَوْ نَظَّمْتَهُ وَمِنْ أَخَذَتْ عَنْهُ مِنْ شِيُوخِ الرِّوَايَةِ فِي تَأَلِيفِ سَمِيَّتِهِ: (النَّحْلَةُ الزُّكِّيَّةُ فِي الرِّحْلَةِ المَكِّيَّةِ)، وَكَانَ سَفَرْنَا فِي بَحْرِ القَلْزَمِ مِنْ جِهَةِ الطُّورِ».

وَأَلْفَ -رَحِمَهُ اللهُ-: (الِاغْتِبَاطُ فِي الرِّحْلَةِ إِلَى الإسْكَنْدرِيَّةِ وَدَمِيَاطِ)، وَتَسْمَى: (قَطْفُ الزَّهْرِ فِي رِحْلَةِ شَهْرٍ). وَكَانَتْ هَذِهِ الرِّحْلَةُ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الحَجِّ.

⁽⁴⁵⁾ «التحدث بنعمة الله» (ص79) - نشرة الهيئة العامة لقصور الثقافة.

⁽⁴⁶⁾ راجع موضع النقل في: "القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي".

الكتابان ضاعا مما ضاع من التراث. وعليه فثم ضبابية عند الباحثين فيما يتعلق باللقاء بين هذين الإمامين⁽⁴⁷⁾.

قال الحافظ السيوطي في كتابه «التحدث بنعمة الله» (ص178)⁽⁴⁸⁾:
«...في سنة تسع وثمانين (889هـ) قدم ركبُ التكرور وفيه السلطان، والقاضي⁽⁴⁹⁾، وطائفة من الطلبة، فجاءوني بأسرهم، وأخذوا عني العلم والحديث، وقرؤوا عليّ طائفة من مصنفاتي، وأخذوا جملة أخرى من مصنفاتي فوق العشرين: كشرح البخاري، وشرح التقریب، والمعجزات، والبدور السافرة عن أمور الآخرة، وتاريخ الخلفاء، والإكليل في استنباط التنزيل، وألفية الحديث،...» إلخ.

ويزيد الشاذلي في «بهجة العابدين»⁽⁵⁰⁾ موضحا العلاقة الوطيدة بأعيان التكرور قائلا: «وأوقع الله حبّه واعتقاده في قلوب التكرارة فكانوا يعتقدونه اعتقادا تاما بحيث إن واحدا منهم قال لي: نحن في بلادنا ننذر إن جاءنا ولدٌ نسميه باسم عبد الرحمن تبركا به وباسمه. ولم يكن عندهم أحد من العلماء في مقامه ولا في مرتبته، وكاد أن يكون عندهم كالإمام مالك رضي الله عنه في الاعتقاد والتعظيم والمحبة وقبول علمه، وكانوا يتفقدونه -إذا جاؤوا من بلادهم إليه وقصدوا زيارته واجتمعوا عليه- بشيء من أموالهم وهداياهم وتحفهم، ويشترون من تصانيفه ويستكتبونها ويرفعونها إلى بلادهم، ولهم فيها رغبة عظيمة وقبول تام».

(47) د.أج ولد محمد ولد أمينوه، "دور القادرية الكنتية في التبادل الثقافي بين بلاد شنقيط والمغرب خلال القرنين 18-19م"، -الجامعة الإسلامية-العيون-موريتانيا.
(48) الداودي، "ترجمة العلامة السيوطي" تحقيق: د.عبد الحكيم الأنيس دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث-اسطنبول-تركيا، 2021م. (ص154)

(49) هو المغيلي بلا أدنى شك.
(50) الشاذلي، "بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين"، تحقيق: د.عبد الحكيم الأنيس دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث-اسطنبول-تركيا، 2021م. (ص127)

وقد جاء في (مسامرة النديم ببعض آثار محمد بن عبد الكريم)⁽⁵¹⁾ التأكيد على مصاحبة سيدي أبي الهدى محمد بن محمد الأدرعي الحسني للإمام المغيلي، حتى وقعت المرافقة بينهما في الحج واشتركا في لقاء الإمام السيوطي بمصر إلى ما لم نطلع على غايته المكانية ولا الزمانية.

وقد جاء في «تاريخ الفتاش»⁽⁵²⁾ (الباب السادس) عند ذكر السيوطي، قال: وزاره سيدي العالم العلامة محمد بن عبد الكريم.

وفي كتاب: "الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين والوالدة والوالد" للشيخ سيدي محمد بن سيد المختار بن سيدي بابا الكنتي: قال شيخنا في "الإرشاد" معرفاً به: (ومن الأولياء المشهورين بالعلم والولاية جدنا سيدي عمر الملقب بالشيخ.... وساق تفاصيل الرحلة إلى لقاء السيوطي. ومما ينبغي التعقيب به على بعض ما ورد في الرحلة هو القول: إن علم مصطلح الحديث الذي أُلّف فيه الشيخان السيوطي والمغيلي، لم يترك مجالاً للتصحيح

⁽⁵¹⁾ ضمن كتابنا "مع محمد ابن عبد الكريم الإمام حقائق ووثائق".

⁽⁵²⁾ القاضي التنبكي، محمود كعت، "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظام الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار". (بدأ تأليفه عام 925هـ) طبع باريس مع ترجمة فرنسية سنة 1930م، باعثناء الأستاذ هوداس وصره موريس ولافرس باريس 1913م. قال صاحب "تاريخ الفتاش": (لما ثبتت له (إسكيا محمد) السلطنة، واستقامت المملكة، خرج من ذلك كله، وجعل يسأل العلماء العاملين عن سنة رسول الله ص ويمشي على أقوالهم: حتى اتفق جميع علماء عصره على أنه خليفة، وممن صرح له بذلك الشيخ عبد الرحمن السيوطي، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، .. انظر: د.قمر الدين محمد فضل الله، "لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس-ليبيا: العدد الرابع 1987. (ص 218-219)، لكن في "تاريخ الفتاش" ما يشعر بأنه سافر دون المغيلي حيث سأل السيوطي بمصر عن مسائل، ثم سأل المغيلي نفس المسائل عند عودته. ويتوافق هذا الرأي مع رأي ورأي المستشرق جون هنيك (replies p41) أن المغيلي ربما زار غاو عند عودة أسكيا من الحج في يوليوز أوغست 1498م.

وقد ذكر صاحب "تاريخ الفتاش" أن إسكيا الحاج عند عودته من الحج لقي السيوطي واستفتاه في أمر متعلق بالقبائل، ثم سأل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي عن أمر هؤلاء القبائل، فأخبره كما أخبره الشيخ عبد الرحمن السيوطي، واتفق أقوالهما كما يقع الحافر على الحافر.

والتضعيف بالرؤيا، وإن كانت الرؤيا من المباحث اللطيفة في علم الحديث، ويصح أن تفرد بنوع لتعدّد من أنواعه، وهو شبيه بمسألة الرواية عن الجنّ وغير ذلك من الأنواع التي تورد في مدّ علوم الحديث.

طريقة المغيلي (القادرية العلمية)

جاء في قصيدة الشيخ سيدي المختار بن الشيخ سيدي محمد الكنتي يذكر فيها سلسلة أشياخه في الطريقة القادرية⁽⁵³⁾:

وبه إلى الشيخ المغيلي شيخه * سيف الإله على ذوي الطغيان

محيي رُسوم الدين بعد دثورها * ومميت سائر خارج الأديان

لقد كان للطريقة القادرية⁽⁵⁴⁾ التي ينسب إليها المغيلي الصدارة في السودان الغربي من حيث عدد المريدين والأتباع، وكذا من حيث النشاط والاستقرار التجاري المساهم في نشر الإسلام.

وللقادرية فرعان: الفرع الفاضلي والفرع البكائي، الذي وصلت بواده الأولى للمنطقة عندما قدم المغيلي من منطقة توات بالجزائر، فهو الذي

⁽⁵³⁾ محاضرة الوفد المالي المشارك، "أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار"، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي. 13-14 شعبان 1405هـ/2 إلى 5 مايو 1985م.

⁽⁵⁴⁾ انظر في ترجمة مؤسسها الأول السيد عبد القادر الجيلاني البغدادي (ت561هـ) تأليفًا مهما نفيسا للحافظ ابن حجر العسقلاني عنوانه "غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر"، قال في مطلعها: (..فهذا تعليق موجز في ترجمة شيخ مشايخ الزمان السيد عبد القادر الجيلاني..) طبع ضمن السفينة القادرية-دار الكتب العلمية 1425هـ-2004م.

طالع: "الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر-تاريخها ونشاطها"، لصالح مؤيد العقبي-طبع دار البراق-باريس (ص143 وما بعدها) ودراسة للبحثة المغربي الكبير الفقيه محمد المنوني عنوانها: "المدرسة الكنتية (الزاوية) كأبرز قناة بين الإفريقيتين في العصر الحديث". ضمن كتاب "العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية"، من منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط صدرت، عام1992م. و"تاريخ الجزائر الثقافي" (4/ص279)

أوصل الطريقة إلى منطقة حوض نهر السنغال في القرن الخامس عشر، وهي من أوائل الطرق التي وصلت إلى تلك المنطقة.

وقد أخذ سيد أعمر الشيخ جدّ الشيخ سيدي المختار الكنتي قطب القادرية الأبرز في موريتانيا من المغيلي الطريقة وجدّد الأوراد على الإمام السيوطي⁽⁵⁵⁾.

ودخول القادرية إلى الجزائر كان عن طريق أبي مدين شعيب الغوث دفين تلمسان (ت594هـ)، الذي لبس الخرقة عن الشيخ عبد القادر قدومه من الحجّ، وكان الشيخ عبد الكريم المغيلي مساهما في نفوذها الروحي، ويعد أبرز أتباعها حيث أوصلها جنوب صحراء إفريقيا⁽⁵⁶⁾.

وتكلمةً للدور العظيم الذي قام به هذا الداعية الإسلامي والمصلح الكبير الشيخ العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي⁽⁵⁷⁾ -الناشر الحقيقي للطريقة القادرية- سار الكنتيون إلى اليوم على أثر المغيلي رحمه الله رحمة واسعة، أمين.

فهذا سيدي المختار الكنتي يذكر المغيلي في كتبه، ويعده في المجددين، ففي كتابه "البُرد الموشى في قطع المطامع والرشى" (ق285) يقول: (ومن العلماء الأولياء الماهرين في كل فنّ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي شيخ جدنا سيدي أعمر الشيخ بن سيدي أحمد البكاي)⁽⁵⁸⁾.

⁽⁵⁵⁾ عن مقال كتبه: بمبا، أحمدو، بعنوان: "خريطة الطرق الصوفية في غرب إفريقيا"، بتصرف.

⁽⁵⁶⁾ عن مقال: "الصوفية والسلفية في الجزائر.. مقارنة من أجل التجديد" صادر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية.

⁽⁵⁷⁾ انظر النصوص الخاصة بذلك في كتاب بول مارتني عن: "كنة الشرقيون"، تعريب وتعليق: محمد محمود ولد ودادي، مكتبة زيد بن ثابت -دمشق1985، (ص32 .33 وص141)؛ وانظر كذلك: هونوبك في مقاله عن المغيلي بدائرة المعارف الإسلامية.

⁽⁵⁸⁾ حمادو، عبد الرحمن، "تعريف بمخطوط من مخطوطات الغرب الأفريقي البُرد الموشى في قطع المطامع والرشى وجميع أنواع الحرام الذي في المخلوقات قد فشا تأليف الشيخ سيد المختار الكنتي (1142هـ/1730م-1226هـ/1811م)"، مجلة الثقافة

فهذا ما يمكن الإشارة إليه هنا في سياق ذكر جهود المغيلي وأثاره وأيديه البيضاء في حفظ الدين وتقوية المرجعية العلمية السنية.

ولعل الموجود والمتداول من مصنفات المشايخ: سيدي المختار الكنتي، وعثمان دان فودي⁽⁵⁹⁾ وسيدي أحمد التجاني⁽⁶⁰⁾ التي تأثرت كثيرا بنصوص كتب ورسائل الإمام المغيلي، مع ما سيظهر في عالم النشر مستقبلا من الكتب والوثائق سيزيد هذه النقطة وضوحا⁽⁶¹⁾، وسيفتح آفاقا للباحثين وحقولا معرفية واسعة صالحة للبحث والاستغلال.

الإسلامية Volume 15, Numéro 1, Pages 139-168، السداسي الأول 2021، مديرية الثقافة الإسلامية، من (ص 139 إلى 168)

⁽⁵⁹⁾ الشيخ عثمان دان فوديو (1168هـ-1754م/1233هـ-1818م)، مؤسس وسلطان خلافة سوكوتو، وفودي يعني الفقيه، واسمه الأصلي محمد، وهو من قبيلة الفلانيين. وقد أحرزت حركته صدىً عالمياً. كما في: Marilyn R.Waldman: Encyclopaedia Britannica 2007 ultimate CD Reference suite Maj 2011 ; J.O. HUNWICK AL MAGHILI, Encyclopaedia of Islam, Prepared By a number of leading (orientalists new Edition Leiden E.J Brill 1986.(5/P1166

⁽⁶⁰⁾ انظر: كتاب "الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية بغرب أفريقيا شيء من جهاده وتاريخ حياته" تأليف السيد محمد الحافظ عبد اللطيف سالم التجاني، طبع الزاوية التجانية الكبرى بالقاهرة- مصر 1383هـ (ص 50 وما بعدها)

⁽⁶¹⁾ جاء في آخر كتاب "تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان" (مخطوط مصور بالمركز الأفريقي بالجامعة الإسلامية بالنيجر) لعثمان بن فودي: (ونريد أيضاً أن نختم هذا الكتاب بذكر سندننا المتصل إليه. رضي الله تعالى عنه. الذي جاءنا من سيدي محمد المختار بن أبي بكر الكُنْئي الأموي، وهو سند ورد السلسلة القادرية، أجازني به الشيخ العالم نوح، وهو عن شيخه سيدي محمد المختار المذكور، وهو عن شيخه سيدي الشريف علي بن أحمد، وهو عن شيخه سيدي أبي النقباب السيد الأمير لُقْب به لكونه يتلثم، وهو عن شيخه أخيه سيدي أحمد، وهو عن شيخه سيدي علي بن أحمد، وهو عن شيخه أبيه سيدي أحمد، وهو عن شيخه الرقاد، وهو عن شيخه أحمد الفيوم، وهو عن شيخه عمر بن سيدي أحمد البكاء، وهو عن شيخه سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي رضي الله تعالى عنه، وقدّر اتصالنا به الاتصال الحسن في البرزخ وفي الآخرة كما قدّر اتصالنا به في الدنيا الاتصال المعنوي الذي هو هذا السند) انظر: "رسالة السلاسل القادرية" لابن فودي (مطبوع بطريقة التصوير في نيجيريا) ومن

جملة قصائده القصيدة الرائية التي كتبها بالفلانية ثم عربها أخوه عبد الله، وضمنها كتابه "تزيين الورقات"، وختم كل بيت منها باسم عبد القادر.

قلتُ: وفي هذا النقل ردّ على د.عمار هلال الذي قال: (لم ينتسب عثمان لأية طريقة صوفية كانت، بل شأنه شأن المغيلي، كان سُنيا على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وخطأ ينسب بعض الكتاب الأوربيين عثمان إلى الطريقة الصوفية القادرية، ويعتبرونه خطأ من المتعصبين إليها) عن محاضرة بعنوان: مقارنة بين آثار وجهود المغيلي وعثمان دان فوديو في العالم والدعوة إلى إصلاح أحوال المسلمين/أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار(ص88)

وانظر (ورد الطريقة القادرية) في: آخر كتاب "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" لمحمد بلو بن عثمان فودي.

وانظر للاستفادة في ترجمة السيد عبد القادر الجيلاني(ت561هـ) تأليفاً في غاية الأهمية للحافظ ابن حجر العسقلاني عنوانه "غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر"، قال في مطلعته: (..فهذا تعليقٌ موجز في ترجمة شيخ مشايخ الزمان السيد عبد القادر الجيلاني..) طبع ضمن السفينة القادرية-دار الكتب العلمية1425هـ-2004م.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

1. الأنصاري، عبد الأول بن حماد، "المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري وسيرته وأقواله ورحلاته"، 1422هـ-2002م.
2. الألوري، آدم عبد الله "الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا" مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 2012م.
3. البلوي، أبو جعفر أحمد بن علي الوادي آشي، "ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي"، تحقيق: عبد الله العمراني. طبع دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ.
4. البوعبدلي، المهدي، "الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي"، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب. طبع وزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر.
5. التجاني، محمد الحافظ عبد اللطيف سالم، "الحاج عمر الفتوي سلطان الدولة التجانية بغرب أفريقيا شيء من جهاده وتاريخ حياته"، طبع الزاوية التجانية الكبرى بالقاهرة-مصر 1383هـ.
6. التليدي، محمد عبد الله، "تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه"، دار البشائر الإسلامية 1416هـ-1995م (أصل الكتاب رسالة ماجستير).
7. التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية-طرابلس-ليبيا.
8. التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، على هامش الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب 1329هـ.
9. الحفناوي، أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية-الجزائر، 1324هـ-1906م.
10. الداودي، شمس الدين المالكي "ترجمة العلامة السيوطي" تحقيق: د.عبد الحكيم الأنيس، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث-اسطنبول-تركيا، 2021م.
11. السيوطي، جلال الدين "التحدث بنعمة الله" تحقيق: د.عبد الحكيم الأنيس دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث-اسطنبول-تركيا، 2021م.

12. الشاذلي، عبد القادر "بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين" تحقيق: د.عبد الحكيم الأنيس دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث- اسطنبول-تركيا، 2021م.
13. أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، الجزائر: دار البصائر، طبعة خاصة 2007م.
14. الكتاني، عبد الحى بن عبد الكبير، "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات" تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت 1982 – 1402.
15. الماخي، عبد الرحمن عمر، "الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل"، ديوان المطبوعات الجامعية 1989.
16. المديوني، ابن مريم الشريف الملبتي المديوني التلمساني، "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" مراجعة: الشيخ محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1908م.
17. المعسكري، أبو راس، "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" تقديم وتحقيق: محمد غالم، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، 2008.
18. المنوني، محمد: "المدرسة الكنتية (الزاوية) كأبرز قناة بين الإفريقيتين في العصر الحديث". ضمن كتاب "العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية"، من منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط صدرت، عام 1992م.
19. الوفد المالي المشارك، محاضرة في "أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي. 13-14 شعبان 1405هـ/2 إلى 5 مايو 1985م.
20. الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (ليون الإفريقي) "وصف إفريقيا"، ترجمه عن الفرنسية: د.محمد حجي، د.محمد الأخضر، الطبعة الثانية-دار الغرب الإسلامي-تونس.
21. الولاتي، أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور" تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان الطبعة الأولى، 1981م.

22. ابن القاضي، أحمد، "لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد"، ضمن موسوعة أعلام المغرب، طبع دار الغرب الإسلامي، تنسيق وتحقيق: محمد حجي.

23. ابن حجر، الحافظ العسقلاني، "غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر"، طبع ضمن السفينة القادرية-دار الكتب العلمية 1425هـ-2004م.

24. بوعرفة، عبد القادر "أعلام الفكر والتصوف بالجزائر"، طبع دار الغرب للنشر والتوزيع-وهران

25. حمادو، عبد الرحمن، "مع المغيلي ابن عبد الكريم الإمام حقائق ووثائق"، ضمن الأعمال الكاملة للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي: المجلد الأول، طبع مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث-الجزائر 2013م. بدعم من وزارة الثقافة والفنون بمناسبة الاحتفال بخمسينية الاستقلال.

26. حمادو، عبد الرحمن، "العلامة المغيلي وسياسته مع اليهود- الوثائق الكاملة"، ضمن الأعمال الكاملة للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي: المجلد السادس، طبع مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث-الجزائر 2013م. بدعم من وزارة الثقافة والفنون بمناسبة الاحتفال بخمسينية الاستقلال.

27. صمايري، هشام "دستور الأعلام بمعارف الأعلام"، تقديم وتحقيق، دار الكتب العلمية، 2021م.

28. مارتى، بول: "كنة الشرقيون"، تعريب وتعليق: محمد محمود ولد ودادي، مكتبة زيد بن ثابت -دمشق 1985.

29. مخلوف، محمد بن محمد، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" المطبعة السلفية ومكبتها القاهرة 1349هـ.

30. ولد أمينوه، أج ولد محمد -"دور القادرية الكنتية في التبادل الثقافي بين بلاد شنقيط والمغرب خلال القرنين 18-19م"، الجامعة الإسلامية-العيون-موريتانيا.

الدوريات العلمية:

1. بوعبيد، محمود "العلم والثقافة بالمغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م" العلوم والكتب الأكثر تداولاً"، مجلة الثقافة التاريخية"، المجلس الإسلامي الأعلى-الجزائر. العدد 1 ربيع الأول 1423هـ/2002م.

2. حمادو، عبد الرحمن "تعريف بمخطوط من مخطوطات الغرب الأفريقي البُرذ الموشى في قطع المطامع والرشى وجميع أنواع الحرام الذي في المخلوقات قد

فشا تأليف الشيخ سيد المختار الكنتي (1142هـ/1730م-1226هـ/1811م)"،
مجلة الثقافة الإسلامية Volume 15، Numéro 1، Pages 139-168،
السداسي الأول 2021، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
3. الهرامة، عبد الحميد "تنبكتو.. نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي"، مجلة
كلية الدعوة الإسلامية-طرابلس-ليبيا، العدد الرابع 1987.

الرسائل الجامعية:

1. هانم، أبو أزهر بلخير هانم "شرح التبيان في علم البيان" للمغلي، دراسة
وتحقيق (أطروحة دكتوراه) طبع دار الكتب العلمية-بيروت 2010م.

الموسوعات:

1. -Marilyn R.Waldman :Encyclopaedia Britannica 2007ultimate CD
Reference suite Maj2011.
2. J.O HUNWICK AL MAGHILI ،Encyclopaedia of Islam ،Prepared By a
number of leading orientalis new Edition Leiden E.J Brill1986.
(5/P1166).

المواقع الإلكترونية:

1. تم الاطلاع عليه بتاريخ 2022-05-27 الساعة 23:00:
[/https://www.alukah.net/library/0/108126](https://www.alukah.net/library/0/108126)
2. -تم الاطلاع عليه بتاريخ 2022-05-27 على الساعة 23:00:
<https://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=audioinfo&audioid=463010>
3. تم الاطلاع عليه بتاريخ 2022-05-27 على الساعة 23:00:
<https://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=463010>

فهرس الجزء الثالث

- 7..... ديباجة الملتقى:
نظرات مقاصدية في الفكر السياسي
- 13..... عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي
محمد الصالح ضيف
أستاذ مكون بثانوية الشهيد بومادة عبد المجيد بورقلة
- 47..... عبقرية الإمام المغيلي في السياسة والدعوة.....
محمد ثوبان آدم عبد الله الإلوري
إمام جامع العلامة الإلوري، ومؤسس ومدير مركز العلوم العربية والإسلامية
والمرشد العام لجماعة التوبة الإسلامية أوتوبوأغيغي لاغوس نيجيريا
الحكومة السياسية ودورها في استقرار الشعوب الإفريقية
ووحدتها من خلال أجوبة الإمام المغيلي لملوك السودان
- 83..... أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي أنموذجا.....
أستاذ دكتور عبد الرحمن محمد ميغا.
الجامعة الإسلامية بالنيجر
- 117..... الرؤية السياسية عند المغيلي في ضوء التحديّات الحضاريّة الراهنة.....
د. عبد الباسط بن محمد الجمعي غابري
أستاذ محاضر في الحضارة الإسلامية بمركز الدراسات الإسلامية
القيروان/جامعة الزيتونة.
- بنيات التواصل بين الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي
143..... التلمساني وإمارات وممالك أفريقيا الغربية خلال القرن 16م.....
د/ مبروك مقدم

- الإمام المغيلي والراهن الإفريقي
من كدمات التطرف إلى سماحة التصوف
- 197..... قراءة سوسيو إثنولوجية لذهنية المجتمعات الإفريقية.
الأستاذ الدكتور: الصديق حاج أحمد آل المغيلي
أستاذ التعليم العالي ومدير مخبر سرديات الصحراء - جامعة أدرار - الجزائر.
- 211..... الرؤية الكونية ومقام الإمام المغيلي في الحياة السياسية والاجتماعية.
إعداد الدكتورة: اميدا غفاراوه
عميد معهد العلوم الاجتماعية بجامعة خجند الحكومية
جمهورية تاجيكستان
- 225..... الفكر الصوفي الكوني بين المغيلي وبعض مُعاصريه من الهنود والفُرس
أ.د. محمد ثناء الله الندوي.
قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، الهند.
- 269..... تقنية عين الطائر في الرؤية الاستشرافية للإمام المغيلي.
أستاذ دكتور، أحمد حمد حميدي النعيمي
- 283..... الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر السياسي للإمام المغيلي
صلاح الدين بن نعيم
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
إمام أستاذ، مسجد الطاعة/ مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية معسكر
مخطوطات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في البوابة الجزائرية
للمخطوطات.
- 309..... أ.د/ إدريس بن خويا.
جامعة أدرار.
- آثار الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي
المخطوطة والمطبوعة
- 345..... إعداد/ أ.د. محمد الأمين بلغيث
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة.

- التراث العلمي والمعرفي للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:
 363..... قراءة في بعض مؤلفاته الدينية والأدبية والفكرية
 الدكتور أمين الله آدمو الغمبيري.
 الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية والشريعة
 جامعة بايرو، كنو- نيجيريا.
- 391..... الأطروحة السياسية ومشروع الدولة في الفكر السياسي للإمام المغيلي
 سليمان ولد خصال.
 رئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر
 الرسائل المغيلية في السياسة.
- 411..... التقوى والعدل من أجل «الاستقرار» و«وحدة الجماعة»
 أ.د/ بومدين بوزيد
 الأمين العام للمجلس الإسلامي الأعلى (الجزائر).
- 431..... الحكم الراشد ومكافحة الفساد في الفكر السياسي عند الإمام المغيلي.
 د. عبد الله كروم آل المغيلي.
 جامعة أحمد درايعية- أدرار- الجزائر.
- 451..... الإمام المغيلي... فيوضات السلام والوحدة على الإنسانية.
 الشيخ الدكتور بدري المداني /تونس.
 إمام جامع بالارمو بايطاليا
 استراتيجية التواصل الفكري والثقافي بين شمال إفريقيا وجنوبها.
- 465..... رؤية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي نموذجاً.....
 الدكتور آدم يوسف
 مركز البحوث والدراسات الإفريقية – الخرطوم- السودان
- 491..... المغيلي.. محدثاً على خطى الحافظ السيوطي.
 عبد الرحمن حمادو الكُتبيجي